مالک این کتاب میرزا محمد علی پسر مرحوم میرزا علاء الدین تستر ... دام اقباله

خریدم این کتاب بتاریخ ۲۶ ماه جمادی الثانی روز جمعه ۱۲۹۰ هجری

بمعرفت بابو حجام ... بقیمت یک روپیه جلبی بمقابله

محمد صادق

## فهرسة الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل

صحيفة



صحيفة

صحيفة

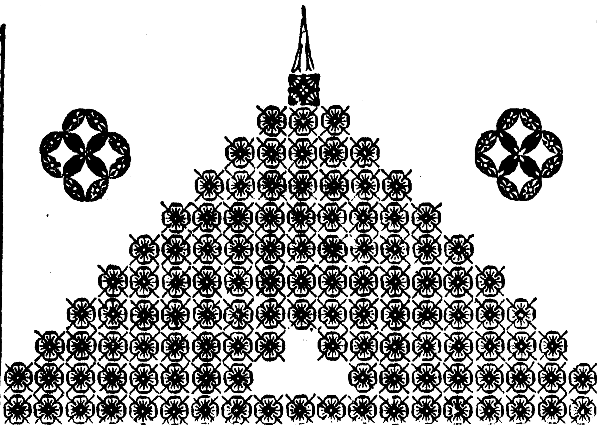


صحيفة

*(تمت)*

الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

﴿وبهامشه تاريخ أبي نصر العتبي رحمه الله تعالى﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

*(ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة)*

*(ذكر حصر صلاح الدين كوكب)*

فى هذه السنة فى المحرم انحسر الشتاء فسار صلاح الدين من عكا فيمن تخلف عنده من العسكر الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظنا منه ان ملكها سهلا وان أخذها عجلا وهو فى قلة من العسكر متيسر فلما رآها عالية منيعة والوصول اليها متعذر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لان البلاد الساحلية من عكا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ماعدا هذه الحصون وكان يختار أن لا يبقى فى وسطها ما يشغل قلبه ويقسم همه ويحتاج الى حفظه ولئلا ينال الرعايا والمجتازين منهم الضرر العظيم فلما حصر كوكب ورآها منيعة يبطئ ملكها وأخذها رحل عنها وجعل عليها قايماز النجمى مستديما لحصاره وكان رحيله عنها فى ربيع الاول وأتاه رسل الملك قلج ارسلان وقزل ارسلان وغيرهما يهنونه بالفتح والظفر وسار من كوكب الى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى البلاد جميعا باجتماع العساكر بها وأقام بها الى ان سار الى الساحل بالبلاد الشامية

*(ذكر رحيل صلاح الدين الى بلد الفرنج)*

لما أراد صلاح الدين المسير عن دمشق حضر عنده القاضى الفاضل مودعا له ومستشيرا وكان مريضا وودعه وسار عن دمشق منتصف ربيع الاول الى حمص فنزل على بحيرة قدس غربى حمص وجاءته العساكر فأول من أتاه من اصحاب الاطراف عماد الدين زنكى بن مودود بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور وتلاحقت العساكر من الموصل وديار الجزيرة

وغيرها

*(ذكر الوزير ابى العباس الفضل بن أحمد وما انتهت اليه حاله الى أن مضى لسبيله)* قد كان الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد من خاصة فائق الملقب بعميد الدولة ومن كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على البريد بمرو أيام سالارية السلطان يمين الدولة بنيسابور رفع الى ناصر الدين سبكتكين خبر

وغيرها فاجتمعت عليه وكثرت عنده فسار حتى نزل تحت حصن الاكراد من الجانب الشرقي وكنت معه حينئذ فأقام يومين وسار جريدة وترك أثقال العسكر موضعها تحت الحصن ودخل الى بلد الفرنج فأغار على صافيثا والعريمة ويحمور وغيرها من البلاد والولايات ووصل الى قريب طرابلس وأبصر البلاد وعرف من أين يأتيها واين يسلك منها ثم عاد الى معسكره سالما وقد غنم العسكر من الدواب على اختلاف أنواعها ما لا حد له وأقام تحت حصن الاكراد الى آخر ربيع الآخر

*(ذكر فتح جبلة)*

لما أقام صلاح الدين تحت حصن الاكراد أتاه قاضي جبلة وهو منصور بن نبيل يستدعيه اليه ليسلمها اليه وكان هذا القاضي عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها وعلى ما يتعلق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له بفتح جبلة ولاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرطوس سادسه فرأى الفرنج قد أخلوا المدينة واحتموا في برجين حصينين كل واحد منهما قلعة حصينة ومعقل منيع فخرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وكان الداوية باحد البرجين فحصرهما صلاح الدين فنزل اليه من في احد البرجين بامان وسلموه فأمنهم وخرب البرج وألقى حجارته في البحر وبقي الذي فيه الداوية لم يسلموه وكان معهم مقدمهم الذي أسره صلاح الدين يوم المصاف وكان قد أطلقه لما ملك البيت المقدس فهو الذي حفظ هذا الحصن فخرب صلاح الدين ولاية انطرطوس ورحل عنها وأتى مرقية وقد أخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهي من حصونهم التي لا ترام ولا تحدث أحدا نفسه بملكه لعلوه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحته فيكون الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد فاتفق ان صاحب صقلية من الفرنج قد سير نجدة الى فرنج الساحل في ستين قطعة من الشواني وكانوا بطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك أمر بالطارقيات والجفتيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من اول المضيق الى آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة ثامن عشر جمادى الاولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع أعلامه على سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها بحصنها واحتموا بقلعتها فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الامان وان يأخذ رهائنهم يكونون عنده الى أن يطلق الفرنج رهائنهم من المسلمين من أهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد أخذ رهائن القاضي ومسلمي جبلة وتركهم عنده بانطاكية فأخذ القاضي رهائن الفرنج وجاء رؤساء أهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة أهله وهو من امنع الجبال واشقها مسلكا وفيه حصن يعرف بيكسرايل بين جبلة ومدينة حماة فملكه المسلمون وصار الطريق في هذا الوقت عليه من بلاد الاسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدة في سلوكه وقرر صلاح الدين احوال جبلة

قوته وأمانته فكتب الى الرضي يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية أعماله وتدبير أموره وامواله ورجاله فأوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالبدار الى نيسابور على مقتضى مثاله فاعتمده السلطان للوزارة واستكفاه مهمات الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة أبي القاسم أحمد بن الحسن كتابة وحسابة واصالة واصابة وهداية ودراية وحماية وجباية اذلم يكن على طراءة شبابه بين لداته أغنى منه غناءه وامضى مضاء واذكى ذكاء وأدهى دهاء غير أن الامير سبكتكين جنى عليه في أيه عند اعتماده لوزارة بست وتدبير اعمالها واموالها جناية سبق السيف فيها العذل اصغاه منه الى عداته فيما شقوه فيه من رفيعة والفقوه عليه من سعاية ووقيعة فاستوحش منه استيحاشا من بادرة فعله والمسيء نفور والقلوب عن ذوى الاساءة صور وكره السلطان الاستبداد على ابيه في اتصابه حسب ارتضائه

وجعل فيها بالمدينة فظهها الامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها

*(ذكر فتح لاذقية)*

لما فرغ السلطان من أمر جبلة وسار عنها الى لاذقية فوصل اليها فى الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا القلعتين اللتين فيهما الفرنج وزحفوا اليهما ونقبوا الاسوار ستين ذراعا وعلقوه وعظم القتال واشتد الامر عند الوصول الى السور فلما أيقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضى جبلة فخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فأمنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وكان ذلك فى اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة اللاذقية من أحسن الابنية واكثرها زخرفة مملوءة بالرخام على اختلاف أنواعه فخرب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامه وشعثوا كثيرا من بيعها التى قد غرم على كل واحدة منهم الاموال الجليلة المقدار وسلمها الى ابن أخيه تقى الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى ان ذا رآها اليوم من رآها يتنكرها فلا يظن ان هذه تلك وكان عظيم الهمة فى تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة

*(ذكر حال اسطول صقلية)*

لما نازل صلاح الدين لاذقية وصل اسطول صقلية الذى تقدم ذكره فوقف بازاء مينا الاذقية فلما سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على أخذ من يخرج منها من أهلها غيظا وحنقا حيث سلموها سريعا فسمع بذلك اهل لاذقية فأقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم ثم أن مقدم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فأمنه وحضر وقبل الارض بين يديه وقال ما معناه ان السلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فذلوا فاتركهم يكونون مماليكك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فأجابهم صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار القوة والاستهانة بكل من يجئ من البحر وانهم ان خرجوا أذاقهم ما أذاق أصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى أصحابه

*(ذكر فتح صهيون وعدة من الحصون)*

ثم رحل صلاح الدين عن لاذقية فى السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهى قلعة منيعة شاهقة فى الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق فى بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخمسة أسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصب عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم فى الشجاعة بالمنزلة المشهورة وداوموا الرمى بالسهام من قسى اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح اكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثانى جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قد أغفل الفرنج احكامها

فتسلقوا

واستكفائه وفق المذبور من وفائه طاعة له فى اختياره واتباعا الفلك رأيه تحت مداره وقضى الله بان يكون ما يليه حتى يعترف خراسان بانه عذيقه المرجب وجذيله المحكك يتتبع ما يفسده الغير بالاستصلاح ويستدرك ما أحرضته يد الاجتياح ويداوى كل داء بدوائه ويرد غائر الماء الى لحائه فأجرى أبو العباس الامور بجاريها على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستدرار وقصد التوفير دون الاستعمار حتى جبى مالا عظيما سنين عدة اذ كانت خراسان بعد مكسوءة بأغبارها لم يتنزف منها دوامي اللبن ولم يتنزع منها كوامى السمن فلما احتلبها ائتزافا واستنفد ما فى ضرعها اسرافا ومن قبل ما قد حال بينها وبين خصب المراتع وبرد الموارد والمشارع وضعت خراسان لها على ظهورها من فضول دسم وسمعت بخبا وراءه عظامها من نقى مقتسم حتى صارت من فرط الهزال والعجف كالاهلة المحنية بل

فتسلقوا منها بين الصخور حتى الصقوا بالسور الاول فملكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من أبقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلة التي بالقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرروا على أنفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى أمير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابي قبيس فحصنه وجعله من أحصن الحصون ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا الى تلك النواحي فملكوا حصن بلاطنوس كان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملكوا ايضا حصن العيدو وحصن الجماهرتين فاتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الاسلامية على عقبة بكسرائيل شاق شديد لان الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لان بعضها بيد الاسماعيلية وبعضها بيد الفرنج

## ❊(ذكر فتح حصن بكاس والشغر)❊

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهي وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقية وجبلة والبلاد التي افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امر بمزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من أحجاره الى القلعة شئ الا القليل الذي لا يؤذي فبقي المسلمون عليه اياما لا يرون فيه طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده أصحابه وهم في ذكر القلعة واعمال الحيلة في الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين أو يأتي الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم في هذا الحديث اذ قد أشرف عليهم فرنجي ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انظارهم ثلاثة ايام فان جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فاجابهم اليه وأخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة وكان سبب استمهالهم انهم أرسلوا الى البيمند صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه أن يرحل عنهم المسلمين فان فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم والا فلو أقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم أحد ولا بلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلمه صلاح الدين الحصن سلمه الى أمير يقال له قلج وأمره بعمارته ورحل عنه

## ❊(ذكر فتح سرمينية)❊

لما كان صلاح الدين مشغولا بهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازي صاحب حلب فحصر سرمينية وضيق على اهله واستنزلهم على قطيعة قررها عليهم فلما انزلهم وأخذ منهم القطيعة هدم الحصن وعفى أثره وعالى بنيانه وكان في هذه الحصون من أسارى المسلمين الجم الغفير فاطلقوا وأعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة واتفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمينية مع كثرتها

الاخلة المبرية وتداعى بالخراب معظم الضياع ووقفت القنى بين القصور والانقطاع وشرد في البلاد اكثر الاكرة والزراع ثم عندها خذ الجار بذنب الجار وألزم القار مؤنة الفار حتى عمت البلوى وطمت الشكوى وشملت خراسان نوائب البوس وذهبت حرائب النفوس وصدمتهم سنة القحط بعقبها فصار الغني محسورا والمتوسط مفقورا والفقير مقبورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وبقيت في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومتكسر وتاو ومتعسر لو أذيت عن آخر فقرة منها لم يف ببعضها فضلا عما جمعته أقلام الاستيفاء منها فاظهر السلطان ضجرا من تعذر الاموال وتراجع الارتفاعات فطالب الوزير منها بما اقتطعه وأتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والاحالة فهما عضه العتب بثقافه أظهر الاستعفاء وجلب الى نفسه البلاء وأسلم النفس اختيارا وآثر الحبس قرارا

كان فى ست جمع مع انها فى أيدى اشجع الناس واشدهم عداوة للمسلمين فسبحان من اذا أراد أن يسهل الصعب فعل وهى جميعها من أعمال انطاكية ولم يبق لها سوى القصير وبغراس ودرب ساك وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى مكانه

## *(ذكر فتح برزية)*

لما رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وصفت له وهى تقابل حصن افامية وتناصفها فى اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تتفجر من جبل برزية وغيره وكان اهلها أضر شئ على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون فى الاذى فلما وصل اليها نزل شرقيها فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ثم ركب من الغد وطاف عليها ينظر موضعا يقاتلها منه فلم يجده الا من جهة الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن أن تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتة فانه لا يقدر أحد أن يصعد جبلها من هاتين الجهتين وأما الجانب الشرقى فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوه وصعوبته وأما جهة الغرب فان الوادى المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب أهل القلعة عليها منجنيقا ابطلها ورأيت انا من رأس جبل عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شئ اليها امرأة ترمى من القلعة عن المنجنيق وهى التى أبطلت منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين ان المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة أقسام يزحف قسم فاذا تعبوا وكلوا عادوا وزحف القسم الثانى فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثم يدور الدور مرة بعد أخرى حتى يتعب الفرنج وينصبوا فانهم لم يكن عندهم من الكثرة ما يتقسمون كذلك فاذا تعبوا وأعيوا اسلموا القلعة فلما كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة تقدم احد الاقسام وكان المقدم عليهم عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجفتيات والجنويات والطارقيات ومشوا اليهم حتى قربوا الى الجبل فلما قاربوا الفرنج عجزوا عن الدنو منهم لخشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو مكانهم بالنشاب والحجارة فانهم كانوا يلقون الحجارة الكبار فتتدحرج الى أسفل الجبل فلا يقوم لها شئ فلما تعب هذا القسم انحدروا وصعد القسم الثانى وكانوا جلوسا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاص فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا شديدا فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين فى سلاحه يطوف عليهم ويحرضهم وكان تقى الدين ابن أخيه كذلك فقاتلوهم الى قريب الظهر ثم تعبوا ورجعوا فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم اليهم وبيده جماق يردهم وصاح فى القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا ملبين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان أصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا ايضا معهم فحينئذ اشتد الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحر والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون



وتوسط الملا بين السلطان وبينه على أن يجبر بعض المنكسر من خالص ماله مما استفضله طول وزارته من مرافق أعماله فأبى أن ينزل عن درهم الا بعزله وحبسه أنى شاء من قلاعه صنيع المتبرم بالعمل المتنغص بالامل المستسلم للبلية المتصكك بالمنية واختار عند ذلك السلطان الدهقان أبا اسحق محمد بن الحسين وهو اذ ذاك رئيس أصحاب الديوان واستنظاف البقايا على العمال والسكان وانهضه اليها سنة احدى وأربعمائة فانحدر الى هراة وجبى من الاموال ما درت أخلافه ولانت على العسر أعطافه ولم يلبث الا يسيرا حتى حل حلا كثيرا والوزير أبو العباس بعد فى صدر الوزارة والشيخ الجليل أبو القاسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل السفارة يروم استصلاحه اياه كى ينسد به مكانه ويستد الى عرض الاستقامة شانه وهو يأبى سوى اللجاج فى القاء القول عن حدة المزاج حكما من الله

معهم وكان طائفة قليلة فى الخيام شرقى الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا ذلك الجانب لانهم لم يروا فيه مقاتلا ولم يكثروا فى الجهة التى فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا أيضا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلة التى للحصن وأحاط بها المسلمون وأرادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من أسرى المسلمين الى سطح القلة وأرجلهم فى القيود والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين فى نواحى القلعة كبروا فى سطح القلة وظن الفرنج ان المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا والقوا بايديهم الى الاسر فملكها المسلمون عنوة ونهبوا ما فيها وأسروا وسبوا من فيها وأخذوا صاحبها وأهله وامست خالية لاديار بها وألقى المسلمون النار فى بعض بيوتهم فاحترقت * ومن أعجب ما يحكى من السلامة انى رأيت رجلا من المسلمين على هذا قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالى القلعة الى طائفة أخرى من المسلمين جنوبى القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضا فالقيت عليه الحجارة وجاء حجر كبير لو ناله لبعجه فنزل عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربه وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت فى الارض فوق الرجل فضربه المنحدر فارتفع عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه اذى ولا ضرر وقام يعدو حتى لحق باصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست ام الجبان وأما صاحب برزية فانه أسره وأصحابه وامرأته وأولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم العسكر فارسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية أطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية أخت امرأة بيمند صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثيرا من الاحوال التى تؤثر فاطلق هؤلاء لاجلها

## •(ذكر فتح دربساك)*

لما فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار عنه الى قلعة دربساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من معاقل الداوية الحصينة وقلاعهم التى يدخرونها لحماياتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيأ يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط واتسع المكان الذى يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد أرسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا وأظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه اما بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها وأخذهم بالسيف وقتلهم وأسرهم ونهب أموالهم طلبوا الامان فامنهم على شرط أن لا يخرج أحد الا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا أثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم أخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب

تعالى لم يسع احدا رده وقضاء سابقا أعيا العالمين صده ومازالت هذه حاله لزوما للصدر على ما به من ضعة القدر الى أن ركب بنفسه الى قلعة غزنة مستروحا بزعمه الى الاعتقال عما تولاه ومتسمحا بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا يشترى الحبس اختيارا ويستقبل صرف الزمان بدارا وغاظ السلطان ما أتاه فاستبذله الخط بغرامة ماجناه على أمواله ورعاياه فبذل خطه بمائة ألف دينار ثم لم يزل يستدر الى أن عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه السلطان بحياة راسه على ظاهر افلاسه وعلى اغلاق ذمته ان وجد له على الطلب مالا مفرقا ومجموعا ومدفونا ومستودعا وبقى على جملة يتنابه أولاده معفى عن الارهاق والتعنيف مصونا عن التحامل والتكليف الى أن ظهر على ما ذكره مال عند بعض التجار ببلخ فاخذوه وأمر بوضع الدهق عليه لاستصفائه واستخراج ما وقاه بنفسه وذماته وما

## (ذكر فتح بغراس)

ثم سار عن دربساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف أصحابه في حصرها فمنهم من أشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج أن يكون أكثر العسكر في اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الامر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل أكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية يغيرون على أعمالها وكانوا حذرين من الخوف من أهلها ان غفلوا لقربهم منها وصلاح الدين في بعض أصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المجانيق فلم يؤثر فيها شيأ لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وتأخر ملكها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وأمر بحمل الماء اليها فخفف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فأجيب الى ذلك فاذن له في الحضور فحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة دربساك فأجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر وأموال وسلاح وأمر صلاح الدين بتخريبه فخرب وكان ذلك مضرة عظيمة على المسلمين فان ابن ليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى بهم السواد الذي لحلب وهو الى الآن بايديهم

## (ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية)

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف البيمند صاحبها من ذلك وأشفق منه فأرسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كل أسير عنده من المسلمين فاستشار من عنده من أصحاب الاطراف وغيرهم فأشار أكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحوا ويجددوا ما يحتاجون اليه فأجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية أشهر أولها أول تشرين الاول وآخرها آخر ايار وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية في هذا الوقت أعظم الفرنج شأنا وأكثرهم ملكا فانه كان الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع أعمالها مضافا الى ما كان له لان القمص لم يخلف ولدا فلما سلمت اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نائبا عنه وأما صلاح الدين فانه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق العساكر الشرقية كعماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار والجزيرة وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربي وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الامير عز الدين أبو الفليتة قاسم بن المهنا العلوي الحسيني وهو أمير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في أعماله كلها ودخل دمشق أول شهر رمضان فأشير عليه بتفريق العساكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقي

بقي من رمق جاهه وثمالته واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله واستبراء ما يصدق أو يكذب من مقاله والدهر يستقريه على الدوام وينال منه يوما بيوم حتى أتاه أجله وحاق به ما كان يستعجله وذلك في سنة اربع واربعمائة ولما عاد السلطان ورآه ساءه ما سمع فيه وهيهات اين من المساءة روح مطموسه ونفس بين أطباق الثرى مرموسه كذلك من آثر المخلوق على الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق وقد أدرك له في صدر وزارته ولد يعرف بأبي القاسم محمد بن الفضل فبرع على سمعة الشباب في وجوه الفضائل والآداب حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض نظمه ونثره فمن شعره في أبيه قوله من قصيدة

لقد أبقى أبو العباس جودا
على جود الربيع لمعتفيه
ففي احدى يديه ممات قوم
وفي الاخرى الحياة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا وأنت
فهل مرقى سواه فترتقيه

بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولابد من الفراغ منها فانها فى وسط
بلاد الاسلام ولا يؤمن شر أهلها وان أغفلناهم ندمنا فيما بعد والله أعلم

*(ذكر فتح الكرك وما يجاوره)*

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلازموا الحصار هذه المدة الطويلة
حتى فنيت أزواد الفرنج وذخائرهم وأكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا
الملك العادل أخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك فى جمع من العسكر
يحصرها ويكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لما أبعد هو الى درب ساك وبغراس
فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك
وأرسل الى مقدم العسكر الذى يحصرها فى المعنى فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضا ما يقاربه
من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية وألقى الاسلام
هناك جرانه وأمنت قلوب من فى ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيره فانهم كانوا ممن يتلك
الحصون وجلين ومن شرهم مشفقين

*(ذكر فتح قلعة صفد)*

لما وصل صلاح الدين الى دمشق وأشير عليه بتفريق العساكر قال لابد من الفرنج من صفد
وكوكب وغيرهما أقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها
وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وأدام الرمى اليها الليل والنهار بالحجارة والسهام وكان أهلها
قد قارب ذخائرهم وأزوادهم أن تفنى فى المدة التى كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين
كان يحاصرهم كما ذكرناه فلما رأى أهله جد صلاح الدين فى قتالهم خافوا أن يقيم الى أن يفنى
ما بقى معهم من أقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكهم أو انهم يضعفون عن مقاومته
قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فارسلوا يطلبون الامان فامنهم وتسلمها منهم فخرجوا
عنها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا وسط البلاد الاسلامية

*(ذكر فتح كوكب)*

لما كان صلاح الدين يحاصر صفدا اجتمع من بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد
لم تبق كوكب ولو انها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد
فاتفق رأيهم على انفاذ نجدة لها سرا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مائتى رجل من
شجعان الفرنج وأجلادهم فساروا الليل مستخفين وأقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر الله
تعالى ان رجلا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيدا فلقى رجلا من تلك النجدة
فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذى أقدمه الى هناك فاقر بالحال ودله على
أصحابه فعاد الجندى المسلم الى قايماز النجمى وهو مقدم ذلك العسكر فأعلمه الخبر والفرنجى
معه فركب فى طائفة من العسكر الى الموضع الذى قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فأخذهم
وتتبعهم فى الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم أحد فكان معهم مقدمان من فرسان الاسبتار
فحملوا الى صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته قتل الداوية
والاسبتارية لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم فلما أمر بقتلهما قال له أحدهما ما أظن ينالنا

وأقبل بحولك الاقبال حتى
غدا بمصرا وأنت النور فيه
فنورز ألف نيروز سعيدا
رفيع الجد فى عيش رفيه
وله أحجية
وزنجية قادت الى القوم بضة
لينكحها من كان يعشقها قدما
*فقام اليها واحد بعد واحد
ولم نرز مافعلهم لاولا اثما
وأدركته حرفة الادب
فاختطفته يد المنية أنضر
ما كان عودا*وأثنته عودا
وأبهر سودا*وأجده
قياما وقعودا*وحكى لى بعض
أصحابه انه أصبح ذات يوم
يروى بيتين تلقنهما فى النوم
وهى
أرى الدنيا وزخرفها ككاس
تدور على اناس من اناس
ولا تبقى على أحد كما لا
يدوم بقاؤها فى كف حاس
فتطيرله منهما ولما انقضى
نحبه زاد أبو الحسن الموصلى
الكاتب فيه أبياتا وهى
أبعد محمد بن الفضل أرجو
أمانا من الدهر العماس
أساس الفضل كان به فاودى
وأبقى الفضل منهدم الاساس
فتى فى نثره والنظم أربى
على ابن ثوابة وأبى نواس

سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح فلما سمع كلامهما لم يقتلهما وأمر بهما فسجنا ولما فتح صفد سار عنها الى كوكب ونازلها وحصرها وأرسل الى من بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا ويتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان امتنعوا فلم يسمعوا قوله وأصروا على الامتناع فجد في قتالهم ونصب عليهم المجانيق وتابع رمي الاحجار اليهم وزحف مرة بعد مرة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذي يريدونه وطال مقامهم عليها وفي آخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة في يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر أحد منهم أن يخرج رأسه من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فأمنهم وتسلم الحصن منهم منتصف ذي القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صنديد فاشتدت شوكتهم وحميت جمرتهم وتابعوا الرسل الى من بالاندلس وصقلية وغيرها من جزائر البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كل قليل تأتيهم وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد ايلة الى اقصى أعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح الدين صفد سار الى البيت المقدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكا فأقام بها حتى انسلخت السنة

*(ذكر ظهور طائفة من الشيعة بمصر)*

في هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدتهم اثنا عشر رجلا ليلا ونادوا بشعار العلويين يال علي يال علي وسلكوا الدروب ينادون ظنا منهم ان رعية البلاد يلبون دعوتهم ويخرجون معهم فيعيدون الدولة العلوية ويخرجون بعض من بالقصر محبوسا منهم ويملكون البلاد فلم يلتفت أحد منهم اليهم ولا أعارهم سمعه فلما رأوا ذلك تفرقوا خائفين فأخذوا وكتب بذلك الى صلاح الدين فأهمه أمرهم وازعجه فدخل عليه القاضي الفاضل فأخبره الخبر فقال القاضي الفاضل ينبغي أن تفرح بذلك ولا تحزن ولاتهتم حيث علمت من بواطن رعيتك المحبة لك والنصح وترك الميل الى عدوك ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن اصحابك ورعيتك وخسرت الاموال الجليلة عليهم لكان قليلا فسري عنه وكان هذا القاضي الفاضل صاحب دولة صلاح الدين واكبر من بها وستأتي مناقبه عند وفاته ما تراه

*(ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل)*

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله عسكرا كثيرا وجعل المقدم عليهم وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيرهم الى مساعدة قزل ليكف الناس طغرل عن البلاد فسار العسكر ثالث صفر الى أن قارب همذان فلم يصل قزل اليهم وأقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الاول بداي مرج عند همذان واقتتلوا فلم يثبت عسكر بغداد بل انهزموا وتفرقوا وثبت الوزير قائما ومعه مصحف وسيف فأتاه من عسكر طغرل من أسره واخذ ما معه من خزانة

رأى في النوم معجزة جرير
يقصر دونها وأبو فراس
سأحفظ عهده ما دمت حيا
وحفظ العهد من كرم التحاسي
ورثاه بعض اهل العصر
باعين جودي بدم ساجم
على الفتى الحر أبي القاسم
قد كاد أن يهدمني فقده
لولا التسلي بأبي القاسم
وقدس الله مكان الماضيين
بأبي الحسن علي بن الفضل
المعروف بالحجاج بفضل
ساطع نوره * وعلم جامع
سوره * وحلم ثابت طوره
*وجود موكل بانشار آمال
الاحرار صوره * فتى
السن في حصافة الكهول*
جبان الرأي في شجاعة
السيول * أدهم البأس
في غرة السجاحه * قدم
الحياء في ذلاق الفصاحه *
وندب لاعمال الجوزجان
فدرت على ابساس ولايته *
ونقل الى أعمال نسا فضاقت
عن فضفاض كفايته *
يصون الاعمال صيانة عرضه
عما يصدئه * ويحيي
الاعمال احياءه شرف
أبيه ويميت بدع الرسوم
اماتته ذكر أياديه * كما قيل
تسمو الرجال بآباء وآونة

وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرقين وكنت حينئذ بالشام فى عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فأتاه الخبر مع النجابين بمسير العسكر البغدادى فقال كأنكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لا شك ان أصحابى واهلى أعرف بالحرب من الوزير وأطوع فى العسكر منه ومع هذا فما أرسل احدا منهم فى سرية للحرب الا وأخاف عليه وهذا الوزير غير عارف بالحرب وقريب العهد بالولاية ولا يراه الامراء اهلا أن يطاع وفى مقابلته سلطان شجاع قد باشر الحرب بنفسه ومن معه يطيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنت أخبرتكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ولما عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعراء وهو أحمد بن الواثق بالله

اتركونا من جانحات الجريمه * طلعة طلعة تكون وخيمه
بركات الوزير قد شملتنا * فلهذا أمورنا مستقيمه
خرجت جندنا تريد خراسا * ن جميعا بأهبات عظيمه
بخيول وعدة وعديد * وسيوف مجربات قديمه
ووزير وطاق طنب ونقش * وخيول معدة للهزيمه
هم رأوا غرة العدو قد أقبل * ولوا وانحل عقد العزيمه
وأتونا ولا يخفى حنين * بوجوه سود قباح ذميمه
لو رأى صاحب الزمان ولوعا * ين أفعالهم وقبح الجريمه
قابل الكل بالنكال وناهيك بها سبة عليهم مقيمه

كان ينبغى أن تتقدم هذه الحادثة وانما أخرتها لتتبع الحوادث المتقدمة بعضها بعضا لتعلق كل واحدة منها بالاخرى

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة توفى شيخنا ابو محمد عبد الله بن على بن عبد الله بن سويدة التكريتى كان عالما بالحديث وله تصانيف حسنة وفيها توفيت سلجوقة خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب الحصن فلما توفى عنها تزوجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدا عظيما ظاهرا للناس كلهم وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربى والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة وفيها توفى علاء الدين تنامش وحمل تابوته الى مشهد الحسن عليه السلام وفيها توفى خادم الخليفة وكان اكبر أمير ببغداد ومات أبو الفرج بن النقور العدل ببغداد وسمع الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة)

*(ذكر فتح شقيف ارنوم)*

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار صلاح الدين الى شقيف أرنوم وهو من أمنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من أعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به وأظهر له الطاعة والمودة وقال له أنا محب لك ومعترف باحسانك واخاف أن يعرف المركيس ما بينى وبينك فينال أولادى واهلى منه أذى فانهم عنده

تسمو الرجال بأبناء وتزدان
كم من اب قد علا بابن ذرى شرف
كما علا برسول الله عدنان
*(ذكر وزارة الشيخ الجليل أبى القاسم احمد ابن الحسن الميمندى)*
قد كان الشيخ الجليل أبو القاسم يلى ديوان الرسائل للسلطان أيام سالار يته بخراسان وهو الكريم نسبا * العظيم حسبا * العريق مجدا وحزبه * الوثيق رايا ورويه * ينادى عليه أقطار الارض بفصاحة القلم * وسماحة الشيم ونفاسة الهمم * واحتقار الدينار والدرهم * ودرجه وفاؤه للسلطان على تصاريف * الاحوال به الى أن ولاه عرض عساكره * فى اقطار ممالكه وزاده اعمال بست والرخج وماوالاهما باموالها وارتفاعاتها علاوة على ماوالاه * فقام بجميع ماتولاه * قيام من وفقه الله وحدا عليه جوده بنى الآمال من اطراف البلاد فوسعهم جداه * وغمرهم نداه * وكنت لهم اماناً من الفقر يداه * فأما مروأته فما يؤمن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الا

فأشتهى أن تمهلني حتى أتوصل في تخليصهم من عنده وحينئذ أحضر أنا وهم عندك وتسلم الحصن اليك وأكون أنا وهم في خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فأجابه الى ماسأل فاستقر الامر بينهما أن يسلم الشقيف في جمادى الآخرة وأقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين البيمند صاحب انطاكية فأمر تقي الدين ابن أخيه ان يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتي من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان أيضا منزعج الخاطر كثير الهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتصل بهم من الامداد في البحر وان ملك الفرنج الذي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانهم قد اجتمعوا في خلق لا تحصى فانهم قد خرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا وأشباهه مما يزعجه ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور وفيها الجموع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع ارناط صاحب الشقيف وكان ارناط في مدة الهدنة يشتري الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما يحصن به شقيفه وكان صلاح الدين يحسن الظن واذا قيل له عنه ما هو فيه من المكر وان قصده المطاولة الى أن يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدي فضيحته ويظهر مخالفته لا يقبل فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف أرنوم وأحضر عنده ارناط وقد بقي من الاجل ثلاثة ايام فقال له في معنى تسليم الشقيف فاعتذر بأولاده واهله وان المركيس لم يمكنهم من المجيء اليه وطلب التأخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فأخذه وحبسه وأمره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالة الى من بالشقيف ليسلموه فأحضروه عنده فساره بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس الى الشقيف فأظهر أهله العصيان فسير صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدم الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنعه عن الذخيرة والرجال

*(ذكر وقعة اليزك مع الفرنج)*

لما كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جاءته كتب من أصحابه الذين جعلهم يزكا في مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها ان الفرنج قد أجمعوا على عبور الجسر الذي لصور وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة في شعبان أصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنها لقصدهم فلقيهم اليزك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى بينهم حرب شديدة يشيب لها الوليد وأسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين ايضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من أشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثم ان الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم

*(ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوعة)*

لما وصل صلاح الدين الى اليزك وقد فاتته تلك الوقعة أقام عندهم في خيمة صغيرة ينتظر عودة

من شاهدها عيانا * واستفتى عدول احساسه عليها سبرا وامتحانا * وكان الوزير ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يحتشم غيره في تصاريف عزماته وانحائه * لفخامة شأنه ومكانته * المعمورة من سلطانه و وساطته * بينهما في معظم ما يزجيه ويرجيه * ويحييه ويفنيه * ويذره ويأتيه * ويقدّره ويغربه * ولما وهت عليه قوة أمره * وانكسرت سورة نخوه * واتفق للسلطان ان يرحل نحو نارين في الغزوة التي تقدم ذكرها استخلف الشيخ الجليل ابا القاسم على مهمات بابه * وامداد صاحب الديوان فيما يليه ويجيبه بصواب رايه * وبعثه على مواصلة الحول وغنائه فهو متسم غير متسم بها الى ان اتفق للسلطان * استدعاء صاحب الديوان * في عمال خراسان لرفع الحسبانات * وتقرير المعاملات * فنهض الى السلطان كل رئيس ومرؤوس وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول * وسمين ومهزول * قد اتخذوا الطعم

الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار من قتلوه من المسلمين فركب فى بعض الايام فى عدة يسيرة على أن
ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى مايشاهده وظن من هناك من غزاة العجم
والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف والحرب فساروا مجدين وأوغلوا فى أرض العدو
مبعدين وفارقوا الحزم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا الفرنج فأرسل صلاح الدين
عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى أن يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد
عندوا ان وراءهم كمينا فلم يقدموا عليهم فأرسلوا من ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انهم
منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم مايخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم
فلم يلبثوا أن اناموهم وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ماجرى
عليهم وكان ذلك بتفريطهم فى حق أنفسهم رحمهم الله ورضى عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع
جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم فى عسكره فحملوا على الفرنج
فألحقوهم الى الجسر وقد أخذوا طريقهم فألقوا أنفسهم فى الماء فغرق منهم نحو مائة دارع
سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه
خلق كثير فلما رأى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين
ثم الى عكا ينظر حالها ثم عاد الى العسكر والمخيم

*(ذكر وقعة ثالثة)*

لما عاد صلاح الدين الى العسكر أتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب
والاحتشاش متبددين فكتب الى من بعكا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جمادى
الآخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتب كمناء فى موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة
من شجعان عسكره وأمرهم انهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيأ من قتال ثم تطاردوا لهم
وأروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى أن يجوزوا موضع الكمين ثم
يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراءى الجمعان والتقت
الفئتان أنف فرسان المسلمين أن يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض
واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على أصحابهم
فخرجوا من مكامنهم نحوهم مسرعين واليهم قاصدين فأتوهم وهم فى شدة الحرب فازداد الامر
شدة على شدة وكان فيهم أربعة أمراء من ربيعة طى وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا
مسلك أصحابهم فسلكوا الوادى ظنا منهم انه يخرج بهم الى أصحابهم وتبعهم بعض مماليك
صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادى علموا انهم جاهلون فأتوهم وقاتلوهم وأما المملوك فانه
نزل عن فرسه وجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك
وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فأتوه وهو بآخر رمق فتركوه
وانصرفوا وهم يحسبونه ميتا ثم ان المسلمين جاؤا من الغد الى موضعهم فرأوا القتلى ورأوا
المملوك حيا فحملوه فى كساء وهو لا يكاد يعرف من الجراحات فأيسوا من حياته وأعرضوا
عليه الشهادة وبشروه بالشهادة فتركوه ثم عادوا اليه فرأوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه
بمشروب فعوفى ثم كان بعد ذلك لا يحضر مشهدا الا كان له فيه الاثر العظيم

والغمض حراما * ووضعوا
الارواح على الراح توكلا
واستسلاما * ووافق
وصولهم ركضة عزمها
السلطان الى الهند فسبب
عليهم لاذناب اهل عسكره
بما رآه ووكلهم باستخراجه
فى يومين لاهتمام الركض
وضيق رقعة الوقت فعصبوا
عصب السلم * وسلخوا سلخ
الغنم * واقبلوا على جمرة
الضرم * ونكسوا على الهام
والقمم * حتى اعتصروها
منهم عن تضاعيف اللحم
والدم * وعندها صب
السلطان على الشيخ الجليل
خلعة الوزارة * وفوض
اليه مهمات الامارة *
وأمره بمحاسبات العمال *
ومطالبتهم * بما صار فى
ذممهم * من الاموال محكما
فى الحل والعقد مخيرا
بين الاخذ والرد وسار
السلطان نحو مقصده *
واقبل الشيخ الجليل على
ماجعل بصدده * فهذب
الامور ونظم المنثور *
ووظف الاموال * وصرف
العمال * ورد صاحب
الديوان ابا اسحق على
جملته الى خراسان مستوفيا
عليهم ما يلزمهم من حاصل وباق

## *(ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها)*

لما كثر جمع الفرنج بصور على ماذكرناه من ان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة أو قلعة اعطى أهلها الامان وسيرهم اليها بأموالهم ونسائهم وأولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثم ان الرهبان والقسس وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس من أيديهم وأخذهم البترك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعا ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم على الاخذ بثار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوا صورة رجل عربى والعربى يضربه وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبى المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزون الاقران على ما نذكره ان شاء الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استأجر من يخرج عوضه أو يعطيهم مالا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرق اليه الاحصاء (ولقد حدثنى) بعض المسلمين المقيمين بحصن الاكراد وهو من اجناد أصحابه الذين سلموه الى الفرنج قديما وكان هذا الرجل قد ندم على ما كان منه من موافقة الفرنج فى الغارة على بلاد الاسلام والقتال معهم والسعى معهم وكان سبب اجتماعى به ما أذكره سنة تسعين وخمسمائة ان شاء الله تعالى قال لى هذا الرجل انه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الاكراد الى البلاد البحرية التى للفرنج والروم فى أربع شوانى يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف الى رومية الكبرى فخرجنا منها وقد ملانا الشوانى نقرة (وحدثنى) بعض الاسرى منهم ان له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه وسيرته لاستنقاذ البيت المقدس فأخذ أسيرا وكان عند الفرنج من الباعث الدينى والنفسانى ما هذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق ولولا الله تعالى لطف بالمسلمين وأهلك ملك الالمان لما خرج على ما نذكره عند خروجه الى الشام والا كان يقال ان الشام ومصر كانتا للمسلمين فهذا كان سبب خروجهم فلما اجتمعوا بصور بموج بعضهم فى بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدهم بالاقوات والذخائر والعدد والرجال من بلادهم فضاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فأرادوا قصد صيدا وكان ما ذكرناه فعادوا واتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها ومصابرتها فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وقضهم وقضيضهم ولزموا البحر فى مسيرهم لا يفارقونه فى السهل والوعر والضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم فى البحر فيها سلاحهم وذخائرهم ولتكون عدة لهم ان جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم ثامن رجب ونزولهم على عكا فى منتصفه ولما كانوا سائرين كان يزك المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما رحلوا جاء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتى قاربهم ثم جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سائرون أو يكون فى غير الطريق التى سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقة فى مسايرتهم فان الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريده منهم والرأى اننا نسير فى الطريق المهيع ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم ونمزقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجلة فوافقهم

وعتيق وناض وقعد فى الدست كالبدر المنير * والسيف الشهير * منفردا بالتدبير * محتشد الروعة الملك وهيبة السرير * فلما اتفق عود السلطان الى قرارة عزه وشاهد الامور فى كنف وزارته منظومة العقود * مضبوطة الحدود * والاموال وافرة الربوع * حافلة الضروع * رسم له أن ينحدر الى خراسان * مستنظفا ما وهى أو وهن صاحب الديوان * فى جبايته واستيفائه * وقصر أو قصر عن تبرضه وامترائه * فانحدر الى هراة وهيبته تأخذ النفوس بمخنقها * وتختلج القلوب من معلقها * ويكاد ينطق له كل مال مخزون * ويلفظ اليه كل درهم مدفون * فجمع عن تسمح النفوس بما جمعته * واستكراهها على ما منعته * ما لم يسمع بمثله محمولا اذهابا وأوراقا * وعصبا رقاقا * وغلمانا رشاقا * وأفراسا عتاقا وتلاقت الرفائع * على صاحب الديوان بما ناله من صنوف المنافع * ووجوه المطامع * فسامه السلطان

وكان رأيه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا التصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والرأى قتالهم قبل الوصول الى عكا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق كفركنا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل فى مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطفونهم ولم يقدم الفرنج عليهم مع قلتهم فلو ان العساكر اتبعت رأى صلاح الدين فى مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا لكان بلغ غرضه وصدهم عنها ولكن اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الآخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل كيسان وامتدت ميمنته الى تل العياضية وميسرته الى النهر الجارى ونزلت الاثقال بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فأتاه عسكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة وأتاه تقى الدين ابن اخيه واتاه مظفر الدين ابن زين الدين وهو صاحب حران والرها وكانت الامداد تأتى المسلمين فى البر وتأتى الفرنج فى البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ما هو دون ذلك وما عداها كان قتالا يسيرا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكا حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبية فلما كان الغد باكرهم القتال بحده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقى الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فأزاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لا يلوى أخ على أخ والتجؤا الى من يليهم من أصحابهم واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقى الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما أخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عمن فيه وأدخل صلاح الدين اليه من أراد من الرجال وما أراد من الذخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما أرادوه فان للصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر أخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وكان فى جملة من أدخله صلاح الدين الى عكا من جملة الامراء حسام الدين أبو الهيجاء السمين وهو من أكابر امراء عسكره وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة

## (ذكر وقعة أخرى ووقعة العرب)

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستنفاد وسعهم فى استئصالهم فتقدموا على تعبيتهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فالح المسلمون عليهم فى القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من أشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن آخرهم وغنموا ما كان

نصحا وتسبيبا وحملا الى بيت المال فاعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل * وفزع من بعد الى خالص أملاكه وضياعه * ومواشيه وكراعه * وجملة واثاثه * حتى حلى اثاثه فحل ما عقده منها على مال مصادرته * وما جمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير أبو العباس قليل البضاعة * فى الصناعة * لم يعتن بها فى سالف الايام * ولم يرض بيانه بخدمة الاقلام فانتقلت المخاطبات مدة أيامه من العربية * الى الفارسية * حتى كسدت سوق البيان * وبارت بضاعة الاجادة والاحسان * واستوت درجات العجزة والكفاة * والتقى الفاضل والمفضول على خطى الموازاة * ولما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل أسعد الله به جدوده الافاضل * وورد بمكانه خدود الفضائل * ورفع ألوية الكتاب * وعمر أفنية الآداب * فجزم على أوشحة دوانه أن يتنكبوا ويتحاشوا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه * وعجزه عن فهم

معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فاحسن اليهم وأعطاهم الخلع

*(ذكر الوقعة الكبرى على عكا)*

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى العشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم ان الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضر والرأى اننا نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عنه بعضهم مقابل انطاكية ليردوا غائلة البيمند صاحبها عن أعمال حلب وبعضهم فى حمص مقابل طرابلس ليحفظ ذلك الثغر أيضا وعسكر فى مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكون بثغر دمياط والاسكندرية وغيرهما والذى بقى من عسكر مصر كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبل وكان هذا مما أطمع الفرنج فى الظهور الى قتال المسلمين وأصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو فى خيمته ومنهم من قد توجه فى حاجته من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو وأصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملؤها طولا وعرضا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين فلما رأى ان الفرنج نحوه قاصدين حذرهو وأصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر عنهم فلما رأى صلاح الدين الحال وهو فى القلب أمد تقى الدين برجال من عنده ليتقوى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيين فى جناح القلب فلما رأى الفرنج قلة الرجال فى القلب وان كثيرا منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين أيديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم كالامير مجلى بن مروان والظهير أخى الفقيه عيسى وكان والى البيت المقدس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل الهكارى وغيرهم من الشجعان الصابرين فى مواطن الحرب ولم يبق بين أيديهم فى القلب من يردهم فقصدوا التل الذى عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم شيخنا جمال الدين أبو على بن رواحة الحموى وهو من أهل العلم وله شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد فان جده عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله الروم يوم موتة وهذا قتله الفرنج يوم عكا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين ولو ألقوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين أيديهم فكانوا انهزموا أجمعون ثم ان الفرنج نظروا وراءهم فرأوا أمدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفا أن ينقطعوا عن أصحابهم وكان سبب انقطاعهم ان الميمنة وقفت مقابلتهم فاحتاج بعضهم يقف مقابلها وحملت ميسرة المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال من بها عن الاتصال باصحابهم وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين صادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم وثار بهم غلمان العسكر وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويأمرهم بالكرة ومعاودة القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم

ما يتعزب به عليه * فطارت توقيعاته فى البلاد ولا شوارد الامثال * وأبيات المعانى من القصائد الطوال * ففى كل ناد نداء بألحانها وفى كل مشهد شهادة باستحسانها * فأما الشعر فقد نشر عليه ممدوده * وسعد به جدوده * وفتق بالعذب الرواء صيخوده * فأربابه كالعنادب تغريدا بمناقبه * والقمارى تسجيعا على الضرب الماذى فى ضرائبه * فهو بعدله فى الناس غياث ورحمة * وبفضله لأهل الفضل ثمال وعصمة * وانفرد بتدبير البلاد والعباد بناء على الاساس * وحلبا على الابساس * واخافة على الايمان * ومكافأة بالاساءة والاحسان طوأسوا لجراح القلوب بمراهم الترغيب * وانكارا بمعروف العمارة سابق التخريب * واشارة على السلطان فى امور مملكته بما يفيد عاجل التوفير وآجل الثواب الغزير لاجرم انه استتبت الامور بضمانه وانسدت الثغور على آرائه وكذلك من كان على العلم ابراده واصداره وعلى

على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فأخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم أحد بل قتل أكثرهم وأخذ الباقون أسرى وفي جملة من أسر مقدم الداوية الذي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه فلما ظفر به الآن قتله وكانت عدة القتلى سوى من كان الى جانب البحر نحو عشرة آلاف قتيل فأمر بهم فألقوا في النهر الذي يشرب الفرنج منه وكان عامة القتلى من فرسان الفرنج فان الرجالة لم يلحقوهم وكان في جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل فلما أسرن وألقى عنهن السلاح عرفن انهن نساء وأما المنهزمون من المسلمين فنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الاردن وعاد ومنهم من بلغ دمشق ولولا ان العساكر تفرقت في الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستئصال والاهلاك مرادهم على ان الباقين بذلوا جهدهم وجدوا في القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج في معسكرهم لعلهم يفرغون منهم فجاءهم الصريخ بان رحالهم وأموالهم قد نهبت وكان سبب هذا النهب ان الناس لما رأوا الهزيمة حملوا أثقالهم على الدواب فثار بهم أوباش العسكر وغلمانه فنهبوه وأتوا عليه وكان في عزم صلاح الدين أن يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من أموالهم وهم يسعون في جمعها وتحصيلها فأمر بالنداء باحضار ما أخذ فأحضر منه ما ملأ الارض من المفارش والعيب المملوأة والثياب والسلاح وغير ذلك فرد الجميع على أصحابه ففاته ذلك اليوم ما أراد فسكن روع الفرنج واصلحوا شان الباقين منهم

*(ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا)*

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهواء والجو ووجدت الامزجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو أرادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والرأى اننا نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا شرنا وان أقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأى على كل تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطباء على ذلك فأجابهم اليه الى ما يريد الله ان يفعله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وأمر من بعكا من المسلمين بحفظها واغلاق أبوابها والاحتياط وأعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره أمن الفرنج وانبسطوا في تلك الارض وعادوا وحصروا عكا وأحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضا في البحر تحصرها وشرعوا في حفر الخندق وعمل السور من التراب الذي يخرجونه من الخندق وجاؤا بما لم يكن في الحساب وكان اليزك كل يوم يوافقهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأى المشيرين بالرحيل وكان اليزك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب وأشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليهم ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلف هو عنهم فقال اذا لم أحضر معهم لا يفعلون شيأ وربما

البصيرة ارجاؤه وبداره

*(ذكر الامير شمس المعالى قابوس بن وشمكير وما ختم به اجله وانتصاب ابنه الامير شمس فلك المعالى منوجهر منصبه ووراثته ملكه)*

قد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب والرأى البصير بالعواقب والمجد المنيف على النجم الثاقب * مر السياسة لا تساغ كأسه * ولا يؤمن جمال سطوته وبأسه * يقابل زلة القدم * باراقة الدم * ولا يعرف في أدنى درجات العثار وان لم يقصد اليه مراد * ولم يشترك في كسبه اعتقاد * غير حد الانتقام * بحد الحسام * والتفليق * عن مركب الهام * لا يذكر العفو عند الغضب * ولا يعرف معنى السوط والخشب * ولا يرى الحبس الا ما بين الصفائح والترب * وهلك على خشونة هذا المس وصعوبة هذا البطش فنام من حاشيته لو استبقاهم على خفة أجرامهم لكانت أشبه بالجلالة * وأليق بالاصالة والعدالة فما زالت هذه حاله * حتى

كان من الشر أضعاف ما نرجوه من الخير فتأخر الامر الى أن عوفي فتمكن الفرنج وعملوا ما أرادوا واحكموا أمورهم وحصنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من بعكا يخرجون اليهم كل يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد

*(ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصري في البحر)*

في منتصف شوال وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب فلما وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدت ظهورهم وأحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيأ كثيرا ومعهم من الرجالة الجم الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشامية راجلا كثيرا وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصري ومقدمه الامير لؤلؤ وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها وأخذ منها أموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكا فسكنت نفوس من بها بوصول الاسطول وقوي جنانهم

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في صفر خطب لولي العهد أبي نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وأرسل الى البلاد في اقامة الخطبة ففعل ذلك وفيها في شوال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك ان صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسير الخليفة اليهم عسكرا فحصروها وتسلموها ودخل أصحابه الى بغداد فاعطوا اقطاعا وفيها في صفر فتح الرباط الذي بناه الخليفة بالجانب الغربي من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يوما مشهودا وفي هذه السنة في رمضان مات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون الفقيه الشافعي بدمشق وكان قاضيها واضر وولي القضاء بعده ابنه وكان الشيخ من أعيان الفقهاء الشافعية وفيها في ذي القعدة توفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بالخروبة مع صلاح الدين وهو من أعيان أمراء عسكره ومن قدماء الاسدية وكان فقيها جنديا شجاعا كريما ذا عصبية ومروأة وهو من أصحاب الشيخ الامام ابي القاسم بن البرزي تفقه عليه بجزيرة ابن عمر ثم اتصل باسد الدين شيركوه فصار امامه فرأى من شجاعته ما جعل له اقطاعا وتقدم عند صلاح الدين تقدما عظيما وفيها في صفر توفي شيخنا أبو العباس احمد بن عبد الرحمن ابن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان بمكة وكان رحمه الله عالما متبحرا في علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والاصولين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم أعماله بالزهد ولبس الخشن وأقام بمكة حرسها الله تعالى مجاورا فتوفي بها وكان من أحسن الناس صحبة وخلقا وفيها في ذي القعدة مات أبو طالب المبارك بن المبارك الكرخي مدرس النظامية وكان من أصحاب ابي الحسن بن الخل وكان صالحا خيرا له عند الخليفة والعامة حرمة عظيمة وجاه عريض وكان حسن الخط يضرب به المثل

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة)

*(ذكر وقعة الفرنج والبزك وعود صلاح الدين الى منازلة الفرنج)*

استوحشت النفوس منه * وانقلبت القلوب عنه * وشهدت الصدور عليه * ومالت عنه الاهواء المائلة اليه * اذ كل أحد لا يأمن العثرة * ولا يملك العصمة * ومتى كان العقاب ملحقا بالخطا اليسير صارت النفوس مجتنباته * والارواح مستباحة * والمرء من البشر لا من ورق الشجر * فهو اذا مات فقد فات وايس مما يعود * بعد ماعري العود واتفق ان حاجبا له كان يعرف بحاجب نعيم وهو أحد اعيان الكبرا كافة * في حدود جرجان عديم الغائلة والعادية سليم الناحية * من بين أقرانه الحاشية * وكان اعقده لضبط استراباذ وسياستها رفع اليه انه طمع في بعض رعاياها في مثال أو مال الى الانتفاع منه بمال * فأمر بقتله وتعليقه عن خيط رقبته وهو يستغيث مفصحا ببراءة الساحة * ونقاء الجيب والراحة * وقصور ما سعى به عليه لو صح اسناده عن افاتة نفسه واراقة دمه فزاد قتله في ايغار الصدور واضغان القلوب ونوامر

قدذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكا الى الخروبة لمرضه فلما برأ أقام بمكانه الى أن ذهب الشتاء وفى مدة مقامه بالخروبة كان يزكه وطلائعه لاتنقطع عن الفرنج فلما دخل صفر من سنة ست وثمانين وخمسمائة سمع الفرنج ان صلاح الدين قدسار للصيد ورأى العسكر الذى فى اليزك عندهم قليلا وان الوحل الذى فى مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من أراد ان ينجد اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا أنفسهم بالنشاب وأحجم الفرنج عنهم حتى فنى نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لاينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى أن جاء الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى العسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فأتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فأقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل بتل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولايسأمون

*(ذكر احراق الابراج و وقعة الاسطول)*

كان الفرنج فى مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جدا طول كل برج منها فى السماء ستون ذراعا وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوأة من المقاتلة وقد جمع أخشابها من الجزائر فان مثل هذه الابراج العظيمة لايصلح لها من الخشب الا القليل النادر وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التى تمنع النار من احراقها وأصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين من ربيع الاول فاشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا فى طم خندقها فاشرف البلد على أن يملك عنوة وقهرا فأرسل اهله الى صلاح الدين انسانا سبح فى البحر فاعلمه ماهم فيه من الضيق وماقد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكا الا أن الامر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية أيام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه الازمته ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيأ وتابعوا رمى النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فأيقنوا بالبوار والهلاك فأتاهم الله بنصر من عنده وإذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك ان انسانا من أهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم أباشرها بنفسى انما اشتهى معرفتها وكان بعكا لامر يريده الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع فى عمل مايعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لايمنعها شئ من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يأمر المنجنيقى أن يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما أعطيه حتى أحرقه وكان عند

عند ذلك أعيان العسكر على خلعه ونزع الايدى عن طاعته وكفاية النفوس شغلها بثقل وطأته * وخشونة سياسته * ووافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان الى العسكر بجناشك استبدالا بهوائها عن لفح الحرور * عند طلوع الشعرى العبور * فعمى عليه وجه الصورة * وشذ عنه علم تلك المشورة * فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة التى اعتصر بها وانتهابهم أمواله * وأفراسه وأبغاله ومرامهم قسره واستنزاله * فهز فى وجوههم من كانوا نزولا بفنائه * محامين من ورائه * حتى انكشفوا عنه صاغرين * وولوا على أعقابهم داخرين * وولوا الى جرجان * فتملكوها عليه معلنين بشعار العصيان لابسين عار الكفران * وبعثوا الى الامير أبى منصور منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استغناما للحادثة بأبيه * واكبارا لما تفذ من المكيدة

قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظا بقوله ورد عليه فقال له قد بالغ أهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا أن نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وأمر المنجنيقى بامتثال أمره فرمى عدة قدور نفطا وأدوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا رأوا القدر لا يحرق شيأ يصيحون ويرقصون و يلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذى ألقاه قد تمكن من البرج القى قدرا مملوأة وجعل فيها النار فاشتعل البرج وألقى قدرا ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج وأعجلت من فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما رأوا ان القدور الاولى لا تعمل يحملهم على الطمأنينة وترك السعى فى الخلاص حتى عجل الله لهم النار فى الدنيا قبل الآخرة فلما احترق البرج الاول انتقل الى الثانى وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوما مشهودا لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون و يفرحون وقد أسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم أحد الا وله فى البلد اما نسيب واما صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة الفرد وقال انما عملته لله تعالى ولا أريد الجزاء الا منه وسيرت الكتب الى البلاد بالبشائر وأرسل يطلب العساكر الشرقية فأول من اتاه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثم أتاه علاء الدين ولد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى سيره أبوه مقدما على عسكره وهو صاحب الموصل ثم وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الفرنج بعسكره وينضم اليه غيرهم ويقاتلونهم ثم ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقربه جهزوا الى طريقه اسطولا ليلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين فى العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصده بشئ فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله وأخذ المسلمون من الفرنج مركبا فيه من الرجال والسلاح وأخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الا أن القتل فى الفرنج كان اكثر منه فى المسلمين ووصل الاسطول الاسلامى سالما

*(ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته)*

فى هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من اكثرهم عددا وأشدهم بأسا وكان قد أزعجه ملك الاسلام البيت المقدس فجمع عساكره وأزاح عللهم وسار عن بلاده وطريقه على القسطنطينية فارسل ملك الروم بهذا الى صلاح الدين يعرفه الخبر ويعده انه لا يمكنه من العبور فى بلاده فلما وصل ملك الالمان الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن أحدا من رعيته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وصاروا على أرض بلاد الاسلام وهى مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجق فلما وصلوا الى أوائلها ثار بهم التركمان الاوج فما زالوا يسايرونهم و يقتلون من انفرد ويسرقون

فيه * وطمعا فى تدارك الخطب وتلافيه * فلما دنا منهم مضربه توافقوا على طاعته ان خلع أباه * وابتزازه رداء الملك ان أباه * فلم يجد فى عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما انتشر * ورشا على ما استتر وصونا لستر الحشمة من الانخراق * وابقاء على سكر الفساد من الانبثاق * واشفاقا على البيت من الضياع * وعلى الملك من التخطف والانتزاع * وقد كان شمس المعالى قابوس لما سمع بنبا القوم واجتماع كلمتهم على الخلع عطف بمن كان معه من رجال ومال الى ناحية بسطام ناظرا ما يسفر عنه عاقبة الحزب * و ينتهى اليه نائرة التغلب والتوثب فلما تسامعوا بنبائه حملوا الامير منوجهر على قصده * وازعاجه عن مكانه أو رده فسار معهم اليه مضطرا ودافعا بالشر شرا كالجمل الانف ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ فلما وصل الى أبيه * أقنه دون من يليه * من أتباعه وحواشيه * اذ قام

ماقدروا عليه وكان الزمان شتاء والبرد يكون فى تلك البلاد شديدا والثلج متراكما فأهلكهم البرد والجوع والتعب كان فقل عددهم فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية وبها أبوه قد حجر ولده المذكور عليه وتفرق أولاده فى بلاده وتغلب كل واحد منهم على ناحية منها فلما عاد عنهم قطب الدين أسرعوا السير فى أثره فنازلوا قونية وأرسلوا الى قلج ارسلان هدية وقالوا له ما قصدنا بلادك ولا أردناها وانما قصدنا البيت المقدس وطلبوا منه أن يأذن لرعيته فى اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فأذن فى ذلك فأتاهم ما يريدون فشبعوا وتزودوا وساروا ثم طلبوا من قطب الدين أن يأمر رعيته بالكف عنهم وان يسلم اليهم جماعة من امرائه رهائن وكان يخافهم فسلم اليهم نيفا وعشرين أميرا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرض اليهم فقبض ملك الالمان وقيدهم فمنهم من هلك فى أسره ومنهم من فدى نفسه وسار ملك الالمان حتى أتى بلاد الارمن وصاحبها لافون بن اصطفانة بن ليون فأمدهم بالاقوات والعلوفات وحكمهم فى بلاده وأظهر الطاعة لهم ثم ساروا نحو انطاكية وكان فى طريقهم نهر فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق فى مكان منه لا يبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شره وكان معه ولد له فصار ملكا بعده وسار الى انطاكية فاختلف أصحابه عليه فأحب بعضهم العود الى بلاده فتخلف عنه وبعضهم مال الى تمليك أخ له فعاد أيضا وسار فيمن صحت نيته له فعرضهم وكانوا نيفا وأربعين ألفا ووقع فيهم الوباء والموت فوصلوا الى انطاكية وكأنهم قد نبشوا من القبور فتبرم بهم صاحبها وحسن لهم المسير الى الفرنج على عكا فساروا على جبلة ولاذقية وغيرهما من البلاد التى ملكها المسلمون وخرج أهل حلب وغيرها اليهم وأخذوا منهم خلقا كثيرا ومات أكثر من أخذ فبلغوا اطرابلس وأقاموا بها أياما فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا نحو ألف رجل فركبوا فى البحر الى الفرنج الذين على عكا ولما وصلوا ورأوا ما نالهم فى طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قلج ارسلان يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده أنه يمنعهم من العبور فى بلاده فلما عبروها وخلفوها أرسل يعتذر بالعجز عنهم لان أولاده حكموا عليه وحجروا عليه وتفرقوا عنه وخرجوا عن طاعته وأما صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانه استشار أصحابه فأشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل أن يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى أن يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا يستسلم من بعكا من عساكرنا لكنه سير من عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقية وشيزر وغير ذلك الى أعمال حلب ليكونوا من أطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عز وجل (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) فكفى الله شرهم ورد كيدهم فى نحرهم ومن شدة خوفهم أن بعض امراء صلاح الدين كان له ببلد الموصل قرية وكان أخى رحمه الله يتولاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فأرسل اليه فى بيع الغلة فوصل كتابه يقول لا تبع الحبة الفرد واستكثر لنا من التبن ثم بعد ذلك وصل كتابه يقول نبيع الطعام فما بنا حاجة اليه ثم ان ذلك الامير قدم

دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا دون خذلانه * والروح وقفا على شكر احسانه * فلما وصل اليه كفر طاعة وخضوعا * وأسال أودية الشؤن دموعا * وتشاكيا صورة الحادث * وتذاكرا حق الموروث والوارث * وغرض الامير منوجهر أن يكون حجابا بينه وبين أعاديه * وان ذهبت نفسه فيه * ورأى شمس المعالى قابوس ان العارض قصارى أمره * وختام عمره * وانه أحق بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلم خاتم الملك اليه من يده واستوصاه الخير به ما دام فى فسحة من أمده * فتواضعا على أن ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة حتى يأتيه يقينه * فيسلم له نفسه ودينه وأن يتفرد الامير منوجهر بتقرير الملك فريا وتقديرا وتقديما وتأخيرا * وقدمت اليه عمارية على هذه الجملة فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته * على ضروب

مصلحته * وعطف الامير منوجهر الى جرجان فولى الصدر * وضبط الامر * وأخذ يدارى القوم ترغيبا وتطميعا * ويعمهم الاحسان جميعا * وهم على جملة النفور * خبيثة الشرور * مادام شمس المعالى فى فسحة البقاء * وزمرة الاحياء * وما زالوا فى الاحتيال عليه حتى فرغوا من أمره * وسلموا كما زعموا من عادية شره * ولم يرضوا به وهو فى صوان الاموات حتى كشفوا عن محياه * رداء رداه * فطابوا نفوسا * حين عدموا شمس المعالى قابوسا * وواروه فى مقبرة كان ابتناها لنفسه بظاهر جرجان * على سمت خراسان وغدا الناس فى معناه كما قال مهلهل

نبئت ان النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس
وتفاوضوا فى أمر كل عظيمة
لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وعقد الامير منوجهر المأتم ثلاثة أيام على رسم الجيل فى حسر الرؤس * وضرب النفوس * ورفض المنام * وهجر الطعام ولما انقضى ايام المعزى نسى المقبور

الموصل فسألناه عن المنع من بيع الغلة ثم الاذن فيها بعد مدة يسيرة فقال لما وصلت الاخبار بوصول ملك الالمان أيقنا انه ليس لنا بالشام مقام فكتبت بالمنع من بيع الغلة لتكون ذخيرة لنا اذا جئنا اليكم فلما اهلكهم الله تعالى وأغنى عنها كتبت ببيعها والانتفاع بثمنها

*(ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا)*

وفى هذه السنة فى العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب وكان المصريون قد ركبوا واصطفوا للقاء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا أموالهم فعطف المصريون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فاخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من المصريين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن أصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالنمل فلما انقطعت امدادهم ألقوا بايديهم وأخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر وكان مقدمهم علاء الدين خرم شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا أيضا على الفرنج وبالغوا فى قتالهم ونالوا منهم نيلا كثيرا هذا جميعه ولم يباشر القتال أحد من الحلقة الخاص التى مع صلاح الدين ولا أحد من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكى صاحب سنجار وعسكر اربل وغيرهم ولما جرى على الفرنج هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانت عريكتهم وأشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ومناجزتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع فاتفق أنه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الالمان وما أصاب أصحابه من الموت والقتل والاسر وما صار أمرهم اليه من القلة والذلة واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال من بازائهم وظنوا ان الفرنج اذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهنا على وهنهم وخوفا على خوفهم فلما كان بعد يومين أتت الفرنج أمداد فى البحر مع كند من الكنود البحرية يقال له الكندهرى ابن أخى ملك افرنسيس لابيه وابن أخى ملك انكلتار لامه ووصل معه من الاموال شئ كثير يفوق الاحصاء فوصل الى الفرنج فجند الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قوية واطمأنت وأخبرهم ان الامداد واصلة اليهم يتلو بعضها بعضا فتماسكوا وحفظوا امكانهم ثم أظهروا أنهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة ليتسع المجال وكانت المنزلة قد أنتنت بريح القتلى ثم ان الكندهرى نصب منجنيقا ودبابات وعرادات فخرج من بعكا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرا من الفرنج ثم ان الكندهرى بعد أخذ منجنيقاته أراد أن ينصب منجنيقا فلم يتمكن من ذلك لان المسلمين بعكا كانوا يمنعون من عمل ستائر يستتر بها من يرمى من المنجنيق فعمل تلا من تراب بالبعد من البلد ثم ان الفرنج كانوا ينقلون التل الى البلد بالتدريج ويستترون به ويقربونه الى البلد فلما صار من البلد بحيث يصل من عنده حجر منجنيق نصبوا وراءه منجنيقين وصار التل سترة لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فارسل صلاح الدين الى الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك فى المراكب الى عكا فتأخر انفاذها

فسير الى نائبه بمدينة بيروت فى ذلك فسير بطسه عظيمة مملوأة من كل ما يريدونه وأمر من بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت ميناء عكا أدخلها من بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلغوا بما فيها الى أن أتتهم الميرة من الاسكندرية وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو ألف مقاتل فأخذت بنواحى الاسكندرية وأخذ من معها ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من بابا وهو كبيرهم الذى يصدرون عن أمره وقوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمه والمقرب من قربه وهو صاحب رومية الكبرى يأمرهم بملازمة ما هم بصدده و يعلمهم انه قد أرسل الى جميع الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم برا وبحرا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوة وطمعا

## *(ذكر خروج الفرنج من خنادقهم)*

لما تتابعت الامداد الى الفرنج وجندلهم الكندهرى جمعا كثيرا بالاموال التى وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكا من يحصرها ويقاتل أهلها وخرجوا حادى عشر شوال فى عدد كالرمل كثرة وكالنار جمرة فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى ميمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا وكان قد عاد اليه من فرق من عساكره لما هلك ملك الالمان ولقى الفرنج على تعبية حسنة وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر خضر فى القلب وأخوه العادل أبو بكر فى الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان فى الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من أمرائه واتفق ان صلاح الدين أخذه مغس كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقى نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشية وأمطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا الى غربى النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالشية أن تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا امكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخنادقهم والجالشية فى اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما أصابهم فلولا ذلك الالم الذى حدث بصلاح الدين لكانت هى الفصل وانما الله أمر هو بالغه فلما بلغ الفرنج خندقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفى الثالث والعشرين من شوال أيضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض للفرنج جماعة أخرى فخرج اليهم أربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيأ من قتال وتطارد والهم وتبعهم الفرنج حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صورى فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير أسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين على بن أحمد المعروف

واستوثقت على البيعة السرور
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا *
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولما سمع القادر بالله أمير المؤمنين بخبر شمس المعالى واستنار قضاء الله به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا * ولقبه بفلك المعالى مشرفا ومحليا * وعزم الله على الصواب فى اختياره * والرشد فى ايثاره * ففزع الى السلطان يمين الدوله * وأمين المله * معتصما بحبله * معتصرا بظله * مستظهرا بطاعته * مستنصرا فى مشايعته * مستغشيا رداء عنايته * متلافيا وهن المصاب بقوة أشباله ورعايته * وأنهض عدة من ثقات بابه بهبات موفوره * ونفائس مذخوره * ورسائل على صدق الاخلاص وصفو الامحاض مقصوره * فصادف مارجاه رغبة فى موالاته * وحرصا على تقمن مرضاته * وترددت السفراء على رباية هذه الحال * وتوكيد عقدة الوصال * واحتكم السلطان عليه فى اقامة الخطبة له

بالمشطوب كان يحمل من صيدا أيضا اليهم وكذلك من عسقلان وغيرها ولولا ذلك لهلكوا جوعا خصوصا في الشتاء عند انقطاع مراكبهم عنهم تهيج البحر

*(ذكر تسيير البدل الى عكا والتفريط فيه حتى أخذت)*

لما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التي عندهم لانها لم تمكن من المينا فسيروها الى بلادهم صور والجزائر فانفتح الطريق الى عكا في البحر فارسل أهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين مقدما على جندها فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر اخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشواني وكلما جاءه جماعة من العسكر سيرهم اليها وأخرج عوضهم فدخل اليها عشرون أميرا وكان بها ستون أميرا فكان الذين دخلوا اقلالا بالنسبة الى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى وكانوا اذا جاءهم جماعة قد جندوا تعنتوهم بأنواع شتى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرق بهذا السبب خلق كثير وانضاف الى ذلك توانى صلاح الدين ووثوقه بنوابه واهمال النواب فانحسر الشتاء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكا وانقطع الطريق الا من سابح يأتي بكتاب وكان من جملة الامراء الذين دخلوا الى عكا سيف الدين على بن أحمد المشطوب وعز الدين أرسل مقدم الاسدية بعد جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكا أول سنة سبع وثمانين وكان قد أشار جماعة على صلاح الدين بان يرسل الى من بعكا النفقات الواسعة والذخائر والاقوات الكثيرة ويأمرهم بالمقام فانهم قد جربوا وتدربوا واطمأنت نفوسهم على ماهم فيه فلم يفعل وظن فيهم الضجر والملل وأن ذلك يحملهم على الضجر والفشل فكان الامر بالضد

*(ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير أخيه مظفر الدين اليها)*

كان زين الدين يوسف بن زين الدين على صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان وذكر العماد الكاتب في كتابه البرق الشامي قال جئنا الى مظفر الدين نعزيه باخيه وظنناه به الحزن وليس له أخ غيره ولا ولد يشغله عنه فاذا هو في شغل شاغل عن العزاء مهتم بالاحتياط على ماخلفه وهو جالس في خيام أخيه المتوفى وقد قبض على جماعة من أمرائه واعتقلهم وبحمل عليهم وما أغفلهم منهم بلداجي صاحب قلعة خفتيذكان وأرسل الى صلاح الدين يطلب منه اربل لينزل عن حران والرها فاقطعه اياها وأضاف اليها شهرزور وأعمالها ودربند قرابلى وبنى قفجاق ولما مات زين الدين كاتب من كان باربل مجاهد الدين قايماز لهواهم فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملكوه فلم يحسر هو ولا صاحبه عز الدين أتابك مسعود بن مودود على ذلك خوفا من صلاح الدين وكان أعظم الاسباب في تركها ان عز الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فتمكن زين الدين من اربل ثم ان عز الدين أخرج مجاهد الدين من القبض وولاه نيابته وقد ذكرنا ذلك أجمع فلما ولاه النيابة عنه لم يمكنه وجعل معه انسانا كان من بعض غلمان مجاهد الدين فكان يشاركه في الحكم ويحمل عليه ما يعقده فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد فلما طلب الى اربل قال لمن يثق اليه لا أفعل لئلا يحكم فيها

على منابر ولاياته * امضانا لصدوقة عقده في موالاته وأنهض اليه ابا محمد الحسن ابن مهران أحد ثقاته * عا رأى اصحابه من نفائس خلعه وكراماته تصادف منه قريبا مجيبا وسميعا مطيعا وأمر باقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان وطبرستان * وقومس ودامغان * والتزم في السنة خمسين ألف دينار اتاوه * وعلى عكمى الطاعة والاخلاص علاوه * واستدعى السلطان على تقفية ذلك وقد عزم على غزوة ناراين انجاد حشمه بطائفة من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق * ويغنون غناء الكماة البطارق * فسرب اليه الفي رجل من خاص الجيلانيين ان راموا الوعور رقوا ولو أو قصدوا السهول فسيول * وقد أمر بازاحة عللهم في أعطياتهم * ونصب لهم من يقيم أود حاجاتهم * ويطلق لهم مدة الحاجة الى غنائهم * واجب أرزاقهم واستحقاقاتهم * فلما استحق بآثاره في القربه مزيد الرتبه * وبمساعيه

فلان ويكف يدي عنها فجا مظفر الدين اليها وملكها وبقي غصة في حلق البيت الاتابكي لا يقدرون على اساغتها وسنذكر ما اعتمده معهم مرة بعد أخرى ان شاء الله تعالى

*(ذكر ملك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين)*

في هذه السنة ملك ابن الرنك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهي من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها ووصل الخبر بذلك الى الامير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب والاندلس فتجهز في العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسير طائفة كثيرة من عسكره في البحر ونازلها وحصرها وقاتل من بها قتالا شديدا حتى ذلوا وأتوا الامان فأمنهم وسلموا البلد وعادوا الى بلادهم وسير جيشا من الموحدين ومعهم جمع كثير من العرب ففتحوا أربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك بأربعين سنة وفتكوا في الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وأرسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد أبو يوسف الى مراكش وامتنع من هذه الهدنة طائفة من الفرنج لم يرضوا ولا أمكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقفين حتى دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شاء الله تعالى

*(ذكر الحرب بين غياث الدين وسلطان شاه بخراسان)*

كان سلطان شاه أخو خوارزم شاه قد تعرض الى بلاد غياث الدين ومعز الدين ملكي الغورية من خراسان فتجهز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فبقي يتردد بين بلاد الطالقان وبنجده ومرو وغيرها يريد حرب سلطان شاه لم يزل كذلك الى أن دخلت سنة ست وثمانين فجمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافا واقتتلا فانهزم سلطان شاه وأخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في ربيع الاول تسلم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سير اليها جيشا حصروها سنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالا شديدا ودام الحصار وقتل من الفريقين خلق كثير فلما ضاقت عليهم الاقوات سلموها على اقطاع عينوها ووصل صاحبها وأهلها الى بغداد واعطوا اقطاعا ثم تفرقوا في البلاد واشتدت الحاجة بهم حتى رأيت بعضهم وانه يتعرض بالسؤال الى بعض خدم الناس نعوذ بالله من زوال نعمته وتحول عافيته وفي هذه السنة توفي مسعود بن الباذر وكان مكثرا من الحديث حسن الخط خيرا ثقة وفيها توفي أبو حامد محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري بالموصل كان قاضيا وقبلها ولي قضاء حلب وجميع الاعمال وكان رئيسا جوادا ذا مروأة عظيمة يرجع الى دين واخلاق

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة)

*(ذكر حصر عز الدين صاحب الموصل الجزيرة)*

في هذه السنة في ربيع الاول سار اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود وهو ابن أخي عز الدين وكان سبب حصره ان سنجر شاه كان كثير الاذى لعمه عز الدين والشناعة عليه

في الطاعة قضاء الحاجة أنهض رئيس جرجان أبا سعد الجولكي المقدم فضلا وأدبا * المحتشم حسبا ونسبا * لاقتضاء مزيد الحال بوصلة تقوم الكفاة بحفظ تهاعنه والطاعة باستيجابها له فنهض في خفارة الادب تهديه * وكفالة الرفق فيما يذره ويأتيه * ولم يزل يأتي الامر من بابه ويستطلع المراد من حجابه * حتى أسمعت قرونة السلطان لما استدعاه * وأوجب الاسعاف بما توخاه * ولما انكفأ الفاضل أبو سعد وراءه بصورة الايجاب * وما صادفه من هزة المجد للاطلاب جشمه الامير فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم وراوية الحديث وضيع أخلاف التدريب والتجريب * لتنجز النجاح * وتاريب عقدة النكاح * فنهضا الى حضرة السلطان مقيمين رسم الخدمة * وناطبين ضم السدى الى اللحمة * فرأى السلطان تحقيق مبذول العدة *

والمراسلة الى صلاح الدين فى حقه تارة يقول انه يريد قصد بلادك وتارة يقول انه يكاتب اعداءك ويحثهم على قصدك الى غير ذلك من الامور المؤذية وعزالدين يصبر على ما يكره لامور تارة للرحم وتارة خوفا من تسليمها الى صلاح الدين فلما كان فى السنة الماضية سار صاحبها الى صلاح الدين وهو على عكا فى جملة من سار من أصحاب الاطراف واقام عنده قليلا وطلب دستورا للعود الى بلده فقال له صلاح الدين عندنا من اصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها وهو اكبر منك ومنهم ابن عمك عزالدين وهو أصغر منك وغيرهم ومتى فتحت هذا الباب اقتدى بك غيرك فلم يلتفت الى قوله وأصر على ذلك وكان عند صلاح الدين جماعة من أهل الجزيرة يستغيثون على سنجرشاه لانه ظلمهم وأخذ اموالهم واملاكهم فكان يخافه لهذا ولم يزل فى طلب الاذن فى العود الى البلاد الى عيد الفطر من سنة ست وثمانين فركب تلك الليلة سنجرشاه وجاء الى خيمة صلاح الدين وأذن لاصحابه فى المسير فساروا بالاثقال وبقى جريدة فلما وصل الى خيمة صلاح الدين أرسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد بات محموما وقد عرق فلم يمكن أن يأذن له فبقى كذلك مترددا على باب خيمته الى أن اذن له فلما دخل عليه هناه بالعيد واكب عليه يودعه فقال له ما علمنا بصحة عزمك على الحركة فتصبر علينا حتى نرسل ما جرت به العادة فما يجوز أن تنصرف عنا بعد مقامك عندنا على هذا الوجه فلم يرجع وودعه وانصرف وكان تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين قد أقبل من بلده حماة فى عسكره فكتب اليه صلاح الدين يأمره باعادة سنجرشاه طوعا أو كرها فحكى لى عن تقى الدين انه قال ما رأيت مثل سنجرشاه لقيته بعقبة فيق فسألته عن سبب انصرافه فغالطنى فقلت له سمعت بالحال ولا يليق أن تنصرف بغير تشريف السلطان وهديته فتضيع تعبك وسألته العود فلم يصغ الى قولى فكلمنى كأنى بعض مماليكه فلما رأيت ذلك منه قلت له ان رجعت بالتى هى أحسن والا أعدتك كارها فنزل عن دابته وأخذ ذيلى وقال قد استجرت بك وجعل يبكى فعجبت من حماقته أولا وذلته ثانيا فعاد معى فلما عاد بقى عند صلاح الدين عشرة أيام وكتب صلاح الدين الى عزالدين اتابك يأمره بقصد الجزيرة ومحاصرتها وأخذها وانه يرسل الى طريق سنجرشاه ليقبض عليه اذا عاد فخاف عزالدين ان صلاح الدين قد فعل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد فلم يفعل شيأ من ذلك بل أرسل اليه يقول أريد خطك بذلك ومنشورا منك بالجزيرة فترددت الرسل فى ذلك الى أن انقضت سنة ست وثمانين فاستقرت القاعدة بينهما فسار عزالدين الى الجزيرة فحصرها اربعة أشهر وأياما آخرها شعبان ولم يملكها بل استقرت القاعدة بينه وبين سنجرشاه على يد رسول صلاح الدين فانه كان قد أرسل بعد قصدها يقول ان صاحب سنجار وصاحب اربل وغيرهما قد شفعا فى سنجرشاه فاستقر الصلح على ان لعزالدين نصف أعمال الجزيرة ولسنجرشاه نصفها وتكون الجزيرة بيد سنجرشاه من جملة النصف وعاد عزالدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول ما قيل لى عن أحد شئ من الشر فرأيته الا كان دون ما يقال فيه الا سنجرشاه فانه كان يقال لى عنه أشياء استعظمتها فلما رأيته صغر فى عينى ما قيل

*(ذكر عبور تقى الدين الفرات وملكه حران وغيرها من البلاد الجزرية ومسيره الى خلاط وموته)*

وعصيان سلطان النفس طاعة لرب العزة * وفلذ للامير فلك المعالى فلذة من كبده * وسمح له بزهرة الارض من نجوم ولده * وأى نجم كان فى فلك المعالى مداره * لم تبعد داره * أنى وبدار النجوم الافلاك * وأزواج الملكات الاملاك * وجرى من الاستبشار باتحاد النفوس والديار * وصب النثار * وصوب المبار * كالغيوث الغزار * ما أرخ به كتاب الدهر * ووسم بذكره سالفة العصر * وعاد الرسولان بدرك النجح الموقوت * ولا السعدان يقترنان فى الحوت * وعندهما تكلف الامير فلك المعالى حرمة للقربى * ونحلة بين يدى النجوى * ما لا تبين من رآه على اختلاف أصنافه * واغراب نقوشه وأفوافه * أن له همة الى قمة الجوزاء مرفوعه * ونية على صدق الولاء مطبوعه * ولم يبق أحد من أركان الدولة وحواشيها * والراتعين حول مراعيها * من لم يضرب بسهم من سهام اللطف * ولم يشترك فى البر المعقود بالشرف * لا جرم ان

فى هذه السنة فى صفر سار تقى الدين من الشام الى البلاد الجزرية حران والرها كان قد أقطعه اياها عمه صلاح الدين بعد أخذها من مظفر الدين مضافا الى ما كان له بالشام وقرر معه انه يقطع البلاد للجند ويعودوهم معه ليتقوى بهم على الفرنج فلما عبر الفرات وأصلح حال البلاد سار الى ميافارقين وكانت له فلما بلغها تجدد له طمع فى غيرها من البلاد المجاورة لها فقصد مدينة حانى من ديار بكر فحصرها وملكها وكان فى سبعمائة فارس فلما سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بملكه حانى جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره أربعة آلاف فارس فلما التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لتقى الدين بل انهزموا وتبعهم تقى الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق وزير صاحبه شاه أرمن وسجنه فى قلعة هناك فلما انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يأمره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد وتقى الدين قد نازل القلعة فأخذ الكتاب وملك القلعة وأطلقوا ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن فى كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيق على من بها وطال مقامه عليها فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة اياما ذكروها فاجابهم اليها ومرض تقى الدين فمات قبل انقضاء الاجل بيومين وتفرقت العساكر عنها وحمله ابنه وأصحابه ميتا الى ميافارقين وعاد بكتمر فقوى أمره وثبت ملكه بعد ان أشرف على الزوال وهذه الحادثة من الفرج بعد الشدة فان ابن رشيق نجا من القتل وبكتمر نجا من أن يؤخذ

*(ذكر وصول الفرنج من الغرب فى البحر الى عكا)*

وفى هذه السنة وصلت أمداد الفرنج فى البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان أول من وصل منهم الملك فليب ملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسبا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثانى عشر ربيع الاول ولم يكن فى الكثرة التى ظنوها وانما كان معه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوس من على عكا منهم ولجوا فى قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم فكان يركب كل يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وأرسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشوانى والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها فى البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكا ففعل ذلك وسير الشوانى فى البحر فصادفت خمسة مراكب مملوأة رجالا من أصحاب ملك انكلتار الفرنج وكان قد سيرهم بين يديه وتأخر هو بجزيرة قبرس ليملكها فاقتتلت شوانى المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم وأخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال وكتب ايضا صلاح الدين الى من بالقرب من النواب له يأمرهم بمثل ذلك ففعلوا وأما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من شفرعم ونزل عليهم لئلا يتعب العسكر كل يوم فى المجىء اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عمن بالبلد ثم وصل ملك انكلتار ثالث عشر جمادى الاولى وكان قد استولى فى طريقه على جزيرة قبرس وأخذها من الروم فانه لما وصل اليها غدر بصاحبها وملكها جميعا فكان ذلك زيادة فى ملكه وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار عنها الى من على عكا من الفرنج فوصل اليهم فى خمس

السلطان أعز حرمة قرباه وجزاه * عما سعت به يمناه * وأفرد كل واحد منهم ومن قواد جيوشه وأفراد رجاله بخلع علت اجانب الملوك * شريطة الجود * والسماحة بالموجود * وتقصى الجهد بصفو الرأى دون المجهود * فأما صاحب درة الصدف * وياقوتة الشرف * فقال طال عهد الدهر بمثله مجموعا فى مكان * محمولا من خراسان ولا غرو فالشمس تبقى البدور نورا * والبحر يدع الخليج مسجورا * وقد كان الامير فلك المعالى بعد ان استتب له امره واشتد بظاهرة السلطان ظهره * دمر على اعيان عسكره المشتركين فى دم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل * وأنواع من العلل * حتى اباد خضراءهم * وسقى ظماء الارض دماءهم واحس ابن خركاش وهو القريب العاق * والنسيب المشاق * بالداهية الدهياء فانسل تائها * بين سمع الارض وبصرها * تأباه الرعان والاباطح * وتلافظه القيعان

وعشرين قطعة كبارا عملوا رجالا وأموالا فعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم في المسلمين وكان
رجل زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلي المسلمون منه بالداهية التي لا مثل لها ولما وردت
الاخبار بوصوله أمر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوأة من الرجال والعدد والاقوات
فجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل فلقيها ملك انكلتار مصادفة فقاتلها وصبر
من فيها على قتالها فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدمهم الى أسفلها وهو يعقوب الحلبي
مقدم الجندارية يعرف بغلام ابن شقتين فخرقها خرقا واسعا لئلا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم
من الذخائر فغرق جميع ما فيها وكانت عكا محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثم ان
الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش
فلما رأى الفرنج ان ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلا كبيرا من التراب مستطيلا وما زالوا يقربونه
الى البلد ويقاتلون من ورائه لا ينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف علوه فكانوا
يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت
المصيبة على من بعكا من المسلمين فأرسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع

*(ذكر ملك الفرنج عكا)*

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان أول
وهن دخل على من بالبلد أن الامير سيف الدين على بن أحمد الهكارى المعروف بالمشطوب كان
فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أمثلهم واكبرهم فخرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم
البلد بما فيه على أن يطلق المسلمين الذين فيه ويمكنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد
على بن أحمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا واهمتهم أنفسهم ثم ان أميرين
ممن كان بعكا لما رأوا ما فعله المشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتخذوا الليل جملا
وركبوا في شيء صغير وخرجوا سرا من أصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عز الدين ارسل
الاسدي وابن عز الدين جاولي وسنقر الوشاقي ومعهم غيرهم فلما أصبح الناس ورأوا ذلك ازدادوا
وهنا الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وأيقنوا بالعطب ثم ان الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين في
معنى تسليم البلد فأجابهم الى ذلك والشرط بينهم أن يطلق من أسراهم بعدد من في البلد ليطلقوا
هم من بعكا وان يسلم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل الى من بعكا من المسلمين
يأمرهم أن يخرجوا من عكا يدا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انه يتقدم الى تلك الجهة
التي يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها ليلحقوا به فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم
باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من أشغالهم حتى أسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره فلما
عجز الناس من حفظ البلد وزحف اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم فظهر من بالبلد على سوره
يحركون اعلامهم ليراها المسلمون وكانت هي العلامة اذا اخترمهم أمر فلما رأى المسلمون ذلك
ضجوا بالبكاء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبا منهم ان الفرنج يشتغلون عن
الذين بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو في أولهم وكان الفرنج قد خندقوا عن خنادقهم ومالوا
الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم
فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما رأى

والمصاصع * فهما مس
جانب القرار * طالبته هامة
الماضي بالثار * فهام على
وجهه ولا نفيد ثقيف ابن
تشريق وتغريب * وتصعيد
وتصويب * وكان احد من
أثار ذلك الشر على شمس
المعالي قابوس على ما تساندت
به الاخبار ابو القاسم
المهدي وكان صاحب
جيشه فاضطر الى رأس
الحد كأنه على قفاز يرى كل
صيحة عليه * وكل حشيش
سهم اقواس بين جنبيه *
فأمهله فلك المعالي زمانا *
حتى ظن ان له دون شؤن
الآخرين شانا * ثم اطباه
بمطامعه وترغيبه حتى
اعلقه حبالة الاقتناص *
وآيسه من الطمع في الخلاص *
وان لله حكما في امور عباده
معلقا بآماد معلومه * وغايات
محدوده * فليس قبلها
مستقدم لما تأجل * ولا
بعدها مستأجل لما تعجل *
فاحتال ابو القاسم حتى
انسل هاربا واعتسف
البيد جانبا * ومازال
على حاله واحتياله حتى
ورد نيسابور يلتق وبعض

المشطوب ان صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرا فخرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه باموالهم وأنفسهم وبذل لهم عن ذلك مائتى ألف دينار وخمسمائة أسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت وأربعة عشر ألف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدة تحصيل المال والاسرى الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم وحبسوهم وأظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم مابذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع فى جمع المال وكان هو لا مال له انما يخرج مايصل اليه من دخل البلاد أولا بأول فلما اجتمع عنده من المال مائة ألف دينار جمع الامراء واستشارهم فأشاروا بان لا يرسل شيأ حتى يعاود يستحلفهم على اطلاق أصحابه وان يضمن الداوية ذلك لانهم اهل دين يرون الوفاء فراسلهم صلاح الدين فى ذلك فقال الداوية لا نحلف ولا نضمن لاننا نخاف غدر من عندنا وقال ملوكهم اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيأ وأعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنا على الباقى وتطلقون أصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف انما ترسل الينا المائة ألف دينار التى حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد حتى يجئ باقى المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن لا يؤبه له ويمسكون عندهم الامراء وأرباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا أكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم وأصحابهم ومن لا مال له فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف فى المال الذى كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى دمشق

*(ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها)*

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح أمر عكا برزوا منها فى الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهل شعبان نحو حيفا مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكره بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين اياز كوش وعز الدين جورديك وعدة من شجعان الامراء فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وأرسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسروا جماعة وأرسل الافضل الى والده يستمده ويعرفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانهم ماركبوا اهبة الحرب وانما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكلتار الى ساقة الفرنج فحماها وجمعهم وساروا حتى أتوا حيفا فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون قرية بالقرب منهم وأحضر الفرنج من عكا عوض من قتل منهم وأسر ذلك اليوم وعوض

الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان * يمين الدولة وأمين الملة * على تغلل دواخله * وارتهانه بسالف فعله وقابله * مع ما تمهد فى ذات البين من عقود * وتأكد من عهود * واشترك فيه من طارف وتلود * يحل عنه عقال آثامه ويكف عنه ما حق عليه من بأس الله وانتقامه * كلا ان سوء الفعل خذول * والقاتل لا محالة مقتول * وشر المحن ما أومض بالخلاص قبل ابانه * واستفاء مدة النضج على جمرانه * انما يوهم الفكاك * ثم يعقب الهلاك * كالهرة تطمع الفارة فى الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة * لحقتها بعدوة * لا جرم ان السلطان لما أنهى اليه صورة حاله * ومن قبل ما سمع بسوء فعاله * أمر برده وراءه فى عقاله * ولقد أحسن ابن الرومى فى مقاله *

الخير مصنوع بصاحبه
فمتى فعلت الخير أعتبكا
والشر مفعول بفاعله
فمتى فعلت الشر أعطبكا

*(ذكر داراء بن شمس المعالى قابوس بن وشمكير)*

ماهلك من الخيل ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطفون منهم من قدروا عليه فيقتلونه لان صلاح الدين كان قد أقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتله بمن قتلوا ممن كان بعكا فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم أشد قتال فنالوا منهم نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريبا منهم فلما نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون الذين كانوا في اليزك فقتلوا منهم وأسروا منهم ثم ساروا من قيسارية الى أرسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة الحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتل منهم كثير فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوى أحد على احد وكان كثير من الخيالة والسوقة قد ألقوا القيام وقت الحرب قريبا من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة لتبعتهم واستمرت الهزيمة وهلك المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين شعرة كثيرة الشجر فدخلوها وظنها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم وقتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن في زمانه مثله فلما نزل الفرنج نزل المسلمون وأعنة خيلهم بايديهم ثم سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها أحد من المسلمين فملكوها ولما كان من المسلمين بارسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رأيت ما كان منا بالامس واذا جاء الفرنج الى عسقلان ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لا شك يقاتلونا لننزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر علينا لان العدو قد قوى باخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن أيدينا ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه أحد الى ذلك وقالوا ان أردت حفظها فادخل أنت معنا أو بعض اولادك الكبار والا فما يدخلها منا أحد لئلا يصيبنا ما أصاب اهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وأمر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان وألقيت حجارتها في البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان والرعية ما لا يمكن حصره وعفى أثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها أقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لما أخذ الفرنج عكا قد أحس من ملك انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهي له وبيده وكان رجل الفرنج رأيا وشجاعة وكل هذه الحروب هو أثارها فلما خربت عسقلان أرسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغي أن يكون ملكا ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لما بلغك انه قد شرع في تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلته وملكتها صفوا عفوا بغير قتال ولا حصار فانه ما خربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لو انني معك كانت عسقلان اليوم بايدينا لم يخرب منها غير برج واحد فلما خربت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثاني شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد وفي مدة مقامه لتخريب

عسقلان

قد كان دارا بن قابوس بعد استئمانه من جانب ابي علي محمد بن محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور الرضي مقيما على خدمته * سهيما في نعمته * الى أن فتح الله على أبيه بجرجان وطبرستان فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاشبال والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم حدره شمس المعالي الى طبرستان فأقام بها سدادون مخالفيه * وذماما على اوليائه ومواليه * واستنهضه منها على قرفة ألقيت اليه فأتاه وهو باستراباذ يريه صحة أديمه * واستواء حديثه بقديمه * فأحسن استقباله وانزاله ثم دعاه في وقت ارتاب به فركب على قصد مجلسه ثم عطف عطفة الليث الخادر نحو خراسان بين غياض تشكو الاراقم بينها ضيق المجال والمضطرب وصعوبة المنساب والمسرب * واستصحب من رافقه ووافقه من غلمانه وأهل الثقة به الى أن عرف شمس المعالي خبره * واستركب

عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل أبي بكر بن أيوب تجاه الفرنج ثم سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره ومافيه من سلاح وذخائر وقرر قواعده وأسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفي هذه الايام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالا شديدا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض أصحابه بنفسه فتخلص الملك وأسر ذلك الرجل وفيها ايضا كانت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج انتصر فيها المسلمون

((ذكر رحيل الفرنج الى نطرون))

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا في عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب اخي صلاح الدين فاستقرت القاعدة أن انكلتار يزوج أخته من العادل ويكون القدس ومابايدي المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكا ومابيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها وأن يرضى الداوية بما يقع الاتفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلما ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى أخت انكلتار وأنكروا عليها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله أعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعان بعد ذلك ويتجاريان حديث الصلح وطلب من العادل أن يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ولم يتم بينهما صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج أظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقي عشرين يوما ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين مدة المقام عدة وقعات في كلها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذي القعدة على عزم قصد البيت المقدس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت في العسكرين بالقتال فلقوا من ذلك شدة شديدة وأقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

((ذكر مسير صلاح الدين الى القدس))

لما رأى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار متوالية متتابعة والناس منها في ضنك وحرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر في تعب دائم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها فاذن لهم في العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدس فيمن بقي معه فنزلوا جميعا داخل البلد فاستراحوا مما كانوا فيه ونزل هو بدار الاقصى مجاور بيعة قمامة وقدم اليه عسكر مصر مقدمهم الامير أبو الهيجاء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذي الحجة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون في وقعة منها نيفا وخمسين فارسا من مشهوري الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس أمر بعمارة سوره وتجديد مادثر منه فاحكم الموضع الذي ملك البلد منه واتقنه وأمر بحفر خندق خارج الفصيل وسلم كل برج الى أمير يتولى عمله فعمل

لاقتناصه عسكره * ما قد طار به الركض * وحالت دون مناله الارض * ولما شافه حد خراسان رفرفت الأمنة عليه بجناحها الى أن ورد حضرة السلطان يمين الدولة * وأمين الملة * فقبله أحسن قبول * وافاه حسن مقول ومفعول * وما زال يرفع به تمويلا وتخويلا * وتفخيما وتبجيلا * حتى اغتره فضل الانبساط وعز الانتساب بما هذ قربته * وهدم رتبته * فاستوحش من عارض الاعراض * وأشفق من رهق التغير والانقباض * فلاذ بظل الليل هربا * وبات يطوي الارض تقريبا وخببا وأمر السلطان بطلبه * واتباعه في وجه مهربه * فالحق به حيث قامت الخيول تعبا * ولم تجد السيوف عليه مضربا * ففره وملتجئا الى الشار المعروف بالشاه حال بينهما في الصفاء معمورة * وأصول ود بالوفاء مأبورة * فلما استقر به المكان * وخبر حاله السلطان * كتب اليه فاسترده * وخوفه أن يأتي عليه ما بعده * فاضطر الى رده واسلامه عن يده * وبقي في

ولده الافضل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وارسل أتابك عز الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الحصاصين لهم في قطع الصخر اليد الطولى فعملوا له هنالك برجا وبدنة وكذلك جميع الامراء ثم ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الامكنة البعيدة فيقتدي به العسكر فكان يجمع عنده من العمالين في اليوم الواحد من يعملون قدر عدة أيام

## ﴿ذكر عود الفرنج الى الرملة﴾

في العشرين من ذي الحجة عاد الفرنج الى الرملة وكان سبب عودهم انهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلما أبعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثم ان ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوروا لي مدينة القدس فاني ما رأيتها فصوروها له فرأى الوادي يحيط بها ما عدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسأل عن الوادي وعن عمقه فاخبر انه عميق وعر المسلك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها مهما كان صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لاننا ان نزلنا في الجانب الذي يلي المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادي وبعضنا من الجانب الآخر جمع صلاح الدين أصحابه وواقع احدى الطائفتين ولم يمكن الطائفة الاخرى انجاد أصحابهم لانهم ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه من يحفظه وساروا نحو أصحابهم فالى أن يتخلصوا من الوادي ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذر علينا من ايصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة عندهم وما يجري للجالبين لها من المسلمين فأشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خائبين خاسرين

## ﴿ذكر قتل قزل ارسلان﴾

في شعبان من هذه السنة قتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد ذكرنا انه ملك البلاد بعد وفاة أخيه البهلوان ملك أران واذربيجان وهمذان وأصفهان والري وما بينهما واطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وفي آخر أمره سار الى اصفهان والفتن بها متصلة من لدن توفي البهلوان الى ذلك الوقت فتعصب على الشافعية وأخذ جماعة من اعيانهم فصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثم انه دخل ليلة قتل الى منزله لينام وتفرق أصحابه فدخل اليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله فأخذ أصحابه صاحب بابه ظنا وتخمينا وكان كريما حسن الاخلاق يحب العدل ويؤثره ويرجع الى حلم وقلة عقوبة

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قدم معز الدين قيصرشاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين في رمضان وكان سبب قدومه ان والده عز الدين قلج ارسلان فرق مملكته على اولاده واعطى ولده هذا ملطية وأعطى ولده قطب الدين ملكشاه سيواس فاستولى قطب الدين على أبيه وحجر عليه وأزال حكمه والزمه أن يأخذ ملطية من أخيه ويسلمها اليه فخاف معز الدين فسار الى

الحبس مدة يكابد بؤسا وشدة الى أن وجد فرصة الانفصال * عن رق العقال * ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه أحد * ولم يكن ليغني عنه لولا المقدور رأى ولا جلد * وأبت عليه لجاجة المحنة أن يتم خلاصه * ويستتب مناصه * فأعثرت عليه حتى أعيد في وثاقه * وزيد في ارهاقه * الى أن شرح الله صدر السلطان لاطلاقه * فأنشأه نشأة ثانيه * وأنبت ريشه قادمة وخافيه * وأعاد حاله بالاحسان حاليه ويده على أيدي الاضراب عاليه * ووجهه لولاية جرجان وطبرستان معضودا بأبي الحرث ارسلان الجاذب وذوي النجدة من كماة الرجال * وكفاة الابطال * لولا ان الامير فلك المعالي منوجهر سبق تمام الرأي باظهار الطاعه * وعرض ما وراء الوسع والطاقه * والحالات حرمة التقرب دون الاختيار عليه واسترده السلطان الى حضرته * يجري مجرى أركان دولته * واتخذه عشرته لا يفارقه في حفلة * ولا يزايله في خلوة * ولا

صلاح الدين ملتجئا اليه معتضدا به فأكرمه صلاح الدين وزوجه بابنة أخيه الملك العادل فامتنع قطب الدين من قصده وعاد معز الدين الى ملطية فى ذى القعدة وحدثنى من أثق به قال رأيت صلاح الدين وقد ركب ليودع هذا معز الدين فترجل له معز الدين وترجل صلاح الدين وودعه راجلا فلما أراد الركوب عضده هذا معز الدين وركب وسوى ثيابه علاء الدين خوشاه ابن عز الدين صاحب الموصل قال فعجبت من ذلك وقلت ما تبالى يا ابن أيوب بأى موتة تموت يركب لك ملك سلجوقى وابن أتابك زنكى وفيها توفى حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وهو ابن أخت صلاح الدين وعلم الدين سليمان بن جندر وهو من أكابر امراء صلاح الدين أيضا وفى رجب توفى الصفى بن القابض وكان متولى دمشق لصلاح الدين يحكم فى جميع بلاده

* (ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة) *

* (ذكر عمارة الفرنج عسقلان) *

فى هذه السنة فى المحرم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح الدين بالقدس فسار ملك انكلتار جريدة من عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم وجرى بين الطائفتين قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدة مقام صلاح الدين بالقدس ما برحت سراياه تقصد الفرنج فتارة تواقع طائفة منهم وتارة تقطع الميرة عنهم ومن جملتها سرية كان مقدمها فارس الدين ميمون القصرى وهو من مقدمى المماليك الصلاحية خرج على قافلة كبيرة للفرنج فأخذها وغنم ما فيها

* (ذكر قتل المركيس وملك الكندهرى) *

فى هذه السنة فى ثالث عشر ربيع الآخر قتل المركيس الفرنجى لعنه الله صاحب صور وهو أكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله ان صلاح الدين راسل مقدم الاسماعيلية وهو سنان ان أرسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرغ لهم وشره فى أخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلين فى زى الرهبان واتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة وكانا مع المركيس بصور فأقاما معهما ستة أشهر يظهران العبادة فأنس بهما المركيس ووثق اليهما فلما كان بعد التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها وأكل طعامه وشرب مدامه وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيان المذكوران فجرحاه جراحا وثيقة وهرب أحدهما ودخل كنيسة يختفى فيها فاتفق ان المركيس حمل اليها ليشد جراحه فوثب عليه ذلك الباطنى فقتله وقتل الباطنيان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار ليتفرد بملك الساحل الشامى فلما قتل ولى بعده مدينة صور كند من الفرنج من داخل البحر يقال له الكندهرى وتزوج بالملكة فى ليلته ودخل بها وهى حامل وليس الحمل عندهم مما يمنع النكاح وهذا الكندهرى هو ابن أخت ملك افرنسيس من أبيه وابن أخت ملك انكلتار من أمه وملك هذا كندهرى بلاد الفرنج بالساحل بعد عود ملك انكلتار وعاش الى سنة أربع وتسعين وخمسمائة فسقط من سطح فمات وكان عاقلا كثير المداراة والاحتمال ولما رحل ملك انكلتار الى بلاده أرسل هذا كندهرى الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله

يقعد عنه فى وقت ركوب * ولا ينفرد دونه بكور وكوب * الى أن ورد الامير ابو الفوارس ابن بهاء الدولة حضرة السلطان منزعجه عن كرمان لقصد عسكر أخيه اياه مستظهرا به على معاودة مملكته * وارتجاع بيته ونعمته * فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس * وطابت النفوس * وجرى حديث الخلف والسلف * واعراق من أعرق منهم فى الشرف * فنطق دارا بما لو سكت عنه لكان أشبه بحق الخدمة وحكم الحشمة ووقت الاجتماع على ارضاع العشرة * وحله رمز الانكار عليه على قصد المراده * وركوب الحماقه * حتى تأدى به الامر الى ازعاجه عن مكانه * واشمانه غصة المدل على سلطانه * وأمر به فى غد فرق فى العقال وحمل الى بعض القلاع وقبض على ضياعه فأجريت مجرى الحوزيات تستغل اسوة سائرها الى أن سأل الشيخ الوزير فى بابه فأمر بردها عليه معونة له على مصلحة حاله * ومؤنة اعتقاله * وذلك

يطلب منه خلعة وقال أنت تعلم ان لبس القباء والشربوش عندنا عيب وأنا ألبسهما منك محبة لك فأنفذ اليه خلعة سنية منها القباء والشربوش فلبسهما بعكا

*(ذكر نهب بنى عامر البصرة)*

فى هذه السنة فى صفر اجتمع بنو عامر فى خلق كثير وأميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الامير بها اسمه محمد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طغرل مملوك الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمد فيمن معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة ودام القتال الى آخر النهار فلما جاء الليل ثلم العرب فى السور عدة ثلم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم أهل البلد فقتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقين ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محال البصرة وعبر أهلها الى شاطئ الملاحين وفارق العرب البلد فى يومهم وعاد أهله اليه وكان سبب سرعة العرب فى مفارقة البلد انهم بلغهم ان خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم أشد قتال فظفرت عامر وغنمت أموال خفاجة والمنتفق وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من أهل البصرة والسواد جمعا كثيرا فلما عادت عامر قاتلهم أهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة أهلها ونهبت أموالهم وجرت أمور عظيمة ونهبت القسامل وغيرها يومين وفارقها العرب وعاد أهلها اليها وقد رأيت هذه القصة بعينها فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة والله أعلم

*(ذكر ما كان من ملك انكلتار)*

فى تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخربوه ثم ساروا الى البيت المقدس وصلاح الدين فيه نازلوا بيت نوبة وكان سبب طمعهم ان صلاح الدين فرق عساكره الشرقية وغيرها لاجل الشتاء ويستريحوا وليحضر البدل عوضهم وسار بعضهم مع ولده الافضل وأخيه العادل الى البلاد الجزرية لما نذكره ان شاء الله تعالى وبقى من حلقته الخاص بعض العساكر المصرية فظنوا انهم ينالون غرضا فلما سمع صلاح الدين بقربهم منه فرق ابراج البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة الى قلونية سلخ الشهر وهى فرسخين من القدس فصب المسلمون عليهم البلاء وتابعوا ارسال السرايا قبل الفرنج منهم بما لا قبل لهم به وعلموا انهم اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم أسرع والتسلط عليهم أمكن فرجعوا القهقرى وركب المسلمون أكتافهم بالرماح والسهام ولما بعد الفرنج عن يافا سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم وأسروا وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الاولى

*(ذكر استيلاء الفرنج على عسكر للمسلمين وقفل)*

فى تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعهم قفل كبير ومقدم العسكر فلك الدين سليمان أخو العادل لامه ومعه عدة من الامراء فاسرى الفرنج اليهم فواقعوهم بنواحى الخليل فانهزم الجند ولم يقتل منهم أحد من المشهورين انما قتل من الغلمان والاصحاب وغنم الفرنج خيامهم وآلاتهم وأما القفل فانه أخذ بعضه وصعد من نجا جبل الخليل

فى المحرم سنة تسع وأربعمائة

*(ذكر مجد الدولة وكهف الله أبى طالب رستم بن فخر الدولة)* قد كان فخر الدولة كتب الى حسام الدولة أبى العباس تاش وهو بجرجان مضمونه اليها من خراسان على لسان الصاحب يبشره بولادته واجراء الله اياه فى الصنع له على كريم عادته وكان مما كتب به وقد رزقنى الله به تعالى ولدا كنيته أبا طالب طلبا للسلامة فى مدته وسميته رستم لانه من أسماء أصابه وأرومته * فلما اخترمته المنية بايع الناس مجد الدولة الآن التى قامت عنه كانت أختا للاصبهبذ بفريم وسائر مملكة الجبل وهى فى منعة من أهلها وعزة من جانب أرضها * فتملكت على الديلم واستأثرت بالامر والنهى والحل والعقد وجرت بينه وبينها مكاوحات تأدت بها الى استنهاض بدر بن حسنويه اليه واستقلاله أزرى عليه * وجرت بينهم مناوشات أفضت بالديلم أولا وبأهل الرى ثانيا الى

فلم يقدم الفرنج على اتباعهم ولو اتبعوهم نصف فرسخ لاتوا عليهم وغرق من نجا من القفل
وتقطعوا والقوا انفسهم الى ان اجتمعوا وحكى لى بعض اصحابنا وكان قد سير ما معه شيئا للتجارة الى مصر
وكان قد خرج فى هذا القفل قال لما اوقع الفرنج علينا كنا قد رفعنا احمالنا الى البر فحملوا علينا
واوقعوا بنا فضربت جمالى وصعدت الجبل ومعى عدة احمال لغيرى فلحقنا قوم من الفرنج
فاخذوا الاحمال التى فى صحبتى وكنت بين ايديهم بمقدار رمية سهم فلم يصلوا الى فنجوت بما معى
وسرت لا ادرى اين اقصد واذ قد لاح لى بناء كبير على جبل فسألت عنه فقيل لى هذا الكرك
فوصلت اليه ثم عدت منه الى القدس سالما وسار هذا الرجل من القدس سالما فلما بلغ بزاعة
عند حلب اخذه الحرامية فنجا من العطب وهلك عند ظنه السلامة

*(ذكر مسير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة)*

قد تقدم ذكر موت تقى الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده ناصر الدين محمد على بلاد الجزيرة
فلما استولى عليها ارسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مضافا الى ما كان لابيه بالشام فلم
ير صلاح الدين ان مثل تلك البلاد تسلم الى صبى فما اجابه الى ذلك فحدثته نفسه بالامتناع على
صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل على بن صلاح الدين من ابيه ان يقطعه ما كان
لتقى الدين و ينزل عن دمشق فاجابه الى ذلك وامره بالمسير اليها فسار الى حلب فى جماعة من
العسكر وكتب صلاح الدين الى اصحاب البلاد الشرقية مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار
وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يامرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل فلما راى
ولد تقى الدين ذلك علم انه لا قوة له بهم فراسل الملك العادل عم ابيه يسأله اصلاح حاله مع صلاح
الدين فانهى ذلك الى صلاح الدين واصلح حاله وقرر قاعدته بان يقرر له ما كان لابيه بالشام
وتؤخذ منه البلاد الجزرية واستقرت القاعدة على ذلك واقطع صلاح الدين البلاد الجزرية
وهى حران والرها وسميساط وميافارقين وحانى للعادل وسيره الى ابن تقى الدين ليتسلم منه
البلاد ويسيره الى صلاح الدين ويعيد الملك الافضل اين ادركه فسار العادل فلحق الافضل
بحلب فاعاده الى ابيه وعبر العادل الفرات وتسلم البلاد من ابن تقى الدين وجعل نوابه فيها
واستصحب ابن تقى الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعساكر وكان عوده فى جمادى الآخرة
من هذه السنة

*(ذكر عود الفرنج الى عكا)*

لما عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقى الدين فيمن معهما من عساكرهما
ولحقتهم العساكر الشرقية عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من
البلاد واجتمعت العساكر بدمشق ايقن الفرنج انهم لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا
نحو عكا يظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فأمر صلاح الدين ولده الافضل ان يسير
اليها فى عسكره والعساكر الشرقية جميعها ليصدوا الفرنج فى مسيرهم فتحركوا وسار الى مرج
العيون واجتمعت العساكر كرمه فاقام هنالك ينتظر مسير الفرنج فلما بلغهم ذلك اقاموا بعكا
ولم يفارقوها

*(ذكر ملك صلاح الدين يافا)*

بؤس وفاقه ودماء مهراقه *
ونفق ليس فيها قدر فواق من
افاقه * وعن قريب يعود
الخلاف جذعا * وحبل
الصلاح منقطعا * فينتج عنه
ابادة الرجال * واستباحة
الاموال * وشرود الصلحاء
فى البلاد * وضراوة السفهاء
بالافساد * ولما فوض مجد
الدولة بالامر وبما ينقدح
على الدوام من شرر الشر *
آثر البر فى الاعتزال عن سمة
الامارة وحمله الاعتراف لها
بالطاعة على ترك العقوق
المفضى عن مقت ولايته
ورعايته الى خاتمة الاحتناك *
المشتمل بهم على خطة
الاجتياح والاستهلاك *
فلزم البيت منفردا بالكتب
والدفاتر * ومبيضا وجه
الفضل بسواد المحابر وانفرد
اخوه شمس الدولة بولاية
همذان وقرميسين واعمالها
الى حدود بغداد وورث بدر
ابن حسنويه اموالا عظيمة
طالما حفظتها صدور
القلاع مكتومه * وخنقتها
خيوط الاكياس مختومه *
فلم يلبث الا قليلا حتى
استغرقتها صلات الرجال *

لما رحل الفرنج نحو عكا كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل من بها منهم وملكها فى العشرين من رجب بالسيف عنوة ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج وأسروا كثيرا وكان بها أكثر ما أخذوه من عسكر مصر والقفل الذى كان معهم وقد ذكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحية قد وقفوا على أبواب المدينة وكل من خرج من الجند ومعه شئ من الغنيمة أخذوه منه فان امتنع ضربوه وأخذوا ما معه قهرا ثم زحفت العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها آخر النهار وكادوا يأخذونها فطلب من بالقلعة الامان على أنفسهم وخرج البترك الكبير الذى لهم ومعه عدة من اكابر الفرنج فى ذلك وترددوا وكان قصدهم منع المسلمين عن القتال فأدركهم الليل وواعدوا المسلمين أن ينزلوا بكرة غد ويسلموا القلعة فلما اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا واذ قد وصلهم نجدة من عكا وادركهم ملك انكلتار فأخرج من بيافا من المسلمين وأتاه المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدم اليه احد فوقف بين الصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل اكل فأمر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم وبالجد فى قتالهم فتقدم اليه بعض امرائه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن على بن احمد الهكارى فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين أخذوا أمس الغنيمة وضربوا الناس بالجماقات يتقدمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليما كريما المقدرة ونزل فى خيامه واقام حتى اجتمعت العساكر وجاء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فدخل بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها

*(ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق)*

فى العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها هذا التاريخ وافق أول ايلول وسبب الصلح ان ملك انكلتار لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين فى الصلح وأظهر من ذلك ضد ما كان يظهره أولا فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنا منه انه يفعل ذلك خديعة ومكرا وأرسل يطلب منه المصاف والحرب فاعاد الفرنجى رسله مرة بعد مرة وترك تتمة عمارة عسقلان وعن غزة والداروم والرملة وأرسل الى الملك العادل فى تقرير هذه القاعدة فأشار هو وجماعة الامراء بالاجابة الى الصلح وعرفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من أسلحتهم ودوابهم ونفد من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجى انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجئ الشتاء وينقطع الركوب فى البحر فنحتاج نبقى ههنا سنة أخرى وحينئذ يعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول له فى هذا المعنى فأجاب حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان فى جملة من حضر عند صلاح الدين باليان بن بارزان الذى كان صاحب الرملة ونابلس فلما حلف صلاح الدين قال له ما عمل أحد فى الاسلام ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فاننا أحصينا من خرج الينا فى البحر من المقاتلة

فكانوا

واستنفدتها فوق الآمال * شيمة له فى التحقق بالفضل * والتخرق فى البذل * وقد كان ابن فولاذ نجم فى دولة آل بويه أمره * وارتفع قدره * واشتهر صيته * وذكره * والتفت عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب فسأل مجد الدولة والكافلة بالتدبير أن ينزلا له عن قزوين طعمة له ولمن معه ليتفرد بولايتها وجبايتها ركنا من اركان دولتهما * وظهرا من ظهور عزتهما * يذب عنهما بسيفه وسنانه متى دهاهما خطب أو دخن على نارهما حطب رطب * فضنا عليه بهم الضيق رقعة الملك وبكوه درة الدخل وادليا اليه بظاهر العذر فقصد أطراف الرى على جملة العصيان يفسد ويغير * ويقطع دون أهلها سبيل من يمير * وملك عليهما ما يلى جانبه من قرى وضياع * وريع وارتفاع * الى أن استعانا بالاصبهبذ المقيم بفريم فأتاهما فى رجراجة نخمة من ابطاليه * أولى البأس والجبه * قناوشوه القراع *

فكانوا ستمائة ألف رجل ماعاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلتهم أنت
وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل أمر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت
المقدس فزاروه وتفرقوا وعادت كل طائفة الى بلادها وأقام بالساحل الشامى ملكا على الفرنج
والبلاد التى بأيديهم الكندهرى وكان خير الطبع قليل الشر رفيقا بالمسلمين محبا لهم وتزوج
بالملكة التى كانت تملك بلاد الفرنج قبل أن يملكها صلاح الدين كما ذكرناه وأما صلاح الدين
فانه بعد تمام الهدنة سار الى البيت المقدس وأمر باحكام سوره وعمل المدرسة والرباط
والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم
على الحج والاحرام منه فلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوال نحو دمشق واستناب بالقدس أميرا
اسمه جورديك وهو من المماليك النورية ولما سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلامية
كنابلس وطبرية وصفد وتبنين وبيروت وتمهد هذه البلاد وأمر باحكامها فلما كان فى بيروت
أتاه بيمند صاحب انطاكية وأعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلده
فلما عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها فى الخامس والعشرين من شوال وكان يوم دخوله
اليها يوما مشهودا وفرح الناس به فرحا عظيما لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام

*(ذكر وفاة قلج ارسلان)*

فى هذه السنة منتصف شعبان توفى الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن
قتلمش بن سلجوق السلجوقى بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية وأعمالها واقصرا وسيواس
وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة
وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم فلما كبر فرق بلاده على أولاده
فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب فى مدينة
ملكه رجلا يعرف باختيار الدين حسن فلما غلب قطب الدين على الامر قتل حسنا ثم أخذ والده
وسار به الى قيسارية ليأخذها من أخيه الذى سلمها اليه أبوه فحصرها مدة فوجد والده قلج
ارسلان فرصة فهرب ودخل قيسارية وحده فلما علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا
فملكهما ولم يزل قلج ارسلان يتحول من ولد الى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى الى ولده غياث
الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا فلما رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو ومعه الى
قونية فملكها وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض أبوه فعاد به الى قونية
فتوفى بها ودفن هناك وبقى ولده غياث الدين فى قونية مالكا لها حتى أخذها منه أخوه ركن
الدين سليمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقد حدثنى بعض من أثق اليه من أهل العلم بما
يحكيه وكان قد وصل الى تلك البلاد بغير هذا ونحن نذكره قال ان قلج ارسلان قسم بلاده بين أولاده
فى حياته فسلم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلم قونية الى ولده كيخسرو غياث الدين وسلم
انقرة وهى التى تسمى انكورية الى ولده محيى الدين وسلم ملطية الى ولده معز الدين قيصرشاه
وسلم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلم قيسارية الى ولده نور الدين محمود وسلم سيواس واقصرا
الى ولده قطب الدين وسلم نكسار الى ولد آخر وسلم اماسيا الى ولد أخيه هذه أمهات البلاد
وينضاف الى كل بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التى ليست مثل هذه ثم انه ندم على

وصدقوه المصاع * وجرت
بينهما فى دفعات الاحم
استلحمت كثيرا من
الفريقين وأصاب ابن فولاذ
فى ساقه نشابة أثخنته فولى
فيمن تبعه الى سمت الدامغان
حتى ألم بها فرم الرث *
وعالج المرتث * وكتب
الى فلك المعالى منوچهر
يستمده على عسكر الرى على
أن يقيم له الخطبة ويظهر
الطاعة ويلتزم الاتاوة
فأمده بألفى رجل يوزن
آحادهم بآلاف * وأفرادهم
باضعاف * يرون الشرف
فرضا لمن مات تحت
المشرفيات * والتثريب حقا
على من حاد عن اليثربيات *
ووصل جناحهم بمال
قضى به حق انقطاعه اليه *
واعتماده عن ظهر الثقة
عليه * ونهض نحو الرى حتى
أناخ بظاهرها فأعاد الاغاره *
ومنع المائرة والماره *
وغادر الديلم فى ضنكة البلاء *
وضيقة اللأواء * حتى
اضطر مجد الدولة ومن
والت التدبير الى ابثاره
باصبهان فعقدها عليها وخلى
بينه وبينها استقالة لقلبه *
واستعاذة من شره *
فطارت عند ذلك نعرة

ذلك وأراد أن يجمع الجميع لولده الاكبر قطب الدين وخطب له ابنة صلاح الدين يوسف صاحب مصر والشام ليقوى به فلما سمع باقي أولاده بذلك امتنعوا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه عنهم فسار يتردد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كل واحد منهم مدة ثم ينتقل الى الآخر ثم انه مضى الى ولده كيخسرو صاحب قونية على عادته فخرج اليه ولقيه وقبل الارض بين يديه وسلم قونية اليه وتصرف عن أمره فقال لكيخسرو أريد أسير الى ولدي الملعون محمود وهو صاحب قيسارية وتجيء أنت معي لآخذها منه فتجهز وسار معه وحصر محمودا بقيسارية فمرض قلج ارسلان وتوفي عليها فعاد كيخسرو وبقي كل واحد من الاولاد على البلد التي بيده وكان قطب الدين صاحب اقصرا وسيواس اذا أراد أن يسير من احدى المدينتين الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها أخوه نور الدين محمود وليست على طريقه انما كان يقصده ليظهر المودة لاخيه والمحبة له وفي نفسه الغدر فكان أخوه محمود يقصده ويجتمع به ففي بعض المرات نزل بظاهر البلد على عادته وحضر أخوه محمود عنده غير محتاط فقتله قطب الدين وألقى رأسه الى أصحابه واراد أخذ البلد فامتنع من به من اصحاب اخيه عليه ثم انهم سلموه اليه على قاعدة استقرت بينهم وكان عند محمود امير كبير وكان يحذره من اخيه قطب الدين ويخوفه فلم يصغ اليه وكان جوادا كثير الخير والتقدم في الدولة عند نور الدين فلما قتل قطب الدين اخاه قتل حسنا معه والقاه على الطريق فجاء كلب يأكل من لحمه فثار الناس وقالوا لا سمع ولا طاعة هذا رجل مسلم وله ههنا مدرسة وتربة وصدقات دارة وافعال حسنة لا نتركه تأكله الكلاب فأمر به فدفن في مدرسته وبقي اولاد قلج ارسلان على حالهم ثم ان قطب الدين مرض ومات فسار اخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى سيواس وهي تجاوره فملكها ثم سار منها الى قيسارية واقصرا ثم بقي مديدة وسار الى قونية وبها أخوه غياث الدين فحصره بها وملكها ففارقها غياث الدين الى الشام ثم الى بلد الروم وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم سار بعد ذلك ركن الدين الى نكسار واماسيا فملكها وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين وخمسمائة فملكها وفارقها أخوه معز الدين الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان هذا معز الدين تزوج ابنة العادل فأقام عنده واجتمع لركن الدين ملك جميع الاخوة ما عدا انقرة فانها امتنعت لا يوصل اليها فجعل عليها عسكرا يحصرها صيفا وشتاء ثلاث سنين فتسلمها سنة احدى وستمائة ووضع على أخيه الذي كان بها من يقتله اذا فارقها فلما سار عنها قتل وتوفي ركن الدين في تلك الايام ولم يسمع خبر قتل أخيه بل عاجله الله تعالى لقطع رحمه وانما أوردنا هذه الحادثة ههنا لنتبع بعضها بعضا ولاني لم أعلم تواريخ كل حادثة منها لأثبتها فيه

* (ذكر ملك شهاب الدين اجمير وغيرها من الهند) *

قد ذكرنا سنة ثلاث وثمانين غزوة شهاب الدين الغوري الى بلاد الهند وانهزامه وبقي الى الآن وفي نفسه الحقد العظيم على الجند الغورية الذين انهزموا وما ألزمهم من الهوان فلما كانت هذه السنة خرج من غزنة وقد جمع عساكره وسار فيها يطلب غزوة الهندي الذي هزمه تلك النوبة فلما وصل الى برشاور تقدم اليه شيخ من الغورية كان يدل عليه فقال له قد قربنا من العدو وما يعلم أحد أين نمضي ولا من نقصد ولا ترد على الامراء سلاما وهذا لا يجوز فعله فقال له السلطان اعلم

انكلاف عن رأسه * وبرحلت
وحرة العناد من صدره *
وأقبل يروض عسكره على
رشاد وسداد * ويغل أيديهم
دون امتداد الى فساد *
وصرف عسكر الامير
منوجهر وراءهم يذكر
صلاح حاله واستغنائه
عن رجاله * وعطف الى
أصبهان خاطبا لمجد الدولة
على منابرها وذلك في سنة
سبع وأربعمائة * وكان
نصر بن الحسن بن فيروزان
قد انقطع الى السلطان يمين
الدولة وأمين الملة فأقام على
خدمته الى أن جعل ناحية
بيار وجومند برسمه فنهض
اليهما وأقام بهما يستغلهما *
ويتوفر عليه دخلهما * الى
أن دعاه مجد الدولة من
الري فاعتسف البيد اليها
انتفاقا من عسكر شمس
المعالي قابوس ومكايده *
وعيون رباياه ومراصده *
فلما وصل اليها اعترف له بحق
قرابته * وقوبل بما اقتضاه
حكم طاعته واستجابته *
فبقي هذه السنين مرجوعا
اليه في الرأي والتدبير *
وموثوقا به في التقديم
والتأخير * الى ان عثر منه
على عملاء

أنى منذ هزمنى هذا الكافر ما نمت مع زوجتى ولا غيرت ثياب البياض عنى وأنا سائر الى عدوى ومعتمد على الله تعالى لا على الغورية ولا على غيرهم فان نصرنى الله سبحانه ونصر دينه فمن فضله وكرمه وان انهزمنا فلا تطلبونى فيما انهزمت ولو هلكت تحت حوافر الخيل فقال له الشيخ سوف ترى بنى عمك من الغورية ما يفعلون فينبغى أن تكلمهم وترد سلامهم ففعل ذلك وبقى امراء الغورية يتضرعون و يقولون سوف ترى ما نفعل وسار الى أن وصل الى موضع المصاف الاول وجازه مسيرة أربعة أيام وأخذ عدة مواضع من بلاد العدو فلما سمع الهندى تجهز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين فلما بقى بين الطائفتين مرحلة عاد شهاب الدين وراءه والكافر فى أعقابه أربع منازل فارسل الكافر اليه يقول له أعطى يدك انك تصافنى فى باب غزنة حتى اجى وراءك والافنحن متقابلون ومثلك لا يدخل البلاد شبه اللصوص ثم يخرج هاربا ما هذا فعل السلاطين فاعاد الجواب انى لا أقدر على حربك وتم على حاله عائدا الى أن بقى بينه وبين بلاد الاسلام ثلاثة أيام والكافر فى اثره يتبعه حتى لحقه قريبا من مرنده فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين ألفا وقال أريد هذه الليلة تدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تأتون أنتم من تلك الناحية وأنا من هذه الناحية ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انهم لا يبرحون من مضاجعهم الى أن تطلع الشمس فلما اصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب وضربت الكوسات فلم يلتفت ملك الهند الى ذلك وقال من يقدم على انا هذا والقتل قد اكثر فى الهنود والنصر قد ظهر للمسلمين فلما رأى ملك الهند ذلك أحضر فرسا له سابقا وركب ليهرب فقال له اعيان اصحابه انك حلفت لنا انك لا تخلينا وتهرب فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه والقتال شديد والقتل قد كثر فى اصحابه فانتهى المسلمون اليه واخذوه اسيرا وحينئذ عظم القتل والاسر فى الهنود ولم ينج منهم الا القليل واحضر الهندى بين يدى شهاب الدين فلم يخدمه فأخذ بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتى اصاب جبينه واقعده بين يدى شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استأسرتنى ما كنت تفعل بى فقال الكافر قد استعملت لك قيدا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالا كثيرة وامتعة عظيمة وفى جملة ذلك أربعة عشر فيلا من جملتها الفيل الذى جرح شهاب الدين فى تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنت طالب بلاد فما بقى فيها من يحفظها وان كنت طالب مال فعندى أموال تحمل أجمالك كلها فسار شهاب الدين وهو معه الى الحصن الذى له يعول عليه وهو اجمير فأخذه واخذ جميع البلاد التى تقاربه واقطع جميع البلاد لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة قبض على امير الحاج طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلا فى الحاج رفيقا بهم محبا لهم له اوراد كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لا جرم وقفت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها خرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد موت قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج بن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج الى الرى على ما نذكره ان شاء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة وفيها فى رجب توفى

لبعض الخالقين فقبض عليه وحبسه فى قلعة أستوناوند ومازال بها محصورا * وفى مخالب الامتحان مأسورا * حتى عفى عما جناه * ورد ثانيا الى ما تولاه * و وافق ما به خلع الديلم لجام الهيبة لعدم السياسه * وانفراد مجد الدولة فى بيته بالدراسه * وتبسط الديلم فيما شاؤا من غصب * وقطع ونهب وكبس ونقب * لا يرتدع منهم الامن أشعره الله المخافه * وأودع صدره الرحمة والرأفه * فانبرى نصر بن الحسن لقمع أولئك الضلال فاجتاح منهم فريقا * وأوسع آخرين تفريقا وتمزيقا * فلما رأى القوم ما دهاهم فى أضرابهم من حصده واستئصاله * تجمعوا على قصده وقتاله * وأحاطوا بداره فدافعهم بخاصته مليا ثم انثنى عنهم منهزما * وغادر ملكه فى الدار منهوبا ومغتنما * ومازال يضطرب فى محنته * الى آخر مدته

*(ذكر بهاء الدولة وما أفضى اليه أمره)*

قد كان بهاء الدولة بعد أن

الامير السيد علي بن المرتضى العلوي الحنفي مدرس جامع السلطان ببغداد وفي شعبان منها توفي ابو علي الحسن بن هبة الله بن البوقي الفقيه الشافعي الواسطي وكان عالما بالمذهب انتفع به الناس

## *(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة)*

## *(ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته)*

في هذه السنة في صفر توفي صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة أربع وستين وخمسمائة وكان سبب مرضه انه خرج يتلقى الحاج فعاد ومرض من يومه مرضا حادا بقي به ثمانية ايام وتوفي رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده الافضل عليا وأخاه الملك العادل أبا بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرغنا من الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل فاي جهة نقصد فأشار عليه أخوه العادل بقصد خلاط لانه كان قد وعده اذا اخذها ان يسلمها اليه واشار ولده الافضل بقصد بلاد الروم التي بيد اولاد قلج ارسلان وقال هي اكثر بلادا وعسكرا ومالا واسرع مأخذا وهي ايضا طريق الفرنج اذا خرجوا على البر فاذا ملكناها منعناهم من العبور فيها فقال كلا كما مقصر ناقص الهمة بل اقصد أنا بلد الروم وقال لاخيه تأخذ انت بعض اولادي وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغت انا من بلد الروم جئت اليكم وندخل منها أذربيجان وتتصل ببلاد العجم فما فيها من يمنع عنها ثم اذن لاخيه العادل في المضي الى الكرك وكان له وقال له تجهز واحضر لتسير فلما سار الى الكرك مرض صلاح الدين وتوفي قبل عوده وكان رحمه الله كريما حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وبلغني أنه كان يوما جالسا وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضا بسرموزة فاخطأته ووصلت الى صلاح الدين فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها وطلب مرة الماء فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد خمس مرات فلم يحضر فقال يا أصحابنا والله قد قتلني العطش فاحضر الماء فشربه ولم ينكر التواني في احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا أرجف عليه بالموت فلما برئ منه وأدخل الحمام كان الماء حارا فطلب ماء باردا فاحضره الذي يخدمه فسقط من الماء شيء على الارض فناله منه شيء فتألم له لضعفه ثم طلب البارد أيضا فاحضر فلما قارب به سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه وأما كرمه فانه كان كثير البذل لا يقف في شيء يخرجه ويكفي دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزائنه غير دينار واحد صوري وأربعين درهما ناصرية وبلغني انه أخرج في مدة مقامه على عكا قبالة الفرنج ثمانية عشر ألف دابة من فرس وبغل سوى الجمال وأما العين والثياب والسلاح فانه لا يدخل تحت الحصر ولما انقرضت الدولة العلوية بمصر أخذ من ذخائرهم من سائر الانواع ما يفوت الاحصاء ففرقه جميعه وأما تواضعه فانه كان ظاهرا لم يتكبر على احد من أصحابه وكان يعيب الملوك المتكبرين بذلك وكان يحضر عنده الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماع فاذا قام أحدهم لرقص أو سماع يقوم له فلا

يقعد

---

فتح الله على السلطان سجستان راغبا في موالاته * خاطبا لمصافاته * مؤثرا لمكاتبته * حريصا على مقاربته * بحكم الجوار الواقع بين الدولتين * والصقب الحادث بين المملكتين * ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثله من جهته اشرفه * بنفسه وساقه * ولما حيز لهما من الكفاءة في الملك * والملاءة في سعة الملك * فسفر بينهما السفراء على الحام سدى القربة * واحصاد قوى المودة * حتى خلصت القلوب * ونقيت الجيوب * وتأكدت العهود * وتأحدت الحدود * وعندها أحب السلطان أن يجعل المصافاة مجاهرة * والموالاة مصاهرة * فأنهض القاضي أبا عمر البسطامي شيخ الحديث بنيسابور الى فارس وهو النبيه فضلا والوجيه محلا * والامام علما وتحقيقا * والحسام لسانا فصيحا ورأيا وثيقا * وصادف من اجلال بهاء الدولة واكرامه * واظهار التلطف عليه في مرامه * ما اقتضته جلالة من أصدره * ومساعدة القدر له في كل

بقعد حتى يفرغ الفقير ولم يلبس شيأ مما ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادرا فى عصره كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد فى الكفار وفتوحه تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا

*(ذكر حال أهله وأولاده بعده)*

لما مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين على وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة فى حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها وكان ولده الظاهر غازى بحلب فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودرب ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقى الدين عمه فأطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فأطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كما ذكرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند أحد من أولاد أخيه فارسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فأعاد مراسلته وخوفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن أتابك عز الدين صاحب الموصل فانه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزرية على ما نذكره ويقول له ان حضرت جهزت العساكر وسرت الى بلادك حفظتها وان أقمت قصدك أخى الملك العزيز لما بينكما من العداوة واذا ملك عز الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والا فقل له قد أمرنى ان سرت اليه بدمشق عدت معك وان لم تفعل أسير الى الملك العزيز احالفه على ما يختار فلما حضر الرسول عنده وعده بالمجىء فلما رأى ان ليس معه منه شئ غير الوعد أبلغه ما قيل له فى معنى موافقة العزيز فحينئذ سار الى دمشق وجهز الافضل معه عسكرا من عنده وأرسل الى صاحب حمص وصاحب حماة والى أخيه الملك الظاهر بحلب يحثهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزرية ليمنعها من صاحب الموصل ويخوفهم ان هم لم يفعلوا وممـ[illegible] لاخيه الظاهر قد عرفت صحبة أهل الشام لبيت أتابك فوالله لئن ملك عز الدين حران ليقومن أهل حلب عليك ولتخرجن منها وأنت لا تعقل وكذلك يفعل فى أهل دمشق فاتفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهزوا عساكرهم وسيروها الى العادل وقد عبر الفرات فعسكر عساكرهم بنواحى الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

*(ذكر مسير أتابك عز الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه)*

لما بلغ أتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع أهل الرأى من أصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدم على كل من فيها وهو نائبه فيهم واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو أخى مجد الدين أبو السعادات المبارك أنا أرى انك تخرج مسرعا جريدة فيمن خف من أصحابك وحلقتك الخاص وتتقدم الى الباقين باللحاق بك وتعطى من هو محتاج الى شئ ما يتجهز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب أصحاب الاطراف مثل مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وسنجرشاه ابن أخيك صاحب جزيرة ابن عمر واخاك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرفهم انك قد سرت وتطلب منهم المساعدة

قذره وأقام عليه منقولا من مجلس الايجاب الى متوسد الاكرام ومن راحة الاشبال الى عاتق الاكبار غير أن بعيد طلوعه عليه وافق منه علة أحدثها سوء المزاج بين ألف الراحة والراح فأعيا تحيز المراد على العارض العاتق وقد كان نخر الملك مقيما ببغداد وهو الوزير والنصير* ومن اليه الرأى والتدبير* فحشم القاضى الى ما قبله ليتفاوضا فيما يوجب صرف الرأى اليه* وتأريب العقد عليه* فاتفق مع وصوله استئثار قضاء الله تعالى ببهاء الدولة وانتقال روحه الى جوار ربه وبايع الناس ولده الامير أبا شجاع واقبه القادر بالله أمير المؤمنين بسلطان الدولة واستتب له طارق الامر واعتدل عليه عمود الملك وجرى له الطائر بالاقبال* وحسن الفال* ولما عاد القاضى من بغداد الى ما قبله لم يملك له من ذاته جوابا يغنيه* ولا حوارا يشفيه* اذ كان دونه

وتبذل لهم اليمين على ما يلتمسونه فمتى رأوك قد سرت خافوك وان أجابك أخوك صاحب سنجار ونصيبين الى الموافقة والا بدأت بنصيبين أخذتها وتركت فيها من يحفظها ثم سرت نحو الخابور وهو له أيضا فاقطعه وتركت عسكره مقابل اخيك يمنعه من الحركة ان ارادها وقصدت الرقة فلا تمنع نفسها وتأتى حران والرها فليس فيهما من يحفظهما لا صاحب ولا عسكر ولا ذخيرة فان العادل أخذهما من ابن تقى الدين ولم يقم فيهما بما يصلح حالهما وكان القوم يتكلون على قوتهم فلم يظنوا هذا الحادث فاذا فرغت من ذلك الطرف عدت الى من امتنع من طاعتك فقاتلته وليس وراءك ما تخاف عليه فان بلادك عظيم لا يبالى بكل من وراءك فقال مجاهد الدين المصلحة اننا نكاتب أصحاب الاطراف ونأخذ رأيهم فى الحركة ونستميلهم فقال له أخى ان اشاروا بترك الحركة تقبلون منهم قال لا قال فانهم لا يشيرون الا بتركها لانهم لا يرون ان يقوى هذا السلطان خوفا منه وكانى بهم يغالطونكم مهما كانت البلاد الجزرية فارغة من صاحب وعسكر فاذا جاء اليها من يحفظها جاهروكم بالعداوة ولم يمكنه أكثر من هذا القول خوفا من مجاهد الدين حيث رأى ميله الى ما تكلم به فانفصلوا على ان يكاتبوا أصحاب الاطراف فكاتبوهم فكل اشار بترك الحركة الى ان ينظر ما يكون من اولاد صلاح الدين وعمهم فتثبط ثم ان مجاهد الدين كرر المراسلات الى عماد الدين صاحب سنجار يعده ويستميله فبينما هم على ذلك اذ جاءهم كتاب الملك العادل من المناخ بالقرب من دمشق وقد سار عن دمشق الى بلاده يذكر فيه موت اخيه وان البلاد قد استقرت لولده الملك الافضل والناس متفقون على طاعته وانه هو المدبر لدولة الافضل وقد سيره فى عسكر جم كثير العدد لقصد ماردين لما بلغه ان صاحبها تعرض الى بعض القرى التى له وذكر من هذا النحو شيأ كثيرا فظنوه حقا وان قوله لاريب فيه ففتروا عن الحركة وذلك الرأى فسيروا الجواسيس فأتتهم الاخبار بانه فى ظاهر حران من نحو مائتى خيمة لا غير فعادوا وتحركوا الى ان تقررت القواعد بينهم وبين صاحب سنجار واقبلت العساكر الشامية التى سيرها الافضل وغيره الى العادل فامتنع بها وسار اتابك عز الدين عن الموصل الى نصيبين واجتمع هو واخوه عماد الدين بها وساروا على سنجار نحو الرها وكان العادل قد عسكر قريبا منها بمرج الريحان فخافهم خوفا عظيما فلما وصل اتابك عز الدين الى تل موزن مرض بالاسهال فأقام عدة ايام فضعفت منه الحركة وكثر مجىء الدم منه فخاف الهلاك فترك العساكر مع اخيه عماد الدين وعاد جريدة فى مائتى فارس ومعه مجاهد الدين واخى مجد الدين فلما وصل الى دنيسر استولى عليه الضعف فاحضر أخى وكتب وصية ثم سار فدخل الموصل وهو مريض أول رجب

*(ذكر وفاة أتابك عز الدين وشئ من سيرته)*

فى هذه السنة توفى أتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر صاحب الموصل بالموصل وقد ذكرنا عوده اليها مريضا فبقى فى مرضه الى التاسع والعشرين من شعبان فتوفى رحمه الله ودفن بالمدرسة التى انشأها مقابل دار المملكة وكان قد بقى ما يزيد على عشرة أيام لا يتكلم الا بالشهادتين وتلاوة القرآن واذا تكلم بغيرها استغفر الله ثم عاد الى ما كان عليه فرزق خاتمة خير رضى الله عنه وكان رحمه الله خير الطبع كثير الخير والاحسان لاسيما الى

شيوخ

رسولا لابيه * فصرفه مملا من رسالته فى وراثة الود والوفاء * بسالف العهد واشتراء الخلوص بقاصية الجهد * ما اقتضاه حكم الابتداء بغرس الوداد * واستثمار الوفاء على ظهر البعاد * وقد كان الامير أبو الفوارس أخو الامير سلطان الدولة مقيما بكرمان فشجر بينهما خلاف اقتضى سلطان الدولة تجريد الجيوش لقصده * واستصفاء تلك النواحى واستخلاصها من يده * فنهض هو لمقاومتهم وكف عاديتهم وأوقدوا بينهم حربا افنت الرجال أكلا وشربا * واجتاحت الارواح طعنا وضربا * واسفرت المكشفة باتباع الامير أبى الفوارس فانقلبوا مهزومين وأقبل هو نحو سجستان * يؤم حضرة السلطان * يمين الدولة ممتطيا رجاءه * ومستنهضا كرمه لرده وراءه * فلما شارفها وقد كان أنهى الى السلطان خبر اقباله أمر أبا منصور

شيوخ قد خدموا أباه فانه كان يتعهدهم بالبر والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقربهم ويشفعهم وكان حليما قليل المعاقبة كثير الحياء لم يكلم جليسا له الا وهو مطرق وما قال في شئ يسئله لا حياء وكرم طبع وكان قد حج ولبس بمكة حرسها الله خرقة التصوف وكان يلبس تلك الخرقة كل ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه في داره ويصلي فيه نحو ثلث الليل وكان رقيق القلب شفيقا على الرعية بلغني عنه انه قال بعض الايام انى سهرت الليلة كثيرا وسبب ذلك أنى سمعت صوت نائحة فظننت ان ولد فلان قد مات وكان قد سمع انه مريض قال فضاق صدرى وقمت من فراشى أدور في السطح فلما طال على الامر أرسلت خادما الى الجاندارية فأرسل منهم واحدا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانا لا أعرفه فسكن بعض ما عندى فنمت ولم يكن الرجل الذى ظن ان ابنه مات من أصحابه انما كان من رعيته كان ينبغي ان تتأخر وفاته وانما قدمناها لتتبع أخباره بعضها بعضا

*(ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط)*

في هذه السنة أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران فانه أسرف في اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم يمهله الله تعالى ولما بلغه موت صلاح الدين فرح فرحا كثيرا وعمل تختا جلس عليه ولقب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيره وسمى نفسه عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخليط وتجهز ليقصد ميافارقين يحصرها فادركته منيته وكان سبب قتله ان هزارديناري وهو ايضا من مماليك شاه أرمن ظهير الدين كان قد قوى وكثر جمعه وتزوج ابنة بكتمر فطمع في الملك فوضع عليه من قتله فلما قتل ملك بعده هزارديناري بلاد خلاط واعمالها وكان بكتمر دينا خيرا صالحا كثير الخير والصلاح والصدقة محبا لاهل الدين والصوفية كثير الاحسان اليهم قريبا منهم ومن سائر رعيته محبوبا اليهم عادلا فيهم وكان جوادا شجاعا عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة شتى شهاب الدين ملك غزنة في برشاور وجهز مملوكه أيبك في عساكر كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبى ويفتح من البلاد ما يمكنه فدخلها وعاد وخرج هو وعساكره سالما قد ملؤا أيديهم من الغنائم وفيها في رمضان توفي سلطان شاه صاحب مرو وغيرها من خراسان وملك اخوه علاء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين ان شاء الله وفيها امر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة الوف لا يوجد مثلها وفيها في ربيع الاول فرغ من عمارة الرباط الذى امر بانشائه الخليفة أيضا بالحريم الطاهرى غربي بغداد على دجلة وهو من أحسن الربط ونقل اليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك ان صاحبها سوسيان بن شملة جعل فيها دزدارا فأساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فأرسل اليها وملكها وفيها انقض كوكبان عظيمان وسمع صوت هدة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوءهما القمر وضوء النهار وفيها مات الامير داود بن عيسى

نصر بن اسحق النائب عن الامير صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخدمة استقباله * وتكلف الواجب من انزاله * واقامة أنزاله * وانزال من معه من طبقات رجاله * ونثر عشرة آلاف دينار له من خاصة بيت ماله * فبلغ من ذلك مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان من قرانها وطرا ثنها ان أحدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من أولاد الملوك ولم يخل ان مثله يسمع به تيار البحور * فكيف اقطار الصدور * واكتسب ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بالنجم ضفائره * وافاض على الشرق بعضه وعلى الغرب سائره * ولما وصل الى حضرة السلطان أوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال * وتلقى عظيم قدره بالاجلال * وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام * والاقمام بكل ما ينتهي اليه

ابن محمد بن أبي هاشم أمير مكة وما زالت مكة تكون له تارة ولاخيه مكثر تارة الى أن مات

*(ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة)*

*(ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندى)*

كان شهاب الدين الغورى ملك غزنة قد جهز مملوكه قطب الدين وسيره الى بلاد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبى وغنم وعاد فلما سمع به ملك بنارس وهو أكبر ملك فى الهند ولايته من حد الصين الى بلاد ملاوا طولا ومن البحر الى مسيرة عشرة أيام من لهاور عرضا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغورى من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماخون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندى سبعمائة فيل ومن العسكر على ما قيل ألف ألف رجل ومن جملة عسكره عدة أمراء مسلمين كانوا فى تلك البلاد أبا عن جد من أيام السلطان محمود ابن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وأفعال الخير فلما التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم فانهزم الكفار ونصر المسلمون وكثر القتل فى الهنود حتى امتلأت الارض وجافت وكانوا لا يأخذون الا الصبيان والجوارى وأما الرجال فيقتلون وأخذ منهم تسعين فيلا وباقى الفيلة قتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهند ولم يعرفه احد الا انه كانت اسنانه قد ضعفت أصولها فامسكوها بشريط الذهب فلذلك عرفوه فلما انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزائنها على ألف واربعمائة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التى اخذها من جملتها فيل أبيض حدثنى من رآه لما أخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وأمرت بالخدمة فخدمت جميعها الا الابيض فانه لم يخدم ولا يعجب احد من قولنا الفيلة تخدم فانها تفهم ما يقال لها ولقد شاهدت فيلا بالموصل وفياله يحدثه فيفعل ما يقول له

*(ذكر قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الرى ووفاة اخيه سلطان شاه)*

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن البارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن البارسلان السلجوقى من الحبس وملكه همذان وغيرها وكان قد جرى بينه وبين قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد حروب انهزم فيها قتلغ اينانج وتحصن بالرى وسار طغرل الى همذان وارسل قتلغ اينانج الى خوارزم شاه علاء الدين تكش يستنجده فسار اليه فى سنة ثمان وثمانين فلما تقارب ندم قتلغ اينانج على استدعاء خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصن فى قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الرى وملكها وحصر قلعة طبرك ففتحها فى يومين وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الرى فى يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكرا يحفظها وعاد الى خوارزم لانه بلغه ان أخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فجد فى السير خوفا عليها فأتاه الخبر وهو فى الطريق ان أهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها خائبا فشتى خوارزم شاه بخوارزم فلما انقضى الشتاء سار الى مرو وقصد أخيه سنة تسع وثمانين فترددت الرسل بينهما فى الصلح فبينما هم فى تقرير الصلح واذ قد ورد على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلم اليه القلعة لانه

قد

قبيل الاكرام * ما وقع عند الخاص والعام موقع الاستعظام * ما خلا الهمة التى ترى الدنيا خارجة عن ملكها * شعرة من أبشارها * وصوفة من أوبارها * وغرفة من بحارها بل قطرة من امطارها * وأقام عنده قرابة ثلاثة اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين أرحاما وشيجة * وانسابا قريبة * حتى اذا نشط للانصراف * والتمس معونته على عارض الخلاف * ارتاح السلطان لما استدعاه فأعطاه فوق رضاه اموالا أحفت أقلام الكتاب * وأوهت انامل الحساب * وانهض فى صحبته ونصرته * واقامة خدمته * اباسعيد عبد الرحمن بن محمد الطائى احد مشايخ بابه وافاضل كتابه * فى رجال قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم يعرفوا وجه الانقلاب الا بالانتقال * على الاكفال لعبد الصمد بن بابك

فحملت صهوة اخرى شواكلها من طول ما حملت سيبا على الكفل

فقد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدا فتسلم القلعة وصار معه وبلغ ذلك سلطان شاه ففت ذلك فى عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلمها وتسلم مملكة أخيه سلطان شاه جميعها وخزائنه وأرسل الى ابنه علاء الدين محمد وكان يلقب حينئذ قطب الدين وهو بخوارزم فاحضره فولاه نيسابور وولى ابنه الكبير ملكشاه مرو وذلك فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين

فلما دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد السلطان طغرل بلاد الرى فأغار على من به من أصحاب خوارزم شاه ففر منه قتلغ اينانج بن البهلوان وارسل الى خوارزم شاه يعتذر ويسأل انجاده مرة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرى فتلقاه قتلغ اينانج ومن معه بالطاعة وسار وا معه فلما سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرقة فلم يقف ليجمعها بل سار اليه فيمن معه فقيل له ان الذى يفعله ليس برأى والمصلحة ان تجمع العساكر فلم يقبل وكان فيه شجاعة بل تمم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الرى فحمل طغرل بنفسه فى وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول وحمل رأسه الى خوارزم شاه فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها بباب النوبى عدة أيام وسار خوارزم شاه الى همذان وملك تلك البلاد جميعها وكان الخليفة الناصر لدين الله قد سير عسكرا الى نجدة خوارزم شاه وسير له الخلع السلطانية مع وزيره مؤيد الدين بن القصاب فنزل على فرسخ من همذان فأرسل اليه خوارزم شاه يطلبه اليه فقال مؤيد الدين ينبغى ان تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمتى وترددت الرسل بينهما فى ذلك فقيل لخوارزم شاه انها حيلة عليك حتى تحضر عنده ويقبض عليك فدخل خوارزم شاه اليه قصد الاخذه فاندفع بين يديه الى بعض الجبال فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همذان ولما ملك همذان وتلك البلاد سلمها الى قتلغ اينانج واقطع كثيرا منها المماليكه وجعل المقدم عليهم مياجق وعاد الى خوارزم

*(ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان وملكها)*

فى هذه السنة فى شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النائب فى الوزارة مؤيد الدين أبى عبد الله محمد بن على المعروف بابن القصاب خلع الوزارة وحكم فى الولاية وبرز فى رمضان وسار الى بلاد خوزستان وولى الاعمال بها وصار له فيها أصحاب وأصدقاء ومعارف وعرف البلاد ومن أى وجه يمكن الدخول اليها والاستيلاء عليها فلما ولى ببغداد نيابة الوزارة أشار على الخليفة بأن يرسله فى عسكر اليها ليملكها له وكان عزمه انه اذا ملك البلاد واستقر فيها أقام مظهر اللطاعة مستقلا بالحكم فيها اليأمن على نفسه فاتفق ان صاحبها ابن شملة توفى واختلف أولاده بعده فراسل بعضهم مؤيد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوى الطمع فى البلاد فجهزت العساكر وسيرت معه الى خوزستان فوصلها سنة احدى وتسعين وجرى بينه وبين أصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها وملك مدينة تستر فى المحرم وملك غيرها من البلاد وملك القلاع منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من الحصون والقلاع

وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفى سائر خاصته نحو كرمان فجلا عنها من كان ولى عليها علما بعجزه عن المقاومه * واقتضاحه ان تعرض للمعاركه * فملك تلك النواحى ملكه اياها من قبل واقام بها أبو سعيد الى ان قرت تلك الامور * ودرت للجبايات الشطور * ثم كر وراءه فيمن كانوا برسمه تحت قيادته واتت على ذلك مدة من الزمان تمنع حشمة السلطان يمين الدوله وامين المله وحرمة الناهضين من اتباع رايته * فى امن وثقة بعز عنايته * ان يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى اذا عاودت تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير ابو الفوارس بالتدبير * وارتاش بعد التحسير * سرب سلطان الدولة عسكرا ثانيا لمواقعته * واستخلاص تلك الناحية عن يده * فتلاقيا على حرب اشابت القرون * فحكت مالطبا الصفاح * فى مخارج الطلى * وتحويما لشبا الرماح * على موارد الكلى * حتى تشفرت الارض من

وأنفذ بني شملة أصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوا في ربيع الاول

*(ذكر حصر العزيز مدينة دمشق)*

في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها أخوه الاكبر الملك الافضل علي بن صلاح الدين وكنت حينئذ بدمشق فنزل بنواحي ميدان الحصى فأرسل الافضل الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجده وكان الافضل غاية الواثق به والمعتمد عليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة وأسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق واتفقوا على حفظها علما منهم ان العزيز ان ملكها أخذ بلادهم فلما رأى العزيز اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ في الصلح فاستقرت القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية وأعمالها الغور للافضل على ما كانت عليه وان يعطي الافضل أخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقية وان يكون للعادل بمصر اقطاعه الاول واتفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الى بلده

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة كانت زلزلة في ربيع الاول بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبانة التي عند مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وفيها في جمادى الآخرة اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم هاشم بن قاسم أخو أمير المدينة فقاتلهم فقتل هاشم وكان أمير المدينة قد توجه الى الشام فلهذا اطمعت العرب فيه وفيها توفي القاضي ابو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الصمد الطرسوسي الحلبي بها في شعبان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى

*(ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة)*

*(ذكر ملك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم)*

قد ذكرنا ملك مؤيد الدين بن القصاب بلاد خوزستان فلما ملكها سار منها الى ميسان من اعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدم ذكر تغلب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامراء فأكرمه وزير الخليفة واحسن اليه وكان سبب مجيئه انه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدمهم مياجق مصاف عند زنجان واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج وعسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجئا الى مؤيد الدين الوزير فاعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك مما يحتاج اليه وخلع عليه وعلى من معه من الامراء ورحلوا الى كرمانشاه ورحل منها الى همذان وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق والعسكر الذين معهما فلما قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميون وتوجهوا الى الري واستولى الوزير على همذان في شوال من هذه السنة ثم رحل هو وقتلغ اينانج خلفهم فاستولوا على كل بلد جازوا به منها خرقان ومزدغان وساوة وآوة وسار والى الري ففارقها الخوارزميون الى خوار الري

فسير

صبيب الاوراد* وتغرت من رشاش الاكباد* وعند ها زالت قدم الاميرابي النداوس فولى كسيرا* لا يعرف قبيلا ولا دبيرا وانتهى به الركض الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة فقضى فيه حق القرابة اعظاما لقدره* واهتماما بأمره* واغتناما لشكره* واستعدادا لنصره* واقام مدة مديدة على هذه الجملة حتى استشعر أو اشعر انه مغرور ومقصود* والى الامير سلطان الدولة مردود* فنفر نفار الايم من ضربة القاتل* والوحش من كفة الحابل* وفارق مظلته قاصدا بغداد وسنشرح ان شاء الله من بعد حاله* وما انتهى اليه أمره مما كان عليه أوله

*(ذكر ايلك خان وما انتهت اليه حاله) قد كان ايلك بعد الكشفة التي اتجهت عليه بباب بلخ فركب ظهر جيحون وعاد وراءه يضطرب على نفسه غيظا مما دهاه* واسفا على ما اعياه* وما زال يعاتب طغان خان اخاه*

فسير الوزير خلفهم عسكرا ففارقها الخوارزميون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر الخليفة الى الرى فأقاموا بها فاتفق قتلغ اينانج ومن معه من الامراء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانهم رأوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الرى فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ اينانج وملكها الوزير ونهبها العسكر فأمر الوزير بالنداء بالكف عن النهب وسار قتلغ اينانج ومن معه من الامراء الى مدينة آوة وبها شحنة الوزير فنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير فى أثرهم نحو همذان فبلغه وهو فى الطريق ان قتلغ اينانج قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على دربند هناك فطلبهم الوزير فلما قاربهم التقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصاف الى همذان فنزل بظاهرها فأقام نحو ثلاثة أشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصدهم منكرا اخذه البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعدها والصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدا الى همذان وكان الوزير مؤيد الدين ابن القصاب قد توفى فى أوائل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقتل بينهم كثير من العسكرين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميون منهم شيأ كثيرا وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير من قبره وقطع رأسه وسيره الى خوارزم وأظهر وانه قتله فى المعركة ثم ان خوارزم شاه أتاه من خراسان ما أوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان

## *(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)*

فى هذه السنة فى شعبان غزا ابو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك ان الفنش ملك الفرنج بها ومعه مملكة مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتابا نسخته باسمك اللهم فاطر السموات والارض أما بعد أيها الامير فانه لا يخفى على كل ذى عقل لازب ولا ذى لب ثاقب انك أمير الملة الحنيفية كما انا امير الملة النصرانية وانك من لا يخفى عليه ما هو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واشتغالهم على الراحات وأنا أسومهم الخسف واخلى الديار وأسبى الذرارى وأمثل بالكهول وأقتل الشباب ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم وقد أمكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عددا منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون امتناعا ثم حكى لى عنك انك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولا أدرى الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما أنزل عليك ثم حكى لى عنك انك لا تجد سبيلا للحرب لعلك ما يسوغ لك التقحم فيها فها أنا أقول لك ما فيه واعتذر عنك ولك ان توفينى بالعهود والمواثيق والايمان ان تتوجه بجملة من عندك فى المراكب والشوانى وأجوز اليك بجملتى وأبارزك فى أعز الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والله يسهل الارادة ويوفق السعادة بمنه

ويستنصر قدرخان على ما أوهن من قواه * وقوته مراده ومغزاه * والقدر له معاند * والزمان مناكر ومناكد * حتى طرحه النكد على فراشه وفجعه عن قابل بطيب حياته فأشبعه التراب * بعد ان جوعه الحرص والاضطراب * همة كانت معلقة بالاثير * محلقة على فلك التدوير * غير ان يد القدر فوق يد التدبير * وما يصنع المرء بالجد اذا وافق الجد سافلة البير

فهبه رحا يجرى لها اليم ماءه
وليس لها قطب بماذا يديرها
وقد ينهض العصفور كثرة ريشه
وتسقط اذ لا ريس فيه نسورها

وكانت وفاته فى سنة ثلاث وأربعمائة وولى مكانه أخوه طغان خان فالا السلطان يمين الدولة وأمين الملة وواده * وهادنه وهاداه * متلافيا بزعمه لما أخل به اخوه * ومتوددا من حيث ركب الخلاف ذووه * وجاشت

لارب غيره ولا خير الا خيره فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في اعلاه هذه الآية ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون واعاده اليه وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز الى الاندلس وقيل كان سبب عبوره الى الاندلس ان يعقوب لما قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم بقي طائفة من الفرنج لم ترض الصلح كما ذكرناه فلما كان الآن جمعت تلك الطائفة جمعا من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا وغنموا وأسروا وعاثوا فيها عيثا شديدا فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس في جيش يضيق عنه القضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم واقبلوا اليه مجدين على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدائرة اولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج فانهزموا أقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته هي العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعين ألفا وأسر ثلاثة عشر ألفا وغنم المسلمون منهم شيأ عظيما فمن الخيام مائة ألف وثلاثة واربعون ألفا ومن الخيل ستة وأربعون ألفا ومن البغال مائة ألف ومن الحمير مائة الف وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيأ فهو له سوى السلاح واحصى ما حمل اليه منه فكان زيادة على سبعين ألف لبس وقتل من المسلمين نحو عشرين الفا ولما انهزم الفرنج اتبعهم ابو يوسف فرآهم قد اخذوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف فملكها وجعل فيها واليا وجندا يحفظونها وعاد الى مدينة اشبيلية واما الفنش فانه لما انهزم حلق رأسه ونكس صليبه وركب حمارا واقسم ان لا يركب فرسا ولا بغلا حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى يعقوب فأرسل الى بلاد الغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه فأتاه من المطوعة والمرتزقين جمع عظيم فالتقوا في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدواب وغيرها وتوجه الى مدينة طليطلة فحصرها وقاتلها قتالا شديدا وقطع اشجارها وشن الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون فقتل رجالها وسبى حريمها وخرب دورها وهدم أسوارها فضعفت النصرانية حينئذ وعظم امر الاسلام بالاندلس وعاد يعقوب الى اشبيلية فاقام بها فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها الى بلاد الفرنج وذلوا واجتمع ملوكهم وأرسلوا يطلبون الصلح فأجابهم اليه بعد أن كان عازما على الامتناع مريدا للملازمة للجهاد الى ان يفرغ منهم فأتاه خبر علي بن اسحق الملثم الميورقي أنه فعل بافريقية ما نذكره من الافاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدة خمس سنين وعاد الى مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

*(ذكر فعلة الملثم بافريقية)*

لما عبر أبو يوسف يعقوب صاحب المغرب الى الاندلس كما ذكرنا وأقام مجاهدا ثلاث سنين انقطعت أخباره عن افريقية فقوي طمع علي بن اسحق الملثم الميورقي وكان بالبرية مع العرب فعاود قصد افريقية فانبث جنوده في البلاد فخربوها واكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك البلاد وتغيرت وصارت خالية من الانيس خاوية على عروشها وأراد المسير الى بجاية ومحاصرتها



من جانب الصين جيوش لقصد طغان خان واخذ بلاد الاسلام من ديار الترك وسائر ما وراء النهر يزيد عددهم على مائة ألف خركاه لم يعهد الاسلام مثلها على صعيد واحد يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم بغيا طالما صرع اهله * واوردهم كما يورد الهدى محله فاستنفر من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه من رجال الترك واحرار الغزاة والمطوعة قرابة مائة الف رجل واستكت اسماع المسلمين من فظاعة هذا النبا الهائل

لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ماذكرناه وعاد الى مراكش عازما على قصده واخراجه من البلاد كما فعله سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه

*(ذكر ملك عسكر الخليفة اصفهان)*

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله جيشا وسيره الى اصفهان ومقدمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه مع ولده وكان أهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندي رئيس الشافعية باصفهان الديوان ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى من يصل من الديوان من العساكر وكان بعد الحاكم باصفهان على جميع أهلها فسيرت العساكر فوصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتخطفوا منهم وأخذوا من ساقة العسكر من قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها

*(ذكر ابتداء حال كوكجه وملكه بلد الري وهمذان وغيرها)*

لما عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرنا اتفق المماليك الذين للبهلوان والامراء وقدموا على أنفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانية واستولوا على الري وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزمية منها فلما قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فأرسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانه انما قصد اصفهان في طلب العساكر الخوارزمية وحيث رآهم فارقوا اصفهان سار في طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان وأما كوكجه فانه تبع الخوارزمية الى طبس وهي من بلاد الاسماعيلية وعاد فقصد اصفهان وملكها وأرسل الى بغداد يطلب أن يكون له الري وخوار الري وساوة وقم وقاشان وما ينضم اليها من حد مزدغان وتكون اصفهان وهمذان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة فأجيب الى ذلك وكتب له منشور بما طلب وأرسلت له الخلع فعظم شأنه وقوي أمره وكثرت عساكره وتعظم على أصحابه

*(ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها)*

وفي هذه السنة أيضا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر في عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزما وسبب ذلك ان من عنده من مماليك أبيه المعروفين بالصلاحية فخر الدين جركس وسرا سنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل علي بن صلاح الدين لانه كان قد أخرج من عنده منهم مثل ميمون القصري وسنقر الكبير وايبك وغيرهم فكانوا لا يزالون يخوفون العزيز من أخيه ويقولون ان الاكراد والمماليك الاسدية من عسكر مصر يريدون أخاك ونخاف أن يميلهم اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة أن نأخذ دمشق فخرج في العام الماضي وعاد كما ذكرناه فتجهز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى أخيه الملك الظاهر غازي فاستنجد به وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضل اليها

والبناء المائل * فارتاعت له القلوب والتاعت النفوس وتناصرت الادعية والذكور وسار طغان خان مستقبلا من أقبل عليه من جموع الفجرة الكفرة بنيات مقصورة على الاستقتال * واستقبال الآجال * أو ينزل الله نصره * ويظهر حزبه ويصلح أمره * تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد والتقوا أياما تباعا على ملاحم لم يدر من فتق العروق * وضرب الحلوق * وشد الخيول على الخيول * أصوب أنواء * أم صب دماء * ولمع البروق أو وقع السيوف وظلمة ليال أو رهج نزال وفي كل ذلك يتولى الله عباده بالأيد المتين * والنصر والتمكين * حتى وثقوا بالصنع المستبين * وطلوع الصبح مشرق الجبين * وتلاقوا ليوم منصوص عليه في فصل الحرب فشبهرام اهلها طاقه * وأدار على الفريقين دهاقه * فأما أعداء الله

ودخلها وكان الافضل لثقته به قد أمر نوابه بادخاله الى القلعة ثم عاد الافضل من حلب الى دمشق فأرسل مقدم الاسدية وهو سيف الدين اياز كوش وغيره منهم ومن الاكراد أبو الهيجاء السمين وغيره الى الافضل والعادل بالانحياز اليهما والكون معهما ويأمرهما بالاتفاق على العزيز والخروج من دمشق ليسلموا اليهما وكان سبب الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل ان العزيز لما ملك مصر مال الى المماليك الناصرية وقدمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هؤلاء الامراء فانفوا من ذلك ومالوا الى أخيه وأرسلوا الى الافضل والعادل فاتفقا على ذلك واستقرت القاعدة بحضور رسل الامراء ان الافضل يملك الديار المصرية ويسلم دمشق الى عمه الملك العادل وخرجا من دمشق فانحاز اليهما من ذكرنا فلم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزما يطوى المراحل خوف الطلب ولا يصدق بالنجاة وتساقط أصحابه عنه الى أن وصل الى مصر وأما العادل والافضل فانهما أرسلا الى القدس وفيه نائب العزيز فسلمه اليهما وسارا فيمن معهما من الاسدية والاكراد الى مصر فرأى العادل انضمام العساكر الى الافضل واجتماعهم عليه فخاف انه يأخذ مصر ولا يسلم اليه دمشق فأرسل حينئذ سرا الى العزيز يأمره بالثبات وأن يجعل بمدينة بلبيس من يحفظها وتكفل بانه يمنع الافضل وغيره من مقاتلة من بها فجعل العزيز الناصرية ومقدمهم فخر الدين جركس بها ومعهم غيرهم ووصل العادل والافضل الى بلبيس فنازلوا من بها من الناصرية وأراد الافضل مناجزتهم أو تركهم بها والرحيل الى مصر فمنعه العادل من الامرين وقال هذه عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا في الحرب فمن يرد العدو الكافر ومابنا حاجة الى هذا فان البلاد لك وبحكمك ومتى قصدت مصر والقاهرة وأخذتها قهرا زالت هيبة البلاد وطمع فيها الاعداء وليس فيها من يمنعك عنها وسلك معه مثل هذا فطالت الايام وأرسل الى العزيز سرا يأمره بارسال القاضي الفاضل وكان مطاعا عند البيت الصلاحي لعلو منزلته كانت عند صلاح الدين فحضر عندهما وأجرى ذكر الصلح وزاد القول ونقص وانفسخت العزائم واستقر الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبرية والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه الذي كان قديما ويكون مقيما بمصر عند العزيز وانما اختار ذلك لان الاسدية والاكراد لا يريدون العزيز فهم يجتمعون معه فلا يقدر العزيز على منعه عما يريد فلما استقر الامر على ذلك وتعاهدوا عاد الافضل الى دمشق وبقي العادل بمصر عند العزيز

*(ذكر عدة حوادث)*

في ذي القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بعقد المصطنع فاحترقت المربعة التي بين يديه ودكان ابن الجخيل الهراس وقيل كان ابتداؤها من دار ابن الجخيل

*(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة)*

*(ذكر ملك شهاب الدين بهنكر وغيرها من بلاد الهند)*

في هذه السنة سار شهاب الدين الغوري صاحب غزنة الى بلد الهند وحصر قلعة بهنكر وهي قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب أهلها منه الامان على أن يسلموا اليه فامنهم وتسلمها وأقام عندها عشرة أيام حتى رتب جندها وأحوالها وسار عنها الى قلعة كوالير وبينهما مسيرة خمسة

ايام

فسكروا سكرا استوجبوا به الحدود بالحدود البواتك فصبت عليهم من لدن لاح جبين الشمس الى أن ذكت سراجا وهاجا * وكادت تصير على قمم الرؤس تاجا * وأما أولياء الله تعالى فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام * والعبث بطلائع الحمام * لاجرم ان الله حماهم ونصرهم * وآواهم وأظفرهم * فغادروا من جماهير الكفار قرابة مائة ألف عنان صرعى على وجه البسيطة عن نفوس موقوذة * ورؤس منبوذة * وأيد عن السواعد مجذوذة * تقرى للضباع * بل جفلى للسباع * والوحوش الجياع * وأفاء الله على المؤمنين مائة ألف رأس غلمانا كالبدور * واللؤلؤ المنثور * وجوار كالحور العين والبيض المكنون وسوائم غصت بها أقطار البيداء * وضاقت عنها أطرار الدهناء * وشرد الباقون ووراءهم تشلهم السيوف شل الانعام * وتختطف أرواحهم بأيدي الحمام * وتطايرت به البشارات في ديارات الاسلام * فنضرت

أيام وفى الطريق ثم رجع الى غزنة فرحل عنها الى بلاد آى وسورة فأغار عليها ونهبها وسبى وأسر ما يعجز العاد حصره ثم عاد الى غزنة سالما

أيام وفى الطريق ثم رجفان ووصل الى كوالير وهى قلعة منيعة حصينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهى كبيرة فأقام عليها صفر اجمعه يحاصرها فلم يبلغ منها غرضا فراسله من بها فى الصلح فأجابهم اليه على أن يقر القلعة بأيديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلا حمله ذهب فرحل عنها الى بلاد آى وسورة فأغار عليها ونهبها وسبى وأسر ما يعجز العاد حصره ثم عاد الى غزنة سالما

*(ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الافضل)*

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل أبو بكر بن أيوب مدينة دمشق من ابن أخيه الافضل على بن صلاح الدين وكان أبلغ الاسباب فى ذلك وثوق الافضل بالعادل وانه بلغ من وثوقه انه أدخله بلده وهو غائب عنه ولقد ارسل اليه أخوه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له اخرج عمنا من بيننا فانه لا يجيء علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد وأنا أعرف به منك وأقرب اليه فانه عمى مثل ما هو عمك وأنا زوج ابنته ولو علمت انه يريد لنا خيرا لكنت أنا أولى به منك فقال له الافضل أنت سيء الظن فى كل أحد أى مصلحة لعمنا فى أن يؤذينا ونحن اذا اجتمعت كلمتنا وسيرنا معه العساكر من عندنا كلنا ملك من البلاد أكثر من بلادنا ونربح سوء الذكر وهذا كان أبلغ الاسباب ولا يعلمها كل أحد وأما غيرها فقد ذكرنا مسير العادل والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز بن صلاح الدين ومقام العادل معه بمصر فلما أقام عنده استماله وقرر معه أنه يخرج معه الى دمشق ويأخذها من أخيه ويسلمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا أميرا من امراء الافضل يقال له العزيز بن أبى غالب الحمصى وكان الافضل كثير الاحسان اليه والاعتماد عليه والوثوق به فسلم اليه بابا من أبواب دمشق يعرف بالباب الشرقى ليحفظه فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انه يفتح لهما الباب ويدخل العسكر منه الى البلد غفلة ففتحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه ومعه جماعة من أصحابه فلم يشعر الافضل الا وعمه معه فى دمشق وركب الملك العزيز ووقف بالميدان الاخضر غربى دمشق فلما رأى الافضل ان البلد قد ملك خرج الى أخيه وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل فى دار اسد الدين شيركوه وتحادثوا فاتفق العادل والعزيز على ان اوهما الافضل انهما يبقيان عليه البلد خوفا انه ربما جمع من عنده من العسكر وثار بهما ومعه العامة فأخرجهم من البلد لان العادل لم يكن فى كثرة واعاد الافضل الى القلعة وبات العادل فى دار شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه فأقام به وعساكره فى البلد فى كل يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما فبقوا كذلك أياما ثم ارسلا اليه وامراه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة أن تعطى قلعة صرخد له ويسلم جميع أعمال دمشق فخرج الافضل ونزل فى جوسق بظاهر البلد غربى دمشق وتسلم العزيز القلعة ودخلها واقام بها أياما فجلس يوما فى مجلس شرابه فلما اخذت منه الخمر جرى على لسانه انه يعيد البلد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل فى وقته فحضر المجلس فى ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتى سلم البلد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان

لها الوجوه وضحكت القلوب وعم السرور وتوفر الشكور وتباشرت الدور وحق القصور والخدور * لطفا من الله لدين ارتضاه * ووعد أن يصل بيد التأييد قواه * فلم ينشب طغان خان بعد أن فرغ من هذه الحرب العظيم راسها * الشديد مراسها * ان استأثر الله به فنقله الى جواره * وبوأه مبوأ الصديقين من دار قراره * ختما له بالشهادة * وحتما عليه بالسعادة * وورث مكانه أخوه ارسلان خان أبو منصور الاصم صنوه فى التقية * وتلوه فى الامور الالهية * ثبت المقام * فى دين الاسلام * لا تعرف له جاهلية ولا تتهم منه نحنهية ولا بحرفية * يقيم الصلوات جماعة * ويفترض العدل سمعا لله وطاعة * وعمر الحال التى كانت بين طغان خان أخيه وبين السلطان يمين الدولة وأمين الملة اظهارا للمصافاة * واستشعارا للمواخاة * وايثارا للاشتراك على تصاريف الحالات وخطب السلطان اليه والى أخيه

العادل يذكر ان الافضل سعى فى قتله فلهذا أخذ البلد منه وكان الافضل ينكر ذلك ويتبرأ منه والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة هبت ريح شديدة بالعراق واسودت لها الدنيا ووقع رمل أحمر واستعظم الناس ذلك وكبروا واشتعلت الاضواء بالنهار وفيها اقتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية باصفهان قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة اصفهان بها وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولى النظر فى المدرسة النظامية ببغداد ولما سار مؤيد الدين بن القصاب الى خوزستان سار فى صحبته فلما ملك الوزير اصفهان أقام ابن الخجندى بها فى بيته وملكه ومنصبه فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة اصفهان للخليفة منافرة فقتله سنقر وفى رمضان درّس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك البغدادى الفقيه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد وفى شوال منها أثبت نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الرازى فى الوزارة ببغداد وكان قد توجه الى بغداد لما ملك ابن القصاب الرى وفيها ولى أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الانشاء ببغداد وكان كاتبا فاضلا له شعر جيد وفى صفر منها توفى الفخر محمود بن على القوقانى الفقيه الشافعى بالكوفة عائدا من الحج وكان من اعيان أصحاب محمد بن يحيى وفى رجب منها توفى أبو الغنائم محمد بن على بن المعلم الشاعر الهرثى والهرث بضم الهاء والثاء المثلثة قرية من أعمال واسط عن احدى وتسعين سنة وفى رابع شعبان منها توفى الوزير مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن على بن القصاب بهمذان وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية

*(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)*

*(ذكر ارسال الامير أبى الهيجاء الى همذان وما فعله)*

وصل الى بغداد أمير كبير من امراء مصر اسمه أبو الهيجاء ويعرف بالسمين لانه كان كثير السمن وكان من أكابر أمراء مصر وكان فى اقطاعه أخيرا البيت المقدس وغيره مما يجاوره فلما ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الافضل أخذ القدس منه ففارق الشام وعبر الفرات الى الموصل ثم انحدر الى بغداد لانه طلب من ديوان الخلافة فلما وصل اليها أكرم اكراما كثيرا ثم أمر بالتجهز والمسير الى همذان مقدما على العساكر البغدادية فسار اليها والتقى عندها بالملك أوزبك بن البهلوان وأمير علم وابنه وابن سطمش وغيرهم وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة فلما اجتمع بهم وثقوا اليه ولم يحذروه فقبض على اوزبك وابن سطمش وابن قراجا وافقه من أمير علم فلما وصل الخبر بذلك الى بغداد انكرت هذه الحال على أبى الهيجاء وأمر بالافراج عن الجماعة وسيرت لهم الخلع من بغداد تطييبا لقلوبهم فلم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا أمنوا ففارقوا أبا الهيجاء السمين فخاف الديوان فلم يرجع اليه ولم يمكنه أيضا المقام فعاد يريد اربل لانه من بلدها هو فتوفى قبل وصوله اليها وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل

*(ذكر ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها)*

ابلاك كريمة له على ولده الامير الجليل أبى سعيد مسعود بن يمين الدوله وأمين المله فأحسنا الاجابة * واغتنما القرابة * وتردد بينهما السفراء فى ذلك مدة على جملة التمادى * وربص الحال بانقسام الايادى * الى أن حقت الحقيقه * وتمت العقدة الوثيقه * وأنهض السلطان من اختارهم من ثقات بابه لنقل اليتيمة الكريمة فجهزت وديعة تشاح عليها الملكان هذا صدر الملك * وذا ملك الترك * يختص بها الشبل ابن الليث * والوبل ابن الغيث * والتيار ابن البحر * والصباح ابن الفجر * الامير الجليل أبو سعيد مسعود بن محمود يمين الدولة وأمين الملة ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من فقهاء تلك الدولة واعيان رجالها من عدوا أئمة المشرق * وأرباب المناطق * فادوا أمانتى اليد واللسان على ما ألحمت الحال بين الجنبتين * ورفضت الحشمة فى ذات البين * وأمر السلطان أهل بلخ قبيل الوصول بعقد الآذين *

فى هذه السنة فى شوال ملك العادل أبو بكر بن أيوب مدينة يافا من الساحل الشامى وهى بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك ان الفرنج كان قد ملكهم الكندهرى على ما ذكرناه قبل وكان الصلح قد استقر بين المسلمين والفرنج أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى فلما توفى وملك أولاده بعده كما ذكرناه جدد الملك العزيز الهدنة مع الكندهرى وزاد فى مدة الهدنة وبقى ذلك الى الآن وكان بمدينة بيروت أمير يعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشوانى تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فأرسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والا أخذ المسلمون البلاد فامدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان أكثرهم من ملك الالمان وكان المقدم عليهم قس يعرف بالخنصلير فلما سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار الجزيرة والموصل يطلب العساكر فجاءته الامراء واجتمعوا على عين جالوت فاقاموا شهر رمضان وبعض شوال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة التى لها فخرب المسلمون المدينة وحصروا القلعة فملكوها عنوة وقهرا بالسيف فى يومها وهو يوم الجمعة واخذ كل ما بها غنيمة واسرا وسبيا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بملكها فعادوا وكان سبب تأخرهم ان ملكهم الكندهرى سقط من موضع عال بعكا فمات فاختلفت احوالهم فتأخروا لذلك وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بأن الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر فى ذى القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا اسوار المدينة سابع ذى الحجة وشرعوا فى تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا هم والفرنج بنواحى صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذى الحجة فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة فأرسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقى منها فان صلاح الدين كان قد خرب اكثرها وسارت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها وخربوا ما لها من قرى وابراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين واذن للعساكر الشرقية بالعود ظنا منه ان الفرنج يقيمون ببلادهم واراد ان يعطى العساكر المصرية دستورا بالعود فاتاه الخبر منتصف المحرم ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا يحمونه ويمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اول صفر سنة اربع وتسعين وقاتلوا من به وجدوا فى القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرت والا فلا يمكن حفظ هذا الثغر فسار العزيز مجدا فمن بقى معه من العساكر واما من بحصن تبنين فانهم لما رأوا النقوب قد خربت القلعة ولم يبق الا ان يملكوها بالسيف نزل بعض من فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلموا القلعة وكان المرجع الى القسيس

وتكليف التنضيد والتزيين * فبلغوا من ذلك مبلغا لم يسبق فيه من الوسع مذخور * ولا من الرسم مذكور ومسطور * ورأى السلطان بعد ذلك أن يرفع من قدره نعتد له على هراة سرة مملكته ونواحيها وسيره اليها بعد أن وصله بجل عظيم بعده ذخيرة * ويوسعه تجملا وزينة * فنهض اليها رشيد السيرة * حميد السريرة * عادل الطريقة * فاضل الخليقة * خليقا بالملك على الحقيقة * وذلك فى سنة ثمان وأربعمائة

*(ذكر الامير أبى أحمد محمد بن يمين الدولة وأمين الملة)*

جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه من حاله * وذكر خصاله * قول القائل

ان السرى اذا سرى فبنفسه
وابن السرى اذا سرى أسراهما

وقد جمع الله له من الميل الى خصائص الادب * والسعى لمعالى الرتب * ما دل على انه ابن أبيه شرفا سمقت على النجوم شرفاته * وكرما تعرفت لأهل الفضائل عرفاته *

اخذه صليبيون من اصحاب ملك الالمان فقال لهؤلاء المسلمين بعض الفرنج الذين من ساحل الشام ان سلمتم الحصن استأسركم هذا وقتلكم فاحفظوا انفسكم فعادوا كأنهم يراجعون من في القلعة ليسلموا فلما صعدوا اليها أصروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمي نفسه فحموها الى أن وصل الملك العزيز الى عسقلان في ربيع الاول فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وان الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم وان أمرهم الى امرأة وهي الملكة فاتفقوا وأرسلوا الى ملك قبرس واسمه هيمرى فاحضروه وهو أخو الملك الذي أسر بحطين كما ذكرناه فزوجوه بالملكة زوجة الكندهري وكان رجلا عاقلا يحب السلامة والعافية فلما ملكهم لم يعد الى الزحف على الحصن ولا قاتل واتفق وصول العزيز أول شهر ربيع الآخر ورحل هو والعساكر الى جبل الخليل الذي يعرف بجبل عاملة فاقاموا أياما والامطار متداولة فبقي الى ثالث عشر الشهر ثم سار وقارب الفرنج وأرسل رماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا ورتب العساكر ليزحف الى الفرنج ويجد في قتالهم فرحلوا الى صور خامس عشر الشهر المذكور وراسلا ثم رحلوا الى عكا فسار المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا في الصلح وتطاول الامر فعاد العزيز الى مصر قبل انفصال الحال وسبب رحيله ان جماعة من الامراء وهم ميمون القصري واسامة وسراسنقر والجاف وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وبفخر الدين جركس مدبر دولته والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك فلما سمع بذلك سار الى مصر وبقي العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح في شعبان سنة أربع وتسعين فلما انتظم الصلح عاد العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين من أرض الجزيرة فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

## *(ذكر وفاة سيف الاسلام وملك ولده)*

في شوال من هذه السنة توفي سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين وهو صاحب اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملك وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشتري أموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء وأراد ملك مكة حرسها الله تعالى فأرسل الخليفة الناصر لدين الله الى أخيه صلاح الدين في المعنى فمنعه من ذلك وجمع من الاموال ما لا يحصى حتى انه من كثرته كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره ولما توفي ملك بعده ابنه اسمعيل وكان أهوج كثير التخليط بحيث انه ادعى انه قرشي من بني أمية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي فلما سمع عمه الملك العادل ذلك ساءه وأهمه وكتب اليه يلومه ويوبخه ويأمره بالعود الى نسبه الصحيح وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه فلم يلتفت اليه ولم يرجع واضاف الى ذلك انه أساء السيرة مع اجناده وامرائه فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا بعده أميرا من مماليك أبيه

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي أبو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني المقرى الواسطي بها عن ثلاث وسبعين سنة وثلاثة أشهر وأيام وهو آخر من بقي من أصحاب القلانسي وفي جمادى الآخرة توفي قاضي القضاة أبو طالب علي بن البخاري ببغداد ودفن بتربته في مشهد باب التبن وفيها في ربيع الآخر توفي ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور وكان أبوه قد جعله فيها وأضاف اليه عساكر جميع بلاده التي بخراسان وجعله ولي عهده في الملك

وخلف

خروج من حضن الكفالة خروج الابريز من جمرات السبائك * والهلال من تحت الشعاع المتشابك * لم يعرف له طول أيام الايفاع * غير الارتفاع الى اليفاع * تصرفا على كرم الطباع * وتقييد المأثور بالسماع * وبذلا لما التقطته يد الطباع * وارتياضا بآداب الثقافة والمصاع * حتى اذا نزع بداءه برد الحداثة * ولبس خداه طوق الشهامة * رأى السلطان أن يوفيه حق البنوة * ويوتيه شرط المروة * ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه واستدعته العناية به والرعاية له فزوجه كريمة الامير أبي نصر الفريغوني والي الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة * والى الكفاية كفاءة * والى النعمة همة * وعقد له على أعمال الجوزجان كما عقد للامير الجليل أبي سعيد مسعود على هراة وهي التي واليها اقبله آل فريغون وهم الذين حكوا في العز افريدون وفي الهمة المجنون * وفي الغزارة والسماحة جيحون *

وخلف ولدا اسمه هندوخان فلما مات جعل فيها أبوه خوارزم شاه بعده ولده الآخر قطب الدين محمدا وهو الذي ملك بعد أبيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة أفضت الى أن محمدا لما ملك بعد أبيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره وفيها توفى شيخنا أبو القاسم يعيش بن صدقة بن على الفراتى الضرير الفقيه الشافعى كان اماما فى الفقه مدرسا حاكثير الصلاح سمعت عليه كثيرا لم أر مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدت منه عجبا يدل على دينه وارادته بعمله وجه الله تعالى وذلك انى كنت اسمع عليه ببغداد سنن أبى عبد الرحمن النسائى وهو كتاب كبير والوقت ضيق لانى كنت مع الحجاج قد عدنا من مكة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه مع مع اخى الاكبر مجد الدين أبى السعادات اذ قد أتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر لتحضر لامر كذا فقال أنا مشغول بسماع هؤلاء السادة ووقتهم يفوت والذى يراد منى لا يفوت فقال انا لا احسن اذكر هذا فى مقابل أمر الخليفة فقال لا عليك قل قال أبو القاسم لا أحضر حتى يفرغ السماع فسألناه ليمشى معه فلم يفعل ذلك وقال اقرؤا فقرأنا فلما كان الغد حضر غلام لنا وذكر ان أمير الحاج الموصلى قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولم يعظم عليكم العود الى أهلكم وبلدكم فقلنا الاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم استعير دابة وأركبها فاسير معكم وانتم تقرؤن فاذا فرغتم عدت فمضى الغلام ليتزود ونحن نقرأ فعاد وذكر ان الحجاج لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يرد أمر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ويريد يسير معنا ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا

*(ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة)*

*(ذكر وفاة عماد الدين وملك ولده قطب الدين محمد)*

فى هذه السنة فى المحرم توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وقد تقدم ذكره كيف ملكها سنة تسع وسبعين وكان رحمه الله عادلا حسن السيرة فى رعيته عفيفا عن أموالهم وأملاكهم متواضعا يحب أهل العلم والدين ويحترمهم ويجالس معهم ويرجع الى أقوالهم الا انه كان بخيلا شديد البخل وملك بعده ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مملوك أبيه وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة كثير البر والاحسان الى الفقراء وكان رحمه الله شديد التعصب على مذهب الحنفية كثير الذم للشافعية فمن تعصبه انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط أن يكون النظر للحنفية من أولاده دون الشافعية وشرط أن يكون البواب والفراش على مذهب أبى حنيفة وشرط للفقهاء طبيخا يطبخ ذلك كل يوم وهذا نظر حسن رحمه الله

*(ذكر ملك نور الدين نصيبين)*

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها وأخذها من ابن عمه قطب الدين محمد وسبب ذلك ان عمه عماد الدين كان له نصيبين فتطاول نوابه بها واستولوا على عدة قرى من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل وهى تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهد الدين قايماز القائم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل

وولى أبا محمد الحسن بن مهران كفاية أموره *وولاية تدابيره* فبرز اليها بروز السيف من يد الصاقل وهمى على أهلها همى السحاب الهاطل *فأحياهم بندى العدل الشامل* وعدل فى العطف عليهم بين الايامى والارامل* فعلقته قلوب الخاص والعام *وكفته النفوس مؤنة الاستخدام *ولما رأى السلطان حميد اثره* ورشد مختبره* ازداد شغفا بآثاره *وحرصا على اصطناعه وايثاره* فلم يخل من جديد انعام * ومزيد حفاوة واكرام* وسيأتى بيان خبر الاخوين الجليلين فى موضعه باذن الله تعالى

*(ذكر التاهرتى الرسول الوارد من مصر وما ختم به أجله)

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة مذ شحذ عزيمته لغزوات الهند محييا لسنة ابيه *مقتفيا نهج آثاره ومساعيه *باحثا على طرق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام *والبدع المعترضة عليها فى سالف الايام *استبصارا منه فى الدين*

كلها والمرجوع اليه فيها فلم يعلم مخدومه بذلك لما علم من قلة صبره على احتمال مثل هذا وخاف أن يجرى خلف بينهم فأرسل من عنده رسولا الى عماد الدين فى المعنى وقبح هذا الفعل الذى فعله النواب بغير أمره وقال انى ما أعلمت نور الدين بالحال لئلا يخرج عن يدك فانه ليس كوالده وأخاف ان يدوم منه ما يخرج الامر فيه عن يدى فأعاد الجواب انهم لم يفعلوا الا ما امرتهم به وهذه القرى من أعمال نصيبين فترددت الرسل بينهما فلم يرجع عماد الدين عن أخذها فحينئذ أعلم مجاهد الدين نور الدين بالحال فارسل نور الدين رسولا من مشايخ دولته ممن خدم جدهم الشهيد زنكى ومن بعده وحمله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلحق عماد الدين قد مرض فلما سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا أعيد ملكى فأشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بتركه وتسليم ما أخذه وحذره عاقبة ذلك فاغلظ عليه عماد الدين القول وعرض بذم نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جلية الحال فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين وأخذها من عمه فاتفق ان عمه مات وملك بعده ابنه فقوى طمعه فمنعه مجاهد الدين فلم يمتنع وتجهز وسار اليها فلما سمع قطب الدين صاحبها سار اليها من سنجار فى عسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين عنها فوصل نور الدين وتقدم الى البلد وكان بينهما نهر فجازه بعض امرائه وقاتل من بازائه فلم يثبتوا له فعبر جميع العسكر النورى وتمت الهزيمة على قطب الدين فصعد هو وناثبه مجاهد الدين برتقش الى قلعة نصيبين وأدركهم الليل فخرجوا منها هاربين الى حران وراسلوا الملك العادل أبا بكر بن أيوب صاحب حران وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال الكثيرة ليجدهم ويعيد نصيبين اليهم وأقام نور الدين بنصيبين مالكها فتضعضع عسكره بكثرة الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى الديار الجزرية فحينئذ فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل فى شهر رمضان فلما فارقها تسلمها قطب الدين وممن توفى من امراء الموصل عز الدين جورديك وشمس الدين عبد الله بن ابرهيم وفخر الدين عبد الله بن عيسى المهرانيان ومجاهد الدين قايماز وظهير الدين يولق بن بلنكرى وجمال الدين محاسن وغيرهم ولما عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل قلعة ماردين فحصرها وضيق على اهلها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر ملك الغورية مدينة بلخ من الخطا الكافرة)*

فى هذه السنة ملك بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود وهو ابن أخت غياث الدين وشهاب الدين صاحبى غزنة وغيرها وله باميان مدينة بلخ وكان صاحبها تركيا اسمه ازبه وكان يحمل الخراج كل سنة الى الخطا بما وراء النهر فتوفى هذه السنة فسار بهاء الدين سام الى المدينة فملكها وتمكن منها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت فى طاعة الكفار

*(ذكر انهزام الخطا من الغورية)*

وفى هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون الى ناحية خراسان فعاثوا فى البلاد وافسدوا فلقيهم عسكر غياث الدين الغورى وقاتلهم فانهزم الخطا وكان سبب ذلك ان خوارزم شاه تكش كان قد سار الى بلد الرى وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرض الى عساكر

واستظهارا على قمع الملحدين فقرا الكتب وسمع التاويل * وتتبع القياس والدليل * وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع وتلقن من اصول الدين ما لم يستجز معه فى الدين بدعه * ورأى كل ما خالف ظاهره نكرا وشنعه * وأتى اليه ان فى غمار الرعايا بخراسان اقواما ينتحلون مذهب الباطن المنسوب الى صاحب مصر ظاهره الرفض * وباطنه الكفر المحض * بتأويلات موضوعة تؤدى الى رفع قواعد الدين * ودفع معاقد الحق واليقين * وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله تعالى بالرفض والنقض فأمر بوضع العيون عليهم * والصاق الطلب بهم * وعثر على رجل كان سفيرا بين المذكورين اوليائه * والمبين لنداته * يعرف القوم بسيماهم واسمائهم فنص على عصابة منهم مختلفى البلدان والاوطان فأشخصوا الى الباب ورجموا تحت الصلب بالاحجار * ولم

الخليفة وأظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فأرسل الخليفة الى غياث الدين ملك الغور وغزنة يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه قد عاد الى خوارزم فراسله غياث الدين يقبح له فعله ويتهدده بقصد بلاده وأخذها فأرسل خوارزم شاه الى الخطا يشكو اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تدركوه بانفاذ العساكر والا أخذ غياث الدين بلاده كما أخذ مدينة بلخ وقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذر عليهم منعه ويعجزون عنه ويضعفون عن رده عما وراء النهر فجهز ملك الخطا جيشا كثيفا وجعل مقدمهم المعروف بطاينكوا وهو كالوزير فسار وا وعبروا جيحون فى جمادى الآخرة وكان الزمان شتاء وكان شهاب الدين الغورى أخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة انما يحمل فى محفة والذى يقود الجيش ويباشر الحروب أخوه شهاب الدين فلما وصل الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازما على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا النهر ووصلوا الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرقان وغيرهما وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا كثيرا لا يحصى فاستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها فراسل الخطا بهاء الدين سام ملك باميان يأمرونه بالافراج عن بلخ أو انه يحمل ما كان من قبله يحمله من المال فلم يجبهم الى ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فانتدب الامير محمد بن جربك الغورى وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعا وكاتب الحسين بن خرميل وكان بقلعة كرزبان واجتمع معهما الامير حروش الغورى وسار وا بعساكرهم الى الخطا فبيتوهم وكبسوهم ليلا ومن عادة الخطا انهم لا يخرجون من خيامهم ليلا ولا يفارقونها فأتاهم هؤلاء الغورية وقاتلوهم وأكثروا القتل فى الخطا وانهزم من سلم منهم من القتل وأين ينهزمون والعسكر الغورى خلفهم وجيحون بين أيديهم وظن الخطا أن غياث الدين قد قصدهم فى عساكره فلما أصبحوا وعرفوا من قاتلهم وعلموا ان غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامة نهارهم فقتل من الفريقين خلق عظيم ولحقت المتطوعة بالغوريين وأتاهم مدد من غياث الدين وهم فى الحرب فثبت المسلمون وعظمت نكايتهم فى الكفار وحمل الامير حروش على قلب الخطا وكان شيخا كبيرا فأصابه جراحة توفى منها ثم ان محمود بن جربك وابن خرميل حملا فى أصحابهما وتنادوا ان لا يرمى أحد بقوس ولا يطعن برمح وأخذوا اللتوت وحملوا على الخطا فهزموهم وألحقوهم بجيحون فمن صبر قتل ومن ألقى نفسه فى الماء غرق ووصل الخبر الى ملك الخطا فعظم عليه وأرسل الى خوارزم شاه يقول له أنت قتلت رجالى وأريد عن كل قتيل عشرة آلاف دينار وكان القتلى اثنى عشر ألفا وانفذ اليه من رده الى خوارزم وألزموه بالحضور عنده فأرسل حينئذ خوارزم شاه الى غياث الدين يعرفه حاله مع الخطا ويشكو اليه ويستعطفه غير مرة فأعاد الجواب يأمره بطاعة الخليفة واعادة ما أخذه الخطا من بلاد الاسلام فلم ينفصل بينهما حال

## ﴿ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارا﴾

لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه أعاد الجواب ان عسكرك انما قصد انتزاع بلخ ولم يأتوا الى نصرتى ولا اجتمعت بهم ولا أمرتهم بالعبور وان كنت فعلت ذلك فانا

يزل يفعل ذلك بأضرابهم ومن كان يخرج لهذ كر بألقابهم * حتى التقطتهم حجارة الرجم والرض * عن بسط الارض * وقد كان الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق بن محمشاد زعيم اصحاب ابى عبد الله بن كرام غزير الفضل * كبير المحل مذكورا فى القاصية والدانيه * بالديانة الوافيه والامانة البادية والخافيه * مشهورا باليقظة على الفرق الغاليه * والبدع الجافيه * فوافق رأى السلطان على اجتياح من ركب بنيات الطريق * وعدم فى العدول عن مثل مخارف النعم مساعدة التوفيق * ونبهه على عدة زعموا أنهم ضلال * واهم فى فضول القول وهذر الهال مجال * فسلكوا فى أصفاد الآخرين * ونصبوا عبرة للناظرين * وازداد أبو بكر فيما تقرب به من ظاهر الهاماه * على دين الله والمراماه * دون حق الله وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذى ريبه بعيدة أو قريبه حشمه * أطمعت

مقيم بالمال المطلوب مني وأتمكن حيث عجز ثم أنتم عن الغورية عدتم على بهذا القول وهذا المطلب وأما أنا فقد أصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندي فعاد الرسول بالجواب فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسيره الى خوارزم فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج اليهم كل ليلة ويقتل منهم خلقا عظيما وأتاه من المتطوعة خلق كثير فلم يزل هذا فعله بهم حتى أتى على أكثرهم فدخل الباقون الى بلادهم ورحل خوارزم شاه في آثارهم وقصد بخارا فنازلها وحصرها وامتنع أهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتى انهم أخذوا كلبا أعور وألبسوه قباء وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لانه كان أعور وطافوا به على السور ثم القوه في منجنيق الى العسكر وقالوا هذا سلطانكم وكان الخوارزميون يسبونهم ويقولون يا أجناد الكفار أنتم قد ارتددتم عن الاسلام فلم يزل هذا دأبهم حتى ملك خوارزم شاه البلد بعد أيام يسيرة عنوة وعفا عن أهله وأحسن اليهم وفرق فيهم مالا كثيرا وأقام بها مدة ثم عاد الى خوارزم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ذي الحجة توفي أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة كاتب الانشاء بديوان الخليفة وكان عالما فاضلا له كتابة حسنة وكان رجلا عاقلا خيرا كثير النفع للناس وله شعر جيد وفيها حصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب قلعة ماردين في شهر رمضان وقاتل من بها وكان صاحبها حسام الدين يولق ارسلان بن ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن أرتق كل هؤلاء ملوك ماردين وقد تقدم من أخبارهم ما يعلم به محلهم وكان صبيا والحاكم في بلده ودولته مملوك أبيه النظام برنقش وليس لصاحبه معه حكم البتة في شيء من الامور ولما حصر العادل ماردين ودام عليها سلم اليه بعض أهلها الربض بمخامرة منهم فنهب العسكر أهله نهبا قبيحا وفعلوا بهم أفعالا عظيمة لم يسمع بمثلها فلما تسلم الربض تمكن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقي عليها الى أن رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفي الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم بن أبي الحسن القادسي الزاهد المقيم ببغداد والقادسية التي ينسب اليها قرية بنهر عيسى من أعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودفن بقريته وأبو الجد علي بن أبي الحسن علي بن الناصر بن محمد الفقيه الحنفي مدرس أصحاب ابي حنيفة ببغداد وكان من أولاد محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة﴾

﴿ذكر وفاة الملك العزيز وملك أخيه الافضل ديار مصر﴾

في هذه السنة في العشرين من المحرم توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب ديار مصر وكان سبب موته انه خرج الى الصيد فوصل الى الفيوم متصيدا فرأى ذئبا فركض فرسه في طلبه فعثر الفرس فسقط عنه في الارض ولحقته حمى فعاد الى القاهرة مريضا فبقي كذلك الى أن توفي فلما مات كان الغالب على أمره مملوك والده فخر الدين جهاركس وهو الحاكم في بلده فأحضر انسانا كان عندهم من أصحاب الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأراه العزيز ميتا وسيره الى العادل وهو يحاصر ماردين كما ذكرناه ويستدعيه ليملكه البلاد فسار القاصد مجدا فلما كان بالشام رأى بعض أصحاب الافضل علي بن صلاح الدين فقال له قل

لصاحبك

فيه الرجال * وأمالت اليه الآمال * وأيه حشمه وضع الله عليها طابع الدين فهي في جوار النجم علو مكان وسموشان * وكفاك بم الخامسة ماورد في الخبر المروي ان الله تعالى قال للدنيا من خدمني فاخدميه * ومن خدمك فاتعبيه أو فاستخدميه * واتفق بعقب ذلك أن طلع رجل من بلاد العراق ينتسب الى شجرة العلوية يذكر انه رسول صاحب مصر الى السلطان عين الدولة * وأمين الملة * بكتاب تحمله وبرتزوده * مدلا بسبب النسب ومدليا بصاف الشرف فاستوقف الى أن أنهي الى السلطان خبره * ووكل الى ماردمن مثاله صدره * ونهض من بعد ذلك الى هراة مخنقا الى الحضرة * فأمر برده الى نيسابور ولتقرير ما تحمله على رؤس الاشهاد * ومرأى ومسمع من كل حاضر وباد * صيانة لخاص مجلسه عما عسى أن يضاف اليه من احالة * وسرقت رسالة *

اصاحبك ان أخاه العزيز توفى وليس فى البلاد من يمنعها فلم يسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل مجبوبا الى الناس يريدونه فلم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامراء من مصر يدعونه اليهم ليملكوه وكان السبب فى ذلك ان الامير سيف الدين يازكج مقدم الاسدية والفرقة الاسدية والامراء الاكراد يريدونه ويميلون اليه وكان المماليك الناصرية الذين هم مماليك أبيه يكرهونه فاجتمع سيف الدين مقدم الاسدية وفخر الدين جهاركس مقدم الناصرية ليتفقوا على من يولونه الملك فقال فخر الدين نولى ابن الملك العزيز فقال سيف الدين انه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولابد من قيم بالملك يجمع العساكر ويقاتل بها والرأى اننا نجعل الملك فى هذا الطفل الصغير ونجعل معه بعض أولاد صلاح الدين يدبره الى أن يكبر فان العساكر لا تطيع غيرهم ولا تنقاد لامير فاتفقا على هذا فقال جهاركس لمن يتولى هذا فاشار يازكج بغير الافضل لجرى بينه وبين جهاركس منازعة لملايتهم ويتفرد جهاركس عنه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من أولاد صلاح الدين واحدا بعد آخر الى أن ذكر آخرهم الافضل فقال جهاركس هو بعيد عنا وكان بصرخد مقيما فيها من حين أخذت منه دمشق فقال يازكج نرسل اليه من يطلبه مجدا فأخذ جهاركس يغالطه فقال يازكج نمضى الى القاضى الفاضل ونأخذ رأيه فاتفقا على ذلك وأرسل يازكج يعرفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلما اجتمعا عنده وعرفاه صورة الحال أشار بالافضل فارسل يازكج فى الحال القصاد وراءه فسار عن صرخد لليلتين بقيتا من صفر متنكرا فى تسعة عشر نفسا لان البلاد كانت للعادل ويضبط نوابه الطرق لئلا يجوز الى مصر ليجىء العادل ويملكها فلما قارب الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدى اليه لقيه فارسان قد ارسلا اليه من القدس فاخبراه أن من بالقدس قد صار فى طاعته وجد فى السير فوصل الى بلبيس خامس ربيع الاول ولقيه أخوته وجماعة الامراء المصرية وجميع الاعيان فاتفق ان أخاه الملك المؤيد مسعود اصنع له طعاما وصنع له فخر الدين مملوك أبيه طعاما فابتدأ بطعام أخيه ليمين حلفها أخوه انه يبدأ به فظن جهاركس انه فعل هذا انحرافا عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال ان طائفة من العرب قد اقتتلوا وان لم تمض اليهم تصلح بينهم يؤدى ذلك الى فساد فاذن له الافضل فى المضى اليهم ففارقه وسار مجدا حتى وصل الى البيت المقدس ودخله وتغلب عليه ولحقه جماعة من الناصرية منهم قراجة الزرد كش وسراسنقر وأحضروا عندهم ميمونا القصرى صاحب نابلس وهو أيضا من المماليك الناصرية فقويت شوكتهم به واجتمعت كلمتهم على خلاف الافضل وأرسلوا الى الملك العادل وهو على ماردين يطلبونه اليهم ليدخلوا معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانه كانت اطماعه قد قويت فى أخذ ماردين وقد عجز من بها عن حفظها وانه يأخذها والذى يريدونه لا يفوته وأما الافضل فانه دخل الى القاهرة سابع ربيع الاول وسمع بهرب جهاركس فاهمه ذلك وترددت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم يزدادوا الا بعدا ولحق بهم جماعة من الناصرية أيضا فاستوحش الافضل من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة وأيبك فطيس والبكى الفارس وكل هؤلاء بطل مشهور ومقدم مذكور سوى من ليس مثلهم فى التقدم وعلو القدر وأقام الافضل بالقاهرة وأصلح الامور وقرر القواعد والمرجع فى جميع

فلما رد القهقرى وفتش ما صحبه عثر على تصانيف الباطنيه * وأغاليط فى الشريعة الحنيفيه * أصح منها فى الاسماع خباط المجانين * ووساوس المبرسمين * لا تؤخذ فى محصول * ولا توجد فى معقول ومنقول * وناظره الاستاذ أبو بكر على أمور من جهة مرسله تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجدا على نار الامتحان ثبات * ولا الى وجه الحق من جانب التمييز التفات * وما زال يضرب اخماسا فى أسداس الى أن تبين له انه أخطأ فى تحمل تلك الرساله * وحرم التوفيق فى تقلد تلك السفاره * وقضى الله أن أشخص الى حضرة السلطان فلما استحضر مجلس حفله وقد غص بأعيان الاسلام ساداتها وكبرائها وقضاتها * وفقهائها وزعمائها * وهناك الحسن ابن طاهر بن مسلم العلوى ومن قصته أن جده مسلما لم يكن فى الطالبية من أولاد الحسين الاصغر رضى الله عنهم بناحية مصر أنبه

الامر والى سيف الدين يازكج

## (ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها)

لما ملك الافضل مصر واستقر بها ومعه ابن أخيه الملك العزيز اسم الملك لصغره واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ورسل ابن عمه أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها وبذلا له المساعدة بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق وأقام بظاهر القاهرة الى ثالث رجب ورحل فيه وتعوق فى مسيره ولو بادر وعجل المسير لملك دمشق لكنه تأخر فوصل الى دمشق ثالث عشر شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد أرسل اليه نوابه بدمشق يعرفونه قصد الافضل لهم ففارق ماردين وخلف ولده الكامل محمدا فى جميع العساكر على حصارها وسار جريدة فجد فى السير فسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومين وأما الافضل فانه تقدم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعينه طائفة يسيرة من عسكره الى دمشق من باب السلامة وسبب دخولهم ان قوما من أجناده من بيوتهم مجاورة الباب اجتمعوا بالامير مجد الدين أخى الفقيه عيسى الهكارى وتحدثوا معه فى أن يقصد هو والعسكر باب السلامة ليفتحوه لهم فأراد مجد الدين أن يختص بفتح الباب وحده فلم يعلم الافضل ولا أخذ معه أحدا من الامراء بل سار وحده بمفرده ومعه نحو خمسين فارسا من أصحابه ففتح له الباب فدخله هو ومن معه فلما رآهم عامة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم من به من الجند ونزلوا عن الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم وتماسك وأما الذين دخلوا البلد فانهم وصلوا الى باب البريد فلما رأى عسكر العادل بدمشق قلة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم وأخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمه بالميدان الاخضر وقارب عسكره الباب الحديد وهو من أبواب القلعة فقدر الله تعالى أن أشير على الافضل بالانتقال الى ميدان الحصى ففعل ذلك فقويت نفوس من فيه وضعفت نفوس العسكر المصرى ثم ان الامراء الاكراد منهم تحالفوا فصاروا يدا واحدة يغضبون لغضب أحدهم ويرضون لرضا أحدهم فظن الافضل وباقى الاسدية أنهم فعلوا بقاعدة بينهم وبين الدمشقيين فرحلوا من موضعهم وتأخر وافى العشرين من شعبان ووصل أسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل الخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثانى عشر شهر رمضان وأرادوا الزحف الى دمشق فمنعهم الملك الظاهر مكرا بأخيه وحسدا له ولم يشعر أخوه الافضل بذلك وأما الملك العادل فانه لما رأى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل عظم عليه فأرسل الى المماليك الناصرية بالبيت المقدس يستدعيهم اليه فساروا سلخ شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسير أسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامراء الى طريقهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم فجاء أولئك ودخلوا دمشق خامس رمضان فقوى العادل بهم قوة عظيمة وأيس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق فى شوال فكبسوا العسكر المصرى فوجدوهم قد حذروهم فعادوا واعقبهم خاسرين وأقام العسكر على

واوجه منه * ولا أغنى ولا أقنى منه * فلما استقر معد أبو تميم المعز بمصر خطب اليه بعض بناته على ولده أبى منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك على ما قيل انه وجد فى داره رقعة فيها

ان كنت من آل أبى طالب
فاخطب الى بعض بنى طاهر
فان رآك القوم كفؤا لهم
فى باطن الامر وفى الظاهر
فأم من سفه خوزية
بعض منها البظر بالآخر

فنسبهم الشاعر الى أمهم الخوزية بالعسكر لان كورتها خوزستان وهى أم محمد بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بأن لا واحدة من بناته الا وهى فى حبالة وتحت عقدة تفاديا من اجابته * وتحرجا من مصاهرته * فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه * وترفعا بنسبه دونه * وضع عليه يد الاستقصاء بعد أن أودعه الحبس سنين وخبطه خبط العشا * ورق السلم * وألبسه عن فضفاض الغنى غلالة العدم وهلم من بعد على يده * فقال

دمشق ما بين قوة وضعف وانتصار وتخاذل حتى أرسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل
محمد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره ان شاء الله تعالى وهو بحران فاستدعاه اليه بعسكره
فسار على طريق البر فدخل الى دمشق ثاني عشر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة فعند ذلك
رحل العسكر عن دمشق الى ذيل جبل الكسوة سابع عشر صفر واستقر أن يقيموا بحوران
حتى يخرج الشتاء فرحلوا الى رأس الماء وهو موضع شديد البرد فتغير العزم عن المقام واتفقوا
على أن يعود كل منهم الى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب وأسد الدين صاحب حمص الى
بلادهما وعاد الافضل الى مصر فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

## (ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمد)

في هذه السنة ثامن عشر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى توفي أبو يوسف يعقوب بن أبي
يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكان قد سار اليها من
مراكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسماها المهدية من أحسن البلاد وأنزهها فسار
اليها يشاهدها فتوفي بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدو ودين وحسن سيرة
وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك فعظم أمر الظاهرية في أيامه وكان
بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية منسوبون الى ابن محمد بن حزم رئيس الظاهرية
الا أنهم مغمورون بالمالكية ففي أيامه ظهروا وانتشروا ثم في آخر أيامه استقضى الشافعية
على بعض البلاد ومال اليهم

## (ذكر عصيان أهل المهدية على يعقوب وطاعتهم لولده محمد)

كان أبو يوسف يعقوب صاحب المغرب لما عاد من أفريقية كما ذكرناه سنة احدى وثمانين
وخمسمائة استعمل أبا سعيد عثمان وأبا علي يونس بن عمر اينتي وهما وأبوهما من أعيان الدولة
فولى عثمان مدينة تونس وولى أخاه المهدية وجعل قائد الجيش بالمهدية محمد بن عبد الكريم وهو
شجاع مشهور وعظمت نكايته في العرب فلم يبق منهم الا من يخافه فاتفق انه أتاه الخبر بان
طائفة من عوف نازلين بمكان فخرج اليهم وعدل عنهم حتى جازهم ثم أقبل عائدا يطلبهم وأتاهم
الخبر بخروجه اليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم أمامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير
قتال فأخذ الجميع ورجع الى المهدية وسلم العيال الى الوالي وأخذ من الاسلاب والغنيمة ما شاء
وسلم الباقي الى الوالي والى الجند ثم ان العرب من بني عوف قصدوا أبا سعيد بن عمر اينتي
فوحدوا وصاروا من حزب الموحدين واستجاروا به في رد عيالهم وأموالهم فأحضر محمد بن
عبد الكريم وأمره باعادة ما أخذه من النعم فقال أخذه الجند ولا أقدر على رده فأغلظ له في
القول وأراد أن يبطش به فاستمهله الى أن يرجع الى المهدية ويسترد من الجند ما يجده عندهم
وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فأمهله فعاد الى المهدية وهو خائف فلما وصلها جمع
أصحابه وأعلمهم ما كان من أبي سعيد وحالفهم على موافقته فحلفوا له فقبض على أبي علي يونس
وتغلب على المهدية وملكها فأرسل اليه أبو سعيد في معنى اطلاق أخيه يونس فأطلقه على اثني
عشر ألف دينار فلما أرسلها اليه أبو سعيد فرقها في الجند وأطلق يونس وجمع أبو سعيد العساكر
وأراد قصده محاصرته فارسل محمد بن عبد الكريم الى علي بن اسحق الملثم فخالفه واعتضد به

قوم غيب عن محبسه فلا
يدرى كيف صار أمره *
وأين وضع قبره * وزعم
آخرون انه هرب من الحبس
على طريق الحجاز فاحتضر
في الطريق وعند ذلك التجأ
طاهر والد الحسن المذكور
الى مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم متأمرا على أهلها
ومعه ابن عم له يعرف بأبي
علي بن طاهر ختنه على أخته
فلما مضى طاهر لسبيله ورث
أبو علي المذكور مكانه من
الامارة الى أن لحق به وورثه
ولداه * هاني ومهني دون
الحسن لاستضعافهما
اياه * وتقويهما بالحال
والمال عليه فرحل نحو
خراسان ملتجئا الى
السلطان يمين الدولة وأمين
الملة * سنة ثلاث وتسعين
وثلثمائة فلما ورد التاهرتي
بزعمه رسولا صغر الحسن
شانه * ووضع فيه لسانه *
وأبى أن يكون له نبات على
دوحة الرسالة * وانتساب
الى نبعة النبوة * وادعى
عليه الكذب وتحمل الزور
والتقول وعزاه الى فساد
الدين * واستحقاقه ضرب

فامتنع أبو سعيد من قصده ومات يعقوب وولى ابنه محمد فسير عسكرا مع عمه فى البحر وعسكرا آخر فى البر مع ابن عمه الحسن بن أبى حفص بن عبد المؤمن فلما وصل عسكر البحر الى بجاية وعسكر البر الى قسنطينة الهوى هرب الملثم ومن معه من العرب من بلاد افريقية الى الصحراء ووصل الاسطول الى المهدية فتشكا محمد بن عبد الكريم مالقى من أبى سعيد وقال أنا على طاعة أمير المؤمنين محمد ولا أسلمها الى أبى سعيد وانما أسلمها الى من يرسله أمير المؤمنين فارسل محمد من يتسلمها منه وعاد الى الطاعة

﴿ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين﴾

فى هذه السنة زال الحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل وسبب ذلك أن الملك العادل لما حصر ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها لا يبقى عليهم الا ان العجز عن منعه حملهم على طاعته فلما توفى العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كما ذكرناه وبينه وبين العادل اختلاف فارسل أخذ عسكر مصر من عنده وأرسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فلما رحل الملك العادل عن ماردين الى دمشق كما ذكرناه برز نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عنها ثانى شعبان وسار الى دنيسر فنزل عليها ووافقه ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجرشاه بن غازى بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر فاجتمعوا كلهم بدنيسر الى ان عيدوا عيد الفطر ثم ساروا عنها سادس شوال ونزلوا بحرزم وتقدم العسكر الى تحت الجبل ليرتادوا موضعا للنزول وكان أهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتى ان كثيرا منهم كان لا يطيق القيام فلما رأى النظام وهو الحاكم فى دولة صاحبها ذلك أرسل الى ابن العادل فى تسليم القلعة اليه الى أجل معلوم ذكره على شرط ان يتركهم يدخل اليهم من الميرة ما يقوتهم حسب فاجابهم الى ذلك وتحالفوا عليه ورفعوا أعلامهم الى رأس القلعة وجعل ولد العادل بباب القلعة أميرا لا يترك يدخلها من الاطعمة الا ما يكفيهم يوما بيوم فأعطى من بالقلعة ذلك الامير شيأ فمكنهم من ادخال الذخائر الكثيرة فبينما هم كذلك اذ أتاهم خبر وصول نور الدين صاحب الموصل فقويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلما تقدم عسكره الى ذيل جبل ماردين قدر الله تعالى ان الملك الكامل بن العادل نزل بعسكره من ربض ماردين الى لقاء نور الدين وقتاله ولو أقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا ازالتهم لكن نزلوا ليقضى الله أمرا كان مفعولا فلما أصحروا من الجبل اقتتلوا وكان من عجيب الاتفاق ان قطب الدين صاحب سنجار كان قد واعد العسكر العادلى أن ينهزم اذا التقوا ولم يعلم بذلك أحد من العسكر فقدر الله تعالى انه لما نزل العسكر العادلى واصطفت العساكر للقتال الجأت قطب الدين الضرورة بالزحمة الى أن وقف فى سفح جبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادلى ولا يرى الحرب الواقعة بينهم وبين نور الدين ففاته ما أراده من الانهزام فلما التقى العسكران واقتتلوا حمل ذلك اليوم نور الدين بنفسه واصطلى الحرب الناس أنفسهم بين يديه فانهزم العسكر العادلى وصعدوا فى الجبل الى الربض وأسر منهم كثير فحملوا الى بين يدى نور الدين

الوثنين * فخلى السلطان بينه وبين ما يستجيزه لنفسه ودينه * فقام الى جيده بضربة غرقته فى دم وريده * وقد كان القادر بالله أمير المؤمنين العباسى كتب الى السلطان يمين الدولة بما ترامى اليه من خبر الرسول ما يقتضيه الدين من التصلب عليه وتقديم الجد فى الانتصاف للاسلام والمسلمين منه فلما ختم أمره بما تقدم ذكره أنهى الى مجلس الخلافة صورة الحال * وكم السيف أفواه العذال * فقوبل من القبول بمقتضاه * وجزى الخير على ما أتاه وتوخاه * فكان مثل التاهرتى كما قيل

ومن يشرب السم الذعاف فانه حقيق بأنياب المنايا النواهس

*(ذكر الامير أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه وما ختم به أمره الى أن ورث السلطان مملكته) *

قد كان أبو الحسن على بن مأمون لما ورث أباه مأمونا مملكته وقد كان استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان يمين

فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظن ان الملك الكامل ومن معه يرحلون عن ماردين مسرعين فجاءهم أمر لم يكن فى الحساب فان الملك الكامل لما صعد الى الربض رأى أهل القلعة قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب فى قلوب الجميع فاجمعوا رأيهم على مفارقة الربض ليلا فرحلوا ليلة الاثنين سابع شوال وتركوا كثيرا من أثقالهم ورحالهم وما أعدوه فاخذه أهل القلعة ولو ثبت العسكر العادلى بمكانه لم يمكن أحدا أن يقرب منهم ولما رحلوا نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازى الى نور الدين ثم عاد الى حصنه وعاد أتابك الى دنيسر ورحل عنها الى رأس عين على عزم قصد حران وحصرها فاتاه رسول من الملك الظاهر يطلب الخطبة والسكة وغير ذلك فتغيرت نية نور الدين وفتر عزمه عن حصرها فعزم على العود الى الموصل فهو يقدم الى العود رجلا ويؤخر أخرى اذ أصابه مرض فحقق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وأرسل رسولا الى الملك الافضل والملك الظاهر يعتذر عن عوده بمرضه فوصل الرسول ثانى ذى الحجة اليهم وهم على دمشق وكان عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانه كان هو وكل من عنده ينتظرون ما يجىء من أخباره فان من بحران استسلموا فقدر الله تعالى انه عاد فلما عاد جاء الملك الكامل الى حران وكان قد سار عن ماردين الى ميافارقين فلما رجع نور الدين سار الكامل الى حران وسار الى أبيه بدمشق على ما ذكرناه فازداد به قوة والافضل ومن معه ضعفا

﴿ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان﴾

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروزكوه عمت الرعية والملوك والامراء وسببها ان الفخر محمد بن عمر بن الحسين الرازى الامام المشهور الفقيه الشافعى كان قدم الى غياث الدين مفارقا لبهاء الدين سام صاحب باميان وهو ابن أخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ فى اكرامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصده الفقهاء من البلاد فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة وأما الغورية فكلهم كرامية وكرهوه وكان أشد الناس عليه الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته فاتفق أن حضر الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين بفيروزكوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبه وشتمه وبالغ فى أذاه وابن القدوة لا يزيد على أن يقول لا يفعل مولانا الا وأخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضياء الدين فى هذه الحادثة وشكى الى غياث الدين وذم الفخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ غياث الدين اليه فلما كان الغد وعظ ابن عم المجد بن القدوة بالجامع فلما صعد المنبر قال بعد أن حمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أيها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلأى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وعن سنة نبيه وبكى وضج

الدولة احدى أخواته * تقوية لمدة الحال * وتسدية للحمة الوصال * فأوجب اسعافه بما استدعاه * استكفاء اياه * وتوخيا لرضاه * وزف اليه من خطبه * ووصل بأسبابه سببه * ودر التهادى بينهما حتى صارت الدار واحده * والاسرار لغير الاخلاص جاحده * وغمرت الحال على جملتها فى الاتشاج والامتزاج * الى أن قضى خوارزم شاه نحبه * ولقى بانقراض الاجل ربه * وورث أبو العباس مأمون ابن مأمون مكان أخيه * وولى ما كان يليه فكتب الى السلطان يسأله أن يعقد له على شقيقته عقده على أخيه من قبل فهو تاليه فى الطاعة بل أتم اخلاصا * وثانيه فى القربة بل أشد اختصاصا * فشفع السلطان فيه داعى الكفاء * واستجد للحال رونق الطراء * وعقد له عليها عقدا خلطه فيه بنفسه * وفرغ له فريقا من قلبه وخلبه * ومازال الامر بينهما على جملة

الناس وبكى الكرامية واستغاثوا وأعانهم من يؤثر بعد الفخر الرازى عن السلطان وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون ويجرى ما يهلك فيه خلق كثير فبلغ ذلك السلطان فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم وتقدم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها

## ﴿ذكر مسير خوارزم شاه الى الرى﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الرى وغيرها من بلاد الجبل لانه بلغه أن نائبه بها مياجق قد تغير عن طاعته فسار اليه نخافه مياجق فجعل يفر من بين يديه وخوارزم شاه فى طلبه يدعوه الى الحضور عنده وهو يمتنع فاستأمن اكثر أصحابه الى خوارزم شاه وهرب هو فحصل بقلعة من أعمال مازندران فامتنع بها فسارت العساكر فى طلبه فأخذ منها وأحضر بين يدى خوارزم شاه فامر بحبسه بشفاعة أخيه أقجة وسيرت الخلع من الخليفة لخوارزم شاه ولولده قطب الدين محمد وتقليد بما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فافتتح قلعة على باب قزوين تسمى ارسلان كشاه وانتقل الى حصار ألموت فقتل عليها صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالرى وكان قد تقدم عنده تقدما عظيما قتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن على فقتلوه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين فامر تكش ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش وهى من قلاعهم فحصرها فاذعنوا له بالطاعة وصالحوه على مائة ألف دينار ففارقها وانما صالحهم لانه بلغه خبر مرض أبيه وكانوا يراسلونه بالصلح فلا يفعل فلما سمع بمرض أبيه لم يرحل حتى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول توفى مجاهد الدين قايماز رحمه الله بقلعة الموصل وهو الحاكم فى دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتداء ولايته قلعة الموصل فى ذى الحجة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولى اربل سنة تسع وخمسين وخمسمائة فلما مات زين الدين على كوجك سنة ثلاث وستين بقى هو الحاكم فيها ومعه من يختاره من أولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلا أديبا خيرا فاضلا يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة ويحفظ من التاريخ والاشعار والحكايات شيأ كثيرا وكان كثير الصوم يصوم من كل سنة نحو أربعة اشهر وله أوراد كثيرة حسنة كل ليلة ويكثر الصدقة وكان له فراسة حسنة فيمن يستحق الصدقة ويعرف الفقير المستحق ويبرهم وبنى عدة جوامع منها الجامع الذى بظاهر الموصل بباب الجسر وبنى الربط والمدارس والخانات فى الطرق وله من المعروف شئ كثير رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية وصار شافعى المذهب وكان سبب ذلك أنه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفننا فى كثير من العلوم فاوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين أبا الفتح محمد بن محمود المروروذى الفقيه الشافعى فاوضح له مذهب الشافعى وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعيا وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنة مسجدا لهم أيضا وأكثر مراعاتهم فسعى الكرامية فى اذى

وجيه

الاشتراك والاشتباك * الى أن دعا السلطان داعى الاختبار الى سومه * اقامة الخطبة باسمه * وأنهض رسولا يتنجزه العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه * فصادف منه حرصا على الاجابه * وافتراضا لحق الطاعه * غير أنه عرض الحال فيه على من حوله من أعيان أشياعه وأتباعه * فاظهروا انفارا * وأصروا واستكبروا استكبارا * وقالوا نحن اتباعك وأطواعك * ماسلم لك الملك عن الاشتراك فأما اذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف على العواتق خلعا لك وتمليكا علينا وجهادا فيك فعاد الرسول الى السلطان بما رآه عيانا * وسمعه بغيا وعدوانا * واحس القوم بجمرة الدم * من وراء جراءتهم * على ولى نعمتهم * بالقول الفظيع * والرد الشنيع * وزعيمهم فى الامر يومئذ ينال تكين الخمارى صاحب الجيش فأوجسوا خيفه * وتوامروا على الفتك به غيله * وما زال الوافى

وجيه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك وقيل ان غياث الدين وأخاه شهاب الدين لما ملكا في خراسان قيل لهما ان الناس في جميع البلاد يزرون على الكرامية ويحتقرونهم والرأى ان تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين كان حنفيا والله أعلم وفي هذه السنة توفي أبو القاسم يحيى بن على بن فضلان الفقيه الشافعي وكان اماما فاضلا ودرس ببغداد وكان من أعيان أصحاب محمد بن يحيى نجى النيسابورى

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة)

*(ذكر ملك العادل الديار المصرية)*

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدى صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى رأس الماء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتاء فلما أقاموا برأس الماء وجد العسكر بردا شديدا لان البرد في ذلك المكان في الصيف موجود فكيف في الشتاء فتغير العزم على المقام واتفقوا على ان يعود كل انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرقوا تاسع ربيع الاول فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فأقام بها ووصلته الاخبار بأن عمه الملك العادل قد سار من دمشق قاصدا مصر ومعه المماليك الناصرية وقد حلفوه على ان يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبر للملك الى ان يكبر فساروا على هذا وكان عسكره بمصر قد تفرق عن الافضل من الخشبي فسار كل منهم الى اقطاعه ليربعوا دوابهم فرام الافضل جمعهم من أطراف البلاد فأعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع منهم الا طائفة يسيرة ممن قرب اقطاعه ووصل العادل فأشار بعض الناس على الافضل ان يخرب سور بلبيس ويقيم بالقاهرة وأشار غيرهم بالتقدم الى أطراف البلاد ففعل ذلك فسار عن بلبيس ونزل موضعا يقال له السائح في طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الآخر فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلا وفي تلك الليلة توفي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن على البيساني كاتب الانشاء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فجمع الافضل من عنده من الامراء واستشارهم فرأى منهم تخاذلا فأرسل رسولا الى عمه في الصلح وتسليم البلاد اليه وأخذ العوض عنها وطلب دمشق فلم يجبه العادل فنزل عنها الى حران والرها فلم يجبه فنزل الى ميافارقين وحانى وجبل جور فأجابه الى ذلك وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر واجتمع بالعادل وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ولما وصل الافضل الى صرخد أرسل من تسلم ميافارقين وحانى وجبل جور فامتنع نجم الدين أيوب بن الملك العادل من تسليم ميافارقين وسلم ما عداها فترددت الرسل بين الافضل والعادل في ذلك والعادل يزعم ان ابنه عصاه فأمسك عن المراسلة في ذلك لعلمه ان هذا فعل بأمر العادل ولما ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور ابن الملك العزيز في شوال من السنة وخطب لنفسه وحاقق الجند في اقطاعاتهم واعترضهم في أصحابهم ومن عليهم من العسكر المقرر فتغيرت لذلك نياتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شاء الله

*(ذكر وفاة خوارزم شاه)*

التدبير عليه * الى ان دخلوا ذات يوم اليه * على رسم السلام * فاذا هو صريع كاس الحمام * لا يدرى كيف قتل * ومن اى وجه اليه قد وصل * فبادروا الى العقد لاحد اولاده * وبسطوا ايدى الاصفاق على بيعته وعلموا ان السلطان ينهض للحادثه ويقصد قصد الانتصاف للوارثه * فتصالقوا على مقارعته ان غزاهم في عقر دارهم * وبجزاهم على مسخوط آثارهم * ولما انتهى الى السلطان خبر صنيعهم بولى نعمتهم وهو قسيم شقيقته * وحامى حقيقته * أزعجته قوة الحفاظ للانتقام من أولئك الغدرة الفجره * والمرقة الفسقه * فجاش لمناهضتهم على جمة مسجوره * وحفيظة على ابتغاء ذات الله مقصوره * وكانت سعادة أيامه قد لقنت أولئك العتاة البغاة ما أتوه استحقاقا للنقمه * وبراءة من العصمه * وتمهيدا لعذره قربا وبعدا في استخلاص مملكة كانت

في هذه السنة في العشرين من رمضان توفي خوارزم شاه تكش بن ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبالية بشهرستانة بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فأشار عليه الاطباء بترك الحركة فامتنع وسار فلما بلغ شهرستانة اشتد مرضه ومات ولما اشتد مرضه أرسلوا الى ابنه قطب الدين محمد يستدعونه ويعرفونه شدة مرض أبيه فسار اليهم وقد مات أبوه فولي الملك بعده ولقب علاء الدين لقب أبيه وكان لقبه قطب الدين وأمر بحمل أبوه ودفن بخوارزم في تربة عملها في مدرسة بناها كبيرة عظيمة وكان عادلا حسن السيرة له معرفة حسنة وعلم يعرف الفقه على مذهب ابي حنيفة ويعرف الاصول وكان ولده علي شاه باصفهان فأرسل اليه أخوه خوارزم شاه محمد يستدعيه فسار اليه فنهب أهل اصفهان خزانته ورحله فلما وصل الى أخيه ولاه حرب خراسان والتقدم على جندها وسلم اليه نيسابور وكان هندوخان ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمه محمدا فهرب منه ونهب كثيرا من خزائن جده تكش لما مات وكان معه وسار الى مرو ولما سمع غياث الدين ملك غزنة وفاة خوارزم شاه أمر ان لا تضرب نوبته ثلاثة أيام وجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة والمحاربة ففعل ذلك عقلا منه ومروءة ثم ان هندوخان جمع جمعا كثيرا بخراسان فسير اليه عمه خوارزم شاه جيشا مقدمهم جقر التركي فلما سمع هندوخان بمسيرهم هرب عن خراسان وسار الى غياث الدين يستنجده على عمه فأكرم لقاءه وانزاله وأقطعه ووعده النصرة فأقام عنده ودخل جقر مدينة مرو وبها والدة هندوخان وأولاده فاستظهر عليهم وأعلم صاحبه فأمره بارسالهم الى خوارزم مكرمين فلما سمع غياث الدين ذلك أرسل الى محمد بن جربك صاحب الطالقان يأمره ان يرسل الى جقر يتهدده ففعل وسار من الطالقان فأخذ مرو الروذ والخمس قرى وتسمى بالفارسية بنج ده وارسل الى جقر يأمره باقامة الخطبة بمرو لغياث الدين أو يفارق البلد فأعاد الجواب يتهدد ابن جربك ويتوعده وكتب اليه سرا يسأله ان يأخذ له أمانا من غياث الدين ليحضر خدمته فكتب الى غياث الدين بذلك فلما قرأ كتابه علم ان خوارزم شاه ليس له قوة فلهذا طلب جقر الانحياز اليه فقوى طمعه في البلاد وكتب الى أخيه شهاب الدين يأمره بالخروج الى خراسان ليتفقا على أخذ بلاد خوارزم شاه محمد

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في جمادى الآخرة وثب الملاحدة الاسماعيلية على نظام الملك مسعود بن علي وزير خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحا كثير الخير حسن السيرة شافعي المذهب بنى للشافعية بمرو جامعا مشرفا على جامع الحنفية فتعصب شيخ الاسلام وهو مقدم الحنابلة بها فيهم والرياسة وجمع الاوباش فأحرقه فأنفذ خوارزم شاه فأحضر شيخ الاسلام وجماعة ممن سعى في ذلك فأغرمهم مالا كثيرا وبنى الوزير ايضا مدرسة عظيمة بخوارزم وجامعا وجعل فيها خزانة كتب وله آثار حسنة بخراسان باقية ولما مات خلف ولدا صغيرا فاستوزره خوارزم شاه رعاية لحق أبيه فأشير عليه ان يستعفي فأرسل يقول اني صبي لا أصلح لهذا المنصب الجليل فيولي السلطان فيه من يصلح له الى ان أكبر فان كنت أصلح فأنا المملوك فقال خوارزم شاه لست أعفيك وأنا وزيرك فكن مراجعي في الامور فانه لا يقف منها شئ فاستحسن الناس هذا ثم ان الصبي

الى عزايا ته نازعه * ولباب الاقبال برفق سياسته قارعه * وجر الجحافل كالجبال سائره * والبحار زاخره * حتى أناخ بعقوتهم مستعينا بالله على قتالهم * واستنزالهم الى مناهل آجالهم * وشاور صاحب الجيش الخوارزمي عامة قواده في ركضة على طلائع السلطان بياتا تدهمهم بأنياب الحديد * ان لم تسلمهم للتشريد والتبديد * وطار تحت خوافي الليل حتى انقض على أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الطائي وهو طليعة السلطان في كماة العرب حين أنغض الكرى رؤسهم * وشغل برد الصباح نفوسهم * واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل * وطعنا بالرماح الذوابل * فطار الخبر الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه الى معترك الحرب وثبتت العساكر الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى أن حمي وطيس النهار جاهدين في القراع * ومجاهدين دون المساكن والرباع * ويظنون

لم تطل أيامه فتوفى قبل خوارزم شاه بيسير وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى شيخنا ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحرانى المقيم ببغداد وله ست وتسعون سنة وشهران وكان عالى الاسناد فى الحديث وكان ثقة صحيح السماع وفى ربيع الآخر منها توفى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى الكاتب لم يكن فى زمانه أحسن كتابة منه ودفن بظاهر مصر بالقرافة وكان دينا كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفك الاسارى وكان يكثر الحج والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان صلاح الدين يعظمه ويحترمه ويكرمه ويرجع الى قوله رحمهما الله

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة)

*(ذكر ملك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو وأخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها)*

قد ذكرنا قبل ملك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وانه لما فعل ذلك لم يرضه الامراء المصريون وخبثت نياتهم فى طاعته فراسلوا اخويه الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم من مصر أسلموه وصاروا معهما فقالكا البلاد وكثر ذلك حتى فشا الخبر واتصل بالملك العادل وانضاف الى ذلك ان النيل لم يزد بمصر الزيادة التى تركب الارض ليزرع الناس فكثر الغلاء فضعفت قوة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصرية نحو بانياس ليأخذها لنفسه بأمر العادل وكانت لامير كبير تركى اسمه بشارة قد اتهمه العادل فأمر جهاركس بذلك وكان أمير من أمراء العادل يعرف بعز الدين أسامة قد حج هذه السنة فلما عاد من الحج وقارب صرخد نزل الملك الافضل فلقيه وأكرمه ودعاه الى نفسه فأجابه وحلف له وعرفه الافضل جلية الحال وكان أسامة من بطانة العادل وانما حلف لينكشف له الامر فلما فارق الافضل أرسل الى العادل وهو بمصر يعرفه الخبر جميعه فارسل الى ولده الذى بدمشق يأمره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى اياس جركس وميمون القصرى صاحب بلبيس وغيرهما من الناصرية يأمرهم بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل وسمع الافضل الخبر فسار الى أخيه الظاهر بحلب مستهل جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر وكان الظاهر قد أرسل أميرا كبيرا من أمرائه الى عمه العادل فمنعه العادل من الوصول اليه وأمره بأن يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرك الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فلكها السادس والعشرين من رجب وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلمها سلخ رجب وأما الملك المعظم عيسى بن العادل المقيم بدمشق فانه سار الى بصرى وارسل الى جهاركس ومن معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه فلما طال مقامه على بصرى عاد الى دمشق وارسل الامير أسامة اليهم يدعوهم الى مساعدته فاتفق انه جرى بينه وبين البكاء الفارس بعض المماليك البكار الناصرية منافرة أغلظ له البكاء القول وتعدى الى الفعل باليد وثار العسكر جميعه على أسامة فاستنجد بميمون فأمنه وأعاده الى دمشق واجتمعوا كلهم عند الملك الظافر خضر

أن يظفروا وقد غدروا بابن رباهم فى حجور الانعام * وأرواهم من ثدى الاكرام * هيهات ان الغدر قلادة منظومة أحد طرفيها عاجل العار وثانيه آجل النار * ولم تشرق الشمس على التكميد حتى أضجعت الخيول ثم الفيول رجالا * حكوا جبالا * قد قصفت أصلابهم * وانتهبت أسلابهم * وفلقت بالسيوف هامهم * وبضعت بها أجسامهم * وانهزم الباقون فى غمر الغياض على شاطئ جيحون والصوارم من ورائهم * تخطب أرواحهم حتى اذا واقمتها نخلتها الطلا فى صداقا واستأسر زهاء خمسة آلاف حقن الله دماءهم عبرة للنظار * وعظة لامثالهم من الغدرة الغيار * وركب البخارى ظهر المامور اثلا فى الهرب ومقدرا خلاصه من العطب * ولم يدر أن فعله السوء يجزيه * واقدامه على ولى نعمته يرديه * وان حافر البغى لاخيه * ساقط لامحالة فيه * وجرت فى

ابن صلاح الدين وانزلوه من صرخد وارسلوا الى الملك الظاهر والافضل يحثونهما على الوصول اليهم والملك الظاهر يتربص ويتوقف فوصل من منبج الى حماة فى عشرين يوما وأقام على حماة يحصرها وبها صاحبها ناصر الدين محمد بن تقى الدين الى تاسع عشر شهر رمضان فاصطلحا وحمل له ابن تقى الدين ثلاثين ألف دينار صورية وساروا عنها الى حمص وساروا منها الى دمشق على طريق بعلبك فنزلوا عليها عند مسجد القدم فلما نزلوا على دمشق أتاهم المماليك الناصرية مع الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرت بين الظاهر وأخيه الافضل انهم اذا ملكوا دمشق تكون بيد الافضل ويسيرون الى مصر فاذا ملكوها تسلم الظاهر دمشق فيبقى الشام جميعه له وتبقى مصر للافضل وسلم الافضل صرخد الى زين الدين قراجة مملوك والده ليحضر فى خدمته وانزل والدته وأهله منها وسيرهم الى حمص فأقاموا عند أسد الدين شيركوه صاحبها وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل على مدينة نابلس وسير جماعة من العسكر الى دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وحضر فخر الدين جهاركس وغيره من الناصرية فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وزحفوا الى دمشق وقاتلوها رابع عشر ذى القعدة واشتد القتال عليها فالتصق الرجال بالسور فأدركهم الليل فعادوا وقد قوى الطمع فى أخذها ثم زحفوا اليها مرة ثانية وثالثة فلم يبق الا املكها الا ان العسكر صعد الى سطح خان ابن المقدم وهو ملاصق السور فلولم يدركهم الليل لملكوا البلد فلما أدركهم الليل وهم عازمون على الزحف بكرة وايس لهم عن البلد مانع حسد الظاهر أخاه الافضل فارسل اليه يقول له تكون دمشق له وبيده ويسير العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمت ان والدتى وأهلى وهم أهلك أيضا على الارض ليس لهم موضع يأوون اليه فاحسب ان هذا البلد لك تعيرنا اياه ليسكنه أهلى هذه المدة الى ان يملك مصر فلم يجبه الظاهر فى ذلك ولج فلما رأى الافضل ذلك الحال قال للناصرية وكل من جاء اليهم من الجند ان كنتم جئتم الى فقد أذنت لكم فى العود الى العادل وان كنتم جئتم الى أخى الظاهر فأنتم وهو أخبر وكان الناس كلهم يريدون الافضل فقالوا ما نريد سواك والعادل أحب الينا من أخيك فاذن لهم فى العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجة الذى أعطاه الافضل صرخد فمنهم من دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما انفسخ الامر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فترددت الرسل بينهم واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وقرى معينة من المعرة ويكون للافضل سميساط وسروج ورأس العين وحملين ورحلوا عن دمشق أول المحرم سنة ثمان وتسعين فقصد الافضل حمص فأقام بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرم وسار الافضل اليه من حمص فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها ليتسلم سميساط فتسلمها وتسلم باقى ما استقر له برأس العين وسروج وغيرها

* (ذكر ملك غياث الدين وأخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان) *

قد ذكرنا مسير محمد بن خرميل من الطالقان واستيلاءه على مرو روذ وسؤال جقر التركى نائب علاء الدين محمد خوارزم شاه بمرو أن يكون فى جملة عسكر غياث الدين ولما وصل كتاب ابن خرميل الى غياث الدين فى معنى جقر علم ان هذا انما دعاه الى الانتماء اليهم ضعف صاحبه

الزورق بينه وبين بعض أضرابه منافرة حملته على الاستيثاق منه وبعث الملاح على استقبال المعسكر بوجه الزورق فلم ينشب الا يسيرا * حتى حصل فى يد السلطان أسيرا * وأحضره السلطان مجلسه فى سائر القواد المأسورين يسأله واياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير داعيه * واجترائهم عليه من غير وناة عاتبه فرد جواب المستبسل المستقتل وأما الباقون فسقط فى أيديهم لا يدرون ماذا يردون * وذلك سنة ثمان وأربعمائة وأمر السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابى العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه وصلبهم أجمعين * عليها مع عدة ممن اتهمهم بالدين وعدهم معد الناكبين عن قصد السبيل وأمر بالكتابة على جدران تلك المقبرة بأن هذا قبر فلان بن فلان بغى عليه حشمه * واجترأ على دمه خدمه * فقبض

فارسل

فارسل الى أخيه شهاب الدين يستدعيه الى خراسان فسار من غزنة فى عساكره وجنوده وعدته
وما يحتاج اليه وكان بهراة الامير عمر بن محمد المرغنى نائبا عن غياث الدين وكان يكره خروج
غياث الدين الى خراسان فأحضره غياث الدين واستشاره فأشار بالكف عن قصدها وترك
المسير اليها فأنكر عليه ذلك وأراد ابعاده عنه ثم تركه ووصل شهاب الدين فى عساكره وعساكر
سجستان وغيرها فى جمادى الاولى من هذه السنة فلما وصلوا الى ميمنة وهى قرية بين الطالقان
وكرزبان وصل الى شهاب الدين كتاب جقر مستحفظ مرو يطلبه ليسلمها اليه فاستأذن أخاه غياث
الدين فأذن له فسار اليها فخرج أهلها مع العسكر الخوارزمى وقاتلوه فأمر أصحابه بالحملة عليهم
والجد فى قتالهم فحملوا عليهم فأدخلوهم البلد وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب أهل
البلد الامان فأمنهم وكف الناس عن التعرض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده الجميل
ثم حضر غياث الدين الى مرو بعد فتحها فأخذ جقر وسيره الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان
ابن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش وقد ذكرنا هربه من عمه خوارزم شاه محمد بن تكش الى
غياث الدين ووصاه بالاحسان الى أهلها ثم سار غياث الدين الى مدينة سرخس فأخذها صلحا
وسلمها الى الامير زنكى بن مسعود وهو من أولاد عمه وأقطعه معها نسا وابيورد ثم سار بالعساكر
الى طوس فأراد الامير الذى بها أن يمتنع فيها ولا يسلمها فأغلق باب البلد ثلاثة أيام فبلغ الخبز
ثلاثة أمناء بدينار ركنى فضج أهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين يطلب الامان فأمنه فخرج
اليه فخلع عليه وسيره الى هراة ولما ملكها أرسل الى على شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نائب
أخيه علاء الدين محمد بنيسابور يأمره بمفارقة البلد ويحذره ان أقام سطوة أخيه شهاب الدين
وكان مع على شاه عسكر من خوارزم شاه فاتفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصره وخربوا
ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها أوائل رجب
وتقدم عسكر أخيه شهاب الدين الى القتال فلما رأى غياث الدين ذلك قال لولده محمود قد سبقنا
عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون يفتحون نيسابور فيحصلون بالاسم فاحمل الى البلد ولا ترجع
حتى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغورية فلم يردهم أحد عن السور حتى اصعدوا علم
غياث الدين اليه فلما رأى شهاب الدين علم أخيه على السور قال لاصحابه اقصدوا بنا هذه
الناحية واصعدوا السور من ههنا وأشار الى مكان فيه فسقط السور وانهدم فضج الناس
بالتكبير وذهل الخوارزميون وأهل البلد ودخل الغورية البلد وملكوه عنوة ونهبوه ساعة
من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فأمر بالنداء من نهب مالا أو آذى أحدا فدمه حلال فأعاد
الناس ما نهبوه عن آخره ولقد حدثنى بعض أصدقائنا من التجار وكان بنيسابور فى هذه الحادثة
نهب من متاعى شئ من جملته سكر فلما سمع العسكر النداء ردوا جميع ما أخذوا منى وبقى لى
بساط وشئ من السكر مع جماعة فطلبته منهم فقالوا أما السكر فأكلناه فنسألك أن لا يسمع أحد
وان أردت ثمنه أعطيناك فقلت أنتم فى حل منه ولم يكن البساط مع أولئك قال فمشيت الى باب
البلد مع النظارة فرأيت البساط الذى لى قد ألقى عند باب البلد لم يجسر أحد يأخذه فأخذته
وقلت هذا لى فطلبوا منى من يشهد به فأحضرت من شهد لى وأخذته ثم ان الخوارزميين
تحصنوا بالجامع فأخرجهم أهل البلد فأخذهم الغورية ونهبوا اموالهم وأخذ على شاه بن

القمه يمين الدولة * وأمين
الملة * حتى انتصر له منهم
وصلبهم على الجذوع عبرة
للناظرين * وآية للعالمين *
وأمر من بعد بالاسرى
فوضعت الاغلال فى
أعناقهم يقادون الى غزنة
دار الملك فوجا بعد فوج
حتى اذا حصلوا بها وقد
امتلأت منهم العيون *
وغصت بهم المحابس
والسجون * من عليهم
بالافراج وفرض لهم فى
جملة سائر الحشم والاجناد
ووضعهم مواضع أمثالهم
من ديار الهند ربايا يحمون
أقطارها * وينفضون عن
وجوه العيث مناكبها
وأطرارها * وولى خوارزم
حاجبه الكبير التونتاش *
فأقام بها قامعا نجوم
الفساد * وقاطعا عروق الغى
والعناد * الى أن نضب
ماؤهم * وأذعن للسلطان
افناؤهم * واستقرت
تلك الاسباب * ودرت
الاحلاب * وذلك تقدير
العزيز العليم

*(ذكر فتح مهرة وقنوج)*

ولما فرغ السلطان يمين

خوارزم شاه وأحضر عند غياث الدين راجلا فأنكر ذلك على من أحضره وعظم الامر فيه وحضرت داية كانت لعلي شاه وقال لغياث الدين أهكذا يفعل بأولاد الملوك فقال لا بل هكذا وأخذ بيده وأقعده معه على السرير وطيب نفسه وسير جماعة الامراء الخوارزمية الى هراة تحت الاستظهار وأحضر غياث الدين ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن أبي الغوري وولاه حرب خراسان وخراجها ولقبه علاء الدين وجعل معه وجوه الغورية ورحل الى هراة وسلم علي شاه الى أخيه شهاب الدين وأحسن الى أهل نيسابور وفرق فيهم مالا كثيرا ثم رحل بعده شهاب الدين الى ناحية قهستان فوصل الى قرية فذكر له ان أهلها اسماعيلية فأمر بقتل المقاتلة ونهب الاموال وسبي الذراري وخرب القرية فجعلها خاوية على عروشها ثم سار الى كاباد وهي من المدن التي جميع أهلها اسماعيلية فنزل عليها وحصرها فارسل صاحب قهستان الى غياث الدين يشكو أخاه شهاب الدين ويقول بيننا عهد فما الذي بدا منا حتى تحاصر بلدي واشتد خوف الاسماعيلية الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوا الامان ليخرجوا منه فأمنهم وأخرجهم وملك المدينة وسلمها الى بعض الغورية فأقام بها الصلوات وشعار الاسلام ورحل شهاب الدين فنزل على حصن آخر للاسماعيلية فوصل اليه رسول أخيه غياث الدين فقال الرسول معي تقدم من السلطان فلا يجري حردان فعلته فقال لا أرحل قال اذن افعل ما أمرني قال افعل فسل سيفه وقطع اطناب سرادق شهاب الدين وقال ارحل بتقدم السلطان فرحل شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلد الهند ولم يقم بغزنة غضبا لما فعله أخوه معه

* (ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما) *

في هذه السنة أيضا تجهز نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى بلاد الملك العادل بالجزيرة حران والرها وكان سبب حركته ان الملك العادل لما ملك مصر على ما ذكرناه قبل اتفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وغيرهم على ان يكونوا يدا واحدة متفقين على منع العادل عن قصد أحدهم فلما تجدد حركة الافضل والظاهر ارسلا الى نور الدين ليقصد البلاد الجزرية فسار عن الموصل في شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمه قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى رأس العين وكان الزمان قيظا فكثرت الامراض في عسكره وكان بحران ولد العادل يلقب بالملك الفائز ومعه عسكر يحفظ البلاد فلما وصل نور الدين الى رأس العين جاءت رسل الفائز ومن معه من أكابر الامراء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بأن الصلح بدا يتم بين الملك العادل والملك الظاهر والافضل وانضاف الى ذلك كثرة الامراض في عسكره فأجاب اليه وحلف الملك الفائز ومن عنده من أكابر الامراء على القاعدة التي استقرت وحلفوا انهم يحلفون الملك العادل له فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو للملك العادل وسارت الرسل من عنده ومن عند ولده في طلب اليمين من العادل فأجاب الى ذلك وحلف له واستقرت القاعدة وأمنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل في ذي القعدة من السنة

* (ذكر ملك شهاب الدين نهروالة) *

لما سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يقم بغزنة وقصد بلاد الهند وأرسل مملوكه قطب

الدين

الدولة من مهم خوارزم وقد انضافت كاحدى أخواتها الى سائر ممالكه الموشحة بآثار ولايته * الموشعة بأصباغ عدله ورعايته * رأى أن يختم صحيفة العام * بطابع الاستقمام * اجالا للركائب والركب * وتقليبا للرأي الغزو بين جوانح القلب * فعدل الى بست كالشمس قد جنحت للشمال * وجاوزت نقطة الاعتدال * فالدنيا بها حواشي المطارف * أو عواشر المصاحف * أو عقود المخانق * أو نهود المعصرات العواتق * يدبر أعمالها * ويروي فيما صار أحى لها * الى أن أذن الله له تعالى في معاودة غزنة منشأ سحاب الفكر في غزوة تحقق اعجاز القرآن * بما تضمنه من وعد الله المنان * في اظهار دينه المرموم بسيد البشر * ومولى البدو والحضر * محمد تاج الانام * وسراج الظلام * صلى الله عليه وعلى آله الخيرة البررة الكرام * على الدين كله وإن سخطت نفوس

الدين ايبك الى نهروالة فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالا شديدا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم ومالهم فيه من الدواب وغيرها وتقدم الى نهروالة فملكها عنوة وهرب ملكها الجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انه لا يقدر على حفظها الا بأن يقيم هو فيها او يخليها من أهلها فيتعذر عليه ذلك فان البلد عظيم هو أعظم بلاد الهند وأكثرهم أهلا فصالح صاحبها على مال يؤديه اليه عاجلا وآجلا وأعاد عساكره عنها وسلمها الى صاحبها

*(ذكر ملك ركن الدين ملطية من أخيه وأرزن الروم)*

فى هذه السنة فى شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصر شاه فسار اليه وحصره أياما وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك ابن محمد بن صلتق وهم بيت قد ملكوا ارزن الروم مدة طويلة فلما سار اليها وقاربها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده وأخذ البلاد وكان هذا آخر أهل بيته ملكوا فتبارك الله الحى القيوم الذى لا يزول ملكه أبدا سرمدا

*(ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك أخيه محمود)*

فى هذه السنة توفى قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لاخيه هذا والنفور عنه قد أبعده وأنزله حصن منصور فى آخر بلادهم واتخذ مملوكا اسمه اياس فزوجه أخته وأحبه حبا شديدا وجعله ولى عهده فلما توفى ملك بعده عدة أيام وتهدد وزيرا كان لقطب الدين وغيره من أمراء الدولة فارسلوا الى أخيه محمود سرا يستدعونه فسار مجدا فوصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك أخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقى مدة محبوسا ثم شفع فيه صاحب بلاد الروم فأطلق من الحبس وسار الى الروم فصار أميرا من أمراء الدولة

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة اشتد الغلاء بالبلاد المصرية لعدم زيادة النيل وتعذرت الاقوات حتى أكل الناس الميتة وأكل بعضهم بعضا ثم لحقهم عليه وباء وموت كثيرا فى الناس وفى شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها فأثرت فى الشام آثارا قبيحة وخربت كثيرا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى وأثرت فى الساحل الشامى أثرا كثيرا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلاد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا وفيها ولد ببغداد طفل له رأسان وذلك ان جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل وفى هذه السنة فى شهر رمضان توفى أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى الحنبلى الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة فى الناس لا سيما فى العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة وفيها أيضا توفى عيسى بن نصير النميرى الشاعر وكان حسن الشعر وله أدب وفضل وكان موته ببغداد وفيها توفى العماد أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد اوله بالام المشددة وهو العماد

وضرعت خدود ورغمت معاطس وأنوف بعد ان كانت الشقة قد بعدت عليه وعلى أعوان دين الله السائرين تحت رايته * بنور هدايته * اذ كانت الهند قد تحيفت من شواها وأطرافها سبيا وانتهابا * وملكت على أربابها سهوبا وشعابا * فلم يبق الا ما اجنه ضمير قشميره * ومن دونها قباب تعصم عن كل عزيز وصغير * وتضل بينها وفود الرياح الا بخفير * واتفق أن حشر اليه من أدنى ديار ما وراء النهر الى أقصى حدوده زهاء عشرين ألفا من مطوعة الغزاة وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد * منتدبين فى ذات الله للاستشهاد * يخطبون الجنان بصداق الارواح * ويستامون الغفران بحدود الصفاح * فخرل من السلطان نفيرهم * وذمر نفوس المسلمين تكبيرهم * واقتضى رأيه أن يزحف بهم الى قنوج وهى التى أعيت الملوك الماضين غير

الكاتب الاصفهانى كتب لنور الدين محمود بن زنكى ولصلاح الدين يوسف بن أيوب رضى الله عنهما وكان كاتبا مفلقا قادرا على القول وفيها جمع عبد الله بن حمزة العلوى المتغلب على جبال اليمن جموعا كثيرة فيها اثنا عشر ألف فارس ومن الرجالة مالا يحصى كثرة وكان قد انضاف اليه من جند المعز بن اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن أيوب صاحب اليمن خوفا منه وأيقنوا بملك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الاسلام خوفا عظيما فاجتمع قواد عسكر ابن حمزة الا ليتفقوا على رأى يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثنى عشر قائدا فنزلت عليهم صاعقة أهلكتهم جميعهم فأتى الخبر ابن سيف الاسلام فى باقى الليلة بذلك فسار اليهم مجدا فأوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم فقتل منهم ستة آلاف قتيل أو أكثر من ذلك وثبت ملكه واستقر أمره وفيها وقع فى بنى عنزة بأرض الشراة بين الحجاز واليمن وباء عظيم وكانوا يسكنون فى عشرين قرية فوقع الوباء فى ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم أحد وكان الانسان اذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقيت ابلهم وأغنامهم لا مانع لها وأما القريتان الاخريان فلم يمت فيهما أحد ولا أحسوا بشئ مما كان فيه أولئك

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة)

*(ذكر ملك خوارزم شاه ما كان أخذه الغورية من بلاده)*

قد ذكرنا فى سنة سبع وتسعين ملك غياث الدين وأخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمد بن تكش بخراسان ومرو ونيسابور وغيرها وعودهما عنها بعد ان أقطعا البلاد ومسير شهاب الدين الى الهند فلما اتصل بخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش عود العساكر الغورية عن خراسان ودخول شهاب الدين الهند أرسل الى غياث الدين يعاتبه ويقول كنت أعتقد ان تخاف على بعد أبى وان تنصرنى على الخطا وتردهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا أقل من ان لا تؤذينى وتأخذ بلادى والذى أريده ان تعيد ما أخذته منى الىّ والا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الاتراك فان عجزت عن أخذ بلادى فانى انما شغلنى عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدى وتقرير أمر بلادى والا فأنا بما عجز عنكم وعن أخذ بلاد خراسان وغيرها فغالطه غياث الدين فى الجواب ليمهد الايام بالمراسلات ويخرج أخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر فان غياث الدين كان عاجزا باستيلاء النقرس عليه فلما وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين أرسل الى علاء الدين الغورى نائب غياث الدين بخراسان يأمره بالرحيل عن نيسابور ويتهدده ان لم يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك ويعرفه ميل أهل البلد الى الخوارزميين فأعاد غياث الدين جوابه يقوى قلبه ويعده النصرة والمنع عنه وجمع خوارزم شاه عساكره وسار عن خوارزم نصف ذى الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلما قارب نساوابيورد هرب هندوخان ابن أخى ملك شاه من مرو الى غياث الدين بفيروزكوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحصره وقاتله قتالا شديدا وطال مقامه عليها وراسله غير مرة فى تسليم البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك انتظارا للمدد من غياث الدين فبقى نحو شهرين فلما أبطأت عليه النجدة أرسل الى خوارزم شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغورية وانه لا يتعرض اليهم بحبس ولا غيره من الاذى فأجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد وأحسن خوارزم شاه

كشتاسب على ما يزعمه المجوس وهو كبش أقرانه * وملك الاملاك بزعمهم فى زمانه * فشار * وبين غزنة دار الملك وخطة قنوج مسيرة ثلاثة أشهر للركائب القود * والخوانف السود * فاستخار ربه وسار * وهجر النوم والقرار * واستصحب من شهد من أنصار دين الله * وأعوان حق الله * رجالا يقتحمون أشداق المنايا شوقا الى السعاده * بالشهاده * وحرصا على الموعود من الحسنى وزيادة * وعبر ماء سيحون وجيلم وجندراهة وايرايه وبيت هرنوشتلدر سالما فى سالمين * وهذه أودية تضل أعماقها عن الاوصاف * وتمتنع أطرافها على الاطراف * منها ما يغمر غوارب الفيول * فكيف كواهل الخيول * ويدهده ثقال الصخور * فكيف خفاف المطايا والظهور * صنعا من الله لمن والاه * وغرد بروحه فى استدامة رضاه * ولم يطأ مملكة من تلك الممالك الا أتاه الرسول واضعا له خد الطاعه *

اليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى فى الصلح بينه وبين غياث الدين وأخيه فأجابه الى ذلك وسار الى هراة وفيها اقطاعه ولم يمض الى غياث الدين تجنبا عليه لتأخر أمداده ولما خرج الغورية من نيسابور احسن خوارزم شاه الى الحسين بن خرميل وهو من اعيان امرائهم زيادة على غيره وبالغ فى اكرامه فقيل ان من ذلك اليوم استحلفه لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين واخيه شهاب الدين ثم سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكى فحصره اربعين يوما وجرى بين الفريقين حروب كثيرة فضاقت الميرة على اهل البلد لاسيما الحطب فأرسل زنكى خوارزم شاه يطلب منه ان يتأخر عن باب البلد حتى يخرج هو واصحابه ويترك البلد له فراسله خوارزم شاه فى الاجتماع به ليحسن اليه والى من معه فلم يجبه الى ذلك واحتج بقرب نسبه من غياث الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكى فأخذ من الغلات وغيرها التى فى المعسكر ما أراد لاسيما من الحطب وعاد الى البلد واخرج منه من كان قد ضاق به الامر وكتب الى خوارزم شاه العود احمد فندم حيث لم ينفعه الندم ورحل عن البلد وترك عليه جماعة من الامراء يحصرونه فلما ابعد خوارزم شاه سار محمد بن جربك من الطالقان وهو من امراء الغورية وارسل الى زنكى امير سرخس يعرفه انه يريد يكبس الخوارزميين لئلا ينزعج اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميون الخبر ففارقوا سرخس وخرج زنكى والتى محمد بن جربك وعسكرا فى مرو الروذ واخذا خراجها وما يجاورها فسير اليهم خوارزم شاه عسكرا مع خاله فلقيهم محمد بن جربك وقاتلهم وحمل بات فى يده على صاحب علم الخوارزمية فضربه فقتله والقى علمهم وكسر كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا اعلامهم فانهزموا وركبهم الغورية قتلا واسرا نحو فرسخين فكانوا ثلاثة آلاف فارس وابن جربك فى تسعمائة فارس وغنم جميع معسكرهم فلما سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى خوارزم وارسل الى غياث الدين فى الصلح فأجابه عن رسالته مع امير كبير من الغورية يقال له الحسين بن محمد المرغنى ومرغن من قرى الغور فقبض عليه خوارزم شاه

## *(ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها)*

لما أرسل خوارزم شاه الى غياث الدين فى الصلح وأجابه عن رسالته مع الحسين المرغنى مغالطا قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة ليحاصرها فكتب الحسين الى أخيه عمر بن محمد المرغنى أمير هراة يخبره بذلك فاستعد للحصار وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة ان رجلين أخوين ممن كان يخدم محمد السلطان شاه اتصلا بغياث الدين بعد وفاة سلطان شاه فأكرمهما غياث الدين وأحسن اليهما يقال لاحدهما الامير الحاجى فكاتبا خوارزم شاه واطمعاه فى البلد وضمنا له تسليمه اليه فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فسلم الامير عمر المرغنى أمير البلد مفاتيح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقة منه بهما وظنا منه انهما عدوا خوارزم شاه تكش وابنه محمد بعده فاتفق ان بعض الخوارزمية أخبر الحسين المرغنى عند خوارزم شاه بحال الرجلين وانهما هما اللذان يدبران خوارزم شاه ويأمرانه بما يفعل فلم يصدقه وأتاه بخط الامير حاجى فأخذه وأرسله الى أخيه عمر أمير هراة فأخذهما واعتقلهما وأخذ اصحابهما ثم ان آلب غازى وهو ابن اخت غياث الدين جاء فى عسكر من الغورية فنزل على

عارضا فى الخدمة كنه الاستطاعه * الى أن جاءه جنكى بن سمهى صاحب درب قشمير عالما بأنه بعث الله الذى لا يرضيه الا الاسلام مقبولا * أو الحسام مفلولا * فأظهر العبودية عن حاضر التوفيق * وضمن الارشاد الى الطريق وجعل يسير أمامه هاديا * ويجزع واديا فواديا * وكلما انتصف الليل آذن بالمسير خفق الطبول * واستوى أولياء الله على الخيول * يجشمون تعب الركض والسلوك * الى أن تجنح الشمس من غد للدلوك * حتى استظهروا ماءجون لعشر بقين من رجب سنة تسع وأربعمائة ومازال يفتح الصياصى والقلاع مبنية على ربود الجبال * وحروف القلال * بحيث تألم متاع الاعناق * متى شخصت اليها نواظر الاحداق * الى أن شافه قلعة برنة من ولاية هردب وهو أحد الرأيين أعنى الملوك بلغة الهند فاطلع على الارض اطلاعة وهى تموج بأنصار حق الله

خمسة فراسخ من هراة فكان يمنع الميرة عن عسكر خوارزم شاه ثم ان خوارزم شاه سير عسكرا الى أعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسن بن جربك فقاتلهم فظفر بهم فلم يفلت منهم أحد وسار غياث الدين عن فيروزكوه الى هراة فى عسكره فنزل برباط رزين بالقرب من هراة ولم يقدم على خوارزم شاه لقلة عسكره لان أكثر عساكره كانت مع أخيه بالهند وغزنة فأقام خوارزم شاه على هراة أربعين يوما وعزم على الرحيل لانه بلغه انهزام أصحابه بالطالقان وقرب غياث الدين وكذلك أيضا قرب البغازى وسمع أيضا ان شهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان وصوله اليها فى رجب من هذه السنة فخاف أن يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فأرسل الى أمير البلد عمر المرغنى فصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد وأما شهاب الدين فانه لما وصل الى غزنة بلغه الخبر بما فعله خوارزم شاه بخراسان وملكه لها فسار الى خراسان فوصل الى بلخ ومنها الى باميان ثم الى مرو عازما على حرب خوارزم شاه وكان نازلا هنالك فالتقت أوائل عسكريهما واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان خوارزم شاه ارتحل عن مكانه شبه المنهزم وقطع القناطر وقتل الامير سنجر صاحب نيسابور لانه اتهمه بالمخامرة عليه وتوجه شهاب الدين الى طوس فأقام بها تلك الشتوة على عزم المسير الى خوارزم ليحصرها فأتاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فقصد هراة وترك ذلك العزم

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة درّس مجد الدين أبو على يحيى بن الربيع الفقيه الشافعى بالنظامية ببغداد فى ربيع الاول وفيها توفيت بنفشة جارية الخليفة المستنصر بامر الله وكان كثير الميل اليها والمحبة لها وكانت كثيرة المعروف والاحسان والصدقة وفيها أيضا توفى الخطيب عبد الملك بن زيد الدولعى خطيب دمشق وكان فقيها شافعيا والدولعية قرية من أعمال الموصل

*(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة)*

*(ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها)*

فى هذه السنة فى المحرم سير الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب دمشق ومصر عسكرا مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشحنوا على أعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل وسنجار وغيرهما ونزلوا بحرزم تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعية وهى لصاحب ماردين يقطعون الميرة عن العسكر العادلى فسار اليهم طائفة من العسكر العادلى فاقتتلوا فانهزم عسكر البارعية وثار التركمان وقطعوا الطريق فى تلك الناحية وأكثروا الفساد فتعذر سلوك الطريق الا لجماعة من أرباب السلاح فسار طائفة من العسكر العادلى الى رأس العين لاصلاح الطرق وكف عادية الفساد وأقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب فى الصلح بينهم وأرسل الى عمه العادل فى ذلك فأجاب اليه على قاعدة أن يحمل له صاحب ماردين مائة وخمسين ألف دينار يجاء صرف الدينار احد عشر قيراطا من أميرى ويخطب له ببلاده ويضرب اسمه على السكة ويكون عسكره فى خدمته أى وقت طلبه وأخذ الظاهر عشرين ألف دينار من النقد المذكور وقرية القرادى من أعمال شبختان فرحل ولد العادل عن ماردين

مسومة من فوقها الترائك * ومن حولها الملائك * فتزلزلت قدمه * وأشفق من أن يستباح دمه * فرأى أن يتقى بالاسلام بأس الله وقد شهرت حدوده * ونشرت بعذبات العذاب بنوده * ونزل فى نحو عشرة آلاف منادين بدعوة الاسلام * متفادين عن ولاية الاصنام * فحقق الله تعالى ميعاده * وأحسن بفضله اسعادهم واسعاده * ثم تحرك وامتد به الوجيف بعده الى قلعة كلجند * وهو من أعلام الشياطين * وأعيان أولئك الملاعين * يدل على الملوك بعز أقعس * ويرنو الى القروم بطرف أشوس * قد قضى فى الكفر معظم عمره * وغنى بهيبة الملك وبسطة الامر عن تحشيم بيضه وسمره * ولم يقصده أحد الا ارتد عنه مفلولا * وعاد عقده عليه محلولا * عزة حال وكثرة مال * وقوة رجال وعدة اقبال * ووثاقة معاقل وحصون * وملك عن مطامع الانام ومطامح الوهن والاثلام مصون *

*(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشئ من سيرته)*

في هذه السنة في جمادى الاولى توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها وأخفيت وفاته وكان أخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة أخيه فسار الى هراة فلما وصل اليها جلس للعزاء باخيه في رجب وأظهرت وفاته حينئذ وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود ولقب بعد موت أبيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرا ولما سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الامير محمد بن جربك فسار اليه جماعة من الامراء الخوارزمية فخرج اليهم محمد ليلا وبيتهم فلم ينج منهم الا القليل وأنفذ الاسرى والرؤس الى هراة فأمر شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم على طريق الرمل وجهز خوارزم شاه جيشا وسيرهم مع برفور التركي الى قتال محمد بن جربك فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو فاقتتلوا قتالا شديدا قتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغورية ودخل محمد بن جربك مرو في عشرة فرسان وجاء الخوارزميون فحصروه خمسة عشر يوما فضعف عن الحفظ فأرسل في طلب الامان فحلفوا له ان خرج اليهم على حكمهم انهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه وأخذوا كل ما معه وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وترددت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فلم يستقر الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن أخيه الب غازي وقلد الملك علاء الدين محمد بن ابي علي الغوري على مدينة فيروز كوه وجعل اليه حرب خراسان وأمر كل ما يتعلق بالمملكة وأتاه محمود ابن أخيه غياث الدين فولاه مدينة بست واسفرار وتلك الناحية وجعله بمعزل من الملك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد أبيه ولا على غيره من أهله فمن جملة فعله ان غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنية فهويها وتزوجها فلما مات غياث الدين قبض عليها وضربها ضربا مبرحا وضرب ولدها غياث الدين وزوج أختها وأخذ أموالهم واملاكهم وسيرهم الى بلد الهند فكانوا في أقبح صورة وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها أباها وأمها وأخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم منها وأما سيرة غياث الدين وأخلاقه فانه كان مظفرا منصورا في حروبه لم تنهزم له راية قط وكان قليل المباشرة للحروب وانما كان له دهاء ومكر وكان جوادا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بنى المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعي وبنى الخانكاهات في الطرق واسقط المكوس ولم يتعرض الى مال احد من الناس ومن مات ببلده يسلم ماله الى اهل بلده من التجار فان لم يجد احدا يسلمه الى القاضي ويختم عليه الى أن يصل من يأخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلده عم احسانه اهله والفقهاء وأهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كل سنة من خزانته ويفرق الاموال في الفقراء وكان يراعي كل من وصل الى حضرته من العلويين والشعراء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خط وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها في المدارس التي بناها ولم يظهر منه تعصب على مذهب ويقول التعصب في المذاهب من الملك قبيح الا انه كان شافعي المذهب فهو يميل الى الشافعية من غير ان يطمعهم في غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم

*(ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل)*

فلما رأى السلطان قد قصد قصده * وجرد لجاهدته جهده * رتب فيوله وخيوله * ووراء غياض لو رميت بافراد الإبر * لا تقتها الارض بأوراق الشوك والشجر * وأغرى السلطان به بعض طلائع جيوشه فثاروا اليهم يخرقون تلك الآجام خرق الامشاط منابت الشعور * بل الاشافي مخارز السيور * وأعرض للسلطان طريق من فوق القلعة المذكورة فلم يرع أهلها الا البحر الاخضر * والله أكبر والسيوف لا تبقي ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقتلين وتواصلوا بالمنايا مستبسلين * والسيوف تأخذهم من فوق وقدام * وتبضعهم ما بين لحوم وعظام * وحملاتهم بينها تتصل اتصال الكعوب * وضرباتهم تتوالى توالي الغيث المصبوب * غيران الله منزل الحديد * ذي البأس الشديد * هو الذي اذا شاء قطع * واذا شاء نبا وامتنع *
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها
وتقطع احيانا مناط القلائد

في هذه السنة أخذ الظاهر غازي قلعة نجم من أخيه الافضل وكانت في جملة ما أخذ من العادل لما صالحه سنة سبع وتسعين فلما كان هذه السنة أخذ العادل من الافضل سروج وحملين ورأس العين وبقي بيده سميساط وقلعة نجم فأرسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن له انه يشفع الى عمه العادل في اعادة ما أخذ منه فلم يعطه فتهدده بان يكون الباً عليه ولم تزل الرسل تتردد حتى سلمها اليه في شعبان وطلب منه أن يعوضه قرى أو مالا فلم يفعل وكان هذا من أقبح ما سمع عن ملك يزاحم أخاه في مثل قلعة نجم مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده هو وعدمها الاخيه وأما العادل فانه لما أخذ سروج ورأس العين من الافضل أرسل والدته اليه تسأل في ردها فلم يشفعها وردها خائبة ولقد عوقب البيت الصلاحي بما فعله أبوهم مع البيت الاتابكي فانه لما قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة أرسل صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين اليه يسألانه ان يعود فلم يشفعهما فجرى لاولاده هذا وردت زوجته خائبة كما فعل ولما رأى الافضل عمه وأخاه قد أخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب ملطية وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وأن يكون في خدمته ويخطب له ببلده ويضرب السكة باسمه فاجابه ركن الدين الى ذلك وأرسل له خلعة فلبسها الافضل وخطب له بسميساط في سنة ستمائة وصار في جملته

*(ذكر ملك الكرج مدينة دوين)*

في هذه السنة استولى الكرج على مدينة دوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها وأكثروا القتل في اهلها وكانت هي وجميع بلاد اذربيجان للامير ابي بكر بن البهلوان وكان على عادته مشغولا بالشرب ليلا ونهارا لا يفيق ولا يصحو ولا ينظر في امر مملكته ورعيته وجنده قد القى الجميع عن قلبه وسلك طريق من ليس له علاقة وكان اهل تلك البلاد قد اكثرت الاستغاثة اليه واعلامه بقصد الكرج بلادهم بالغارة مرة بعد اخرى فكانهم ينادون صخرة صماء فلما حصر الكرج هذه السنة مدينة دوين سار منهم جماعة يستغيثون فلم يغثهم وخوفه جماعة من امرائه عاقبة اهماله وتوانيه واصراره على ما هو فيه فلم يصغ اليهم فلما طال الامر على اهلها ضعفوا وعجزوا واخذهم الكرج عنوة بالسيف وفعلوا ما ذكرناه ثم ان الكرج بعد ان استقر امرهم بها احسنوا الى من بقي من اهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويسهل لثغورهم من يحفظها ويحميها فانها مستباحة لاسيما هذه الناحية فانا لله وانا اليه راجعون فقد بلغنا من فعل الكرج باهل دوين من القتل والسبي والاسر ما تقشعر منه الجلود

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة احضر الملك العادل محمدا ولد العزيز صاحب مصر الى الرها وذلك انه لما قطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين كما ذكرناه خاف شيعة ابيه ان يجتمعوا عليه ويصير لهم معهم فتنة فاخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثم نقله هذه السنة الى الرها فاقام بها ومعه جميع اخوته واخواته ووالدته ومن يخصه وفيها في رجب توفي الشيخ وجيه الدين محمد بن محمود المروروذي الفقيه الشافعي وهذا الذي كان السبب في ان صار غياث الدين شافعيا وفي ربيع الاول منها توفي ابو الفتح عبيد الله بن ابي المعمر الفقيه الشافعي المعروف بالمستملي ببغداد وله خط

حسن

فان نالت من أولياء الله فلأجر الاستشهاد * وثواب المعاد * وان نبت فلاعجاز القدرة * واظهار العبرة * ليعلم ان الحكم لله في كل مخذول * ومعصوم * ومحروس ومقصوم * وظل المخاذيل يتناسون بينهم * وقد عاينوا سيوفهم نابية * وسيوف أهل الحق عليهم ماضية * وحملاتهم واهية * وحملات أهل الدين أولى وثانية * ما هؤلاء من جنس الانس * ولا من زمر البشر * هيهات ان وقع الحديد الجز في الجبال * ولا حزله في هؤلاء الابطال * حتى اذا مثل لهم شخص الطغيان * في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ما وراءهم من زخارة المياه يظنون انها تقيهم باس الانتقام * وتحميهم كأس الحمام * اولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله * وان الله يردي بكثير ماء يحيي قليله * لاجرم ان صفائح الماء * وافقت صفاح الدهماء * فأوسعوا قتلا واسارا * وأغرقوا فادخلوا نارا * واهل عدد القتلى الغرقى يزيد على خمسين الفا

حسن وفي ربيع الآخر توفيت زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله واخرجت جنازتها ظاهرة وصلى الخلق الكثير عليها ودفنت في التربة التي بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف

(ثم دخلت سنة ستمائة)

(ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية)

في هذه السنة اول رجب وصل خوارزم شاه محمد الى مدينة هراة فحصرها وبها الب غازي بن أخت شهاب الدين الغوري ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين في الصلح فلم يتم وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوور عازما على غزو الهند فاقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دائما والقتل من الفريقين كثيرا وممن قتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس وكان الحسين بن خرميل بكرزيان وهي اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له ارسل الي عسكرا اسلم اليهم الفيلة وخزانة شهاب الدين فارسل اليه ألف فارس من أعيان عسكره الى كرزيان فخرج عليهم هو والحسين بن محمد المرغني فقتلوهم الا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط ما في يديه وندم على انفاذ العسكر وارسل الى ألب غازي يطلب منه أن يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانية ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتفق ان الب غازي مرض واشتد مرضه فخاف أن يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح وأهدى له هدية جليلة وخرج من البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميتا ولم يشعر أحد بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق المجانيق وسار الى سرخس فاقام بها

(ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا)

في هذه السنة في رمضان عاد شهاب الدين الغوري الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت ألب غازي نائبه بها فعاد حنقا على خوارزم شاه فلما بلغ ميمند عدل الى طريق أخرى قاصدا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الى لاحاربك والا سرت الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس الى مرو فاقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلك تنهزم كما فعلت تلك الدفعة لكن خوارزم تجمعنا ففرق خوارزم شاه عساكره وأحرق ما جمعه من العلف ورحل يسابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق وأجرى المياه فيها فتعذر على شهاب الدين سلوكها واقام أربعين يوما يصلحها حتى أمكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوقرا ومعناه الماء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثرت القتلى فيه بين الفريقين وممن قتل من الغورية الحسين المرغني وغيره وأسر جماعة من الخوارزمية فامر شهاب الدين بقتلهم فقتلوا وأرسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينئذ أصحاب ما وراء النهر فاستعدوا وساروا الى بلاد الغورية فلما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فلقي أوائلهم في صحراء اندخوى أول صفر سنة احدى وستمائة فقتل فيهم وأسر كثيرا فلما كان اليوم الثاني دهمه من الخطا ما لا طاقة له بهم فانهزم المسلمون هزيمة قبيحة وبقي شهاب الدين في نفر يسير وقتل بيده أربعة أفيال له لانها أعيت واخذ الكفار فيلين ودخل شهاب الدين اندخوى فيمن معه وحصره الكفار ثم صالحوه

أصبحوا طعما للنسور والضبعان * وأقواتا للقاسم والحيتان * وعمد كلجند الى قتاله فأهلك بها عرسه * ثم كر فألحق بهم انفسه * واغنم الله السلطان مائة وخمسة وثمانين رأسا من الفيلة الضخام * مضافة الى سائر ما اطرد عليه حكم الاغتنام * من نعم الله الجسام * وقسمه الراجحة بالاقسام * ولما وضعت تلك الحروب أوزارها * وحلت له الغنائم أزرارها * عطف عنانه الى شط البلد * الواقع عليه اسم المتعبد * وهو الذي بناه مهرة الهند يطالع ابنيتها التي يزعم أهلها انها من صنيع الجنان * دون الانسان * ابداع أساس وسقوف * واعجاز اوساط وحروف * فرأى ما يخالف العادات * وتفتقر رواياتها الى الشهادات بل المشاهدات * بلدا مبني السور * من صم الصخور * وقد أشرع بابان منها الى الماء المحيط به موضوعة أبنيتها فوق شواخص القلال صيانة لها من مضار سيول الماء * ومغار غيوث السماء * وعن جنبتيها الف قصر شبيهة بسائر الابنية في الوثاقة مشتملة على بيوت أصنام

على أن يعطيهم فيلا آخر ففعل وخلص ووقع الخبر في جميع بلاده بانه قد عدم وكثرت الاراجيف بذلك ثم وصل الى الطالقان في سبعة نفر وقد قتل اكثر عسكره ونهبت خزائنه جميعها فلم يبق منها شئ فاخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خياما وجميع ما يحتاج اليه وسار الى غزنة وأخذ معه الحسين بن خرميل لانه قيل له عنه انه شديد الخوف لانهزامه وانه قال اذا اسار السلطان هربت الى خوارزم شاه فأخذه معه وجعله أمير حاجب ولما شاع الخبر بقتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو مملوك اشتراه شهاب الدين أصحابه وقصد قلعة غزنة ليصعد اليها فمنعه مستحفظها فعاد الى داره فاقام بها وأفسد الخلج وسائر المفسدين في البلاد وقطعوا الطرق وقتلوا كثيرا فلما عاد شهاب الدين الى غزنة بلغه ما فعله الدز فاراد قتله فشفع فيه سائر المماليك فاطلقه ثم اعتذر وسار شهاب الدين في البلاد فقتل من المفسدين من تلك الامم نفرا كثيرا وكان له أيضا مملوك آخر اسمه ايبك بال تر فسلم من المعركة ولحق بالهند ودخل المولتان وقتل نائب السلطان بها وملك البلد وأخذ الاموال السلطانية وأساء السيرة في الرعية وأخذ أموالهم وقال قتل السلطان وأنا السلطان وكان يحمله على ذلك ويحسنه له انسان اسمه عمر بن يزان وكان زنديقا ففعل ما أمره وجمع المفسدين وأخذ الاموال فاخاف الطريق فبلغ خبره الى شهاب الدين فسار الى الهند وأرسل اليه عسكرا فاخذوه ومعه عمر بن يزان فقتلهما أقبح قتلة وقتل من وافقهما في جمادى الآخرة من سنة احدى وستمائة ولما رآهم قتلى قرأ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا الآية وأمر شهاب الدين في جميع بلاده بالتجهز لقتال الخطا وغزوهم والاخذ بثارهم وقيل كان سبب انهزامه انه لما عاد الى الخطا من خوارزم فرق عسكره في المفازة التي في طريقه لقلة الماء وكان الخطا قد نزلوا على طرف المفازة فكلما خرج من أصحابه طائفة فتكوا فيهم بالقتل والاسر ومن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع اليه أحد يعلمه الحال وجاء شهاب الدين في ساقة العسكر في عشرين ألف فارس ولم يعلم الحال فلما خرج من البرية لقيه الخطا مستريحين وهو ومن معه قد تعبوا وأعيوا وكان الخطا أضعاف أصحابه فقاتلهم عامة نهاره وحمى نفسه منهم وحصروه في اندخوي تجري بينهم في عدة أيام اربعة عشر مصافا منها مصاف واحد كان من العصر الى بكرة الغد ثم انه بعد ذلك سير طائفة من عسكره ليلا سرا وأمرهم أن يرجعوا اليه بكرة كأنهم قد أتوه مددا من بلاده فلما فعلوا ذلك خافه الخطا وقال لهم صاحب سمرقند وكان مسلما وهو في طاعة الخطا وقد خاف على الاسلام والمسلمين ان هم ظفروا بشهاب الدين فقال لهم ان هذا الرجل لا تجد قط أضعف منه لما خرج من المفازة ومع ضعفه وتعبه وقلة من معه لم نظفر به والامداد أتته وكأنكم بعساكره وقد أقبلت من كل طريق وحينئذ نطلب الخلاص منه فلا نقدر عليه والرأي انا الصلح معه فاجابوا الى ذلك فارسلوا اليه في الصلح وكان صاحب سمرقند قد أرسل اليه وعرفه الحال سرا وأمره باظهار الامتناع من الصلح أولا والاجابة اليه أخيرا فلما أتته الرسل امتنع واظهر القوة بانتظار الامداد وطال الكلام فاصطلحوا على ان الخطا لا يعبرون النهر الى بلاده ولا يعبر الى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد الى بلاده والباقي نحو ما تقدم

قد هندمت مفاصل اعراقها بمسامير تساوي سطوح البناء * وتواري ما وراءها من الحزوز وتحت الخفاء * وفي صدر البلد بيت أصنام يحكي اخوانه أو احسن * ويجري مجرى أضرابه بل أتقن * لا يهتدي الكتاب بأقلام الدواة * ولا النقاشون بأطراف الخامات * الى أمثالها تحسينا وتزويقا * ونقوشا تختطف الابصار بريقا * وكان فيما كتب السلطان به انه لو أراد مريد أن يبني ما يعادل هذه الابنية لعجز عنه بانفاق مائة ألف ألف درهم في مدة مائتي سنة على أيدي عملة كملة * ومهرة سحرة * وفي جملة الاصنام خمسة من الذهب الاحمر مضروبة على قدر خمسة أذرع في الهواء منصوبة * قد ألقمت عينا واحد منها ياقوتتين لو سيم مثلهما على السلطان لاستاعه بخمسين ألف دينار استرخاصا * ولم يستثن فيه دركا ولا خلاصا * وعلى آخر قطعة ياقوت أزرق ريا من ريق الماء * وبريق البهاء * تتزن أربعمائة وخمسين مثقالا * وخرج

## ﴿ذكر قتل طائفة من الاسماعيلية بخراسان﴾

فى هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغورى من عند مقدم الاسماعيلية بخراسان برسالة انكرها فامر علاء الدين محمد بن أبى على متولى بلاد الغورية بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار فى عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزمشاه ونزل علاء الدين على مدينة قاين وهى للاسماعيلية وحصرها وضيق على أهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين على ما نذكره فصالح أهلها على ستين ألف دينار ركنية ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فاخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرية ورحل الى هراة ومنها الى فيروزكوه

## ﴿ذكر ملك القسطنطينية من الروم﴾

فى هذه السنة فى شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينية من الروم وأزالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم بها تزوج أخت ملك أفرنسيس وهو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا ثم وثب على الملك أخ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدس فاخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصدا لاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع فى سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه فى عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيها وكان بالقسطنطينية من الروم من يريد الصبى فالقوا النار فى البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من أبواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك فى ذلك الصبى وليس له من الحكم شئ وأخرجوا أباه من السجن انما الفرنج هم الحكام فى البلد فثقلوا الوطأة على أهله وطلبوا منهم أموالا عجزوا عنها وأخذوا أموال البيع ومافيها من ذهب ونقرة وغير ذلك حتى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الاناجيل من ذلك أيضا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبا اعظيما فعمدوا الى ذلك الصبى الملك فقتلوه وأخرجوا الفرنج من البلد وأغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك فى جمادى الاولى سنة ستمائة فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضعفوا ضعفا كثيرا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين ألفا ولعظم البلد لا يظهر أمرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فاصبح الروم كلهم ما بين قتيل أو فقير لا يملك شيأ ودخل جماعة من أعيان الروم الكنيسة العظمى التى تدعى سوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسلون بها الى الفرنج ليبقوا

من وزن قدمى أحد الاصنام المذكورة أربعة آلاف وأربعمائة مثقال * وكانت جملة الذهبيات الموجودة عن اجرام الاشخاص المنصوبة ثمانية وتسعين ألفا وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات منها على مائتى قطعة لم يمكن وزنها الابعد التفصيل والعرض على كفف المعايير * وأمر السلطان بسائر بيوت الاصنام فضربت بالنفط والضرام * وجعلت سقوفها مواطئ الاقدام * وسار من بعد قد مايروم قنوج * وقد اشتق له الفال من تصحيفه فتوحا * وعده صنعا من الله ممنوحا * وخلف وراءه معظم العسكر طمعا لراجيبال ملكها فى الثبات لخفة الزحام * وتقبيحا له قبل اللقاء صورة الانهزام * اذ كان أمراء الهند على غاب رقابها * وقوة أسبابها وأصحابها * اطواعا لرأى قنوج اعتزازا بمكانه * واغترارا بفخامة شانه * ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع الا وضعها بالارض وعرض أهلها على الاسلام أو السيف * وحاز من السبايا والنهاب * والنعم الرغاب * ما يعجز أنامل

عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم أجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وهو شيخ أعمى اذا ركب تقاد فرسه والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والآخر يقال له كندا فلند وهو أكثرهم عددا فلما استولى على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كندا فلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة عليه ملكوه عليها وعلى ما يجاورها وتكون لدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التي هي شرقي الخليج مثل أزنيق ولاذيق فلم يحصل لاحد منهم شئ غير الذي أخذ القسطنطينية وأما الباقي فلم يسلم من به من الروم واما البلاد التي كانت لملك القسطنطينية شرقي الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها ازنيق ولاذيق فانها تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه لشكري وهي بيده الى أن توفي

﴿ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادلية﴾

في هذه السنة في العشرين من شوال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادلية وسبب ذلك ان نور الدين كان بينه وبين عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وحشة مستحكمة اولا فاتفقا وسار معه الى ميافارقين سنة خمس وتسعين وقد ذكرناه فلما كان الآن أرسل الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له فلما سمع نور الدين ذلك سار الى مدينة نصيبين سلخ شعبان وهي لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فبينما هو يحاصرها وقد أشرف على أن يتسلمها أتاه الخبر ان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي صاحب اربل قد قصد أعمال الموصل فنهب نينوى وأحرق غلاتها فلما بلغه ذلك من نائبه المرتب بالموصل يحفظها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ونهبه جزاء بما فعل صاحبه ببلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفر الدين الى بلده وتحقق نور الدين ان الذي قيل له وقع فيه زيادة فسار الى تل أعفر من بلد وهي لصاحب سنجار وحصرها وأخذها ورتب أمورها وأقام عليها سبعة عشر يوما وكان الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب قد سار من مدينة حران الى رأس عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اتفق هو ومظفر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من أخذ شئ من بلاده وكلهم خائفون منه ولم يمكنهم الاجتماع وهو على نصيبين فلما فارقها نور الدين سار الاشرف اليها وأتاه أخوه نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعا قريبا من بوشرى وسار نور الدين من تل أعفر الى كفر زمار وعزم على المطاولة ليتفرقوا فأتاه كتاب من بعض مماليكه يسمى جرديك وقد أرسله يتجسس أخبارهم فيقللهم في عينه ويطمعه فيهم ويقول ان أذنت لي لقيتهم بعفردي فسار حينئذ نور الدين الى بوشرى فوصل اليها من الغد الظهر وقد تعبت دوابه وأصحابه ولقوا شدة من الحر فنزل بالقرب منهم أقل من ساعة وأتاه الخبران عساكر الخصم قد ركبوا

الحساب * ووصل ثامن شعبان الى قنوج * وقد فارقها راجيبال حين سمع باقدامه فراق من لا يرى الهزيمة عنه عارا ولا يعتقد الفضيحة بها شنارا * وعبر السلطان الماء المسمى كنك * وهو الذي يتواصف الهنود قدره وشرفه * ويرون من عين الخلد في السماء مغترفه ان أحرق منهم ميت ذروه فيه بعظامه * وظنوه طهرة لآثامه * وربما أتاه الناسك من بعيد فغرق نفسه فيه * يرى ان ذلك ينجيه * وهو في العاجل يرديه * وفي الآجل بما ليه ويخزيه * ثم لا يبقيه ولا يحميه * وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي سبع مرضوعة على الماء المذكور * كالبحر المسجور * وفيها قريب من عشرة آلاف بيت للاصنام يزعم المشركون انها متوارثة لهم منذ مائتي ألف سنة الى ثلثمائة ألف سنة كذبا وزورا * وقولا مزورا * وعدولا عن سنن الهدى وكفورا * وبحسب قدمها كانت عبادتهم لها * واجهاشهم بالدعوات اليها * وقد شرد عنها اكثر أهلها خيفة الايم واليتم * وحاول التنكير

فركب هو وأصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم أثرا فعاد الى خيامه ونزل هو وعساكره وتفرق كثير منهم فى القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فجاءه من أخبره بحركة الخصم وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدموا اليهم وبينهم نحو فرسخين فوصلوا وقد ازداد تعبهم والخصم مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم يطل الحرب بينهم حتى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو أيضا وطلب الموصل فوصل اليها فى أربعة أنفس وتلاحق الناس وأتى الاشرف ومن معه فنزلوا فى كفرزمار ونهبوا البلاد نهبا قبيحا وأهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيما مدينة بلد فانهم أفحشوا فى نهبها ومن أعجب ما سمعنا ان امرأة كانت تطبخ فرأت النهب فالقت سوارين كانتا فى يديها فى النار وهربت فجاء بعض الجند ونهب ما فى البيت فرأى فيه بيضا فأخذه وجعله فى النار ليأكله فحركه فرأى السوارين فيها فأخذهما وطال مقامهم والرسل تتردد فى الصلح فوقف الامر على اعادة تل اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاولى وتوقف نور الدين فى اعادة تل اعفر فلما طال الامر سلمها اليهم واصطلحوا أوائل سنة احدى وستمائة وتفرقت العساكر من البلاد

*(ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلاد الاسلام والصلح معهم)*

فى هذه السنة خرج كثير من الفرنج فى البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك ملكهم قسطنطينية وأرسوا بعكا وعزموا على قصد البيت المقدس حرسه الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكا ساروا فنهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحى الاردن وسبوا وفتكوا فى المسلمين وكان الملك العادل بدمشق فأرسل فى جمع العساكر من بلاد الشام ومصر وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا وأغاروا على كفر كنا فأخذوا كل من بها وأموالهم والامراء يحثون العادل على قصد بلادهم ونهبها فلم يفعل فبقوا كذلك الى أن انقضت السنة وذلك سنة احدى وستمائة فاصطلح هو والفرنج على دمشق وأعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من المناصفات فى الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فقاتلهم وكان فى قلة فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج

*(ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش)*

قد ذكرنا قبل تغلب كوكجة مملوك البهلوان على الرى وهمذان وبلد الجبل وبقى الآن وكان قد اصطنع مملوكا آخر كان للبهلوان اسمه ايتغمش وقدمه وأحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك وغيرهم ثم قصد كوكجة فتصافا واقتتل الفريقان فقتل كوكجة فى الحرب واستولى ايتغمش على البلاد وأخذ معه أوزبك بن البهلوان له اسم الملك وايتغمش هو المدبر له والقيم بأمر المملكة وكان شهما شجاعا ظالما وكان كوكجة عادلا حسن السيرة رحمه الله

*(ذكر وفاة ركن الدين بن قلج ارسلان وملك ابنه بعده)*

وفى هذه السنة سادس ذى القعدة توفى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطية وقونية وكان موته بمرض القولنج فى سبعة أيام وكان قبل مرضه بخمسة أيام قد غدر بأخيه صاحب انكورية وتسمى

بالهتهم الصم البكم * فمن بين ناج أغاثه نجاؤه * وتالو أباده تواؤه * ولم يحمه من سيوف الحق أرضه ولا سماؤه * ففتحها كلها فى يوم واحد ثم أباحها لاهل عسكره يتناهبونها طلقا حلالا * ويتناوبونها اوقيا واذلالا * وركض منها الى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم حى لقاح * وعتاة ما لهم عن الفساد فى تلك البلاد براح * فثبتوا للقراع أشباه العفاريت عارجه * والشياطين ماردة أو مارجه * حتى اذا أعوزهم الثبات * وأعجزهم النجاة * وعلموا أن ليست لهم بالمسلمين طاقه * وان دماءهم لا شك مهراقه * تهاووا من غرفات الجدران * وشرفات البنيان * على شبا الرماح * وظبا الصفاح * استخفافا بالنفوس والارواح * واستسلاما لامر الله المتاح * لاجرم ان السيوف أشربت الارض دماءهم * وأطعمت النسور أشلاءهم * كذلك المنايا أصهار من خطب اليها لم ترله ردا *

أيضا أنقرة وهي مدينة منيعة وكان مشاقا فقال ركن الدين فحصره عدة سنين حتى ضعف وقلت الاقوات عنده فأذعن بالتسليم على عوض يأخذه فعوضه قلعة في أطراف بلاده وحلف له عليها فنزل أخوه عن مدينة أنقرة وسلمها ومعه ولدان له فوضع ركن الدين عليه من أخذه وأخذ أولاده معه فقتله فلم يمض غير خمسة أيام حتى أصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده قلج أرسلان وكان صغيرا فبقي في الملك الى بعض سنة احدى وستمائة وأخذ منه على مانذكره هنالك وكان ركن الدين شديدا على الاعداء قيما بأمر الملك الا ان الناس كانوا ينسبونه الى فساد الاعتقاد كان يقال انه يعتقد ان مذهبه مذهب الفلاسفة وكان كل من يرمى بهذا المذهب يأوي اليه ولهذه الطائفة منه احسان كثيرا الا انه كان عاقلا يحب ستر هذا المذهب لئلا ينفر الناس عنه حكى لي عنه انه كان عنده انسان وكان يرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يوما عنده فقيه فتناظرا فأظهر شيأ من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه اليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين يجري على مثل هذا في حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلمت لقتلنا جميعا ولا يمكن اظهار ماتريده أنت

*(ذكر قتل الباطنية بواسط)*

في هذه السنة في رمضان قتل الباطنية بواسط وسبب كونهم بها وقتلهم انه ورد اليها رجل يعرف بالركن محمد بن طالب بن عصية وأصله من القاروب من قرى واسط وكان باطنيا ملحدا ونزل مجاور الدور بني الهروي وغشيه الناس وكثر أتباعه وكان ممن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابوني فاتفق أنه اجتاز بالسويقة فكلمه رجل نجار في مذهبهم فرد عليه الصابوني ردا غليظا فقام اليه النجار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا من وجدوا ممن ينتسب الى هذا المذهب وقصدوا دار ابن عصية وقد اجتمع اليه خلق من أصحابه وأغلقوا الباب وصعدوا الى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا اليهم من بعض الدور ومن على السطح وتحصن من بقي في الدار باغلاق الابواب والمدارق فكسروها ونزلوا فقتلوا من وجدوا في الدار وأحرقوا وقتل ابن عصية وفتح الباب وهرب منهم فقتلوا وبلغ الخبر الى بغداد وانحدر فخر الدين أبو البدر بن أمسينا الواسطي لاصلاح الحال وتسكين الفتنة

*(ذكر استيلاء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت)*

في هذه السنة استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميري على مدينة مرباط وظفار وغيرهما من حضرموت وكان ابتداء أمره انه له مركب يكريه في البحر للتجار ثم وزر لصاحب مرباط وفيه كرم وشجاعة وحسن سيرة فلما توفي صاحب مرباط ملك المدينة بعده وأطاعه الناس محبة له لكرمه وسيرته ودامت أيامه بها فلما كان سنة تسع عشرة وستمائة خرب مرباطا وظفارا وبنى مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وعندها عين عذبة كبيرة أجراها الى المدينة وعمل عليها سورا وخندقا وحصنها وسماها الاحمدية وكان يحب الشعر ويكثر الجائزة عليه

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة خرج اسطول من الفرنج الى الديار المصرية فنهبوا مدينة فوة وأقاموا خمسة أيام يسبون وينهبون وعساكر مصر مقابلهم بينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم لم تكن لهم

سفن

ولم تجد من انكاحه بدا * وأخذ السلطان على تفيئة ذلك نحو قلعة آسي وصاحبها المعروف بجندال بهور أحد أنياب الهنود * وأرباب الجنود * ولم يزل ذا منعة بالملك وسعة في الملك فعرض له رأى قنوج منازعا * ومادة الحرب مكاوحا ومقارعا * فلم يزد أن أتعب أولياءه * ونكل على الخيبة وراءه * وقد أحاط بهذه القلعة غياض متكاثفة * كأعراف الجياد ومتداخلة * كأشعار الحداد * لاتنساب الافاعي بينها للرقاه * ولا يستنير البدر عندها للسراه * وقد أحاطت بها خنادق قعيرات الحفائر * فسيحات الدوائر * احاطة الثور بالثريا فماله عنها انفراج * ولا لهادونه انعراج * فلما شعر المذكور بزحف السلطان اليه في كواكب دولته * ومواكب جملته * فقد قلبه فرط الحذار * وجس نبضه فاذا هو ذنب الفار * ورأى الموت فاغرا فاه * فلم يملك الا أن يوليه قفاه * فأمر

سفن وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخربت من مدينة صور سورها وأثرت فى كثير من الشام وفيها فى رجب اجتمع جماعة من الصوفية برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفى اسمه أحمد بن ابراهيم الدارى من أصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مغن يغنى بقول الشعر

أعاذلتى أقصرى * كفى بمشيبى عذل

شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل

وحق ليالى الوصال * وآخرها والاول

وصفرة لون المحب عند استماع العذل

لئن عاد عيشى بكم * حلا العيش لى واتصل

فتحرك الجماعة عادة الصوفية فى السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد ثم سقط مغشيا عليه فحركوه فاذا هو ميت فصلى عليه ودفن وكان رجلا صالحا وفيها توفى أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلى الفقيه الشافعى باصفهان فى صفر وكان اماما فاضلا وفى رمضان منها توفى قاضى هراة عمدة الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوى وولى بعده ابنه صاعد

(ثم دخلت سنة احدى وستمائة)

*(ذكر ملك كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن أخيه)*

فى هذه السنة فى رجب ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم التى كانت بيد أخيه ركن الدين سليمان وكان سبب ملك غياث الدين لها أن ركن الدين كان قد أخذ ما كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونية فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولا وقصر به فسار من عنده وتقلب فى البلاد الى ان وصل الى القسطنطينية فأحسن اليه ملك الروم وأقطعه وأكرمه فأقام عنده وتزوج بابنة بعض البطارقة الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينية فلما ملك الفرنج القسطنطينية هرب غياث الدين الى حميه وهو بقلعته فأنزله عنده وقال له نشترك فى هذه القلعة ونقنع بدخلها فأقام عنده فلما مات أخوه سنة ستمائة كما ذكرناه اجتمع الامراء على ولده وخالفهم الاتراك الاوج وهم كثير بتلك البلاد وأنفوا من اتباعهم وأرسل الى غياث الدين يستدعيه اليه ليملكه البلاد فسار اليه فوصل فى جمادى الاولى اجتمع به وكثر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فأخرجوا اليه طائفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقى حيران لا يدرى أين يتوجه فقصد بلدة صغيرة يقال لها أوكرم بالقرب من قونية فقدر الله تعالى ان أهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالى فأخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلما سمع أهل قونية بما فعله أهل اقصرا قالوا نحن أولى بفعل هذا لانه كان حسن السيرة فيهم لما كان ملكهم فنادوا باسمه أيضا وأخرجوا من عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة وقبض ابن أخيه ومن معه وآتاه الله الملك وجمع له البلاد جميعها فى ساعة واحدة فسبحان من اذا أراد أمرا هيأ أسبابه وكان أخوه قيصرشاه الذى كان صاحب ملطية

بقلع قلعته من اصولها وتعويرها * على من بهم آنفا جلولها * وقفى آثاره بعفاريت أنصاره * ينهبون ويغنمون * ويقتلون ويأسرون * حتى علم الكافرون * انهم هم الخاسرون * وكان المخذول يرى ان أعوانه من كماة المقانب * وحماة الاشاهب ورماد الكتائب * حتى رأى عسكر السلطان بين ثلاث المشاعب * وآثارهم بالقنا والقواضب * والقسى المواطر كالسحائب * فعلم أن ضرب اللاعب * خلاف ضرب الثائر الغالب * وقوس المحلج غير قوس الناشب * ولما فصل السلطان أمر جندال وأذاقه فى مهربه الداء العضال * عطف على جندراى أحد أكابر الهند فى قلعة شروة وهو يظن بنفسه ان القائل يعنيه بقوله
عطست بأنف شامخ وتناولت
يداى الثريا قاعدا غير قائم
قد ذهب بها عن أن يعطى غير مقاده * أو يألف غير التعزز عاده * وكانت

لما أخذها ركن الدين منه سنة سبع وتسعين خرج منها وقصد الملك العادل أبا بكر بن أيوب لانه كان زوج ابنته مستنصرا به فأمره بالمقام بمدينة الرها فأقام بها فلما سمع بملك أخيه غياث الدين سار اليه فلم يجد عنده قبولا انما أعطاه شيأ وأمره بمفارقة البلاد فعاد الى الرها وأقام بها فلما استقر ملك غياث الدين سار اليه الافضل صاحب سميساط فلقيه بمدينة قيسارية وقصده أيضا نظام الدين صاحب خرت برت وصار معه فعظم شأنه وقوى أمره

*(ذكر حصر صاحب آمد خرت برت ورجوعه عنها)*

كانت خرت برت لعماد الدين بن قرا ارسلان فمات وملكها بعده ابنه نظام الدين أبو بكر والتجأ الى ركن الدين بن قلج ارسلان وبعده الى أخيه غياث الدين ليمتنع به من ابن عمه ناصر الدين محمود ابن محمد بن قرا ارسلان فامتنع به وكان صاحب آمد ملتجئا الى الملك العادل وفى طاعته وحضر مع ابنه الملك الاشرف قتال صاحب الموصل على شرط أنه يسير معه عساكره ويأخذ له خرت برت وانما طمع فيها بموت ركن الدين فلما دخلت هذه السنة طلب ما كان استقر الامر عليه فسار معه الملك الاشرف وعساكر ديار الجزيرة من سنجار وجزيرة ابن عمر والموصل وغيرها وكان نزولهم عليها فى شعبان وفى رمضان تسلموا ربضها وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدين بعد أن ملك البلاد الرومية وصار معه فى طاعته فلما نزل صاحب آمد على خرت برت خاطب صاحبها غياث الدين يستنجده بعسكر يرحلهم عنه فجهز عسكرا كثيرا عدتهم ستة آلاف فارس وسيرهم مع الملك الافضل صاحب سميساط فلما وصل العسكر الى ملطية فارق صاحب آمد ومن معه من خرت برت ونزلوا الى الصحراء وحصروا الجبيرة المعروفة بجبيرة سمنين وبها حصنان أحدهما لصاحب آمد والآخر لصاحب خرت برت فحصره وزاحفه فملكه ثانى ذى الحجة ووصل صاحب خرت برت مع العسكر الرومى الى خرت برت فرحل صاحب آمد عن الجبيرة وقوى الحصن الذى ملكه فيها فأزاح علته ورحل الى خلف مرحلة ونزل وترددت الرسل والعسكر الرومى يطلب اعادة الجبيرة وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلما طال الامر بقى الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران وعاد كل فريق الى بلاده

*(ذكر الفتن ببغداد)*

فى سابع عشر شعبان جرت فتنة ببغداد بين أهل باب الازج وأهل المأمونية وسببها ان أهل باب الازج قتلوا سبعا وأرادوا أن يطوفوا به فمنعهم أهل المأمونية فوقعت الفتنة بينهما عند البستان الكبير فجرح منهم خلق كثير وقتل جماعة وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة فجرح فرسه فعاد فلما كان الغد سار أهل المأمونية الى باب الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتال بالسيوف والنشاب واشتد الامر فنهبت الدور القريبة منهم وسعى الركن بن عبد القادر ويوسف فى تسكين الناس وركب الاتراك فصاروا يبيتون تحت المنظرة فامتنع أهل الفتنة من الاجتماع فسكنوا وفى العشرين منه جرت فتنة بين أهل قطفتا والقرية من محال الجانب الغربى بسبب قتل سبع أيضا أراد أهل قطفتا ان يجتمعوا ويطوفوا به فمنعهم أهل القرية ان يجروا به عندهم فاقتتلوا وقتل بينهم عدة قتلى فأرسل اليهم عسكر من الديوان لتلافى الامر ومنع الناس عن الفتنة فامتنعوا وفى تاسع رمضان كانت فتنة بين أهل سوق السلطان

فى غابر الايام بينه وبين بروجيال مناوشات تجاحش عن خيوط الرقاب فدامت حتى استلحمت رجالا واصطلمت أبطالا فأبطالا * ثم قام دست الحرب بينهما فاضطرا الى التوادع والتكاف * حقنا للدماء وصونا للاطراف * وخاطب بروجيال اليه ابنته على ابنه بجيال استدامة للالفه * واماطه للفرقه * واستدفاعا للشر والفساد * واستبقاء للسيوف فى الاغماد * وسرح ابنه اليه على تنجزه عقد الوصله وشرط الانتاج فى اللحمه * والاشتراك فى البيت والنعمه * فلما حصل الختن فى يده * جعله تحت قده وقيده * وطالبه بعوض ماذهب له على والده فعجز بروجيال عن قصد قلعته * وانقباض بيضته * واستخلاص ابنه من اسار محنته * غير أن المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى أن طلعت رايات السلطان يمين الدولة على تلك الحدود * وسفر صنيع

والجعفرية منشؤها ان رجلين من المحلتين اختصما وتوعد كل واحد منهما صاحبه فاجتمع أهل المحلتين واقتتلوا فى مقبرة الجعفرية فسير اليهم من الديوان من تلافى الامر وسكنه فلما كثرت الفتن رتب أمير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كثيرة فطاف فى البلد وقتل جماعة ممن فيه شبهة فسكن الناس

*(ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام)*

فى هذه السنة أغارت الكرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فأكثروا العبث والفساد والنهب والسبى ثم أغاروا على ناحية خلاط من ارمينية فأوغلوا فى البلاد حتى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم أحد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون وكلما تقدموا تأخرت عساكر المسلمين منهم ثم انهم رجعوا فالله تعالى ينظر الى الاسلام وأهله وييسر لهم من يحمى بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزو أعداهم  وفيها أغارت الكرج على بلاد خلاط فأتوا الى ارجيش ونواحيها فنهبوا وسبوا وخربوا البلاد وساروا الى حصن التين من اعمال خلاط وهو مجاور لارزن الروم فجمع صاحب خلاط عسكره وسار الى طغل شاه ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على الكرج فسير عسكره جميعه معه فتوجهوا نحو الكرج فلقوهم وتصافوا واقتتلوا فانهزمت الكرج وقتل زكرى الصغير وهو من أكابر مقدميهم وهو الذى كان مقدم هذا العسكر من الكرج والمقاتل بهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراع وغير ذلك وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا كذلك وعاد الى بلاده

*(ذكر الحرب بين أمير مكة وأمير المدينة)*

وفى هذه السنة أيضا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسينى أمير مكة وبين الامير سالم بن قاسم الحسينى أمير المدينة ومع كل واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالا شديدا وكانت الحرب بذى الحليفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلى عندها ودعا وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكة فحصره بها فارسل قتادة الى من مع سالم من الامراء فأفسدهم عليه فمالوا اليه وحالفوه فلما رأى سالم ذلك رحل عنه عائدا الى المدينة وعاد أمر قتادة قويا

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قطعت خطبة ولى العهد وأظهر خط قرئ بدار الوزير نصير الدين بن مهدى الرازى واذ هو خط ولى العهد الامير أبى نصر ابن الخليفة الى أبيه الناصر لدين الله أمير المؤمنين يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الاقالة وشهد عدلان انه خطه وان الخليفة أقاله وعمل بذلك محضر شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء وفى هذه السنة ولدت امرأة ببغداد ولدا له رأسان وأربع أرجل ويدان ومات فى يومه  وفيها أيضا وقع الحريق فى خزانة السلاح التى للخليفة فاحترق فيها منه شئ كثير وبقيت النار يومين وسار ذكر هذا الحريق فى البلدان فحمل الملوك من السلاح الى بغداد شيأ كثيرا وفى هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعا كاملا فلما سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سراخرب كثيرا من البلد ورمى من حصنه قطعة عظيمة وجاء بعده برد شديد أهلك الثمار فلم يكن بها تلك السنة شئ

الله له فى المقصود بعد المقصود * فأما بروجيبال فلحق ببهوجيذ وأحد المتعززين بحصانة المعاقل * وحزونة المداخل * وخشونة المواقل * خلاصا بمهجته * واعتياصا بزعمه على من هم باقتصاص أثره وأما جندراى فانه استعد للمدافعه * واحتشد للممانعه * اعتزازا بوثاقة قلعته * ولو ثبت لاقتلعته وادلالا بمنعته * ولو وقف لاختلعته * فراسله بهيال بأن محمودا ليس من جنس أكابر الهنود * وأمراء رجالهم السود * ان السلامة من مثله تغنم * والجيش باسمه وباسم أبيه يستهزم * وقد رأينا من كان أقوى منك حكمه * وأعلى أكمه لم يقم لضربة من ضربات حدوده * ولم يقف بهضبة من هضبات جنوده * فان أردت الانتصاح فشأنك أو الخلاص فامض ما استطعت مكانك * فعلم ان الرجل قد نصحه * وأنه ان خالف الحق فضحه * فسرب أثقاله وأفياله *

الا اليسير وفيها فى شعبان خرج عسكر من الغورية مقدمهم الامير زنكى بن مسعود الى مدينة مرو فلقيهم نائب خوارزم شاه بمدينة سرخس وهو الامير جقر وكمن لهم كمينا فلما وصلوا اليه هزمهم وأخذ وجوه الغورية اسرى فلم يفلت منهم الا القليل وأخذ أميرهم زنكى أسيرا فقتل صبرا وعلقت رؤسهم بمرو أياما وفيها فى ذى القعدة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغورى صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهى للاتراك الخطا فافتتحها عنوة وجعل بها ولده الاكبر وقتل من بها من الخطا ونقل العلويين منها الى بلخ وصارت ترمذ دار اسلام وهى من أمنع الحصون وأقواها وفيها توفى صدر الدين السجزى شيخ خانكاه السلطان بهراة وفيها فى صفر توفى أبو على الحسن بن محمد بن عبدوس الشاعر الواسطى وهو من الشعراء المجيدين واجتمعت به بالموصل وردها مادحا صاحبها نور الدين ارسلان شاه وغيره من المقدمين وكان نعم الرجل حسن الصحبة والعشرة وفيها اجتمع ببغداد رجلان أعميان على رجل أعمى أيضا وقتلاه بمسجد طمعا ان يأخذا منه شيأ فلم يجدا معه ما يأخذانه وأدركهما الصباح فهربا من الخوف يريدان الموصل ورئى الرجل مقتولا ولم يعلم قاتله فاتفق ان بعض أصحاب الشحنة اجتاز من الحريم فى خصومة جرت فرأى الرجلين الضريرين فقال لمن معه هذان اللذان قتلا الاعمى يقوله مزحا فقال أحدهما هذا والله قتله فقال الآخر بل أنت قتلته فأخذا الى صاحب الباب فأقرا فقتل أحدهما وصلب الآخر على باب المسجد الذى قتلا فيه الرجل

(ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة)

*(ذكر الفتنة بهراة)*

فى هذه السنة فى المحرم ثارت العامة بهراة وجرت فيه فتنة عظيمة بين أهل السوقين الحدادين والصفارين قتل فيها جماعة ونهبت الاموال وخربت الديار فخرج أمير البلد ليكفهم فضربه بعض العامة بحجر ناله منه ألم شديد واجتمع الغوغاء عليه فرفع الى القصر الفيروزى واختفى أياما الى أن سكنت الفتنة ثم ظهر

*(ذكر قتال شهاب الدين الغورى بنى كوكر)*

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمد بن سام الغورى صاحب غزنة من الخطا الكفار وان الخبر ظهر ببلاده انه عدم من المعركة لم يقف أصحابه له على خبر فلما اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون فى أطراف البلاد وكان ممن أفسد دانيال صاحب جبل الجودى فانه كان قد أسلم فلما بلغه الخبر ارتد عن الاسلام وتابع بنى كوكر وصار مساكنهم فى جبال بين لهاوور والمولتان حصينة منيعة وكانوا قد أطاعوا شهاب الدين وحملوا له الخراج فلما بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم وأطاعهم صاحب جبل الجودى وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لهاوور وغيرها الى غزنة فلما بلغ شهاب الدين من قتل مملوكه ايبك بال وقد ذكرناه ارسل الى نائبه بلهاوور والمولتان وهو محمد بن ابى على يأمره بحمل المال لسنة ستمائة وسنة احدى وستمائة ليتجهز به لحرب الخطا فأجاب ان أولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال وحضر جماعة من التجار وذكروا ان قفلا كبيرا أخذه أولاد كوكر ولم ينج منه الا القليل فأمر شهاب الدين مملوكه ايبك مقدم عساكر الهند أن يراسل بنى كوكر يدعوهم الى الطاعة ويهددهم



وخزائنه وأمواله * نحو جبال تناغى كواكب الجوزاء * وآجام توارى خد الارض عن عين السماء * وورى بوجه مقصده فلم يدر أين سار * والى أى الاقطار طار * امتطى الليل أم اقتعد النهار * وكان غرض النصيح المظلوم فى تهريبه وتغريبه اشفاقه من حبالة الاقتناص فيسأم من كامة الاسلام * ماسئم أعمامه وأقاربه حين اضطروا الى الاستئمان والاستسلام * فلما أحاط السلطان تلك القلعة وافتتحها على حصانة قواعدها * ومناعة مراقيها ومصاعدها * وتوسع منها فى علف كثير * ومال على اختلاف أصنافه خطير * لم يرنه الموجود * وقد فاته الكافر المقصود * وضاقت به الارض دون طلبه * وانتزاعه من يد مهربه فاقتص أثره ركضا نحو خمسة عشر فرسخا بين منابت أشجار تسلك الوجوه وتلطمها * ومساقط

ان لم يجيبوا فعل ذلك فقال ابن كوكر لاى معنى لم يرسل السلطان الينا رسولا فقال له الرسول وما قدركم أنتم حتى يرسل اليكم وانما مملوكه يبصركم رشدكم ويهددكم فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيا لراسلنا وقد كنا ندفع الاموال اليه فحيث عدم فقل لايبك يترك لنا لهاوور وما والاها وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول ننفذ أنت جاسوسا تثق اليه يأتيك بخبر شهاب الدين من فرشابور فلم يصغ الى قوله فرده فعاد وأخبر بما سمع ورأى فأمر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بالعود الى بلاده وجمع العساكر وقتال بنى كوكر فعاد الى دهلى وأمر عساكره بالاستعداد فأقام شهاب الدين فى فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستمائة ثم عاد الى غزنة فوصلها أول رمضان وأمر بالنداء فى العساكر بالتجهز لقتال الخطا وان المسير يكون أول شوال فتجهزوا لذلك فاتفق ان الشكايات كثرت من بنى كوكر وما يتعهدونه من اخافة السبل وأنهم قد أنفذوا شحنة الى البلاد ووافقهم أكثر الهنود وخرجوا من طاعة أميرلهاوور والمولتان وغيرهما ووصل كتاب الوالى يذكر ما قد دهمه منهم وان عماله قد أخرجهم بنوكوكر وجبوا الخراج وان ابن كوكر مقدمهم أرسل اليه ليترك لهاوور والبلاد والا قتله ويقول له ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والا خرجت البلاد من يده وتحدث الناس بكثرة من معهم من الجموع وما لهم من القوة فتغير عزم شهاب الدين حينئذ عن غزو الخطا وأخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاول سنة اثنتين وستمائة فلما سار وأبعد انقطعت أخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتى أرجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لما سار عن فرشابور أتاه خبر ابن كوكر انه نازل فى عساكره ما بين جيلم وسودرة فجد السير اليه فدهمه قبل الوقت الذى كان يقدر وصوله فيه فاقتتلوا قتالا شديدا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر من بكرة الى العصر واشتد القتال فبينما هم فى القتال واذ قد أقبل قطب الدين ايبك فى عساكره فنادوا بشعار الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكرية ومن انضم اليهم وقتلوا بكل مكان وقصدوا أجمة هنالك فاحتموا بها وأضرموا نارا فكان أحدهم يقول لصاحبه لا تترك المسلمين يقتلونك ثم يلقى نفسه فى النار فيلقى صاحبه نفسه بعده فيها فعمهم الفناء قتلا وحرقا فبعدا للقوم الظالمين وكان أهلهم وأموالهم معهم لم يفارقوها فغنم المسلمون منهم ما لم يسمع بمثله حتى ان المماليك كانوا يباعون كل خمسة بدينار ركنى ونحوه وهرب ابن كوكر بعد أن قتل اخوته وأهله وأما ابن دانيال صاحب جبل الجودى فانه جاء ليلا الى قطب الدين ايبك فاستجار به فأجاره وشفع فيه الى شهاب الدين فشفعه فيه وأخذ منه قلعة الجودى فلما فرغ منهم سار نحو لهاوور ليؤمن أهلها ويسكن روعهم وأمر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا وأقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وأرسل الى بهاء الدين سام صاحب باميان ليتجهز للمسير الى سمرقند ويعمل جسرا ليعبر هو وعساكره عليه

*(ذكر الظفر بالتيراهية)*

كان من جملة الخارجين المفسدين أيضا على شهاب الدين التيراهية فانهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فأوقع بهم نائب تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالخلجى وقتل منهم خلقا كثيرا وحمل رؤس المعروفين فعلقت ببلاد الاسلام

أحجار تصدم الحوافر فتصفيها * ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وقت العتمة وهم يطوون مجاهل الارض هبوطا وصعودا ولا طى التجار بحضرموت برودا * وأهاب الى أولياء الاسلام وأبناء الصلاة والسلام * باقتصاصهم * وادراع الظلام فى اقتناصهم * ثقة بالله الناصر لدينه * القاضى على الكفر بتوهينه * فكم من قتيل هنالك قبل أن يمسه حر الحديد * وأسير تقيد قبل يد التقييد * فأما الاموال فبانت تجبادون الارواح * وتستزادون حد السلاح وحر الجراح * فلا يعبأ بها أو تشفى النفوس من عبدة الكفار * وعبدة الشمس والنار * وظل الاولياء يتتبعون طرائح الخاذيل ثلاثة أيام تباعا تنفلا واغتناما * وحلالا بعد ان جمعها الكفار حراما * وأما الفيلة فمن بين مقهور ومردود * ومتطوع بالعود الى السلطان

وكانت فتنة هؤلاء التيراهية على بلاد الاسلام عظيمة قديما وحديثا وكان اذا وقع بأيديهم أسير من المسلمين عذبوه بأنواع العذاب وكان أهل فرشابور معهم فى ضر شديد لانهم يحيطون بتلك الولاية من جوانبها لاسيما آخر أيام سبكتكين فان الملوك ضعفوا وقوى هؤلاء عليهم وكانوا يغيرون على أطراف البلاد وكانوا كفارا لا دين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه الا انهم كانوا اذا ولد لاحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوج هذه من يقبلها فان أجابه أحد تركها والا قتلها ويكون للمرأة عدة أزواج فاذا كان أحدهم عندها جعل مداسه على الباب فاذا جاء غيره من أزواجها ورأى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتى أسلم طائفة منهم آخر أيام شهاب الدين الغورى فكفوا عن البلاد وسبب اسلامهم انهم أسروا انسانا من فرشابور فعذبوه فلم يمت ودامت أيامه عندهم فأحضره يوما مقدمهم وسأله عن بلاد الاسلام وقال له لو حضرت أنا عند شهاب الدين ماذا كان يعطيني فقال له كان يعطيك الاموال والاقطاع ويرد اليك حكم جميع البلاد التى لكم فارسله الى شهاب الدين فى الدخول فى الاسلام فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالاقطاع فلما وصل اليه الرسول سار هو وجماعة من أهله الى شهاب الدين فأسلموا وعادوا وكان للناس بهم راحة فلما كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل أكثرهم من الجبال فلم يكن لهذه الطائفة بهم قدرة ليمنعوهم فأفسدوا وعملوا ما ذكرناه

*(ذكر قتل شهاب الدين الغورى)*

فى هذه السنة أول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغورى ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك وقت صلاة العشاء وكان سبب قتله ان نفرا من الكفار الكوكرية لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والاسر والسبى فلما كان هذه الليلة تفرق عنه أصحابه وكان قد عاد ومعه من الاموال ما لا يحد فانه كان عازما على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد أمر عساكره بالهند باللحاق به وأمر عساكره الخراسانية بالتجهز الى ان يصل اليهم فأتاه الله من حيث لم يحتسب ولم يغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال لكن كان على نية صالحة من قتال الكفار فلما تفرق عنه أصحابه وبقى وحده فى خركاه فثار أولئك النفر فقتل أحدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين فلما قتلوه صاح فثار أصحابه من حول السرادق لينظروا ما بصاحبهم فأخلوا مواقفهم وكثر الزحام فاغتنم الكوكرية غفلتهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو فى الخركاه فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه أصحابه فوجدوه على مصلاه قتيلا وهو ساجد فأخذوا أولئك الكفار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان وقيل انما قتله الاسماعيلية لانهم خافوا خروجه الى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم على ما ذكرناه فلما قتل اجتمع الامراء عند وزيره مؤيد الملك بن خواجا سجستان فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى أن يظهر من يتولاه وأجلسوا شهاب الدين وخيطوا جراحه وجعلوه فى المحفة وساروا به ورتب الوزير الامور وسكن الناس بحيث لم ترق محجمة دم ولم يوجد فى أحد شئ وكانت المحفة محفوفة بالحشم والوزير والعسكر والشمسية على حاله فى حياته وتقدم الوزير الى أمير دار العسكر باقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التى فى صحبته ألفى

محمود * لطفا من الله تعالى يبيح له غنائم الاموال * حتى يسوق اليه بهائم الانسال * لا جرم انها سميت خداى آورد شكرا لله على الهام ما لا يسلك الا بالمقامع * ولا يملك فى المراتع * الا بالحمل الخوادع * أن يأتى طوعا فيهجر الاصنام * ويخدم الدين والاسلام * ولقد أحسن من قال

قل للامير بدت حتى
قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحا
سن عنده قربا وبعدا
لو مس أعطاف النجو
م جرين فى التربيع سعدا
أو سار فى أفق السماء
ء لانبتت زهرا وورد

وبلغ ما رد من خزائن السلوب ذهبا وفضة ويواقيت محرزة وفرائد مبيضة قرابة ثلاثة آلاف ألف درهم فأما السبى فالشاهد على كثرة عدده ووفور مدده * وقوع الاستيام على الواحد منهم بما بين درهمين الى عشرة دراهم

حمل ومائتي حمل وشغب الغلمان الاتراك الصغار ولنهبوا المال فمنعهم الوزير والامراء الكبار
من المماليك وهو صونج صهر الدز وغيره وأمروا كل من له اقطاع عند قطب الدين ايبك مملوك
شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرقوا فيهم أموالا كثيرة فعادوا وسار الوزير ومعه من له
اقطاع وأهل بغزنة وعلموا انه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث الدين أخي شهاب الدين الاكبر
وبين بهاء الدين صاحب باميان وهو ابن أخت شهاب الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير
والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان الامراء الغورية يميلون الى بهاء الدين سام صاحب
باميان فارسل كل طائفة الى من يميلون اليه يعرفونه قتل شهاب الدين وجلية الامور وجاء
بعض المفسدين من أهل غزنة فقال للمماليك ان فخر الدين الرازي قتل مولاكم لانه هو أوصل
من قتله فوضع من خوارزمشاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيد الملك الوزير فاعلمه الحال
فسيره سرا الى مأمنه ولما وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغورية يقولون نسير الى
غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهاء الدين سام
فيملك الخزانة قال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم ان يكونوا قريبا من تاج
الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين غزنة ولهاوور وليست بكرمان التي
تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة ويرسلون من كرمان الى غياث الدين يستدعونه الى غزنة
ويملكونه وكثر بينهم الاختلاف حتى كادوا يقتتلون فتوصل مؤيد الملك مع الغورية حتى
اذنوا له وللاتراك بأخذ الخزانة والمحفة التي فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وساروا هم
على طريق مكرهان ولقي الوزير ومن معه مشقة عظيمة وخرج عليهم الامم الذين في تلك الجبال
التيراهية واوغان وغيرهم فنالوا من أطراف العسكر الى ان وصلوا الى كرمان فخرج اليهم تاج
الدين الدز يستقبلهم فلما عاين المحفة وفيها شهاب الدين ميتا نزل وقبل الارض على عادته
في حياة شهاب الدين وكشف عنه فلما رآه ميتا مزق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس وكان يوما
مشهودا

*(ذكر ما فعله الدز)*

كان الدز من أول مماليك شهاب الدين وأكبرهم وأقدمهم وأكبرهم محلا عنده بحيث ان
أهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه في أشغالهم فلما قتل صاحبه طمع ان يملك غزنة
فاول ما عمل انه سأل الوزير مؤيد الملك عن الاموال والسلاح والدواب فاخبره بما خرج من
ذلك وبالباقي معه فانكر الحال وأساء أدبه في الجواب وقال ان الغورية قد كاتبوا بهاء الدين
سام صاحب باميان ليملكوه غزنة وقد كتب الى غياث الدين محمود وهو مولاي يأمرني انني
لا أترك أحدا يقرب من غزنة وقد جعلني نائبه فيها وفي سائر الولاية المجاورة لها لانه مشتغل
بأمر خراسان وقال للوزير انه قد أمرني أيضا أن أتسلم الخزانة منك فلم يقدر على الامتناع لميل
الاتراك اليه فسلمها اليه وسار بالمحفة والمماليك والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين في التربة
بالمدرسة التي أنشأها ودفن ابنته فيها وكان وصوله اليها في الثاني والعشرين من شعبان
من السنة

*(ذكر بعض سيرة شهاب الدين)*

وذلك فضل الله الذي ذخره
لأيام السلطان يمين الدولة *
وأمين الملة * وهو الملي بتمام
الثواب * يوم قيام الحساب *
فالحمد لله خير معبود ومحمود *
وله الشكر على ما أقر به عين
محمد صلى الله عليه وسلم
بمحمود

*(ذكر المسجد الجامع بغزنة)*

ولما عاد السلطان يمين الدولة *
وأمين الملة * على تفئة النصر
الموكل بقمع الكافر المفتري *
المكال بمعدى السماء الزهرة
والمشتري * الى دار الملك
بغزنة وقد كاد أن يغيض سيحها
على عدد الارقاء * من العبيد
والاماء * حتى استغرقت عليها
أكياس التجار * الضاربين اليها
عن نوازح الديار * ونوازع
الامصار * فخص ماوراء النهر
الى مرابع العراق * ومبادي
الاشراق * منها ما خلط بيضهم
بالسود * وعدل في التمليك بين
المسود والمسود * أحب أن
ينفق ما أفاء الله عليه من
أنفال * أولئك الغلف
الاغفال * في عمل بر يشيع
جدواه * ويريع الى أمر
الاحتساب معناه * وكان
قد أوعز باختطاط صعيد
من ساحة غزنة

كان رحمه الله شجاعا مقداما كثيرا الغزو الى بلاد الهند عادلا فى رعيته حسن السيرة فيهم حاكما بينهم بما يوجبه الشرع المطهر وكان القاضى بغزنة يحضر داره من كل أسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء و يحضر معه أمير حاجب وأمير دار وصاحب التربة فيحكم القاضى وأصحاب السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضره وسمع كلامه وأمضى عليه أوله حكم الشرع فكانت الامور جارية على أحسن نظام (حكى عنه) انه لقيه صبى علوى عمره نحو خمس سنين فدعا له وقال لى خمسة أيام ما أكلت شيأ فعاد من الركوب لوقته ومعه الصبى فنزل فى داره وأطعم العلوى أطيب الطعام بحضرته ثم أعطاه مالا بعد ان أحضر أباه وسلمه اليه وفرّق فى سائر العلويين مالا عظيما (وحكى) ان تاجرا من مراغة كان بغزنة وله على بعض مماليك شهاب الدين دين مبلغه عشرة آلاف دينار فقتل المملوك فى حرب كانت له فرفع التاجر حاله فأمر بأن يقرّ اقطاع المملوك بيد التاجر الى ان يستوفى دينه ففعل ذلك (وحكى عنه) انه كان يحضر العلماء بحضرته فيتكلمون من المسائل الفقهية وغيرها وكان فخر الدين الرازى يعظ فى داره فحضر يوما فوعظ وقال فى آخر كلامه ياسلطان لاسلطانك يبقى ولاتلبيس الرازى وأن مردنا الى الله فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثرة بكائه وكان رقيق القلب وكان شافعى المذهب مثل أخيه قيل وكان حنفيا والله أعلم

*(ذكر مسير بهاء الدين سام الى غزنة وموته)*

لما ملك غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام باميان أقطعها ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود وزوجه أخته فأتاه منها ولد اسمه سام فبقى فيها الى ان توفى وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عباس وأمه تركية فغضب غياث الدين وأخوه شهاب الدين فى ذلك وأرسلا من أحضر عباسا عندهما فأخذا الملك منه وجعلا ابن أختهما سام ملكا على باميان وتلقب بهاء الدين وعظم شأنه ومحله وجمع الاموال أملاك البلاد بعد خاله وأحبه أمراء الغورية حبا شديدا وعظموه فلما قتل خاله شهاب الدين سار بعض الامراء الغورية الى بهاء الدين سام فأخبره بذلك فلما بلغه قتله كتب الى من بغزنة من الامراء الغورية يأمرهم بحفظ البلد ويعرّفهم انه على الطريق سائر اليهم وكان والى قلعة غزنة ويعرف بأمير داذ قد أرسل ولده الى بهاء الدين سام يستدعيه الى غزنة فأعاد جوابه انه تجهز و يصل اليه ويعده الجميل والاحسان وكتب بهاء الدين الى علاء الدين محمد بن أبى على ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل والى هراة يأمرهما باقامة الخطبة له وحفظ ما بأيديهما من الاعمال ولم يظن ان أحدا يخالفه فأقام أهل غزنة ينتظرون وصوله أو وصول غياث الدين محمود والاتراك و يقولون لانترك غير ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنة والغورية يتظاهرون بالميل الى بهاء الدين ومنع غيره فسار من باميان الى غزنة فى عساكره ومعه ولداه علاء الدين محمود وجلال الدين فلما سار عن باميان مرحلتين وجد صداعا فنزل يستريح ينتظر خفته عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فأيقن بالموت فأحضر ولديه وعهد الى علاء الدين وأمرهما بقصد غزنة وحفظ مشايخ الغورية وضبط الملك وبالرفق بالرعايا وبذل الاموال وأمرهما ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان

وبلاد

للمسجد الجامع اذ كان ما اختط قديما على قدر أهلها حيث عدت من زمعات البلاد شطوط دار * وشطون مزار * فوافق عوده من مضربه حصول المراد من تقطيعه وتوسعه * واقامة الجدران على تراسيه * فصب بدر المال على الصفاح * كصب دماء الابطال يوم القراع * ونصب لمشارفتهم أحد الزعماء بحضرته فهو يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل * ومعاتبا على رمق الخلل * حتى اذا توسدت الشمس قلة الجبل * اقام ألسن الموازين ناطقة بالانصاف * وازنة بالجزاف * فيمسون بين أجرين عاجل على السلطان منقود * وآجل على الرحمن موعود * ونقل اليه من أقطار الهند والسند جذوع توافقت قدودا ورصانة * وتناسبت تدويرا وثخانة * كأنما استودعت أرحام الارض لأمر معلوم * وخبئت بأعمارها ليوم محتوم * فجاءت كالحق كمالا * والعدل استقامة واعتدالا * يتفق عليها الالسنة والسداد *

و بلاد الغور و يكون لهما غزنة و بلاد الهند

*(ذكر ملك علاء الدين غزنة وأخذها منه)*

لما فرغ بهاء الدين من وصيته توفي فسار ولداه الى غزنة فخرج أمراء الغورية وأهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كره منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علاء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهل رمضان وكانوا قد وصلوا في ضر وقلة من العسكر وأراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيد الملك وزير شهاب الدين لقلتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل والي هراة على ما ذكره فلم يرجعوا ولما استقرا بالقلعة ونزلا بدار السلطانية راسلهما الاتراك بأن يخرجا من الدار والا قاتلوهما ففرقا فيهم أموالا كثيرة واستحلفاهم فحلفوا واستثنوا غياث الدين محمودا وانفذا خلعا الى تاج الدين الدز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة في الاقطاع وامارة الجيش والحكم في جميع الممالك فأتاه الرسول فلقيه وقد سار عن كرمان في جيش كثير من الترك والخلج والغز وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فاني قد أمرني مولاي غياث الدين ان أسير الى غزنة وأمنعهما عنها فان عادا الى بلادهما والا فعلت بهما وبمن معهما ما يكرهون ورد ما معه من الهدايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانما أراد ان يجعل هذا طريقا الى ملك غزنة لنفسه فعاد الرسول وأبلغ علاء الدين رسالة الدز فارسل وزيره وكان قبله وزير أبيه الى باميان وبلخ وترمذ وغيرها من بلادهم ليجمع العساكر ويعودوا اليه فارسل الدز الى الاتراك الذين بغزنة يعرفهم ان غياث الدين أمره أن يقصد غزنة ويخرج علاء الدين وأخاه منها فحضروا عند وزير علاء الدين وطلبوا منه سلاحا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علاء الدين وقال له قد كان كذا وكذا فلم يقدر أن يفعل شيأ ومع مؤيد الملك وزير شهاب الدين فركب وانكر على الخازن تسليم المفاتيح وأمره فاسترد ما نهبه الترك جميعه لانه كان مطاعا فيهم ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علاء الدين جماعة من الغورية ومن الاتراك وفيهم صونج صهر الدز فاشار عليه أصحابه أن لا يفعل وينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسير العساكر فالتقوا خامس رمضان فلما التقوا خدعه الاتراك وعادوا معه على عسكر علاء الدين فقاتلوهم فهزموهم وأسروا مقدمهم وهو محمد بن علي بن حردون ودخل عسكر الدز المدينة فنهبوا بيوت الغورية والباميانية وحصر الدز القلعة فخرج جلال الدين منها في عشرين فارسا وسار عن غزنة فقالت له امرأة تستهزئ به الى أين تمضي خذ الجتر والشمسة معك ما أقبح خروج السلاطين هكذا فقال لها انك سترين ذلك اليوم وافعل بكم ما تقرون به بالسلطنة لي وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان آتيك بالعساكر فبقي الدز يحاصرها وأراد من مع الدز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وأرسل الى علاء الدين يأمره بالخروج من القلعة ويتهدده ان لم يخرج منها وترددت الرسل بينهما في ذلك فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلاده وأرسل من حلف له الدز أن لا يؤذيه ولا يعترض اليه ولا الى احد ممن يحلف له وسار عن غزنة فلما رآه الدز وقد نزل من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علاء الدين والقوه عن فرسه واخذوا ثيابه وتركوه عريانا بسراويله فلما سمع الدز ذلك ارسل اليه بدواب وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما ليسه

وكان بها اصحاما فهي لا تصفي ولا تكاد * وقد فرشت ساحتها بالرخام منقولا من كل فج عميق * ومضرب سحيق * على قد طابع التربيع أشد ملاسة من راحة الفتاة * وصفحة المرآة * وعقدت عند منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز * فلو عاش سنمار لعد في جنبها من سقط الواهن العاجز * فاما الاصباغ فطالع روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف الابصار * وتقيد النظار * وأما التذهيب فحسبك به ان صناع الرصافة قد عزت عليهم الحقاق * وصح لهم تكليف ما لا يطاق * وليس بصفائح الزرياب فقط لكنه ضبات الذهب الاحمر افرغت عن صور الاصنام المجذوذة * والبددة المأخوذة * فطفقت تعرض على النار بعد ان كانت آلهة للكفار * وتضرب بالمطارق * بعد أن عبدت بالخدود والعنافق * أوليس الذي ينفق على جدرانها جدا قد عبرة للموحدين * وغيظا على

وترك الباقي فلما وصل الى باميان لبس ثياب سواد وركب حمارا فاخرجوا له مراكب ملوكية وملابس جميلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد أن يراني الناس وما صنع بي اهل غزنة حتى اذا عدت اليها وخربتها ونهبتها لا يلومني احد ودخل دار الامارة وشرع في جمع العساكر

*(ذكر ملك الدز غزنة)*

قد ذكرنا استيلاء الدز على الاموال والسلاح والدواب وغير ذلك مما كان صحبة شهاب الدين وأخذه من الوزير مؤيد الملك فجمع له العساكر من أنواع الناس الاتراك والخلج والغز وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع علاء الدين ما ذكرنا فلما خرج علاء الدين من غزنة أقام الدز بداره أربعة أيام يظهر طاعة غياث الدين الا انه لم يأمر الخطيب بالخطبة له ولا لغيره وانما يخطب للخليفة ويترحم على شهاب الدين الشهيد حسب فلما كان في اليوم الرابع أحضر مقدمي الغورية والاتراك وذم من كاتب علاء الدين وأخاه وقبض على أميرداد والي غزنة فلما كان الغد وهو سادس عشر رمضان أحضر القضاة والفقهاء والمقدمين وأحضر أيضا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو علي بن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وكان قد ورد الى غزنة رسولا الى شهاب الدين فقتل شهاب الدين وهو بغزنة فارسل اليه والى قاضي غزنة يقول له انني أريد أن انتقل الى الدار السلطانية وان اخاطب بالملك ولا بد من حضورك والمقصود من هذا ان تستقر امور الناس فحضر عنده فركب الدز والناس في خدمته وعليه ثياب الحزن وجلس في الدار في غير مجلس كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيرت لذلك نيات كثير من الاتراك لانهم كانوا يطيعونه ظنا منهم انه يريد الملك لغياث الدين فحيث رأوه يريد الانفراد تغيروا عن طاعته حتى ان بعضهم بكى غيظا من فعله واقطع الاقطاعات الكثيرة وفرق الاموال الجليلة وكان عند شهاب الدين جماعة من اولاد ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فانفوا من خدمة الدز وطلبوا منه ان يقصدوا خدمة غياث الدين واخيه صاحب باميان وارسل غياث الدين الى الدز يشكره ويثني عليه لاخراج أولاد بهاء الدين من غزنة وسير له الخلع وطلب منه الخطبة والسكة فلم يفعل واعاد الجواب فغالطه وطلب منه ان يخاطبه بالملك وان يعتقه من الرق لان غياث الدين ابن اخي سيده لا وارث له سواه وان يزوج ابنه بابنة الدز فلم يجبه الى ذلك واتفق ان جماعة من الغوريين من عسكر صاحب باميان أغاروا على اعمال كرمان وسوران وهي اقطاع الدز القديمة فغنموا وقتلوا فارسل صهره صونج في عسكر فلقوا عسكر الباميان فظفر بهم وقتل منهم كثيرا وانفذ رؤسهم الى غزنة فنصبت بها واجرى الدز في غزنة رسوم شهاب الدين وفرق في اهلها اموالا جليلة المقدار وألزم مؤيد الملك ان يكون وزيره فامتنع من ذلك فالح عليه فاجابه على كره منه فدخل على مؤيد الملك صديق له يهنئه فقال بماذا تهنئني من بعد ركوب الجواد بالحمار وانشد

ومن ركب الثور بعد الجوا * د انكر اطلاقه والغبب

هذا الدز يأتي الى بابي الف مرة حتى آذن له في الدخول أصبح على بابه ولو حفظ النفس مع هؤلاء الاتراك لكان لي حكم آخر

*(ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمه)*

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فانه كان في اقطاعه وهو بست واسفرار وكان الملك علاء

الدين

الملحدين * أتم سماحة * واكرم
راحة * من يفرغه معبودا *
ويتصبه للنفع والضر مقصودا
* نعوذ بالله من رب شواره عار
* وهو محتاج الى شعار *
وجزى الله عن الاسلام ملكا
هذه أفعاله * وأعماله *
وامتهان الروح * والممنوح
في سبيل الله دأبه * وآدابه * نعم
وقد أفرد السلطان لخاصته
بيتا في المسجد مشرفا عليه
مكعب البناء * موسع الفناء *
متناسب الزوايا والارجاء *
فرشه وازاره من الرخام كذت
عليه الطهور * حتى نقل من
أرض نيسابور * وقد أحيط
بكل رخامة مربعة محراب
من الذهب الاحمر مكحلا
باللازورد * في تعاريج من
ألوان المنثور والورد * هي
من يرها بعينه يقل بلسانه *
لا استحسانه * لا زال هذا
الاستاذ ممتعا ببنانه * ألا من
رأى مسجد دمشق فراعه
مرآه * وشاقه النظر حتى شاه
* وقضى بأن ليس يوجد
شرواه * دونك هذا البيت
يلزمك المثنوية * وتنعكس
عليك القضية * ويبيّنك ان
الحسن بعض صفاته *
والابداع أحد سماته *
وأنفال الهند

الدين بن محمد بن ابى على قد ولاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من ارض الراون فلما بلغه قتله
سار الى فيروز كوه خوفا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلاد ويأخذ الخزائن التى بها وكان
علاء الدين حسن السيرة من أكابر بيوت الغورية الا ان الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين
وأبى الامراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين سلطانهم ولانه كان كراميا مغاليا فى مذهبه
وأهل فيروز كوه شافعية وألزمهم ان يجعلوا الاقامة مثنى فلما وصل الى فيروز كوه أحضر
جماعة من الامراء منهم محمد المرغنى وأخوه ومحمد بن عثمان وهم من أكابر الامراء وحلفهم على
مساعدته على قتال خوارزمشاه وبهاء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارا له
لخلفه واله ولولده من بعده وكان غياث الدين بمدينة بست لم يتحرك فى شئ انتظارا لما يكون من
صاحب باميان لانهما كانا قد تعاهدا أيام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة
والهند لبهاء الدين وكان بهاء الدين أقوى فلهذا لم يفعل شيأ فلما بلغه خبر موت بهاء الدين جلس
على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان وحلف الامراء الذين قصدوه وهم اسمعيل
الخلجى وسونج أميراشكار وزنكى بن خرجوم وحسين الغورى صاحب تكياباذ وغيرهم
وتلقب بالقاب أبيه غياث الدين وكتب الى علاء الدين محمد بن أبى على وهو بفيروزكوه
يستدعيه اليه ويستعطفه ليصده عن رأيه ويسلم المملكة اليه وكتب الى الحسين بن خرميل
والى هراة مثل ذلك ايضا ووعده الزيادة فى الاقطاع فاما علاء الدين فأغلظ له فى الجواب وكتب
الى الامراء الذين معه يتهددهم فرحل غياث الدين الى فيروز كوه فارسل علاء الدين عسكرا مع
ولده وفرق فيهم مالا كثيرا وخلع عليهم ليمنعوا غياث الدين فلقوه قريبا من فيروز كوه فلما تراءى
الجمعان كشف اسمعيل الخلجى المغفر عن وجهه وقال الحمد لله ان الاتراك الذين لا يعرفون آباءهم
لم يضيعوا حق التربية وردوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغورية الذين انعم عليكم والد هذا
السلطان ورباكم واحسن اليكم كفرتم الاحسان وجئتم تقاتلون ولده اهذا فعل الاحرار
فقال محمد المرغنى وهو مقدم العسكر الذين يصدرون عن رأيه لا والله ثم ترجل عن فرسه والقى
سلاحه وقصد غياث الدين وقبل الارض بين يديه وبكى بصوت عال وفعل سائر الامراء كذلك
فانهزم أصحاب علاء الدين مع ولده فلما بلغه الخبر خرج عن فيروز كوه هاربا نحو الغور وهو
يقول انا امشى اجاور بمكة فانفذ غياث الدين خلفه من رده اليه فاخذه وحبسه وملك
فيروز كوه وفرح به اهل البلاد وقبض غياث الدين على جماعة من أصحاب علاء الدين الكرامية
وقتل بعضهم ولما دخل غياث الدين فيروز كوه ابتدأ بالجامع فصلى فيه ثم ركب الى دار ابيه
فسكنها واعاد رسوم ابيه واستخدم حاشيته وقدم عليه عبد الجبار بن محمد الكيرانى وزير ابيه
واستوزره وسلك طريق ابيه فى الاحسان والعدل ولما فرغ غياث الدين من علاء الدين لم يكن له
همة الا ابن خرميل بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتخذه ابا واستدعاه اليه وكان
ابن خرميل قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع اعيان الناس منهم قاضى هراة صاعد
ابن الفضل النيسابورى وعلى بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة وشيخ الاسلام
رئيس هراة ونقيب العلويين ومقدمى المحال وقال لهم قد بلغنى وفاة السلطان شهاب الدين
وانا فى ثغر خوارزمشاه واخاف الحصار واريد ان تحلفوا لى على المساعدة على كل من نازعنى

من خدم نقوشه * والهمة
العلياء قد سمت بعروشه * نعم
وأمام هذا البيت مقصورة
بشعاريج عليها منصوبة تسع
ثلاثة آلاف غلام متى شهدوا
للفرض أخذوا أماكنهم
منها صفوفا * وأقبلوا على
انتظار الاذان عكوفا *
وأضيف الى المسجد مدرسة
فيحاء تشتمل بيوتها من بساط
الارض الى مناط السقوف
على تصانيف الائمة الماضين *
من علوم الاولين والآخرين *
منقولة من خزائن الملوك
لصيد نقروا عن ديار العراق *
ورباع الآفاق * حتى
اقتنوها بخطوط * كفرائد
سموط * مصححة بشهادات
التقييد * وعلامات التخفيف
والتشديد * ينتابها فقهاء
دار الملك وعلماؤها للتدريس
والنظر فى علوم الدين على
كفاية ذوى الحاجة منهم
ما يهمهم جراية وافرة *
ومعيشة حاضرة * وقد اقتطع
من دار الامارة الى البيت
الموصوف طريق تفضى
اليه فى أمن من ابتذال
العيون اللواحظ * واعتراض
الرجال من بين صالح وطالح *

وأجابه القاضي وابن زياد بأننا نحلف على كل الناس الا ولد غياث الدين فقد حلفنا عليهما فلما وصل كتاب غياث الدين خاف ميل الناس اليه فغالطه في الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزمشاه يطلب منه ان يرسل اليه عسكرا ليصير في طاعته ويمتنع به على الغورية فطلب منه خوارزمشاه انفاذ ولده رهينة ويرسل اليه عسكرا فسير ولده الى خوارزمشاه فكتب خوارزمشاه الى عسكره الذين بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان يأمرهم بالتوجه الى هراة وان يكونوا يتصرفون بامر ابن خرميل ويمتثلون أمره هذا وغياث الدين يتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يحتج بشئ بعد شئ انتظارا العسكر خوارزمشاه ولا يؤيسه من طاعته ولا يخطب له ويطيعه طاعة غير مستوية ثم ان الامير على بن ابى على صاحب كالوين أطلع غياث الدين على حال ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجه الى هراة فثبطه بعض الامراء الذين معه وأشاروا عليه بانتظار آخر أمره وترك محاققته واستشار ابن خرميل القاضي في أمر غياث الدين فقال له على بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة وهو متولى وقوف خراسان التي بيده للغورية جميعها ينبغي ان تخطب للسلطان غياث الدين وتترك المغالطة انى اخاف على نفسي فامض أنت وتوثق لي منه وكان قصده ان يبعده عن نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين وأطلعه على ما يريد ابن خرميل يفعله من الغدر به والميل الى خوارزمشاه وحثه على قصد هراة وقال له انا اسلمها اليك ساعة تصل اليها ووافقه بعض الامراء وخالفه غيرهم وقال ينبغي ان لا تترك له حجة وترسل اليه تقليدا بولاية هراة ففعل ذلك وسيره مع ابن زياد وبعض أصحابه ثم ان غياث الدين كاتب اميران بن قيصر صاحب الطالقان يستدعيه اليه فتوقف وارسل الى صاحب مرو ليسير اليه فتوقف أيضا فقال له اهل البلد ان لم تسلم البلد الى غياث الدين وتتوجه والا سلمناك وقيدناك وارسلناك اليه فاضطر الى المجيء الى فيروزكوه فخلع عليه غياث الدين واقطعه اقطاعات شتى واقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف بامير اشكار

*(ذكر استيلاء خوارزمشاه على بلاد الغورية بخراسان)*

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والى هراة خوارزمشاه ومراسلته في الانتماء اليه والطاعة له وترك طاعة الغورية وخداعه لغياث الدين ومغالطته له بالخطبة له والطاعة انتظارا لوصول عسكر خوارزمشاه ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال يوم الجمعة نخطب له فاتفق قرب عسكر خوارزمشاه منهم فلما كان يوم الجمعة قيل له في معنى الخطبة فقال نحن في شغل اهم منها بوصول هذا العدو فطالت المجادلات بينهم في ذلك وهو مصر على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزمشاه فلقيهم ابن خرميل وانزلهم على باب البلد فقالوا له قد امرنا خوارزمشاه اننا لا نخالف لك امرا فشكرهم على ذلك وكان يخرج اليهم كل يوم واقام لهم الوظائف الكثيرة واتاه الخبر ان خوارزمشاه نزل على بلخ فحاصرها فلقيه صاحبها وقاتله بظاهر البلد فلم ينزل بالقرب منها فنزل على اربعة فراسخ فندم ابن خرميل على طاعة خوارزمشاه وقال لخواصه لقد اخطأنا حيث صرنا مع هذا الرجل فانى اراه عاجزا وشرع في اعادة العسكر فقال للامراء ان خوارزمشاه قد ارسل الى غياث الدين يقول له انني على العهد الذي بيننا وانا اترك ما كان لا يبلغ بخراسان والمصلحة ان ترجعوا حتى ننظر ما يكون فعادوا وارسل اليهم الهدايا الكثيرة

وكان

فيركب اليه على وفور سكينة* وشمول طمأنينة* حتى يقضي المكتوبة* ويقتضي الاجر والمثوبة* فأما سائر دور الحجاب وقصور القواد فما يثق بحقائق الانفاق عليها الا من أتاها اعتبارا* وشاهدها اختبارا* فيرى ملء الاباطح أبنية تشرف على الهضاب شرفاتها* وتكاد تغترف من نهر المجرة غرفاتها* وناهيك من بلد يحتوي على مرابض ألف فيل يشغل كل منها بساسته ومارته دارا كبيرة وخطة وسيعة ان الله تعالى اذا أراد عمر البلاد* وكثر العباد* وهو على ما يشاء قدير

*(ذكر الافغانية)*

ولما قضى السلطان وطرة القيظ بغزنة وأقبل الخريف بسقيفه* وسمح الوقت بحاضر ريفه* وقد كان طوائف من الافغانية المستوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ* والرعان البواذخ* تعرضوا فعل القطاع لذنابى عسكره منصرفه من غزوة قنوج اغترارا بمناعة أماكنهم* وحصانة مساكنهم* أوتظنيا بلطفاء أفعالهم* والتباسها

وكان غياث الدين حيث اتصل به وصول عسكر خوارزمشاه الى هراة أخذ اقطاع ابن خرميل وارسل الى كرزبان واخذ كل ماله بها من مال واولاد ودواب وغير ذلك واخذ أصحابه فى القيود وأتاه كتب من يميل اليه من الغورية يقولون له ان رأى غياث الدين قتلك ولما سمع أهل هراة بما فعل غياث الدين باهل ابن خرميل وماله عزموا على قبضه والمكاتبة الى غياث الدين بانفاذ من يتسلم البلد وكتب القاضى صاعد قاضى هراة وابن زياد الى غياث الدين بذلك فلما سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين باهله وبما عزم عليه أهل هراة خاف ان يعاجله بالقبض فحضر عند القاضى وأحضر اعيان البلد وألان لهم القول وتقرب اليهم وأظهر طاعة غياث الدين وقال قد رددت عسكر خوارزمشاه وأريد ارسل رسولا الى غياث الدين بطاعتى والذى اوثره منكم ان تكتبوا معه كتابا بطاعتى فاستحسنوا قوله وكتبوا له بما طلب وسير رسوله الى فيروزكوه وأمره اذا جنه الليل ان يرجع على طريق نيسابور يلحق عسكر خوارزمشاه ويجد السير فاذا لحقهم ردهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر على يومين من هراة فامرهم بالعود فعادوا فلما كان اليوم الرابع من سير الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلما دخلوا اخذ ابن زياد الفقيه فسمله واخرج القاضى صاعدا من البلد فسار الى غياث الدين بفيروزكوه واخرج من عنده من الغورية وكل من يعلم انه يريدهم وسلم ابواب البلد الى الخوارزمية واما غياث الدين فانه برز من فيروزكوه نحو هراة وارسل عسكرا فاخذوا حشيرا كان لاهل هراة فخرج الخوارزمية فشنوا الغارة على هراة الروذ وغيره فامر غياث الدين عسكره بالتقدم الى هراة وجعل المقدم عليهم على بن ابى على واقام هو بفيروزكوه لما بلغه ان خوارزمشاه على بلخ فسار العسكر وعلى يزكه الامير اميران بن قيصر الذى كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرفه انه على اليزك ويأمره بالمجىء اليه فانه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل فى عسكره فكبس عسكر غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتى خالطوهم فقتلوا فيهم فكف ابن خرميل أصحابه عن الغورية خوفا ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجى واقام بمكانه وارسل عسكره فشنوا الغارة على البلاد باذغيس وغيرها وعظم الامر على غياث الدين فعزم على المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر ان علاء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الدز واما بلخ فان خوارزمشاه لما بلغه قتل شهاب الدين اخرج من كان عنده من الغوريين الذين كان اسرهم فى المصاف على باب خوارزم فخلع عليهم واحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال ان غياث الدين اخى ولا فرق بينى وبينه فمن احب منكم المقام عندى فليقم ومن احب ان يسير اليه فانى اسيره ولو اراد منى مهما اراد نزلت له عنه وعهد الى محمد بن على بن بشير وهو من اكابر الامراء الغورية فاحسن اليه واقطعه استمالة للغورية وجعله سفيرا بينه وبين صاحب بلخ فسير اخاه على شاه بين يديه فى عسكره الى بلخ فلما قاربها اخرج اليه عماد الدين عمر بن الحسين الغورى اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ عنها فارسل الى اخيه خوارزمشاه يعلمه قوتهم فسار اليها فى ذى القعدة من السنة فلما وصل الى بلخ خرج صاحبها فقاتلهم فلم يقو بهم لكثرتهم فنزلوا فصار يوقع بهم ليلا فكانوا معه على اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرا وهو

عنا كبر أمثالهم * رأى أن ينقم منهم بركضة تهيج عليهم أوكارهم * وملاجئهم * وتخضب بدماء النحور جباههم * فعزم على ما دبر * وصمم على ما قدر * وورّى بنهضته * نحو احدى أقطار بيضته * ثم ركض عليهم فى خاصته ركضا صبحهم فى مراقدهم فلم يشعروا الا بحر الصفاح * على برد الصباح * ضربات تقطف الرؤس على النحور * وتفرغ البحور على الجور *
صرعى الى صرعى كان جلودهم طليت بها الشيان والعلام
فيا لها نبهة أنمت عليهم الرقود * وآلت حالفة أن لا تعود * أو تشهد اليوم الموعود * فكم من جثث فوق الاعلام * ورؤس تحت الاقدام * حتى اذا استلحمت السيوف أجسادهم * ولم تستبق الا أياماهم وأيتامهم * كفت كف الاقتدار * وعلا ذروة العز بالانحدار * وعادت تلك الوعور سهولا * وكان أمر الله مفعولا * وعطف الى غزنة مميلا للرأى بين أن يشتو ببلخ مستجما * ولغابر السنة فى القرار مستقما * وبين أن يركب نية يمنية

ينتظر المدد من أصحابه اولاد بهاء الدين صاحب باميان وكانوا قد اشتغلوا عنه بغزنة على ما ذكرناه
وعلى ما نذكره ان شاء الله تعالى فاقام خوارزمشاه على بلخ اربعين يوما كل يوم يركب الى
الحرب فيقتل من اصحابه كثير ولا يظفر بشئ فراسل صاحبها عماد الدين مع محمد بن علي بن بشير
الغوري وبذل له بذلا كثيرا ليسلم اليه البلد فلم يجبه الى ذلك وقال لا أسلم البلد الا الى أصحابه فعزم
على المسير الى هراة فلما سار أصحابه أولاد بهاء الدين صاحب باميان الى غزنة المرة الثانية على
ما نذكره ان شاء الله تعالى واسرهم تاج الدين الدز عاد عن ذلك العزم وأرسل محمد بن علي بن بشير
الى عماد الدين نائبه يعرفه حال أصحابه وأسرهم وانه لا يبقى عليه حجة ولا له في التأخر عنه عذر
فدخل اليه ولم يزل يخدعه تارة يرغبه وتارة يرهبه حتى أجاب الى طاعة خوارزمشاه والخطبة له
وذكر اسمه على السكة وقال انا اعلم انه لا يفي له وارسل من يستحلفه على ما اراد فتم الصلح وخرج
الى خوارزمشاه فخلع عليه وأعاده الى بلده وكان سلخ ربيع الاول سنة ثلاث وستمائة ثم سار
خوارزمشاه الى كرزبان ليحاصرها وبها علي بن أبي علي وارسل الى غياث الدين يقول ان هذه
كان قد أقطعها عمك لابن خرميل فتنزل عنها فامتنع وقال بيني وبينكم السيف فارسل اليه
خوارزمشاه محمد بن علي بن بشير فرغبه وآيسه من نجدة غياث الدين ولم يزل به حتى نزل عنها
وسلمها وعاد الى فيروزكوه فأمر غياث الدين بقتله فشفع فيه الامراء فتركه وسلم خوارزمشاه
كرزبان الى ابن خرميل ثم أرسل الى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه اليه ويقول قد حضر
مهم ولا غنى عن حضورك فانت اليوم من أخص أوليائنا فحضر عنده فقبض عليه وسيره الى
خوارزم ومضى هو الى بلخ فاخذها واستناب بها جعفرا التركي

*(ذكر ملك خوارزمشاه ترمذ وتسليمها الى الخطا)*

لما أخذ خوارزمشاه مدينة بلخ سار عنها الى مدينة ترمذ مجدا وبها ولد عماد الدين الذي كان
صاحب بلخ فارسل اليه محمد بن علي بن بشير يقول له ان اباك قد صار من أخص أصحابي وأكابر
أمرائي وقد سلم الي بلخ وانما ظهر لي منه ما انكرته فسيرته الى خوارزم مكرما محترما وأما
أنت فتكون عندي أخا وعدة واقطعه الكثير فخدعه محمد بن علي فرأى صاحبها ان
خوارزمشاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب آخر واصحابه قد اسرهم
الدز بغزنة فضعفت نفسه وارسل من يستحلف له خوارزمشاه فحلف له وتسلم منه ترمذ وسلمها
الى الخطا فلقد اكتسب بها خوارزمشاه مسبة عظيمة وذكرا قبيحا في عاجل الامر ثم ظهر
للناس بعد ذلك انه انما سلمها اليهم ليتمكن بذلك من ملك خراسان ثم يعود اليهم فيأخذها وغيرها
منهم لانه لما ملك خراسان وقصد بلاد الخطا واخذها وافناهم ظهر على الناس انه فعل ذلك
خديعة ومكرا غفر الله له

*(ذكر عود اصحاب باميان الى غزنة)*

قد ذكرنا قبل وصول الدز التركي الى غزنة واخراجه علاء الدين وجلال الدين ولدي بهاء الدين
سام صاحب باميان منها بعد ان ملكها واقام هو في غزنة من عاشر رمضان سنة اثنتين وستمائة
الى خامس ذي القعدة من السنة يحسن السيرة ويعدل في الرعية واقطع البلاد للاجناد
فبعضهم اقام وبعضهم سار الى غياث الدين ولم يخطب لاحد ولا لنفسه وكان يعد الناس بأن

في غزوة تقشع باقي ضبابات
الكنود * عن ديارات الهنود *
مجهزا على من كان يضرب
بذنبه * في مهربه * كالوزغة
المخنقة لا تلبث أن تموت
فابت عليه حمية الاسلام
أن يسبغ على القعود
جريضه * أو يستبقي في محابس
الاغماد بيضه * وثنى عنانه
نحو الهند في رجال يرون
منتهى الشهوات صهوات
الخيول * وقصوى اللذات
ملاقاة الفحول * ويجتزئون
بالظهور أسرة مرفوعة *
وبالاكوار وسائد
موضوعة * وبالسموم رياحين
مقطوفة * وبالآجن الطرق
صهباء مرشوفة * وبالعرق
السائل ماء ورد * وبالقسطل
الثائر مثار عبير فتات مسك
وند * ويجتزئون بالليل سكنا
وقرارا * وبالنجوم ندامى
وسمارا * فان ينسبوا فان
آباءهم المشرفيات البواتك *
والزاعبيات الفواتك *
وأعمامهم القسي الجوازع *
وأخوالهم النبال القوازع *

رسولى عند مولاى غياث الدين فاذا عاد خطبت له ففرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرا وخديعة بهم وبغياث الدين لانه لولم يظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وسائر الرعايا وكان حينئذ يضعف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا القول واشباهه فلما ظفر بصاحب باميان على ما نذكره أظهر ما كان يضمره فبينما هو فى هذا أتاه الخبر بقرب علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين صاحب باميان فى العساكر الكثيرة وانهم قد عزموا على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفا شديدا وجهز الدز كثيرا من عسكره وسيرهم الى طريقهم فلقوا اوائل العسكر فقتل من الاتراك وادركهم العسكر فلم يكن لهم قوة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علاء الدين يقتلون ويأسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج عنها الدز منهزما يطلب بلده كرمان فأدركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة آلاف فارس فقاتلهم قتالا شديدا فردهم عنه وأحضر من كرمان مالا كثيرا وسلاحا ففرقه فى العسكر وأما علاء الدين وأخوه فانهما تركا غزنة لم يدخلاها وسارا فى اثر الدز فسمع بهم فسار عن كرمان فنهب الناس بعضهم بعضا وملك علاء الدين كرمان وأمنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونهبها فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضى سعيد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى وزير علاء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيب قلوبهم واخبرهم غيره ممن يثقون اليه انهم مجموعون على النهب فاستعدوا وضيقوا ابواب الدروب والشوارع واعدوا العرادات والاحجار وجاءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يسكنهم احد فقصدوا دار مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فسكنهم ووعدهم الشفاعة فيهم وفى اهل البلد فأرسل الى امير كبير من الغورية يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخا كبيرا يرجعون الى قوله يعرفه الحال ويقول له يكتب الى علاء الدين واخيه يتشفع فى الناس ففعل وبالغ فى الشفاعة وخوفهم من اهل البلدان اصروا على النهب فأجابوه الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة فعوضوهم من الخزانة فسكن الناس وعاد العسكر الى غزنة اواخر ذى القعدة ومعهم الخزانة التى اخذها الدز من مؤيد الملك لما عاد ومعه شهاب الدين قتيلا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والعين تسعمائة حمل ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزج المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم علاء الدين أن يستوزر مؤيد الملك فمنع اخوه جلال الدين فأحضره وخلع عليه على كراهة منه للخلعة واستوزره فلما سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيد الملك وقيده وحبسه فتغيرت نيات الناس واختلفوا ثم ان علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة وجرى بينهما من المشاحنة فى القسمة ما لا يجرى بين التجار فاستدل بذلك الناس على انهما لا يستقيم لهما حال لجهلهما واختلافهما وندم الامراء على ميلهم اليهما وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثم ان جلال الدين وعمه عباسا سارا فى بعض العسكر الى باميان وبقى علاء الدين بغزنة فأساء وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد والرعية ونهب اموال الاتراك حتى انهم باعوا أمهات اولادهم وهن يبكين ويصرخن ولا يلتفت اليهن

وما زال يخوض آنهارا مائجة * ودوافع مائجة *
وأودية هادية * لم تضمن قط
عن غرقاها دية * وعين الله
ترعاه * فى كل سعى يسعاه *
حتى اقتحم مغارات أولئك
المغاوير * بل ديارات
اولئك المدابير * فظلت
رذايا الفل يضجون بالويل
والثبور * ضجيج النوق
رواجع بيت الله المعمور *
وما زال السلطان يمسح
بمن آمن وأطاع * ويفضح
من أظهر الامتناع * بعد
ان أصاب غنائم لا يضبطها
حساب * ولا يطعمها ماء
ولا تراب * حتى انتهى به
المسير الى ما يعرف براهب
غائر المخاض * حتى القرارة
كالخضخاض * يبتلع الخف
والحافر * ويقتلع الدارع
كما يقتلع الحاسر * فاذا هو
بيروجيبال من تلك الحيزة
فى رجال كالصريم * وأفيال
تحت الاديم * قد اتخذ من
فابحى لركضة حذره *
وأسند الى زاخر النهر
ظهره * ورام ان يمنع
السلطان عبوره * ويشغل

*(ذكر عود الدز الى غزنة)*

لما سار جلال الدين عن غزنة واقام بها اخوه علاء الدين جمع الدز ومن معه من الاتراك عسكرا كثيرا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كلواذكوه اوقتلوا جماعة من الغورية ووصل المنهزمون الى كرمان فسار الدز اليهم وجعل على مقدمته مملوكا كبيرا من مماليك شهاب الدين اسمه اى دكز التتر فى ألفى فارس من الخلج والاتراك والغز والغورية وغيرهم وكان بكرمان عسكر لعلاء الدين مع أمير يقال له ابن المؤيد ومعه جماعة من الامراء منهم أبو على بن سليمان بن سيسر وهو وأبوه من أعيان الغورية وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب لا يفتران عن ذلك فقيل لهما ان عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك ولا تركا ما كانا عليه فهجم عليهم اى دكز التتر ومن معه من الاتراك فلم يمهلهم يركبون خيولهم فقتلوا عن آخرهم منهم من قتل فى المعركة ومنهم من قتل صبرا ولم ينج الا من تركه الاتراك عمدا ولما وصل الدز فرأى أمراء الغورية كلهم قتلى قال كل هؤلاء قاتلونا فقال اى دكز التتر لا بل قتلناهم صبرا فلامه على ذلك ووبخه وأحضر رأس ابن المؤيد بين يديه فسجد شكرا لله تعالى وأمر بالمقتولين فغسلوا ودفنوا وكان فى جملة القتلى أبو على بن سليمان بن سيسر ووصل الخبر الى غزنة فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة وصلب علاء الدين الذى جاء بالخبر فتغيمت السماء وجاء مطر شديد خرب بعض غزنة وجاء بعده برد كبار مثل بيض الدجاج فضج الناس الى علاء الدين بانزال المصلوب فانزله آخر النهار فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه وملك الدز كرمان وأحسن الى اهلها وكانوا فى ضر شديد فدمع أولئك ولما صح الخبر عند علاء الدين ارسل وزيره الصاحب الى اخيه جلال الدين فى باميان يخبره بحال الدز ويستنجده وكان قد أعد العساكر ليسير الى بلخ يرحل عنها خوارزمشاه فلما أتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة وكان أكثر عسكره من الغورية قد فارقوه وفارقوا أخاه وقصدوا غياث الدين فلما كان أواخر ذى الحجة وصل الدز الى غزنة ونزل هو وعسكره بازاء قلعة غزنة وحصر علاء الدين وجرى بينهم قتال شديد وأمر الدز فنودى فى البلد بالامان وتسكين الناس من أهل البلد والغورية وعسكر باميان واقام الدز محاصر القلعة فوصل جلال الدين فى أربعة آلاف من عسكر باميان وغيرهم فرحل الدز الى طريقهم وكان مقامه الى ان سار اليهم أربعين يوما فلما سار الدز سير علاء الدين من كان عنده من العسكر وأمرهم أن يأتوا الدز من خلفه ويكون أخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره أحد فلما خرجوا من القلعة سار سليمان بن سيسر الغورى الى غياث الدين بفيروزكوه فلما وصل اكرمه وعظمه وجعله اميرداد فيروزكوه وكان ذلك فى صفر سنة ثلاث وستمائة وأما الدز فانه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية بلق فاقتتلوا قتالا صبر وافيه فانهزم جلال الدين وعسكره وأخذ جلال الدين اسيرا واتى به الى الدز فلما رآه ترجل وقبل يده وأمر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه أسير والف اسير من الباميانية وغنم اصحابه اموالهم ولما عاد الى غزنة ارسل الى علاء الدين يقول له ليسلم القلعة اليه والا قتل من عنده من الاسرى فلم يسلمها فقتل منهم اربعمائة اسير بازاء القلعة فلما رأى علاء الدين ذلك ارسل مؤيد الملك يطلب الامان فامنه الدز فلما خرج قبض عليه ووكل به

وباخيه

عن اقتحام الغمرة جمهوره* حتى اذا اكتحل الليل بقاره * مر فى ذمة استاره *مرور مروان على حماره * فلما علم السلطان ذلك من قصده *ورأى استعداده واحتشاده لصده * امر بالاطواف فهيئت للعبور واهاب بعدة من غلمانه للركوب فامتثل الامر ثمانية منهم يبتدرون العدوة القصوى * ويلتزمون كلمة التقوى * فلما رأى بروجيبال استقلال الماء بهم رماهم بخمسة من فيلته المجذفة * وفوج من رجاله المصففة * فأراد الله سبحانه وتعالى ان يحقق قول نبيه الامى الأمين * ورسوله المؤيد بالتمكين * حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها * وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها * فألهم تلك العدة ان استوقفوها على أماكنها شرزا لاطراف هاتيك الاخفاف بالنبال * وغرزا لها بعد فى وجنات

وباخيه من يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن
خوارزمشاه تكش مع علاء الدين بقلعة غزنة فلما خرج منها قبض عليه أيضا وكتب الى غياث
الدين بالفتح وارسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

*(ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان)*

في هذه السنة اتفق صاحب مراغة وهو علاء الدين هو ومظفر الدين كوكبرى صاحب اربل على قصد اذربيجان وأخذها من صاحبها ابي بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلا ونهارا وتركه النظر في احوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علاء الدين وتقدما نحو تبريز فلما علم صاحبها أبو بكر أرسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان والرى وما بينهما من البلاد وهو مملوك أبيه البهلوان وهو في طاعة أبي بكر الا انه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى أبي بكر فأرسل اليه أبو بكر يستنجده ويعرفه الحال وكان حينئذ ببلد الاسماعيلية فلما أتاه الخبر سار اليه في العساكر الكثيرة فلما حضر عنده أرسل الى صاحب اربل يقول له انا كنا نسمع عنك انك تحب اهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنا نعتقد فيك الخير والدين فلما كان الآن ظهر لنا منك ضد ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب أموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فالك عقل تجيء الينا وأنت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل واحسب انك هزمت هذا أما تعلم ان له مماليك أنا أحدهم ولو أخذ من كل قرية شحنة ومن كل مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انك ترجع الى بلدك وانما أقول لك هذا ابقاء عليك ثم سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلما سمعها مظفر الدين وبلغه مسير ايتغمش عزم على العود فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه ويسلم عسكره اليه وقال له انني قد كاتبني جميع امرائه ليكونوا معي اذا قصدتهم فلم يقبل مظفر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقة والمضايق الصعبة والعقاب الشاهقة خوفا من الطلب ثم ان ابابكر وايتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى أبي بكر هي كانت سبب الاختلاف واقطعه أبو بكر مدينتي استوا وارمية وعاد عنه

*(ذكر ايقاع ايتغمش بالاسماعيلية)*

وفي هذه السنة سار ايتغمش الى بلاد الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمم العزم على حصر ألموت واستئصال أهلها فاتفق ما ذكرناه من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه الامير ابو بكر ففارق بلادهم وسار الى ابي بكر كما ذكرناه

*(ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلاد الجبل وما كان منهم)*

وفي هذه السنة سار من عسكر خوارزم طائفة كبيرة نحو عشرة آلاف فارس باهليهم واولادهم فوصلوا الى زنكان وكان ايتغمش صاحبها مشغولا مع صاحب اربل وصاحب مراغة واغتنموا خلو البلاد فلما عاد مظفر الدين الى بلده وانفصل الحال بين ايتغمش وصاحب مراغة سار ايتغمش نحو الخوارزمية فلقيهم وقاتلهم فاشتد القتال بين الطائفتين ثم انهزم

اولئك الضلال * معجزة لم يسمع بمثلها قبلها ثمانية تجزع سيلا * وتدفع فيلة وخيلا * وبدر من لفظ السلطان * عند عيان ذلك البرهان * ان قال من قدر على السباحة * فليتعب اليوم للراحة * فاذا هو بخاصته * ومعظم عامته * خائضين * واصحب الماء رائضين * فتارة يسبحون بالاطواف * واخرى يستريحون الى الاعراف * حتى لفظهم النهر سالمين * لم تشب لهم جنيبة * ولم تعطب لهم حريبة * ولم تذهب بحمد الله سيبة * وحل السلطان بهم وقد نزلوا الى الظهور رجلة توزعتهم بين عقير سكران * من عقار الحدود * وأسير حيران * من اسر القدود * وطريد يخاف وقع القواضب * وقتيل بمرأى النجوم الثواقب * فصار ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتين وسبعين فيلا ثقال الاجسام * كثقال الغمام * وطار الكافر هزيما * لا يملك عزيما * ولا يقدر تأخيرا

الخوارزميون واخذهم السيف فقتل منهم واسر خلق كثير ولم ينج منهم الا الشريد وسبي نساؤهم وغنمت اموالهم وكانوا قد افسدوا في البلاد بالنهب والقتل فلقوا عاقبة فعلهم

*(ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب)*

وفي هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الارمني صاحب الدروب على ولاية حلب فنهب وحرق وأسر وسبي فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس اليه طريق لان جميع بلاده لا طريق اليها الا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لاسيما من ناحية حلب فان الطريق منها متعذر جدا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع أمير كبير من مماليك أبيه يعرف بميمون القصري ينسب الى قصر الخلفاء العلويين بمصر لان أباه منهم أخذه فأنفذ الظاهر ميرة وسلاحا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وأنفذ الى ميمون ليرسل طائفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها الى دربساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجد فوافاه وهو مخف من العسكر فقاتله واشتد القتال بينهم فأرسل ميمون الى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الارمن فانهزم المسلمون ونال العدو منهم فقتل وأسر وكذلك أيضا فعل المسلمون بالارمن من كثرة القتل وظفر الارمن باثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم الا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم المسلمون أيضا وعاد الارمن الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم

*(ذكر نهب الكرج ارمينية)*

في هذه السنة قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من ارمينية ونهبوا وقتلوا واسروا وسبوا أهلها كثيرا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج اليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرفين في النهب والسبي والبلاد شاغرة لا مانع لها لان صاحبها صبي والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجند فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا وحرض بعضهم بعضا واجتمعت العساكر الاسلامية التي بتلك الولاية جميعها وانضاف اليهم من المتطوعة كثير فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون فرأى بعض الصوفية الاخيار الشيخ محمدا البستي وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفي أراك ههنا فقال جئت لمساعدة المسلمين على عدوهم فاستيقظ فرحا بجعل البستي من الاسلام وأتى الى مدبر العسكر والقيم بأمره وقص عليه رؤياه ففرح بذلك وقوي عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر اليهم فنزل منزلا فوصلت الاخبار الى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فانتقلوا من موضعهم بالوادي الى اعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين اذا أظلم الليل فأتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج وأمسكوا عليهم رأس الوادي واسفله وهو واد ليس اليه غير هذين الطريقين فلما رأى الكرج ذلك ايقنوا بالهلاك

ولا نقض بها * وقد كان السلطان قبل ان لقي الكافر * ولبس جيوشه الدروع والمغافر * اخذ فالا من كتاب الله تعالى يهديه * عاقبة ما ينويه * فخرج له قوله تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون * فلما حقق الله وعده * ونصر بفضله جنده * ضمن على نفسه ان يفي بواجب حمده عدلا يرفه الانام * وغزوا يزيد الاسلام * وشكرا يقيد الانعام * لا جرم ان الله حافظه وحاميه * ومصيب به اغراض آماله وامانيه * والذي يدخره له من ثواب المعاد اربح مقاديره وارجح مكاييل ومعايير

*(ذكر ابي بكر محمد بن اسحق ابن محمشاد والقاضي شيخ الاسلام ابي العلاء صاعد ابن محمد وما انتهى اليه امرهما بنيسابور)

قد كان ابو بكر من موتابعين النباهة في صدر هذه الدولة لمكانة ابيه من الزهادة * وضمه الاطراف على

وسقط

وسقط ما في أيديهم وطمع المسلمون فيهم وضايقوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيرا واسروا امثالهم ولم يفلت من الكرج الا القليل وكفى الله المسلمين شرهم بعد ان كانوا أشرفوا على الهلاك

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الامير طاشتكين مجير الدين أمير الحاج بتستر وكان قد ولاه الخليفة على جميع خوزستان وكان أميرا على الحاج سنين كثيرة وكان خيرا صالحا حسن السيرة كثير العبادة يتشيع ولما مات ولي الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين زوج ابنته وفيها قتل سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش أمير عبادة بالعراق وكان سبب قتله انه سعى بأبيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فأمر بالتوكيل على أبيه فبقي مدة ثم أطلقه الخليفة ثم ان سنجرا قتل أخاله اسمه ٣ فأوغر بهذه الاسباب صدور أهله واخوته فلما كان هذه السنة في شعبان نزل بأرض المعشوق وركب في بعض الايام ومعه اخوته وغيرهم من أصحابه فلما انفرد عن أصحابه ضربه أخوه علي بن مقلد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته اليه فقتلوه وفيها تجهز غياث الدين خسرو شاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون وحصر صاحبها لانه كان قد خرج عن طاعته فضيق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها برا وبحرا ولم يخرج منهم أحد الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لانهم كانوا يتجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير فحيث لم ينفتح الطريق تأذوا أذى كثيرا فكان السعيد منهم من عاد الى رأس ماله وفيها تزوج أبو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك ان الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما رأوا من عجزه وانهماكه في الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما رأى هو أيضا ذلك ولم يكن عنده من الحمية والانفة من هذه المناحس ما يترك ما هو مصر عليه وانه لا يقدر على الذب عن البلاد عدل الى الذب عنها بأيره فخطب ابنة ملكهم فتزوجها فكف الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل أغمد سيفه وسل أيره وفيها حمل الى ازبك خروف وجهه صورة آدمي وبدنه بدن خروف وكان هذا من العجائب وفيها توفي القاضي أبو محمد بن محمد المانداي الواسطي بها وفيها في شوال توفي فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المروروذي وكان حسن الشعر بالفارسية والعربية وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كتب وشطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون بالشطرنج وفيها في ذي الحجة توفي أبو الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي الفقيه الشافعي ببغداد وبقي مدة طويلة معيدا بالنظامية وصار مدرسا بالمدرسة التي احدثتها أم الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحا طلب للنيابة في القضاء ببغداد فامتنع فألزم بذلك فوليه يسيرا ثم في بعض الايام مشى الى جامع ابن المطلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظ وغير ثيابه وأمر الوكلاء وغيرهم بالانصراف وأقام به حتى سكن الطلب عنه وعاد الى داره بغير ولاية وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكي المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلا صالحا كثير العبادة وفيها

٣ هكذا بياض بالاصل

العبادة واقتفاده نهج
ابيه * فيما كان ينتحله
وينتحيه * وكان الامير
ناصر الدين ابو منصور
سبكتكين يرى من عصابته
في التزهد والتعفف *
والترهب والتقشف *
ماقل وجود مثله في كثير
من فقهاء الدين * واعيان
المتعبدين * فحلي ذلك
بقلبه * كما حلي بعينه
والجاهد في الله محبوب *
وقد يكرم أهل الشفاعات
من له ذنوب * واستقر
السلطان بعده على وتيرته
في ملاحظتهم بعين
الاحترام * وايثارهم بأوقاف
الكرامية بالاكرام * حتى
قال ابو الفتح البستي فيما
شاهد من نفاق أسواقهم

الفقه فقه ابي حنيفة
وحده
والدين دين محمد بن كرام
ان الذين أراهم لم يؤمنوا
بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف الى هذه الوسيلة
القوية * والذريعة
الالهية * انه لما تورد
جيوش الخانية خراسان *
عند غزوة السلطان ناحية
الملتان * قبضوا بنيسابور
على أبي بكر احتياطا
لانفسهم من شيعته *
واحتراسا من غامض

أيضا توفي العفيف أبو المكارم عرفة بن على بن بصلا البندنيجي ببغداد وكان رجلا صالحا منقطعا الى العبادة رحمه الله

(ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة)

*(ذكر ملك عباس باميان وعودها الى ابن أخيه)*

فى هذه السنة ملك عباس باميان من علاء الدين وجلال الدين ولدى أخيه بهاء الدين وسبب ذلك ان عسكر باميان لما انهزموا من الدز وعادوا اليها أخبروا ان علاء الدين وجلال الدين أسروا وان الدز ومن معه غنموا مافى أيديهم ماأخذ وزير أبيهما المعروف بالصاحب من الاموال كثيرا ومن الجواهر وغيرها من التحف واخذ فيلا وسار الى خوارزم شاه يستنجده على الدز ليسير معه عسكرا يستخلص به صاحبيه فلما فارق باميان ورأى عمهما عباس خلو البلاد منه ومن ابنى أخيه جمع أصحابه وقام فى البلاد فملكه وصعد الى القلعة فملكها وأخرج أصحاب ابنى أخيه علاء الدين وجلال الدين منها فبلغ الخبر الى الوزير السائر الى خوارزم شاه فعاد الى باميان وجمع الجموع الكثيرة وحصر عباسا فى القلعة وكان مطاعا فى جميع ممالك بهاء الدين وولديه من بعده وأقام محاصرا الا انه لم يكن معه من المال مايقوم بما يحتاج اليه انما كان معه ما أخذه ليحمله الى خوارزم شاه فلما خلص جلال الدين من أسر الدز على ماذكره وسار الى باميان فوصل الى أرصف وهى مدينة باميان وجاء اليه وزير أبيه الصاحب واجتمع به وسار الى القلاع ورا سلوا عباسا المتغلب عليها ولاطفوه فسلم الجميع الى جلال الدين وقال انما حفظتها خوفا ان يأخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى ملكه

*(ذكر ملك خوارزم شاه الطالقان)*

لما سلم خوارزم شاه ترمذ الى الخطا سار عنها الى ميمنة واندخوى وكتب الى سونج أمير اشكار نائب غياث الدين محمود بالطالقان يستميله فعاد الرسول خائبا لم يجبه سونج الى ما اراد منه وجمع عسكره وخرج يحارب خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من الطالقان فلما تقابل العسكران حمل سونج وحده مجردا حتى قارب عسكر خوارزم شاه فالقى نفسه الى الارض ورمى سلاحه عنه وقبل الارض وسأل العفو فظن خوارزم شاه انه سكران فلما علم انه صاح ذمه وسبه وقال من يثق الى هذا واشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودواب وأنفذه الى غياث الدين مع رسول وحمله رسالة تتضمن التقرب اليه والملاطفة له واستناب بالطالقان بعض أصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج اليه حسام الدين على ابن أبي على صاحب كالوين وقاتله على رؤس الجبال فأرسل اليه خوارزم شاه يتهدده ان لم يسلم اليه فقال اما أنا فمملوك وهذه الحصون فهى أمانة بيدى ولا أسلمها الا الى صاحبها فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذم سونج ولما بلغ غياث الدين خبر سونج وتسليم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده وشق عليه فسلاه أصحابه وهونوا الامر ولما فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها ولم يمكن ابن خرميل احدا من الخوارزميين ان يتطرق بالاذى الى أهلها وانما كان يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة فيقطعون الطريق وهذه عادة الخوارزميين ووصل رسول غياث الدين الى خوارزم شاه

مكيدته * ونقلوه فى جملتهم حين طلعت رايات السلطان من مغاربها * وأومضت سيوف الحق عن مضاربها * الى ان وجد منهم فرصة الافلات * والسلامة على مس تلك الآفات * فاعتد السلطان ذلك فى سائر مواته * واوجب له حقا يلحظه بعين مراعاته * ونبغت من أرباب البدع الباطنية على ماتناست به البلاغات * والله اعلم بما تجنه الضمائر والنيات * فتم وافقت تصليا من السلطان فى استئصالهم * وتعصبا الدين الله تعالى فى احتبال أمثالهم * فحشروا من اطراف البلاد * وصلبوا عبرة للعباد * وكان أبو بكر هذا احد أعوان السلطان على رأيه حشرا اليه * وتصويبا للرأى عليه * فصار البرىء كالسقيم مذعورا * وعاد الملأ فى عارض الخطب شورى * ورأى الناس ان ريقته السم القاتل * ومدته السيف القاصل * فخضعوا له بالطاعة * وفرشوا الخدود الضراعة * وانعقدت له الرياسة فى لبسة الصوف * ولحظته الخاصة والعامة

بالهدايا ورأى الناس عجبا وذلك ان الخوارزميين لايذكرون غياث الدين الكبير والدهذا غياث الدين ولايذكرون أيضا شهاب الدين أخاه وهما حيان الا بالغورى وصاحب غزنة وكان وزير خوارزمشاه الآن مع عظم شأنه وقلة هذا غياث الدين لايذكره الا بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلة بلاده وأما ابن خرميل فانه سار من هراة فى جمع من عسكر خوارزمشاه فنزل على اسفرار فى صفر وكان صاحبها قد توجه الى غياث الدين فحصرها وأرسل الى من بها يقسم بالله لئن سلموها أن يؤمنهم وان امتنعوا أقام عليهم الى أن يأخذهم فاذا أخذهم قهرا لا يبقى على كثير ولا صغير فخافوا فسلموها فى ربيع الاول فآمنهم ولم يتعرض الى أهلها بسوء فلما أخذها ارسل الى حرب بن محمد صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزمشاه والخطبة له ببلاده فأجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك فى الخطبة والدخول فى طاعته فغالطه ولم يجبه الى ماطلب ولما كان خوارزمشاه على هراة عاد اليها القاضى صاعد بن الفضل الذى كان ابن خرميل قد أخرجه من هراة فى العام الماضى وسار الى غياث الدين فعاد الآن من عنده فلما وصل قال ابن خرميل لخوارزمشاه ان هذا يميل الى الغورية ويريد دولتهم ووقع فيه فسجنه خوارزمشاه بقلعة زوزن وولى القضاء بهراة الصفى أبا بكر بن محمد السرخسى وكان ينوب عن صاعد وابنه فى القضاء بهراة

*(ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك)*

لما عاد الدز الى غزنة واسر علاء الدين وأخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فأجابه فى هذه المدة أشد منه فيما تقدم فأعاد غياث الدين اليه يقول اما ان تخطب لنا واما ان تعرفنا مافى نفسك فلما وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وأمره بخطب لنفسه بعد الترحم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنة فلما سمع الناس ذلك ساءهم وتغيرت نياتهم ونيات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلا ان يخدموه وانما كان يطيعونه ظنا منهم انه ينصر دولة غياث الدين فلما خطب لنفسه أرسل الى غياث الدين يقول له بماذا تشتط على وتتحكم هذه الخزانة نحن جمعناها باسيافنا وهذا الملك قد أخذته وانت قد اجتمع عندك الذين هم أساس الفتنة واقطعتهم الاقطاعات ووعدتنى بأمور لم تف بها فان أنت اعتقتنى خطبت لك وحضرت خدمتك فلما وصل الرسول أجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزمشاه على مايريد وقصد غزنة ومحاربته بها فلما أجابه الى العتق أشهد عليه به وأشهد عليه أيضا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند وأرسل الى كل واحد منهما ألف قباء وألف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفا كثيرة وجترين ومائة رأس من الخيل وأرسل الى كل واحد منهما رسولا فقبل الدز الخلع ورد الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له أصحاب وسار رسول أيبك اليه وكان بفرشابور قد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه فى أمن فلما قرب الرسول منه لقيه على بعد وترجل وقبل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال اما الجتر فلا يصلح للمماليك واما العتق فمقبول وسوف أجازيه بعبودية الابد وأما خوارزمشاه فانه أرسل الى غياث الدين يطلب منه ان يصاهره او يطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسير معه

ثم بين المرجو والمخوف * ووجدت خاصته سوقا للاطماع * بعلة الابتداع * فاستزينوا الناس * واستفتحوا الاكياس * فمن الطمنهم بمكاس * رمى بفساد معتقده * أو يعطى الجزية عن يده * وغبرت على هذه الجملة سنون لامطمع لاحد فى تبديل شكلها * وتحويل فادح الحال عن اهلها * ولاعلم لهم بأن الزمان بتغيير الاحوال ضمين * وبالخلاف عن صورة المعتاد رهين * ومن صبر على الايام رأى الرفيع وضيعا * والضليع ضريعا * وشاهد عن سموم القيظ صرا كالحاو صقيعا * واتفق للقاضى ابى العلاء صاعد بن محمد ان حج بيت الله الحرام سنة اثنتين واربعمائة وهو الامام المرموق * والزاهد الموموق * والفاضل الجزل * والبازل الفحل * قضى اكثر عمره على الحظ النفيس * من غرر الدرس والتدريس * تتطفل عليه الاعمال فيأباها * وتصب اليه الاعراض فيرى الخيار فيما عداها * ومن حاز شرف العلم لم يشتريه ثمنا قليلا * ولم يعدل به حظا وان كان جليلا * فلما حصل بدار السلام وانتهى الى

في العساكر الى غزنة فاذا املكها من الدز اقتسموا المال اثلاثا ثلثا لخوارزم شاه وثلثا لغياث الدين وثلثا للعسكر فأجابه الى ذلك ولم يبق الا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بموت صاحب مازندران فسار عن هراة الى مرو وسمع الدز بالصلح فجزع لذلك جزعا عظيما ظهر أثره عليه وأرسل الى غياث الدين يقول له ما حملك على هذا فقال حملني عليه عصيانك وخلافك علي فسار الدز الى تكياباذ فأخذها والى بست وتلك الاعمال فملكها وقطع خطبة غياث الدين منها وأرسل الى صاحب سجستان يأمره باعادة الترحم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه وأرسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهددهما بقصد بلادهما فخافه الناس ثم ان الدز أخرج جلال الدين صاحب باميان من أسره وسير معه خمسة آلاف فارس مع أيدكز التتر مملوك شهاب الدين الى باميان ليعيدوه الى ملكه ويزيلون ابن عمه عنه وزوجها بنته وسار ومعه ايدكز فلما خلا به لامه على لبسه خلعة الدز وقال أنتم ما رضيتم تلبسون خلعة غياث الدين وهو أكبر سنا منكم وأشرف بيتا تلبس خلعة هذا المأبون يعني الدز ودعاه الى العود معه الى غزنة واعلمه ان الاتراك كلهم مجمعون على خلاف الدز فلم يجبه الى ذلك فقال ايدكز فانني لا أسير معك وعاد الى كابل وهي اقطاعه فلما وصل ايدكز الى كابل لقيه رسول من قطب الدين ايبك الى الدز يقبح له فعله ويأمره باقامة خطبة غياث الدين ويخبره انه قد خطب له في بلاده ويقول له ان لم يخطب له هو أيضا بغزنة ويعود الى طاعته والا قصده وحاربه فلما علم ايدكز ذلك قويت نفسه على محاربة الدز وصمم العزم على قصد غزنة ووصل ايضا رسول ايبك الى غياث الدين بالهدايا والتحف ويشير باجابة خوارزم شاه الى ما طلب الآن وعند الفراغ من أمر غزنة تسهل أمور خوارزم شاه وغيره وأنفذ له ذهبا عليه اسمه فكتب ايدكز الى ايبك يعرفه عصيان الدز على غياث الدين وما فعله في البلاد وانه على عزم مشاققة الدز وهو ينتظر أمره فأعاد ايبك جوابه يأمره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة أقام بها الى أن يأتيه وان لم تحصل له القلعة وقصده الدز انحاز اليه او الى غياث الدين او يعود الى كابل فسار الى غزنة وكان جلال الدين قد كتب الى الدز يخبره خبر ايدكز وما عزم عليه فكتب الدز الى نوابه بقلعة غزنة يأمرهم بالاحتياط منه فوصلها أيدكز أول رجب من السنة وقد حذروه فلم يسلموا اليه القلعة ومنعوه عنها فأمر أصحابه بنهب البلد فنهبوا عدة مواضع منه فتوسط القاضي الحال بأن سلم اليه من الخزانة خمسين ألف دينار ركنية وأخذ له من التجار شيأ آخر وخطب ايدكز بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز ففرح الناس بذلك وكان مؤيد الملك ينوب عن الدز بالقلعة ووصل الخبر الى الدز بوصول ايدكز الى غزنة ووصول رسول ايبك اليه فقت في عضده وخطب لغياث الدين في تكياباذ واسقط اسمه من الخطبة فخطب له ورحل الى غزنة فلما قاربها رحل ايدكز عنها الى بلد الغور فاقام في تمران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وأنفذ اليه المال الذي أخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعا واعتقه وخاطبه بملك الامراء ورد عليه المال الذي كان اخذه من الخزانة وقال له اما مال الخزانة فقد اعدناه اليك لتخرجه واما أموال التجار وأهل البلد فقد ارسلته مع رسولي ليعاد الى أربابه لئلا تفتتح دولتنا بالظلم وقد عوضتك عنه ضعفه وأرسل أموال الناس الى غزنة الى قاضي غزنة وأمره ان

خبره في حج بيت الله الحرام * قوبل بمقتضى حقه في الاسلام * من واجب الاثرة والاكرام * وظاهر التوقير والاعظام * وعضد بالكتاب الى السلطان فيما تقرر من حاله * وفي مهمات أوجب الاحتياط شرحها على لسان مقاله * فلما عاد من وجهه * شخص الى حضرة السلطان بغزنة فعرض ما صحبه وقرر ما تحمله * وادى من حق الامانة ما لزمه * وبها الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق يجري في مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم القول بالتجسيم * وتعريض الله تعالى لما لا يليق بذاته الكريم * فأنف السلطان لهذه الشنعاء من مقالهم * والعوراء من فحوى جدالهم * ودعا السلطان أبا بكر سائلا عنه * وباحثا صورة الحال منه * فأنكر أبو بكر اعتقاد ما نسب اليه * وأظهر البراءة مما احيل به عليه * فسلم مع الانكار * عن مس العتب والانكار * فأما الباقون فان الكتب من السلطان نفذت الى العمال في تقديم الاستقصاء عليهم فمن اظهر البراءة عن قوله الشنيع * واعتقاده الموجب للتبديع * ترك وشأنه من

برد المال المأخوذ على اربابه فانهى القاضى الحال الى الوزير وأشار عليه بالخطبة لغياث الدين وقال أنا اسعى فى الوصلة بينكما والصلح فامره بذلك فبلغ الخبر الى غياث الدين فارسل الى القاضى ينهاه عن المجىء اليه وقال لا تسأل فى عبد أبق قد بان فساده واتضح عناده فاقام بغزنة هو والوزير وسير غياث الدين عسكرا الى اى دكز التتر فاقام وامعه وسير الوزير عسكرا الى روين كان وهى لغياث الدين وقد أقطعها لبعض الامراء فهجموا على صاحبها فنهبوا ماله وأخذوا أولاده فجاء وحده الى غياث الدين فاقتضى الحال ان سار غياث الدين الى بست وتلك الولاية فاستردها وأحسن الى أهلها واطلق لهم خراج سنة لما نالهم من الوزير الاذى

## ﴿ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده﴾

فى هذه السنة توفى حسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلف ثلاثة اولاد فملك بعده ابنه الاكبر واخرج أخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك على شاه بن خوارزم شاه تكش أخو خوارزم شاه محمد وهو ينوب عن أخيه فيها فشكا اليه ما صنع به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه أن ينجده عليه ويأخذ له البلاد ليكون فى طاعته فكتب على شاه الى أخيه خوارزم شاه فى ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران وأخذ البلاد واقامة الخطبة لخوارزم شاه فيها فسار وا عن جرجان فاتفق ان حسام الدين صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده أخوه الاصغر واستولى على القلاع والاموال فوصل على شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخربوها وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع وأقام بقلعة كورا وهى التى فيها الاموال والذخائر وحصروه فيها بعد أن ملكوا اسامة البلاد مثل سارية وآمل وغيرهما من البلاد والحصون وخطب لخوارزم شاه فيها جميعها فصارت فى طاعته وعاد على شاه الى جرجان واقام ابن ملك مازندران فى البلاد مالكها جميعها سوى القلعة التى فيها أخوه الاصغر وهو يراسله ويستميله ويستعطفه وأخوه لا يرد جوابا ولا ينزل عن حصنه

## ﴿ذكر ملك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاكية﴾

فى هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وبلد الروم مدينة انطاكية بالامان وهى للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انه كان حصرها قبل هذا التاريخ وأطال المقام عليها وهدم عدة ابراج من سورها ولم يبق الا فتحها عنوة فارسل من بها من الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهى قريبة منها فاستنجدوهم فوصل اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طائفة من عسكره بالقرب منها بالجبال التى بينها وبين بلاده وأمرهم بقطع الميرة عنها فاستمر الحال على ذلك مدة حتى ضاق باهل البلد واشتد الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم فظن الفرنج ان الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع الخلف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليهم مجدا فى طائفة من عسكره فوصلها ثانى شعبان وتقرر الحال بينه وبين الروم وتسلم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذى فيه الفرنج وتسلمه وقتل كل من كان به من الفرنج

عقد المجالس للتدريس وتشرف المنابر للتذكير ومن أصر على دعواه * ولم يختر لنفسه سواه * جعل مغناه عليه حصيرا * ورد لسانه دون الفضول قصيرا * وخلع السلطان على القاضى أبى العلاء * خلعة لاقت بجلالة قدره * وزخارة بحره * ورعاية أمير المؤمنين لحقه وايعازه بتمهيد أمره * وصرف كلا منهما على جملة الاستئناس * والتفخيم على أعين الناس * ولم تزل غصة القول بالتجسيم ناشبة فى صدر أبى بكر يصارع الايام على نهزة المكافأة بها الى أن استتب له الامر فى عقد محضر على اتصاله بمذهب الاعتزال وتميز خطوط قوم من الاعيان سلكوا فيه طريق المساعدة * وتنفقوا به عن وغرة المنافسة * فنفط مالا يطاق داء دخيل * وهتم على صبر النفوس تزيل * واحتيل فى عرض المحضر على السلطان استفسادا لصورته لديه * فوقع التدبير موقعه من الانفاظ عليه فرأى السلطان أن يبعث

(ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط وملك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده)

وفي هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه أرمن بن سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك ان ولد بكتمر كان صبيا جاهلا فقبض على الامير شجاع الدين قتلغ مملوك من مماليك شاه أرمن وهو كان أتابكه ومدبر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند والرعية فلما قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان الشرب فكاتب جماعة من اهل خلاط وجماعة من الجند ناصر الدين صاحب ماردين يستدعونه اليهم وانما كاتبوه دون غيره من الملوك لان اباه قطب الدين ايلغازي كان ابن أخت شاه ارمن ابن سكمان وكان شاه ارمن قد حلف له الناس في حياته لانه لم يكن له ولد فلما تجددت بعده هذه الحادثة تذاكروا تلك الايمان وقالوا نستدعيه ونملكه فانه من أهل شاه أرمن فكاتبوه وطلبوه اليهم ثم ان بعض مماليك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد جاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان سار من خلاط الى بلاد ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط فملكها واتفق وصول صاحب ماردين اليها وهو يظن ان أحدا لا يمتنع عليه ويسلمون اليه المدينة فنزل قريبا من خلاط عدة ايام فارسل اليه بلبان يقول له ان اهل خلاط قد اتهموني بالميل اليك وهم ينفرون من العرب والرأي انك ترحل عائدا مرحلة واحدة وتقيم فاذا تسلمت البلد سلمته اليك لانني لا يمكنني ان أملكه انا ففعل صاحب ماردين ذلك فلما أبعد عن خلاط ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والا جئت اليك وأوقعت بك وبمن معك وكان في قلة من الجيش فعاد الى ماردين وكان الملك الاشرف موسى بن العادل ابي بكر بن أيوب صاحب حران وديار الجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين لما سمع انه يريد قصد خلاط يقول له ان سرت الى خلاط قصدت بلدك وانما خاف أن يملك خلاط فيقوى عليهم فلما سار الى خلاط جمع الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاخذ دخلها وأقام بدنيسر حتى تجيء الاموال اليه فلما فرغ منه عاد الى حران فكان مثل صاحب ماردين كما قيل خرجت تطلب قرنين عادت بلا أذنين وأما بلبان فانه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط وضيق على اهلها وبها ولد بكتمر فجمع من عنده بالبلد من الاجناد والعامة وخرج اليه فالتقوا فانهزم بلبان ومن معه من بين يديه وعاد الى الذي بيده من البلاد وهو ملازكرد وأرجيش وغيرهما من الحصون وجمع العساكر واستكثر منها وعاود حصار خلاط وضيق على أهلها فاضطرهم الى خذلان ولد بكتمر لصغره وجهله بالملك واشتغاله بلهوه ولعبه ثم قبضوا عليه في القلعة وأرسلوا الى بلبان وحلفوه على ما أرادوا وسلموا اليه البلد وابن بكتمر واستولى على جميع أعمال خلاط وسجن ابن بكتمر في قلعة هناك واستقر ملكه فسبحان من اذا أراد امرا هيأ أسبابه بالامس يقصدها شمس الدين محمد بن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن أيوب فلم يقدر احدهما عليها والآن يظهر هذا المملوك العاجز القاصر عن الرجال والبلاد والاموال فيملكها صفوا عفوا ثم ان نجم الدين أيوب بن العادل صاحب ميافارقين سار نحو ولاية خلاط وكان قد استولى على عدة حصون من أعمالها منها حصن موسى ومدينته فلما قارب خلاط أظهر له بلبان العجز عن مقابلته فطمع

واوغل

عن صورة المرفوع اليه في احقاق من صور * أو ابطال من زور * فأنهض قاضي قضاته * وأوحد ثقاته * أبا محمد الناصحي من لم يشركه أحد في اصطناعه * والجذب الى العلياء بباعه * فانه استخصه على طراءة شبابه بخلتين قلما توجدان في قرح الاسنان * فضلا عن أحداث القيان والشبان * وهما العلم والورع اخوان دونهما الدر بالياقوت * والصحة بكفاف القوت * وأقعده بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى * واصباح الناس من ساطع نوره في التقوى * حتى اذا بهر كماله * وطفح بالفضائل مكياله * ولاه القضاء على القضاة في عامة ديار ممالكه ثقة بقوته وامانته * وورعه ونزاهته * فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء * أو روضة الحزن ديمتها السماء عشاء * وأمره ان يستحضر القاضي أبا العلاء صاعدا وأبا بكر الاستاذ في وجوه الرئوت وأعيان الشهود ويطالب باقامة الشهادة على الدعوى

وأوغل في الدروب فأخذ عليه بلبان الطريق وقاتله فهزمه ولم يفلت من أصحابه الا القليل وهم جرحى وعاد الى ميافارقين

(ذكر ملك الكرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج)

في هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من أعمال خلاط وكانوا قد حصروه مدة طويلة وضيقوا على من فيه وأخذوا دخل الولاية عدة سنين وكل من نزل خلاط لا ينجدهم ولا يسعى في راحة تصل اليهم وكان الوالي بها يواصل رسله في طلب النجدة وازاحة من عليه من الكرج فلا يجاب له دعاء فلما طال الامر عليه ورأى ان لا ناصر له صالح الكرج على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع يأخذه منهم وصارت دار شرك بعد أن كانت دار توحيد فانا لله وانا اليه راجعون ونسأل الله أن يسهل للاسلام وأهله نصرا من عنده فان ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سد الثغور وحفظ البلاد ثم ان الله تعالى نظر الى قلة ناصر الاسلام فتولاه فأمات ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم وكفى الله شرهم الى آخر السنة

(ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان)

في هذه السنة في رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولي لتلك الاعمال وليها بعد موت طاشتكين أمير الحاج لانه زوج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يعرف بابي طاهر وهي جبال منيعة بين فارس وأصبهان وخوزستان فقاتلوا أهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك ان مملوكا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من أكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير رآه من الوزير نصير الدين العلوي الرازي واجتاز بخوزستان وأخذ منها ما أمكنه ولحق بابي طاهر صاحب كرستان فأكرمه وعظمه وزوجه ابنته ثم توفي أبو طاهر فقوي أمر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فأمر سنجر بجمع العساكر وقصده وقتاله ففعل سنجر ما أمر به وجمع العساكر وسار اليه فأرسل قشتمر يعتذر ويسأل أن لا يقصده ويحوجه الى الخروج عن العبودية فلم يقبل عذره فجمع أهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وأرسل الى صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب أصبهان وهمذان والري يعرفهما الحال ويقول انني لا قوة لي بعسكر الخليفة لما أضيف اليهم عساكر أخرى من بغداد وعادوا الى حربي وحينئذ لا أقدر بهم وطلب منهما النجدة وخوفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فأجاباه الى ما طلب فقوي جنانه واستمر على حاله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل صبي صبيا آخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كل واحد منهما ما يقارب عشرين سنة فقال أحدهما للآخر الساعة أضربك بهذه السكين يمازحه بذلك وأهوى نحوه بها فدخلت في جوفه فمات فهرب القاتل ثم اخذ وأمر به ليقتل فلما أرادوا قتله طلب دواة وبيضاء وكتب فيهما من قوله

قدمت على الكريم بغير زاد * من الاعمال بل قلب سليم
وسوء الظن ان تعتد زادا * اذا كان القدوم على كريم

وفيها حج برهان الدين صدر جهان محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن مازة البخاري رئيس الحنفية

المذكورة على رؤس الملا من غير محاشاه * أو جنوح الى مداهنة ومحاباه * فقابل الامر بالامتثال * وتجافى من حرمة العلم لحشمة الملك وهيبة الجلال * وسأل ارباب الخطوط عما عندهم من قضية الحال * وجلية المقال * فأما أبو بكر فانه اراد أن يتلافى ما اتى الخطاب فزعم أن الاشتراك في رتبة العلم أحدث بينهما منافسة تنازعا معها مذهبي التجسيم والاعتزال فالاصح ما نسب اليه * ولا تقرر ما ادعيته عليه * وأما الآخرون فمن جار على حكم المساعده * في المحاباة والمهاوده * ومن حادر لثام الاحتشام في التصريح * واطلاق الدعوى باللفظ الفصيح * مكاشفة عدت الشهادة الى التعصب * وجاوزت حد المعلوم الى التغضب * وبين ذلك وجوه اهل الرأي حتى كادت تثور فتنة لولا أن هيبة السلطان ألجمت الالسن الطوال * وضربت على النفوس التطامن والانخزال * وتلطف قاضي القضاة

بخارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدى الخراج الى الخطا وينوب عنهم فى البلد فلما حج لم تحمد سيرته فى الطريق ولم يصنع معروفا وكان قد اكرم ببغداد عند قدومه من بخارا فلما عاد لم يلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاج وسماه الحجاج صدر جهنم وفيها فى شوال مات شيخنا أبو الحرم مكى بن ريان بن شبة النحوى المقرى بالموصل وكان عارفا بالنحو واللغة والقرا آت لم يكن فى زمانه مثله وكان ضريرا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة الى الليل وفيها فارق أمير الحاج مظفر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع الحاج بموضع يقال له المرخوم ومضى فى طائفة من أصحابه الى الشام وسار الحاج ومعهم الجند فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل أبى بكر بن أيوب فأقطعه اقطاعا كثيرا بمصر وأقام عنده الى أن عاد الى بغداد سنة ثمان وستمائة فى جمادى الاولى فانه لما قبض الوزير امن على نفسه وأرسل يطلب العود فأجيب اليه فلما وصل اكرمه الخليفة وأقطعه الكوفة وفيها فى جمادى الآخرة توفى أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندرانى المعروف بابن النطرونى فى مارستان بغداد وكان قد مضى الى المايورقى فى رسالة بافريقية فحصل له منه عشرة آلاف دينار مغربية ففرقها جميعها فى بلده على معارفه وأصدقائه وكان فاضلا خيرا نعم الرجل رحمه الله وله شعر حسن وكان قيما بعلم الادب وأقام بالموصل مدة واشتغل على الشيخ أبى الحرم واجتمعت به كثيرا عند الشيخ ابى الحرم رحمه الله

## (ثم دخلت سنة اربع وستمائة)

## (ذكر ملك خوارزم شاه ما وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها)

فى هذه السنة عبر علاء الدين محمد بن خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك ان الخطا كانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما وراء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم فى كل مدينة نائب يجبى اليهم الاموال وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل أن يملكوا وكان مقامهم بنواحى اوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحى فاتفق ان سلطان سمرقند وبخارا ويلقب خان خانان يعنى سلطان السلاطين وهو من أولاد الخانية عريق النسب فى الاسلام والملك أنف وضجر من تحكم الكفار على المسلمين فارسل الى خوارزم شاه يقول له ان الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدى الكفار وتخلصهم مما يجرى عليهم من التحكم فى الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك فى الخطبة وعلى السكة فاجابه الى ذلك وقال أخاف انكم لا توفون لى فسير اليه صاحب سمرقند وجوه أهل بخارا وسمرقند بعد أن حلفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمنه وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل وجعلوا عنده رهائن فشرع فى اصلاح أمر خراسان وتقرير قواعدها فولى أخاه على شاه طبرستان مضافة الى جرجان وأمره بالحفظ والاحتياط وولى الامير كزلك خان وهو من اقارب أمه واعيان دولته نيسابور وجعل معه عسكرا وولى الامير جلدك مدينة الجام وولى الامير أمين الدين ابا بكر مدينة زوزن وكان هذا أمين الدين حمالا ثم صار اكبر الامراء وهو الذى ملك

كرمان

لعرض الحال * وتقرير صورة الحال * واتفق أن حضر الامير أبو المظفر نصر ابن ناصر الدين فى مجلس السلطان فرصة القول فى باب القاضى أبى العلاء صاعد فنبه على سمته وسيماه وأنبأ عن ورعه وتقواه * والتمس على سبيل التلطف أن يقع تلافى للغضاضة به وتدارك للمهانة الطارئة عليه بعزل من تصدى لمكاشفته * وتعرض لاستقرار مكانته * فوثق به السلطان فيما قال * وحدث ان صاعدا اجل من أن يعتقد الاعتزال * وأمر باشخاص من انتدب لمراغمته * ومقابلته بما اقتضاه حكم وقاحته * واستخلص القاضى قرارة بيته * فلم يكن يبرز الا فرض يقضيه * أو علم يمليه * مجتزئا بالله تعالى جده عن غيره * ومقتنعا بما ادره عليه من خيره * ورأى ان بقية العمر أعز من ان تضاع على القيل والقال * وخدمة فضول الآمال * ومزاولة ما يصم قدر العلم بالابتذال * واستتاب ولده بن له كالفرقدين

كرمان على ماذكره ان شاء الله تعالى وأقر الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها ألف فارس من الخوارزمية وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب فى مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوابا وأمرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وسمع الخطا فحشدوا وجمعوا وجاؤا اليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه

(ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة وأسر خوارزمشاه وخلاصه)

ثم ان ابن خرميل صاحب هراة رأى سوء معاملة عسكر خوارزمشاه للرعية وتعديهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولا الى خوارزمشاه يعتذر ويعرّفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه محاققته لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يستحسن فعله ويأمره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته اليهم وقال له انى قد أمرت عز الدين جلدك بن طغرل صاحب الجام أن يكون عندك لما أعلمه من عقله وحسن سيرته وأرسل الى جلدك يأمره بالمسير الى هراة وأسر اليه أن يحتال فى القبض على حسين بن خرميل ولو أول ساعة يلقاه فسار جلدك فى ألفى فارس وكان أبوه طغرل ايام السلطان سنجر واليا بهراة فهو اليها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلما قارب هراة أمر ابن خرميل الناس بالخروج بتلقيه وكان للحسين وزير يعرف بخواجه الصاحب وكان كبيرا قد حنكته التجارب فقال لابن خرميل لا تخرج الى لقائه ودعه يدخل اليك منفردا فانى أخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزمشاه أمر بذلك فقال لا يجوز أن يقدم مثل هذا الامير ولا ألقيه وأخاف ان يضطغن ذلك علىّ خوارزمشاه وما اظنه يتجاسر علىّ فخرج اليه الحسين بن خرميل فلما بصر كل واحد منهما بصاحبه ترجل للالتقاء وكان جلدك قد أمر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل وأصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق الباب والطلوع الى الاسوار واستعد للحصار ونزل جلدك على البلد وأرسل الى الوزير يبذل له الامان ويتهدده ان لم يسلم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث الدين محمود الغورى وقال لجلدك لا أسلم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانما هو لغياث الدين ولابيه قبله فقدموا ابن خرميل الى السور وخاطب الوزير وأمره بالتسليم فلم يفعل فقتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدم من أخباره عند شهاب الدين الغورى ما يدل على غدره وكفرانه الاحسان ممن أحسن اليه فلما قتل ابن خرميل كتب جلدك الى خوارزمشاه بجلية الحال فانفذ خوارزمشاه الى كزلك خان والى نيسابور والى أمين الدين ابى بكر صاحب زوزن يأمرهما بالمسير الى هراة وحصارها وأخذها فسارا فى عشرة آلاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم وقال ليس لكم من المحل ما يسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزمشاه سلمتها اليه فقاتلوه وجدوا فى قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصن هراة وعمل لها أربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلما فرغ من كل ما أراد قال بقيت اخاف على هذه المدينة شيأ واحدا وهو ان تسكر المياه التى لها اياما كثيرة ثم ترسل دفعة واحدة فتخرق اسوارها فلما حصرها هؤلاء سمعوا قول ابن خرميل فسكروا

أو الشعريين * أبا الحسن وابا سعيد شريكى عنان فى المروءة والفتوة * ورضيعى لبان فى أوامر النبوة * وأحكام آيات الله المتلوة * فى قضاء المواجب * واحتمال النوائب * فسقاله عن حقوق الناس * وفرغ لعلم النظر والقياس * وحظى بمثل ما أنبأ عنه ابو الفتح البستى من حاله

قد جمع الله أربعا لى
فيهن عزى وحسن حالى
بلاغ علم مساغ شرب
وفاغ عيش فراغ بالى

نعم واطلق تمادى الايام على نباهة أبى بكر وارتفاع مكانته * واتساع حشمته ومهابته * وانبساط أيدى حاشيته * فى اموال واعراض اهل ناحيته * واستمرار العناد بينه وبين أعيان الاشراف فى جيرته * ألسن الجمهور بحضرة السلطان بما طغى من حاله * وبغى من جرح خباله * ادلالا بأفاعله واعتمادا بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله * فتداركه الاحتمال * مدة من الزمان

المياه حتى اجتمعت كثيرا ثم أطلقوها على هراة فاحاطت بها ولم تصل الى السور لان ارض المدينة مرتفعة فامتلأ الخندق ماء وصار حولها وحل فانتقل العسكر عنهم ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة وهذا كان قصد ابن خرميل أن يمتلئ الخندق ماء ويمنع الوحل من القرب من المدينة فاقاموا مدة حتى نشف الماء فكان قول ابن خرميل من أحسن الحيل ونعود الى قتال خوارزمشاه الخطا وأسره واما خوارزمشاه فانه دام القتال بينه وبين الخطا في بعض الايام اقتتلوا واشتد القتال ودام بينهم ثم انهزم المسلمون هزيمة قبيحة وأسر كثير منهم وقتل كثير وكان من جملة الاسرى خوارزمشاه وأسر معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين مسعود أسرهما رجل واحد ووصلت العساكر الاسلامية الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فارسلت اخت كزلك خان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة وأعلمته الحال فلما اتاه الخبر سار عن هراة ليلا الى نيسابور واحس به الامير أمين الدين أبو بكر صاحب زوزن فاراد هو ومن عنده من الامراء منعه مخافة أن يجري بينهم حرب يطمع بسببها اهل هراة فيهم فيخرجون اليهم فيبلغون منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضته وكان خوارزمشاه قد خرب سور نيسابور لما ملكها من الغورية فشرع كزلك خان يعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الجند وعزم على الاستيلاء على خراسان ان صح فقد السلطان وبلغ خبر عدم السلطان الى أخيه علي شاه وهو بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعد لطلب السلطنة واختلطت خراسان اختلاطا عظيما وأما السلطان خوارزمشاه فانه لما أسر قال له ابن شهاب الدين مسعود يجب ان تدع السلطنة في هذه الايام وتصير خادما لعلي احتال في خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود ويقدم له الطعام ويخلعه ثيابه وخفه ويعظمه فقال الرجل الذي اسرهما لابن مسعود أرى هذا الرجل يعظمك فمن أنت فقال أنا فلان وهذا غلامي فقام اليه واكرمه وقال لولا ان القوم عرفوا بمكانك عندي لاطلقتك ثم تركه اياما فقال له ابن مسعود اني أخاف ان يرجع المنهزمون فلا يراني أهلي معهم فيظنون اني قتلت فيعملون العزاء والمأتم وتضيق صدورهم لذلك ثم يقتسمون مالي فاهلك واحب أن تقرر علي شيأ من المال حتى احمله اليك فقرر عليه مالا وقال له اريد أن تأمر رجلا عاقلا يذهب بكتابي الى اهلي ويخبرهم بعافيتي ويحضر معه من يحمل المال ثم قال ان اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامي اثق به ويصدقه اهلي فاذن له الخطائي بانفاذه فسيره وأرسل معه الخطائي فرسا وعدة من الفرسان يحمونه فسار واحتى قاربوا خوارزم وعاد الفرسان عن خوارزمشاه ووصل خوارزمشاه الى خوارزم فاستبشر به الناس وضربت البشائر وزينوا البلد وأتته الاخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع أخوه علي شاه بطبرستان

## (ذكر ما فعله خوارزمشاه بخراسان)

لما وصل خوارزمشاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلك خان وأخوه علي شاه وغيرهم فسار الى خراسان وتبعته العساكر فتقطعت ووصل هو اليها في اليوم السادس ومعه ستة فرسان وبلغ كزلك خان وصوله فاخذ أمواله وعساكره وهرب نحو العراق وبلغ اخاه علي شاه خافه وسار على طريق قهستان ملتجئا الى غياث الدين محمود الغوري صاحب فيروزكوه

مديدة محافظة على الصنيعة من الانتزاع * والعارفة من الارتجاع * وابقاء على الحبل المرموق في الله من ان يلم به انحطاط * أو ينحل له رباط * حتى اذا جاوز الاحتمال حده * وامتنع المستزاد بعده * عقد السلطان ولاية نيسابور لابي علي الحسن بن محمد بن العباس وقد كان جده في ملوك آل سامان مجدودا * وفي جملة الاعيان والثناء معدودا * وأثره فيما بين آثار الرجال محمودا * ووافق أبوه ايام السلطان * أول مقدمه خراسان * وانتصابه منصب اصحاب الجيوش بها لآل سامان * فانجبل خلقاهما على مناسبة الاشتراك وميعة الشباب * وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب * غير انه اعتبط في شبابه فعاد كما بدا

لكل امرئ يوما مداه الى الردى

وكان يضرب أبا نصر احمد ابن ميكال بقرابة * واواصر مستجابة * فنشأ في جملته نشأة المقيل * وخرج بخروج

فلقاه واكرمه وانزله عنده وأما خوارزم شاه فانه دخل نيسابور وأصلح امرها وجعل فيها نائبا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى أولئك الامراء ووثق بهم لانهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيروا ولم يبلغوا من هراة غرضا بحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزمشاه الى الوزير يقول له انك وعدت عسكرى انك تسلم المدينة اذا حضرت وقد حضرت فسلم فقال لا أفعل لانى اعرف انكم غدارون لا تبقون على احد ولا أسلم البلد الا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزمشاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتفق جماعة من اهل هراة وقالوا هلك الناس من الجوع والقلة وقد تعطلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهر وكان الوزير يعد بتسليم البلد الى خوارزمشاه اذا وصل اليه وقد حضر خوارزمشاه ولم يسلم ويجب ان نحتال فى تسليم البلد والخلاص من هذه الشدة التى نحن فيها فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وامرهم بالقبض عليهم فمضى الجند اليهم فثارت فتنة فى البلد عظم خطبها فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فمضى لذلك فكتب من البلد الى خوارزمشاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلطون فخربوا برجين من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزمشاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستمائة واصلح حاله وسلمه الى خاله امير ملك وهو من اعيان امرائه فلم تزل بيده حتى هلك خوارزمشاه واما ابن شهاب الدين مسعود فانه اقام عند الخطا مديدة فقال له الذى استأسره يوما ان خوارزمشاه قد عدم فايش عندك من خبره فقال له اما تعرفه قال لا قال هو اسيرك الذى كان عندك فقال لم لا عرفتنى حتى كنت اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتكم عليه فقال الخطائى سر بنا اليه فسارا اليه فأكرمهما واحسن اليهما وبالغ فى ذلك

*(ذكر قتل غياث الدين محمود)*

لما سلم خوارزمشاه هراة الى خاله أمير ملك وسار الى خوارزم أمره أن يقصد غياث الدين محمود ابن غياث الدين محمد بن سام الغورى صاحب الغور وفيروزكوه وأن يقبض عليه وعلى أخيه على شاه بن خوارزمشاه ويأخذ فيروزكوه من غياث الدين فسار أمير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فأعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه أمير ملك وعلى على شاه أخى خوارزمشاه فسألاه أن يحملهما الى خوارزمشاه ليرى فيهما رأيه فأرسل الى خوارزمشاه يعرفه الخبر فأمره بقتلهما فقتلا فى يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه وذلك سنة خمس وستمائة أيضا وهذا غياث الدين هو آخر ملوك الغورية ولقد كانت دولتهم من أحسن الدول سيرة واعدلها وأكثرها جهادا وكان محمود هذا عادلا حليما كريما من اكرم الملوك اخلاقا رحمه الله تعالى

*(ذكر عود خوارزمشاه الى الخطا)*

لما استقر أمر خراسان لمحمد خوارزمشاه وعبر نهر جيحون جمع له الخطا جمعا عظيما وساروا اليه والمقدم عليهم شيخ دولتهم القائم مقام الملك فيهم المعروف بطاينكو وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقى حروبا كثيرة وكان مظفرا حسن التدبير والعقل واجتمع خوارزمشاه وصاحب سمرقند وتصافوا هم والخطا سنة ست وستمائة فجرت حروب لم يكن مثلها شدة وصبروا فانهزم

القدح قدح ابن مقبل * واحدث له شكر النعمة حشمه * وصفوا لخدمة أدبارهم * فلما مضى أبو نصر لسبيله * أنهى الى السلطان حاله فى كيسه وذلاقته * وظرفه ولباقته * فاستحضره ليخبره * فوافق أولى النظرة قبولا * وطرفا بمورود الاعجاب منه مكحولا * وازداد على طول الخبرة وفاقا * وعلى سوق الخدمة نفاقا * فنما نمو الاشياء اصلحها التدبير * ولقحها التأبير * والماء الثمر * حتى سمت به المراتب * وتوجهت اليه الرغائب * وقابلت حشمته حشمة ارباب الجنود * وسادات الاقلام والحدود * وكان غرض السلطان فى عقد الرياسة له أن يقمع به من انعقدت له بدالة التأله والتعبد * وسابقة الترهب والتزهد * فقدر ان الذى حظى به معقود بالدين فلا سبيل الى حله * ولا لحاق أبدا لمستهله * ويرجع به الى ما يوجبه حكم التقية * من رفض المراتب العلية والمطامع

الخطا هزيمة منكرة وقتل منهم وأسر خلق لا يحصى وكان فيمن اسر طاينكو مقدمهم وجيء به الى خوارزمشاه فاكرمه واجلسه على سريره وسيره الى خوارزم ثم قصده خوارزمشاه الى بلاد ماوراء النهر فملكها مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ أوزكند وجعل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من أحسن الناس صورة فكان أهل خوارزم يجتمعون حتى ينظروا اليه فزوجه خوارزمشاه بابنته ورده الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان رسم الخطا

*(ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين)*

لما عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة لخوارزمشاه واقام معه نحو سنة فرأى سوء سيرة الخوارزميين وقبح معاملتهم ندم على مفارقة الخطا فأرسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلمها اليه ويعود الى طاعته وأمر بقتل كل من في سمرقند من الخوارزمية ممن سكنها قديما وحديثا وأخذ أصحاب خوارزمشاه فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الاسواق كما يعلق القصاب اللحم وأساء غاية الاساءة ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزمشاه فأغلقت الابواب ووقفت بجواريها تمنعه وارسلت اليه تقول أنا امرأة وقتل مثلي قبيح ولم يكن مني اليك ما أستوجب به هذا منك ولعل تركي أحمد عاقبة فاتق الله في فتركها ووكل بها من يمنعها التصرف في نفسها ووصل الخبر الى خوارزمشاه فقامت قيامته وغضب غضبا شديدا وأمر بقتل كل من بخوارزم من الغرباء فنعته أمه عن ذلك وقالت ان هذا البلد قد أتاه الناس من اقطار الارض ولم يرض كلهم بما كان من هذا الرجل فأمر بقتل أهل سمرقند فنهته أمه فانتهى وأمر عساكره بالتجهيز الى ماوراء النهر وسيرهم ارسالا كلما تجهز جماعة عبروا جيحون فعبر منهم خلق كثير لا يحصى ثم عبر هو بنفسه في آخرهم ونزل على سمرقند وانفذ الى صاحبها يقول له قد فعلت مالم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين مالا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت فقال لا أخرج وافعل ما بدا لك فأمر عساكره بالزحف فأشار عليه بعض من معه بان يأمر بعض الامراء اذا فتحوا البلدان يقصدوا الدرب الذي يسكنه التجار فيمنع من نهبه والتطرق اليهم بسوء فانهم غرباء وكلهم كارهون لهذا الفعل فأمر بعض الامراء بذلك وزحف ونصب السلاليم على السور فلم يكن باسرع من أن أخذوا البلد واذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من اهل سمرقند فنهب البلد وقتل أهله ثلاثة أيام فيقال انهم قتلوا منهم مائتي ألف انسان وسلم ذلك الدرب الذي فيه الغرباء فلم يعدم منهم الفرد ولا الآدمي الواحد ثم أمر بالكف عن النهب والقتل ثم زحف الى القلعة فرأى صاحبها ما ملأ قلبه هيبة وخوفا فارسل يطلب الامان فقال لا أمان لك عندي فزحفوا عليها فملكوها وأسروا صاحبها وأحضروه عند خوارزمشاه فقبل الارض وطلب العفو فلم يعف عنه وأمر بقتله فقتل صبرا وقتل معه جماعة من اقاربه ولم يترك أحدا ممن ينسب الى الخانية ورتب فيها وفي سائر البلاد نوابه ولم يبق لاحد معه في البلاد حكم

*(ذكر الوقعة التي أفنت الخطا)*

لما فعل خوارزمشاه بالخطا ما ذكرناه مضى من سلم منهم الى ملكهم فانه لم يحضر الحرب فاجتمعوا

الدنيويه * فلما وردها ساس اهلها سياسة لو عاش اليها زياد لعاد الى سياسته * بعين استزادته * خفقت عليه حتى صرير الجنادب * وسكن حتى دبيب العقارب * وهدأ حتى شغب المراتب * وسكت حتى دوي المذاهب * فكأنما اقبل به شفيف الشتاء

فلكل سامة أو هامة في الوجار انجحار * وبالمغار استتار * وقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه * ها ان هيبة السلطان هي التي خطمت الاهاضيم * وحطمت الاقاليم * فلو وكل بعض همه برواسي الجبال لاصبحت منسوفة * أو بطوامي البحار لعادت منزوفه * فاخطر خطة يتيه بها عن الرشد تائه * ويعمى عندها من قصد الصواب نبيه أونابه * ومن احسن في جنب مناله * نعن عون القدر وحكم الفلك الدوار على البشر * أبي الله ان يحمد على دعر المريد شهاب * أو يمدح على سقي الهول ذهاب

عنده وكان طائفة عظيمة من التترقد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديما ونزلوا وراء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلما سمعوا بما فعله خوارزمشاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلى خان فلما رأى ملك الخطا ذلك أرسل الى خوارزمشاه يقول له اما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفو عنه وقد اتى من هذا العدو من لا قبل لنا به وانهم ان انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة ان تسير الينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك انا اذا ظفرنا بهم لا نتعرض الى ما أخذت من البلاد ونقنع بما فى ايدينا وأرسل اليه كشلى خان ملك التتر يقول ان هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعدنا عليهم ونحلف أنا اذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضع التى ينزلونها فأجاب كلا منهما انى معك ومعاضدك على خصمك وسار بعساكره الى ان نزل قريبا من الموضع الذى تصافوا فيه فلم يخالطهم مخالطة يعلم بها انه من أحدهما فكانت كل طائفة منهم تظن انه معها وتواقع الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينئذ خوارزمشاه وجعل يقتل ويأسر وينهب ولم يترك أحدا ينجو منهم فلم يسلم منهم الا طائفة يسيرة مع ملكهم فى موضع من نواحى الترك يحيط به جبال ليس اليه طريق الا من جهة واحدة تحصنوا فيه وانضم الى خوارزمشاه منهم طائفة وسار وافى عسكره وأنفذ خوارزمشاه الى كشلى خان ملك التتر يمتن عليه بأنه حضر لمساعدته ولولاه ما تمكن من الخطا فاعترف له كشلى خان بذلك مدة ثم أرسل اليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا وقال كما اننا اتفقنا على ابادتهم ينبغى أن نقتسم بلادهم فقال ليس لك عندى غير السيف ولستم بأقوى من الخطا شوكة ولا أعز ملكا فان قنعت بالمساكتة والا سرت اليك وفعلت بك شرا مما فعلت بهم وتجهز وسار حتى نزل قريبا منهم وعلم خوارزمشاه انه لا طاقة له به فكان يراوغه فاذا سار الى موضع قصد خوارزمشاه أهله وأثقالهم فنهبها واذا سمع ان طائفة سارت عن موطنهم سار اليها فأوقع بها فأرسل اليه كشلى خان يقول له ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص والا ان كنت سلطانا كما تقول فيجب أن نلتقى فاما ان تهزمنى وتملك البلاد التى بيدى واما أن أفعل أنا بك ذلك فكان يغالطه ولا يجيبه الى ما طلب لكنه أمر أهل الشاش وفرغانة واسفيجاب وكاسان وما حولها من المدن التى لم يكن فى الدنيا أنزه منها ولا أحسن عمارة بالجلاء منها واللحاق ببلاد الاسلام ثم خربها جميعها خوفا من التتر أن يملكوها ثم اتفق خروج هؤلاء التتر الآخر الذين خربوا الدنيا وملكهم جنكزخان التمرجى على كشلى خان التترى الاول فاشتغل بهم كشلى خان عن خوارزمشاه فخلا وجهه فعبر النهر الى خراسان

* (ذكر ملك نجم الدين ابن الملك العادل خلاط) *

فى هذه السنة ملك الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب مدينة خلاط وسبب ذلك انه كان بمدينة ميافارقين من جهة أبيه فلما كان من ملك بلبان خلاط ما ذكرناه قصد هو مدينة موش وحصرها وأخذها وأخذ غيرها مما يجاورها وكان بلبان لم تثبت قدمه حتى يمنعه فلما ملكها طمع فى خلاط فسار اليها فهزمه بلبان كما ذكرناه أيضا فعاد الى بلده وجمع وحشد وسير اليه أبوه جيشا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكن نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وأرسل رسولا الى مغيث الدين

وتطرف الرئيس أبو على حواشى المقصود ينتزع منهم بعض ما أخذوه رشى * واحتووه ثروبا وكشى * ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن أكل بالله * وأظهر الزهد فى الدنيا ثم لم يتوكل على الله * وهم بصاحبهم فأخذ حذره * وأرخى من دونه ستره * ولم يقصد السلطان قصد استئصاله * ولا نفضه عن فضول ماله * فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة * وغصص الفطام عن العادة * وعطف من بعد الى جماعة الاشراف العلوية * ذوى الأقدار العلية * فأشعرهم أن حشمتهم بالطاعة موصولة * وحرمتهم بلزوم القصد وترك التعدى الحد مكفولة * فتلقوه بالاجلال * وقابلوا أمره بالامتثال * علما بأنه ظل الله فى أرضه فما يغنى عنه غير الانقياد * والميل على الغلو للاقتصاد * واستخلف أبو على على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة أبا نصر منصور بن رامش وهو يضرب بقرابة أبى السلطان الاقطعها عليه صيانة له

طغرل شاه بن قلج أرسلان وهو صاحب ارزن الروم يستنجده على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما نجم الدين وحصرا موش فأشرف الحصار على أن تملك فغدر ابن قلج أرسلان بصاحب خلاط وقتله طمعا في البلاد فلما قتله سار الى خلاط فمنعه أهلها عنها فسار الى ملازكرد فردّه أهلها أيضا وامتنعوا عليه فلما لم يجد في شئ من البلاد مطمعا عاد الى بلده فأرسل أهل خلاط الى نجم الدين يستدعونه اليهم ليملكوه فحضر عندهم وملك خلاط وأعمالها سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له ملكه لها خوفا من أبيه وكذلك أيضا خافه الكرج وكرهوه فتابعوا الغارات على اعمال خلاط وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها فلقي المسلمون من ذلك أذى شديدا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على حصن وان وهو من أعظم الحصون وأمنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فأرسل نجم الدين الى أبيه الملك العادل يعرّفه الحال ويطلب منه نجدة وان يمدّه بعسكر فسير اليه أخاه الملك الاشرف موسى بن العادل في عسكر فاجتمعا في عسكر كثير وحصرا قلعة وان وبها الخلاطية وجدّوا في قتالهم فضعف أولئك عن مقاومتهم فسلموها صلحا وخرجوا منها وتسلمها نجم الدين واستقرّ ملكه بخلاط وأعمالها وعاد أخوه الاشرف الى بلده حرّان والرها

*(ذكر غارات الفرنج بالشام)*

وفي هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد وأكثروا الاغارة على بلد حمص وولاياتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرا فلم يكن لصاحبها أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بهم قوة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم فاستنجد الظاهر غازي صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده أحد الا الظاهر فانه سير له عسكرا أقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فصالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرّت من اطلاق اسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص فنزل على بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس وحاصر موضعا يسمى القليعات وأخذه صلحا وأطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخرّبه وتقدّم الى طرابلس فنهب وأحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم تستقرّ قاعدة ودخل الشتاء وطلبت العساكر الشرقية العود الى بلادهم قبل البرد فنزل طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وعادت عساكر ديار الجزيرة الى أماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر ان أهل قبرس الفرنج أخذوا عدّة قطع من اسطول مصر وأسروا من فيها فأرسل العادل الى صاحب عكا في ردّ ما أخذوا ويقول نحن صلح فلم غدرتم بأصحابنا فاعتذر بأن أهل قبرس ليس لي عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان أهل قبرس ساروا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم تعذرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكا وأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حال فخرج بالعساكر وفعل بعكا ما ذكرنا فأجابه حينئذ صاحبها الى ما طلب وأرسل الاسرى

*(ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من أهلها)*

لما تم ملك خلاط واعمالها للملك الاوحد نجم الدين بن العادل سار عنها الى ملازكرد ليقرر

من نعيم الكرام * وتثريب الرجال عند ذكر الارحام * وطوع له قياد الاحرار * والاشراف الكبار * والزمهم أن يخدموه بكرة وأصيلا * ويختصوا بطاعته جملة وتفصيلا * فمن ورم أنفه شريفا كان أو مشروفا نفي عن بلده * وعري عما تحت يده * فشخصت اليه الاعناق * وأحدقت بفنائه الاحداق * واستتب له رياسة لا عهد لأحد بمثلها من رؤساء خراسان الا أبا عبد الله العصمي فانه بلغ مثلها ولكن على عمر مديد * وعز عتيد * وبأس شديد * وخدم وعبيد * وما زال ينادي على العفاة هل من مزيد * وفرش في زمانه بساط العدل بقواعد الاحفاش * كرجالات الثروة والرياش * اشتراكا في الانصاف * ونفقت سوق الاحتساب بالدرر فوق الاكتاف * فمن بدعة مرفوضة * ورتبة مخفوضة * وحدود على الحق مقامة * وعيون على الفضول منامة * وبطلت معها الحانات والمواخير * وخرست العيدان

قواعدها

قواعدها أيضا ويفعل ما ينبغي أن يفعله فيها فلما فارق خلاط وثب أهلها على من بها من العسكر فأخرجوه من عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها أصحاب الاوحد وناد وابشهارشاه ارمن وان كان ميتا يبعثون بذلك رد الملك الى أصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحصر خلاط فاختلف أهلها فمال اليه بعضهم حسدا للآخرين فملكها وقتل بها خلقا كثيرا من أهلها وأسر جماعة من الاعيان فسيرهم الى ميافارقين وكان كل يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم يسلم الا القليل وذل أهل خلاط بعد هذه الوقعة وتفرقت كلمة الفتيان وكان الحكم اليهم وكفى الناس شرهم فانهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكا ويقتلون آخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانما الحكم لهم واليهم

*(ذكر ملك ابي بكر بن البهلوان مراغة)*

في هذه السنة ملك الامير نصرة الدين أبو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك ان صاحبها علاء الدين قراسنقر مات هذه السنة وولى بعده ابن له طفل وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لابيه فعصى عليه أمير كان مع أبيه وجمع جمعا كثيرا فأرسل اليه الخادم من عنده من العسكر فقاتلهم ذلك الامير فانهزموا واستقر ملك ولد علاء الدين الا انه لم تطل أيامه حتى توفي في أول سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته ولم يبق منهم أحد فلما توفي سار نصرة الدين أبو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ما عدا قلعة رويندز فانها اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر فامتنع بها على الامير أبي بكر

*(ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة)*

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من أهل الري من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين بن القصاب وزير الخليفة الري ولقي من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيرا وحكم ابنه صاحب المخزن فلما كان في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل وأغلق بابه وكان سبب عزله انه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع فانه هرب من يده الى الشام سنة ثلاث وستمائة فارق الحاج بالمرخوم وأرسل يعتذر ويقول ان الوزير يريد أن لا يبقى في خدمة الخليفة أحدا من مماليكه ولا شك انه يريد أن يدعي الخلافة وقال الناس في ذلك فأكثروا وقالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم

ألا مبلغ عني الخليفة أحمدا * توق وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * فعالك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق * فأضيع ما كانت لديه الصنائع

فعزله وقيل في سبب ذلك غيره ولما عزل أرسل الى الخليفة يقول انني قدمت الى ههنا وليس لي دينار ولا درهم وقد حصل لي من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف دينار ويسأل أن يؤخذ منه الجميع ويمكن من المقام بالمشهد اسوة ببعض العلويين فأجابه انتا

والزامير * وركدت ألحان النائحات والسكارى * واستوت في الاقمار والبلاد بما وراءه الاستار عون النساء والعذارى * فأما شوارع أسواق البلد فقد كانت منذ بنيت بنيانا وفضاء لا يكنها غماء * ولا يظلها دون السماء سماء * تخرقها الاعاصير تارة وتردغها الاهاضيب أخرى فاما التراب مثارا * واما الانداء ثلوجا وأمطارا * لم يفطن أحد من ملوك خراسان وأصحاب الجيوش بها * لالحاقها بأخواتها * من ديار خراسان تسقيفا لها وتستيرا * وتنظيفا عن الاقذاء وتطهيرا * حتى ورد الرئيس أبو علي وطالب أهلها به فلم يمض شهران حتى سمقت نحو السكك سقوفها * وقامت على ركائز الأعواد حروفها * فمن بين منقش ومزخرف * ومدبج بالاصباغ ومفوف * تنفتح منها فرج بقدر ما يلي ضياء النهار على الابصار * دون ما توسع لدرور الغبار * وتمكن لدرور القطار * ويخبر البصراء

ما أنعمنا عليك بشئ فنوينا اعادته ولو كان ملء الارض ذهبا ونفسك فى أمان الله وأماننا ولم يبلغنا عنك ماتستوجب به ذلك فيران الاعداء قد أكثروا فيك فاختر لنفسك موضعا تنتقل اليه موقرا محترما فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه العدو فتذهب نفسه ففعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبا الى الناس حسن اللقاء لهم والانبساط معهم عفيفا عن أموالهم غير ظالم لهم فلما قبض عاد امير الحاج من مصر فى الخدمة العادلية وعاد ايضا قشتمر وأقيم فى النيابة فى الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن امسينا الواسطى الا انه لم يكن متحكما

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ليلة الاربعاء لخمس بقين من رجب زلزلت الارض وقت السحر وكنت حينئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجاءت الاخبار من كثير من البلاد بأنها زلزلت ولم تكن بالقوية وفيها اطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حق البيع ومايؤخذ من ارباب الامتعة من المكوس من سائر المبيعات وكان مبلغا كثيرا وكان سبب ذلك أن بنت العز الدين نجاح شرابى الخليفة توفيت فاشترى لها بقرة لتذبح ويتصدق بلحمها عنها فرفعوا فى حساب ثمنها مؤنة البقرة فكانت كثيرة فوقف الخليفة على ذلك وأمر باطلاق المؤنة جميعها وفيها فى شهر رمضان امر الخليفة ببناء دور فى المحال ببغداد ليفطر فيها الفقراء وسميت دور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضأن والخبز الجيد عمل ذلك فى جانبى بغداد وجعل فى كل دار من يوثق بامانته وكان يعطى كل انسان قدحا مملوأ من الطبيخ واللحم ومنا من الخبز فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة وفيها ازدادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء فى خندق بغداد من ناحية باب كلواذى فخيف على البلد من الغرق فاهتم الخليفة بسد الخندق وركب فخر الدين نائب الوزارة وعز الدين الشرابى ووقفا ظاهر البلد فلم يبرحا حتى سد الخندق وفيها توفى الشيخ حنبل بن عبد الله ابن الفرج المكبر بجامع الرصافة وكان عالى الاسناد روى عن ابن الحصين مسند أحمد بن حنبل وله اسناد حسن وقدم الموصل وحدث بها وبغيرها

*(ثم دخلت سنة خمس وستمائة)*

*(ذكر ملك الكرج ارجيش وعودهم عنها)*

فى هذه السنة سارت الكرج فى جموعها الى ولاية خلاط وقصدوا مدينة ارجيش فحصروها وملكوها عنوة ونهبوا جميع ما بها من الاموال والامتعة وغيرها وأسروا وسبوا أهلها وأحرقوها وخربوها بالكلية ولم يبق بها من أهلها أحد فأصبحت خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وكان نجم الدين أيوب صاحب ارمينية بمدينة خلاط وعنده كثير من العساكر فلم يقدم على الكرج لاسباب منها كثرتهم وخوفه من أهل خلاط لما كان أسلف اليهم من القتل والاذى وخاف ان يخرج منها فلا يمكن من العود اليها فلما لم يخرج الى قتال الكفار عادوا الى بلادهم سالمين لم يذعرهم ذاعر وهذا جميعه وان كان عظيما شديدا على الاسلام وأهله فانه يسير بالنسبة الى ما كان مما نذكره سنة أربع عشرة الى سنة سبع عشرة وستمائة

*(ذكر قتل سنجرشاه وملك ابنه محمود)*

استغراق قدر العمارة مائة ألف دينار عن طيب النفوس وفضل المكسوب لم يكلف أحد عليها * ولم يستكره دون المنال فيها * بل جمعهم المباهاه * وشملتهم المباراه * فأنفقوا موفرين ومستبصرين * ولا نفسهم على العجز دون المراد مستقصرين * فمن تسوق تاسعا أو عاشرا ليس بادئا أو ثانيا ارد الى الكاهل قذاله * وترك على شغل النظر أشغاله * فما لها من سمك شاخص فحو السماك * وزائد فلكا ناما على الافلاك * ولما عاد الرئيس الى الحضرة وقرر حال ماتولاه * ومن عزله وولاه * وافق هوى السلطان ورضاه * فصادف تقريرا وتمكينا * واحمادا واسعا مستبينا * وسنورد شرح ما يتجدد من هذه الاحوال ان أراد الله تعالى ذلك وبسره

*(ذكر الأمير صاحب الجيش أبى المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين)*

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة لما ملك خراسان

في هذه السنة قتل سنجرشاه ابن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عم نور الدين صاحب الموصل قتله ابنه غازي ولقد سلك ابنه في قتله طريقا عجيبا يدل على مكر ودهاء وسبب ذلك أن سنجر كان سيء السيرة مع الناس كلهم من الرعية والجند والحريم والاولاد وبلغ من قبيح فعله مع اولاده أنه سير ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلد الزوزان وأخرج ابنه هذا الى دار بالمدينة أسكنه فيها ووكل به من يمنعه من الخروج وكانت الدار الى جانب بستان لبعض الرعية فكان يدخل اليه منها الحيات والعقارب وغيرهما من الحيوان المؤذي ففي بعض الايام اصطاد حية وسيرها في منديل الى أبيه لعله يرق له فلم يعطف عليه فأعمل الحيلة حتى نزل من الدار التي كان بها واختفى ووضع انسانا كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد الموصل وأظهر أنه غازي بن سنجر فلما سمع نور الدين بقربه منها أرسل نفقة وثيابا وخيلا وأمره بالعود وقال ان أباك يتجنى لنا الذنوب التي لم نعملها ويقبح ذكرنا فاذا صرت عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والبشاعات ونقع معه في صداع لا ينادى وليده فسار الى الشام وأما غازي بن سنجر فانه تسلق الى دار أبيه واختفى عند بعض سراريه وعلم به أكثر من بالدار فسترت عليه بغضا لابيه وتوقعا للخلاص منه لشدته عليهن فبقي كذلك وترك أبوه الطلب له ظنا منه انه بالشام فاتفق ان أباه في بعض الايام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمائه فكان يقترح على المغنين ان يغنوا في الفراق وما شاكل ذلك ويبكي ويظهر في قوله قرب الاجل ودنو الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى آخر النهار وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه ففي الليل دخل الخلاء وكان ابنه عند تلك الحظية فدخل اليه فضربه بالسكين أربع عشرة ضربة ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجواري فلو فتح باب الدار وأحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنه أمن واطمأن ولم يشك في الملك فاتفق ان بعض الخدم الصغار خرج الى الباب واعلم استاذدار سنجر الخبر فأحضر أعيان الدولة وعرفهم ذلك وأغلق الابواب على غازي واستحلف الناس لمحمود بن سنجرشاه وأرسل اليه أحضره من فرح ومعه أخوه مودود فلما حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدار على غازي ودخلوا عليه ليأخذوه فمانعهم عن نفسه فقتلوه وألقوه على باب الدار فأكلت الكلاب بعض لحمه ثم دفن باقيه ووصل محمود الى البلد وملكه ولقب بمعز الدين لقب أبيه فلما استقر أخذ كثيرا من الجواري اللواتي لابيه فغرقهن في دجلة ولقد حدثني صديق لنا أنه رأى بدجلة في مقدار غلوة سهم سبع جوار مغرقات منهن ثلاث قد احرقت وجوههن بالنار فلم أعلم سبب ذلك الحريق حتى حدثتني جارية اشتريتها بالموصل من جواريه ان محمودا كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها في النار فاذا احترقت ألقاها في دجلة وباع من لم يغرقه منهن فتفرق أهل تلك الدار أيدي سبا وكان سنجرشاه قبيح السيرة ظالما غاشما كثير المخاتلة والمواربة والنظر في دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيته وغيرهم من أخذ الاموال والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طريقا وعرا من قطع الالسنة والانوف والآذان وأما اللحى فانه حلق منها ما لا يحصى وكان جل فكره في ظلم يفعله وبلغ من شدة ظلمه انه كان اذا استدعى انسانا يحسن اليه لا يصل الا وقد قارب الموت من شدة الخوف واستعلى في أيامه السفهاء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب البلد وتفرق

وأخلاها من شرذمة آل سامان * عرف له موالاته اياه وهجرته فيها اسمعيل بن ناصر الدين أخاه اعظاما لحق الكبر واعترافا بواجب الفرض فولاه نيسابور مظنة أصحاب الجيوش الاكابر على وجه الزمان الغابر سادا به مكانه من قبل اذ هو سائس الجمهور * ومدبر هاتيك الامور * ومن وضع أخاه موضعا قد سده قبل بنفسه * ورآه أهلا لبعض قدره * فقد بالغ في البر والتوقير * وخرج من عهدة التقصير * فوليها سنين عدة حميد السيرة في الخيرة كريم الفعال * في سياسة الرجال وجرى على يده من حميد الآثار في مطاردة أبي ابراهيم المنتصر عند ركضاته وكفاية ما كان يطرأ من معرته وشذاته * ما تقدم شرحه ثم رأى السلطان بعد ذلك أن يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه * وأهل به مستجمه ومغزاه * فلم يزايله بعد بحال ولم يفاصله في حالتي حل وترحال * وكان يراه

أهله لاجرم سلط الله عليه أقرب الخلق اليه فقتله ثم قتل ولده غازى وبعد قليل قتل ولده محمود أخاه مودودا وجرى فى داره من التحريق والتغريق والتفريق ماذكرنا بعضه ولو رمنا شرح قبح سيرته لطال والله تعالى بالمرصاد لكل ظالم

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ثانى المحرم توفى أبو الحسن ورام بن أبى فراس الزاهد بالحلة السيفية وهو منها وكان صالحا وفى صفر توفى الشيخ مصدق بن شبيب النحوى وهو من أهل واسط وفى شعبان توفى القاضى محمد بن أحمد بن المندائى الواسطى بها وكان كثير الرواية للحديث وله اسناد عال وهو آخر من حدث بمسند أحمد بن حنبل على ابن الحصين وفيه توفى القوام أبو فراس نصر بن ناصر بن مكى المدائنى صاحب المخزن ببغداد وكان أديبا فاضلا كامل المروأة يحب الادب واهله ويحب الشعر ويحسن الجوائز عليه ولما توفى ولى بعده أبو الفتوح المبارك بن الوزير عضد الدين أبى الفرج بن رئيس الرؤساء وأكرم وأعلى محله فبقى متوليا الى سابع ذى القعدة وعزل لعجزه وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان أشدها بنيسابور وخرج أهلها الى الصحراء أياما حتى سكنت وعادوا الى مساكنهم

*(ثم دخلت سنة ست وستمائة)*

*(ذكر ملك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتفاق نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين)*

فى هذه السنة ملك العادل أبو بكر بن أيوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من أعمال الجزيرة وهى بيد قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود وسبب ذلك أن قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وقد تقدم ذكر ذلك فلما كان سنة خمس وستمائة حصلت مصاهرة بين نور الدين والعادل فان ولد العادل تزوج بابنة لنور الدين وكان لنور الدين وزراء يحبون ان يشتغل عنهم فحسنوا له مراسلة العادل والاتفاق معه على أن يقتسما البلاد التى لقطب الدين وبالولاية التى لولد سنجر شاه بن غازى بن مودود وهى جزيرة ابن عمر وأعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل وتكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هوى نور الدين فأرسل الى العادل فى المعنى فأجابه الى ذلك مستبشرا وجاءه مالم يكن يرجوه لانه علم أنه متى ملك هذه البلاد أخذ الموصل وغيرها وأطمع نور الدين أيضا فى أن يعطى هذه البلاد اذا ملكها الولد الذى هو زوج ابنة نور الدين ويكون مقامه فى خدمته بالموصل واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفا عليها فبادر العادل الى المسير من دمشق الى الفرات فى عساكره وقصد الخابور فأخذه فلما سمع نور الدين بوصوله كأنه خاف واستشعر فأحضر من يرجع الى رأيهم وقولهم وعرفهم وصول العادل واستشارهم فيما يفعله فاما من أشار عليه فسكتوا وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظم الامر وأشار بالاستعداد للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخائر وما يحتاج اليه فقال نور الدين نحن فعلنا ذلك وخبره الخبر فقال بأى رأى تجىء الى عدو لك هو أقوى منك وأكثر جمعا وهو بعيد منك متى تحرك لقصدك تعلم به فلا يصل الا وقد فرغت من جميع ما تريده تسعى حتى يصير قريبا

منك

فى مقاماته أول من سمح بروحه فى المحاماة على دين الله * والمراماة من دون حق الله * وواقيا أشياعها بمهجته نفسه ان كشف زحام * أو عظم على جيوش حق الله استلحام * شفقة تجيش بها الحمة القربى * وشجنة من الرحم الدنيا * وكان ينصر مذهب الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى اعتقادا ويرى الاستمساك به رشادا فأمر بمدرسة بنيسابور فى جوار القاضى أبى العلاء صاعد بن محمد وأنفق مالا حتى ابتناها * وحبس حبائس على من أواها * ودارس بأمالى العلم فى ذراها * فبقيت تذكرة عنه تغدى بالعلم وتراح * ويثنى عليها الامساء والاصباح * ولم ينقم السلطان منه طول أيامه قولا محالا * وافظا دون الصواب مستحالا * ولاشكا أحد من الكبار له جانبا وفعلا لاشفاق الرؤس على الاتباع مجانبا * وقضى الله أن خانه الشباب ولما استوفى أمده * ونقض بياض الامل فيه يده * فلحق بالواحد

منك ويزداد قوة الى قوته ثم ان الذى استقر بينكما انه له ما ملكه أولا بغير تعب ولا مشقة وتبقى
أنت لا يمكنك ان تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها والعادل ههنا هذا ان وفى لك بما
استقرت القاعدة عليه لا يجوز ان تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانه قد صار له ملك خلاط
وبعض ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيد أولاده فمتى سرت عن الموصل أمكنهم أن
يحولوا بينك وبينها فما زدت على أن آذيت نفسك وابن عمك وقويت عدوك وجعلته شمارك
وقد فات الامر وليس يجوز الا ان تقف معه على ما استقر بينكما لئلا يجعل ذلك حجة ويبتدئ بك
هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار يحصرها وكان فى عزم صاحبها قطب
الدين ان يسلمها الى العادل بعوض يأخذه عنها فمنعه من ذلك أمير كان معه اسمه أحمد بن برنقش
مملوك أبيه زنكى وقام بحفظ المدينة والذب عنها وجهز نور الدين عسكرا مع ولده الملك القاهر
ليسيروا الى الملك العادل فبينما الامر على ذلك اذ جاءهم أمر لم يكن لهم فى حساب وهو أن مظفر
الدين كوكبرى صاحب اربل أرسل وزيره الى نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع
العادل عن سنجار وان الاتفاق معه على ما يريده فوصل الرسول ليلا فوقف مقابل دار نور
الدين وصاح فعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين ليلا وأبلغه الرسالة فأجاب نور الدين
الى ما طلب من الموافقة وحلف له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفر الدين واجتمع هو
ونور الدين ونزلا بعسكرهما بظاهر الموصل وكان سبب ما فعله مظفر الدين ان صاحب سنجار
أرسل ولده الى مظفر الدين يستشفع به الى العادل ليبقى عليه سنجار وكان مظفر الدين يظن انه
لو شفع فى نصف ملك العادل لشفعه لاثره الجميل فى خدمته وقيامه فى الذب عن مملكته غير مرة
كما تقدم فشفع اليه فلم يشفعه العادل ظنا منه انه بعد اتفاقه مع نور الدين لا يبالى بمظفر الدين
فلما رده العادل فى شفاعته راسل نور الدين فى الموافقة عليه ولما وصل الى الموصل واجتمع بنور
الدين أرسلا الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو بن قلج
أرسلان صاحب بلاد الروم بالاتفاق معهما فكلاهما أجاب الى ذلك وتداعوا على الحركة
وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وأرسلا أيضا الى الخليفة
الناصر لدين الله ليرسل رسولا الى العادل فى الصلح ايضا فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار
على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن الضحاك استاذ الدار والامير
آقباش وهو من خواص مماليك الخليفة وكبارهم فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل
وهو يحاصر سنجار وكان من معه لا يناصحونه فى القتال لا سيما أسد الدين شيركوه صاحب
حمص والرحبة فانه كان يدخل اليها الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرا ولا يقاتل عليها
وكذلك غيره فلما وصل رسول الخليفة الى العادل أجاب أولا الى الرحيل ثم امتنع عن ذلك وغالط
وأطال الامر لعله يبلغ منها غرضا فلم ينل منها ما أمله وأجاب الى الصلح على ان له ما أخذ وتبقى
سنجار لصاحبها واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلهم وعلى ان يكونوا يدا
واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حران وعاد مظفر الدين الى اربل وبقى
كل واحد من الملوك فى بلده وكان مظفر الدين عند مقامه بالموصل قد زوج ابنتين له بولدين
لنور الدين وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكى

الغفار
ان الكرام قليلة الاعمار
وكتبت فى مرثيته رسالة
سلكت ابياتها فى ذكره
فعملت اذ كان فى ضمنها
ما ينبئ بشرح حاله * وتقرير
بعض خصاله * وهى
بسم الله الرحمن الرحيم
آه من سفرة بغير اياب
آه من حسرة على الاحباب
آه من مضجع الامير المفدى
فوق فرش من الحصى والتراب
نصير بن الامير ناصر دين الله
صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش درة الشرق
تاج الـ * فخر غوث الكرام
والكتاب
نعاء يا ساسة الرجال * ياسادة
الفعال * يا أعيان العلوم
يا اخوان النجوم * ياشيوخ
الاسلام * يا عيون الكرام
يا أحرار الزمان * يا أنصار
السلطان
نعاء الى كل حى نعاه
فتى الكرم احتل ربع الفناء
أتدرون أى ركن انهدم
وأى حد انثلم * وأى عقد
انفصم * وأى سوار انقصم
وأى روض ذبل * وأى نجم
أفل * وأى بحر نضب * وأى
طود تحصب * وأى خطب

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في ربيع الاول عزل فخر الدين بن امسينا عن نيابة الوزارة للخليفة وألزم بيته ثم نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولي بعده نيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن برز القمي كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين ونقل الى دار الوزارة مقابل باب النوبي وفيها في شوال توفي مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وفيها توفي فخر الدين أبو الفضل محمد بن عمر بن خطيب الري الفقيه الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والاصولين وغيرهما وكان امام الدنيا في عصره وبلغني ان مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها في سلخ ذي الحجة توفي اخي مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب مولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وكان عالما في عدة علوم منها الفقه والاصولان والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتبا مفلقا يضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من اهل عصرنا يعلم أني مقصر وفيها توفي المجد المطرزي النحوي الخوارزمي وكان اماما في النحو له فيه تصانيف حسنة وفيها توفي المؤيد بن عبد الرحيم ابن الاخوة باصفهان وهو من أهل الحديث رحمه الله

*(ثم دخلت سنة سبع وستمائة)*

*(ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه)*

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولاه الخليفة خوزستان بعد طاشتكين أمير الحاج كما ذكرناه فلما كان سنة ست وستمائة بدا منه تغير عن الطاعة فروسل في القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة ويبطن التغلب على البلاد فبقي الامر كذلك الى ربيع الاول من هذه السنة فتقدم الخليفة الى مؤيد الدين نائب الوزارة والى عز الدين بن نجاح الشرابي خاص الخليفة بالمسير بالعساكر اليه بخوزستان واخراجه عنها فسارا في عساكر كثيرة فلما تحقق سنجر قصدهم اليه فارق البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو اتابك عز الدين سعد بن دكلا ملتجئا اليه فأكرمه وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان في ربيع الآخر بغير ممانعة فلما استقروا في البلاد راسلوا سنجر يدعونه الى الطاعة فلم يجب الى ذلك فساروا الى أرّجان عازمين على قصد صاحب شيراز فأدركهم الشتاء فأقاموا شهورا والرسل مترددة بينهم وبين صاحب شيراز فلم يجبهم الى تسليمه فلما دخل شوال رحلوا يريدون شيراز فحينئذ أرسل صاحبها الى الوزير والشرابي يشفع فيه ويطلب العهد له على ان لا يؤذى فأجيب الى ذلك وسلمه اليهم هو وماله وأهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار وولي الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوتا أمير الحاج ووصل الوزير الى بغداد في المحرم سنة ثمان وستمائة هو والشرابي والعساكر وخرج أهل بغداد الى تلقيهم فدخلوها وسنجر معهم راكبا على بغل باكاف وفي رجله سلسلتان في يد كل جندي سلسلة وبقي محبوسا الى أن دخل صفر فجمع الخلق الكثير من الامراء والاعيان الى دار مؤيد الدين نائب الوزارة فأحضر سنجر وقرر بامور

نزل * واي نصر رحل * رحل والله نصر بن الامير الجليل ناصر الدين الامير ابن الامير والشهاب ابن الاثير * والبحر ابن الصبير * والحبر ابن النحرير * والعنبر ابن العبير مرخ الملك أو عفاره * وسور الدين أو سواره * وركن العز أو غراره * ونور المجد أو عراره غارت به بحيرة الادب التي استعذبتها الشفاه * وضلت قبلة العلم التي وليت شطرها الجباه * وعريت دوحة الكرم التي خبطتها العفاه وجفت طينة الفضل التي خدمتها الكفاه * وطلقت كريمة البر التي درس عليها التوحيد * وغذي بها اليافع والوليد * وأحيت عليها ذواصل النهار * وحليت بها عواطل الأسحار وأقشعت سماء شام أبناء الدين بوارقها * وخاف أحزاب الكفر والجحود صواعقها * فلا نار ولا ماء ولا خوف ولا رجاء * فأضحى به جيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان مبثوقا وبناء العز منقوضا * ولواء المجد مخفوضا * ودمع الدين مسفوحا * وطرف

نسبت اليه منكرة فأقر بها فقال مؤيد الدين للناصر قد عرفتم ما تقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا أمير المؤمنين عنه وأمر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل ان أتابك سعد نهب مال سنجر وخزانته ودوابه وكل ماله ولاصحابه وسيرهم فلما وصل سنجر الى الوزير والشرابي طلبوا المال فأرسل شيأ يسيرا والله أعلم

*(ذكر وفاة نور الدين أرسلانشاه وشئ من سيرته)*

في هذه السنة أواخر رجب توفي نور الدين أرسلانشاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وكان شهما شجاعا ذا سياسة للرعايا شديدا على أصحابه فكانوا يخافونه خوفا شديدا وكان ذلك مانعا من تعدى بعضهم على بعض وكان له همة عالية أعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة في طلب الملك الا انه لم يكن له صبر فلهذا لم يتسع ملكه ولو لم يكن له من الفضيلة الا انه لما رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرنا سنة خمس وتسعين وخمسمائة عف عنها وأبقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوة الامتناع لان من كان بها كانوا قد هلكوا أو ضجروا ولم يبق لهم رمق فابقاها على صاحبها ولما ملك استغاث اليه انسان من التجار فسأل عن حاله فقيل انه قد أدخل قماشه الى البلد ليبيعه فلم يتم له البيع ويريد اخراجه وقد منع من ذلك فقال من منعه فقيل ضامن البز يريد منه ما جرت به العادة من المكس وكان القيم بتدبير مملكته مجاهد الدين قايماز وهو الى جانبه فسأله عن العادة كيف هي فقال ان اشترط صاحبه اخراج متاعه مكن من اخراجه وان لم يشترط ذلك لم يخرج حتى يؤخذ ما جرت العادة بأخذه فقال والله ان هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لاى شئ يؤخذ منه ماله فقال مجاهد الدين لا شك في فساد هذه العادة فقال اذا قلت أنا وأنت انها عادة فاسدة فما المانع من تركها وتقدم باخراج مال الرجل وأن لا يؤخذ الا ممن باع وسمعت أخي مجد الدين أبا السعادات رحمه الله وكان من اكثر الناس اختصاصا به يقول ما قلت له يوما في فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى في بعض الايام أخي المذكور فركب الى داره فلما كان بباب الدار لقيته امرأة وبيدها رقعة وهي تشكو وتطلب عرضها على نور الدين فأخذها فلما دخل اليه جاراه في مهم له فقال قبل كل شئ تقف على هذه الرقعة وتقضي شغل صاحبتها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرفنا ايش فيها فقال والله لا أعلم الا انني رأيت امرأة بباب الدار وهي متظلمة شاكية فقال نعم عرفت حالها ثم انزعج فظهر منه الغيظ والغضب وعنده رجلان هما القيمان بامور دولته فقال لاخي ابصر الى أي شئ قد دفعت مع هذين هذه المرأة كان لها ابن وقد مات في الموصل وهو غريب وخلف قماشا ومملوكين فاحتاط نواب بيت المال على القماش واحضروا المملوكين الينا فبقيا عندنا ننتظر من يستحق التركة ليأخذها فحضرت هذه المرأة ومعها كتاب حكمي بان المال الذي مع ولدها لها فتقدمنا بتسليم مالها اليها وقلت لهذين اشتريا المملوكين منها وانصفاها في الثمن فعادا وقالا لم يتم بيننا بيع لانها طلبت ثمنا كثيرا فأمرتهما باعادة المملوكين اليها من مدة شهرين وأكثر والى الآن ما عدت سمعت لها حديثا وظننت انها أخذت مالها

الاسلام مجروحا وأقبل العلم في صورة المفجوع * وبزة الخشوع * يقرمط خطوه * وينفث الى أهله شكوه * مغرقا في صعداء تذوب لها جوامد الدموع * وتتقد عليها لواحب الضلوع * ولو غير المنون أتاه أهوى اليه أخوه بالبيض البواتر يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصباح المفاخر ولكن القضاء له مضاء تذل اعز مضربه المناخر الا يا صاحبي تمعكما الى أن كنتما مسعدين * وجامعين الى كلتا اليدين المالى نصر وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا فيا قبر نصر أنت أول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا بلى قد وسعت الجود والجود ميت

ولاشك انهم الم يسلما المملوكين اليها وقد استغاثت اليهما فلم ينصفاها فجاءت اليك وكل من رأى هذه المرأة تشكو وتستغيث يظن انى آنا منعتهما من مالها فذممنى وينسبنى الى الظلم واى سى لى علم وكل هذا فعل هذين اشتهى أن تسلم أنت المملوكين وتسلمهما اليها فأخذت المرأة مالها وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لانطول بذكره

## (ذكر ولاية ابنه الملك القاهر)

لما حضر نور الدين الموت أمر ان يرتب فى الملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود وأحلف له الجند واعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل موته بمدة فجدد العهد له عند وفاته وأعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتها وسيره الى العقر وأمر ان يتولى تدبير مملكتها ويقوم بحفظها والنظر فى مصالحها اتابكه الامير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السيادة فيه وكان عمر القاهر حينئذ عشر سنين ولما اشتد مرضه وايس من نفسه أمره الاطباء بالانحدار الى الحامة المعروفة بعين القيارة وهى بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضعفا فأخذه بدر الدين واصعده فى الشبارة الى الموصل فتوفى فى الطريق ليلا ومعه الملاحون والاطباء بينه وبينهم ستر وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان فلما توفى نور الدين قال لهما لايسمع أحد بموته وقال للاطباء والملاحين لايتكلم أحد فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل فى الليل فأمر الاطباء والملاحين بمفارقة الشبارة لئلا يروه ميتا وأبعدوا وحمله هو والمملوكان وأدخله الدار وتركه فى الموضع الذى كان فيه ومعه المملوكان ونزل على بابه من يثق اليه لايمكن أحدا من الدخول والخروج وقعد مع الناس يمضى أمورا كان يحتاج الى اتمامها فلما فرغ من جميع مايريده أظهر موته وقت العصر ودفن ليلا بالمدرسة التى انشأها مقابل داره وضبط البلد تلك الليلة ضبطا جيدا بحيث ان الناس فى البلد لم يزالوا مترددين لم يعدم من أحد مقدار الحبة الفرد واستقر الملك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر فى مصالحها

## (ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر درس القاضى أبو زكريا بن القاسم بن المفرج قاضى تكريت بالمدرسة النظامية ببغداد استدعى من تكريت اليها وفيها نقصت دجلة بالعراق نقصا كثيرا حتى كان يجرى الماء ببغداد فى نحو خمسة أذرع وأمر الخليفة أن يكرى دجلة فجمع الخلق الكثير وكانوا كلما حفروا شيأ عاد الرمل وغطاه وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد وهذا لم يعهد مثله وحج بالناس هذه السنة علاء الدين محمد ولد الامير مجاهد الدين ياقوت أمير الحاج وكان قد ولاه الخليفة خوزستان وجعله هو أمير الحاج وجعل معه من يدبر الحاج لانه كان صبيا وفيها فى العشرين من ربيع الآخر توفى ضياء الدين احمد عبد الوهاب بن على بن عبد الله الامير البغدادى ببغداد وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وثمانون سنة وشهور وكان صوفيا فقيها محدثا سمعنا معه الكثير رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح وفيها توفى شيخنا ابو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادى وكان عالى الاسناد

ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
بكى الجود لما مات نصر فلم يدع
لعينيه الا أن بكى الجود مدمعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى
وأصبح عرنين السماحة أجدعا
أئن جاز للموت أن يغصب الامير نصر القد ساغ لى أن أغصبا معنا وأين معن من شقيق ملك الشرق * وسائس جمهور الخلق * والقاعد من قمة الفرقدين على الفرق * سلطان الزمان يمين الدولة * وأمين الملة * من دانت لعزه القروم * واستكانت لهيبته الترك والروم * فى بعض خصاله ألف معن لم يرق اليه معن بهمته * ولم يلق له ذكرا فى ديوان نعمته * نال حظوة من سلطان زمانه باتفاق * اذا الحرب قامت على ساق * ودارت كؤسها

## (ثم دخلت سنة ثمان وستمائة)

### (ذكر استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش)

في هذه السنة في شعبان قدم ايتغمش صاحب همذان واصفهان والري وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربا من منكلي وسبب ذلك ان ايتغمش كان قد تمكن في البلاد وعظم شأنه وانتشر صيته وكثر عسكره حتى انه حصر صاحبه ابابكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان واران كما ذكرناه فلما كان الآن خرج عليه مملوك اسمه منكلي ونازعه في البلاد وكثر اتباعه وأطاعه المماليك البهلوانية فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين ايتغمش الى بغداد فلما وصل اليها امر الخليفة بالاحتفال به في اللقاء فخرج الناس كافة وكان يوم وصوله مشهودا ثم قدمت زوجته في رمضان في محمل فأكرمت وأنزلت عند زوجها وأقام ببغداد الى سنة عشر وستمائة فسار عنها فكان من امره ما نذكره

### (ذكر نهب الحاج بمنى)

وفي هذه السنة نهب الحاج بمنى وسبب ذلك ان باطنيا وثب على بعض اهل الامير قتادة صاحب مكة فقتله بمنى ظنا منه انه قتادة فلما سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد واهل مكة وقصدوا الحاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان امير الحاج ولد الامير ياقوت المقدم ذكره وهو صبي لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحير وتمكن أمير مكة من نهب الحاج فنهبوا منهم من كان في الاطراف وأقاموا على حالهم الى الليل فاضطرب الحاج وباتوا باسوأ حال من شدة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاج انتقل بالحاج الى منزلة حجاج الشام فأمر بالرحيل فرفعوا أثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدو فيهم وتمكن من النهب والتحق من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثم رحلوا الى الزاهر ومنعوا من دخول مكة ثم أذن لهم في ذلك فدخلوها وتمموا حجهم وعادوا ثم أرسل قتادة ولده وجماعة من أصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحاج

### (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أظهر الاسماعيلية ومقدمهم جلال الدين بن فلان بن حسن بن الصباح الانتقال عن فعل المحرمات واستحلالها وامر باقامة الصلوات وشرائع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وأرسل مقدمهم رسلا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وأرسل والدته الى الحج فاكرمت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريق مكة وفيها سلخ جمادى الآخرة توفي أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا اليه انتهت رياسة الشافعية لم يكن في زمانه مثله وكان حسن الاخلاق كثير التجاوز عن الفقهاء والاحسان اليهم رحمه الله وفيها في شهر ربيع الاول توفي القاضي أبو الفضائل علي بن يوسف بن أحمد بن الآمدي الواسطي قاضيها وكان نعم الرجل وفيها في شعبان توفي المعين أبو الفتوح عبد الواحد بن أبي أحمد بن علي الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان موته بجزيرة كيش مضى اليها رسولا من الخليفة وكان من أصدقائنا وبيننا وبينه مودة متأكدة وصحبة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين

بين خاس وساق * وقد فضحه ابن بنان في جوده * وفضله بالسخاء عن موجوده * ثم لم يعترض له صيانة لفعاله * ولم يقترف عليه من بعد ذهاب بعض حاله وجماله * هاان الامير نصرا ورث العز أباه * ولم يخدم مدى العمر الا أخاه ولم يلهه غير فراغ الاكياس عن شغل المواهب * وفلول الاسياف عن قراع الكتائب * وقطيعة الدنيا في صلة الرحم * وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولي النعم * * نشأ بين القرآن والتفسير والايمان والتذكير * والعلم بالصلاة والصيام * والفرق بين الحلال والحرام * وسخر الورى بطرف العنان * وسن العلا بحد السنان * قد اقتسمت أيامه شرائط السلم باسمة الثغور * أو الحرب ظاهرة البسور * فاما المغافر والبواتر * واما الدفاتر والمحابر واما المحاضر والمنابر

رحمه الله ورضى عنه وله كتابة حسنة وشعر جيد وكان عالما بالفقه وغيره ولما توفى رتب أخوه زين الدين عبد الرزاق بن أبى احمد وكان ناظرا على المارستان العضدى فتركه واقتصر على الرباط وفيها فى ذى الحجة توفى محمد بن يوسف بن محمد بن عبد الله النيسابورى الكاتب الحسن الخط وكان يؤدى طريقة ابن البواب وكان فقيها حاسبا متكلما وفيها توفى عمر بن مسعود أبى العز أبو القاسم البزاز البغدادى بها وكان من الصالحين يجتمع اليه الفقراء كثيرا ويحسن اليهم وتوفى أيضا أبو سعيد الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون الثعلبى العدوى وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالما

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة)

(ذكر قدوم ابن منكلى بغداد)

فى هذه السنة فى المحرم قدم محمد بن منكلى المستولى على بلاد الجبل الى بغداد وسبب ذلك ان أباه منكلى لما استولى على بلاد الجبل وهرب ايتغمش صاحبها منها الى بغداد خاف أن يساعده الخليفة ويرسل معه العساكر فعظم الامر عليه لانه لم يكن قد تمكن فى البلاد فأرسل ولده محمدا ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وانزل وأكرم وبقى ببغداد الى أن قتل ايتغمش فخلع عليه وعلى من معه وأكرموا وسيرهم الى أبيه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب مصر والشام على أمير اسمه اسامة كان له اقطاع كثيرة من جملتها حصن كوكب من أعمال الاردن بالشام وأخذ منه حصن كوكب وخربه وعفى أثره ومن بعده بنى حصنا بالقرب منه على جبل يسمى الطور وهو معروف هناك وشحنه بالرجال والذخائر والسلاح وفيها توفى الفقيه محمد بن اسمعيل بن أبى الصيف اليمنى فقيه الحرم الشريف بمكة

(ثم دخلت سنة عشر وستمائة)

(ذكر قتل ايتغمش)

فى هذه السنة فى المحرم قتل ايتغمش الذى كان صاحب همذان وقد ذكرنا سنة ثمان انه قدم الى بغداد وأقام بها فانعم عليه الخليفة وشرفه بالخلع وأعطاه الكوسات وما يحتاج اليه وسيره الى همذان فسار فى جمادى الآخرة عن بغداد قاصدا الى همذان فوصل الى بلاد ابن ترجم واجتمعا وأقام ينتظر وصول عساكر بغداد اليه ليسير معه على قاعدة استقرت بينهم وكان الخليفة قد عزل سليمان بن ترجم عن الامارة على عشيرته من التركمان الايوانية وولى أخاه الاصغر فأرسل سليمان الى منكلى يعرفه بحال ايتغمش ومضى هو على وجهه فأخذوه وقتلوه وحملوا رأسه الى منكلى وتفرق من معه من أصحابه فى البلاد لا يلوى أخ على أخيه ووصل الخبر بقتله الى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وأرسل الى منكلى ينكر عليه ما فعل فاجاب جوابا شديدا وتمكن من البلاد وقوى أمره وكثرت جموعه وعساكره وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس فى هذه السنة أبو فراس بن جعفر بن فراس الحلى نيابة عن أمير الحاج ابن ياقوت

* واما القماطر والمساطر * فيوما فى جحيم الغضب * ويوما فى نعيم الادب * ويوما بين ظلال السيوف * ويوما بين مهانى الحروف * رفيقه اذا احتمى زج أو قبيعه * ونديمه اذا احتبى حكمة أو شريعه * فيكم له فى ديار الهند من وقائع أنطقت الحديد * وأخرست الوليد * وسكرت البنوق * وفجرت العروق * وغادرت بيض الرباع فى غمة الليل * وخضبت الحربى عن غيلة الكحيل * وكم فى نوادى الفضل له من محاسن تاشم أطرافها الكلم * وتعشق أوصافها الامم * وتحمد لاعقابها الحكم * ويأوى الى برد ظلالها الكرم * وقد غنيت بذوب العقول * عن صفو الشمول * وبحلو المقال * عن كعب الغزال * وبغرر البراهين * عن نزه الرياحين * فالخليل على

ومنع ابن ياقوت عن الحج لما جرى للحاج فى ولايته وفيها فى المحرم توفى الحكيم المهذب على بن
أحمد بن مقبل الطبيب المشهور وكان أعلم أهل زمانه بالطب روى الحديث وكان مقيما بالموصل
وبها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن فى الطب وفيها توفى اسمعيل بن
على البغدادى الفقيه الحنبلى صاحب ابن المنى وفيها توفى أيضا احمد بن مسعود التركستانى
الفقيه الحنفى ببغداد وهو مدرس مشهد أبى حنيفة وفيها فى جمادى الاولى توفى معز الدين أبو
المعالى سعد بن على المعروف بابن حديدة الذى كان وزير الخليفة الناصر لدين الله وكان قد ألزم
بيته ولما توفى حمل تابوته الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام بالكوفة وكان حسن
السيرة فى وزارته كثير الخير والنفع للناس

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وستمائة)

(ذكر ملك خوارزمشاه علاء الدين كرمان ومكران والسند)

هذه الحادثة لا أعلم الحقيقة اى سنة كانت انما هى اما هذه السنة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل
لان الذى اخبر بها كان من اجناد الموصل وسافر الى تلك البلاد وأقام بها عدة سنين وسار مع
الامير ابى بكر الذى فتح كرمان ثم عاد فاخبرنى بها على شك من وقتها وقد حضرها فقال
خوارزمشاه محمد بن تكش كان من جملة أمرائه امير اسمه ابو بكر ولقبه تاج الدين وكان
فى ابتداء امره جمالا يكرى الجمال فى الاسفار ثم جاءته السعادة فاتصل بخوارزمشاه وصار
سيروان جماله فرأى منه جلدا وامانة فقدمه الى أن صار من اعيان أمراء عسكره فولاه مدينة
زوزن وكان عاقلا ذا رأى وحزم وشجاعة فتقدم عند خوارزمشاه تقدما كثيرا فوثق به
اكثر من جميع امراء دولته فقال أبو بكر لخوارزمشاه ان بلاد كرمان مجاورة لبلادى فلو
أضاف السلطان الى عسكرا لملكتها فى اسرع وقت فسير معه عسكرا كثيرا فمضى الى كرمان
وصاحبها اسمه حرب بن محمد بن أبى الفضل الذى كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر
فقاتله فلم يكن له به قوة وضعف فملك أبو بكر بلاده فى اسرع وقت وسار منها الى نواحى مكران
فملكها كلها الى السند من حدود كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه
صاحبها واسمه ملنك وخطب بها لخوارزمشاه وحمل عنها مالا وخطب له بقلهات وبعض عمان
لان اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع بعد الشقة والبحر يقطع بينهم
انهم يتقربون اليه بالطاعة ليأمن اصحاب المراكب التى تسير اليهم عنده فان هرمز مرسى
عظيم ومجمع للتجار من اقاصى الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز
وبين صاحب كيش حروب وغاورات وكل منهما ينهى أصحاب المراكب ان ترسى ببلاد
خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزمشاه يصيف بنواحى سمرقند لاجل التتر اصحاب
كشلى خان لئلا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل مؤيد الملك الشحرى وكان قد وزر لشهاب الدين الغورى ولتاج الدين
الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنا الى العلماء وأهل الخير يزورهم ويبرهم
ويحضر الجمعة ماشيا وحده وكان سبب قتله ان بعض عسكر الدز كرهوه وكان كل سنة يتقدم

ذكره محشور * وكان
سيبويه من نشره منشور
وأئمة الهدى عليه عكوف
وملائك العرش حوله
صفوف * فمن صحيفة للذكر
منشوره * وأخرى بأقلام
العدل مسطوره * لا لغو
فيها ولا تأثيم الا قيلا صوابا
وحديثا كخالص التبر مذابا
نفس عليه الدهر كأنما
الدهر غيور * وعلى عقائل
الزمان جسور * فصرعه
كيادا للنظار * وأضجعه
عنادا للاحرار * شاغلا
عن الجود يمينه * وعن
السجود جبينه * وعن
الذكر لسانه * وعن الغزو

الى البلاد الحارة بين يدى الدزاول الشتاء فسار هذه السنة كعادته فجاء أربعون نفرا اترا كا
وقالوا له السلطان يقول لك تحضر جريدة فى عشرة نفر لاهم تجرد فسار معهم جريدة فى عشرة
مماليك فلما وصلوا الى نهر ويمد بالقرب من ماء السند قتلوه وهربوا ثم انهم ظفر بهم خوارزمشاه
محمد فقتلهم وفيها فى رجب توفى الركن أبو منصور عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر
الجيلى البغدادى ببغداد وكان قد ولى عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة حتى انه رأى
أبوه يوما عليه قميصا بخاريا فقال ما هذا القميص فقال بخارى فقال ابوه هذا عجب مازلنا نسمع
مسلم والبخارى وأما كافر والبخارى ما سمعنا وأخذت كتبه قبل موته بعدة سنين وأظهرت
فى ملا من الناس ورؤى فيها من تبخير النجوم ومخاطبة زحل بالالهية وغير ذلك من الكفريات
ثم أحرقت بباب العامة وحبس ثم أفرج عنه بشفاعة أبيه واستعمل بعد ذلك وفيها ايضا توفى
ابو العباس احمد بن هبة الله بن العلاء المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالما بالنحو واللغة
وفى شعبان منها توفى أبو المظفر محمد بن على بن البل اللورى الواعظ ودفن برباط على نهر عيسى
ومولده سنة عشر وخمسمائة وفى شوال منها توفى عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وكان من
فضلاء المحدثين وله سبع وثمانون سنة

﴿ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وستمائة﴾

﴿ذكر قتل منكلى وولاية اغلمش ما كان بيده من الممالك﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انهزم منكلى صاحب همذان واصفهان والرى وما بينهم من
البلاد ومضى هاربا فقتل وسبب ذلك انه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فارسل
اليه من الديوان الخليفى رسول ينكر ذلك عليه وكان أوحش الامير أوزبك بن البهلوان صاحب
اذربيجان وهو صاحبه ومخدومه فارسل الخليفة اليه يحرضه على منكلى ويعده النصرة
وارسل ايضا الى جلال الدين الاسماعيلى صاحب قلاع الاسماعيلية ببلاد العجم ألموت وغيرها
يامره بمساعدة أوزبك على قتال منكلى واستقرت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض
البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها فلما استقرت القواعد على ذلك جهز
الخليفة عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم مملوكه مظفر الدين سنقر الملقب بوجه السبع وأرسل
الى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك وهو اذ ذاك صاحب اربل وشهرزور
واعمالها يامره أن يحضر بعساكره ويكون مقدم العساكر جميعها واليه المرجع فى الحرب
فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا
الى همذان فاجتمعت العساكر كلها فانزاح منكلى من بين ايديهم وتعلق بالجبال وتبعوه فنزلوا
بسفح جبل هو فى أعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاقت الميرة والاقوات على العسكر الخليفى
جميعه ومن معهم فلو أقام منكلى بموضعه لم يمكنهم المقام عليه اكثر من عشرة ايام لكنه طمع
فنزل ببعض عسكره من الجبل مقابل الامير اوزبك فحملوا عليه فلم يثبت اوزبك ومضى
منهزما فعاد اصحاب منكلى وصعدوا الجبل وعاد اوزبك الى خيامه فطمع منكلى حينئذ ونزل
من الغد فى جميع عسكره واصطفت العساكر للحرب واقتتلوا أشد قتال يكون فانهزم منكلى
وصعد الجبل فلو أقام بمكانه لم يقدر أحد على الصعود اليه وكان قصاراهم العود عنه لكنه

سنه وسنانه * حتى اذا كاد
يطمع فى انتعاشه واستمكانه
وقد وزن على معيار الفداء
باضعاف جثمانه * فجعه بروحه
الطاهره * ونفسه التى لم
تغذ الا النعيم الآخره *
فسطا عن العمر أنضر ما كان
غصن شباب * وأنطقه
فصل خطاب * واكرمه عود
نضار * وأحفظه حق ذمار
وأوثقه بالدنيا دار قرار *
فكم هنالك من ستور
مهتوكة * ودموع مسفوكة
وجيوب مشقوقة *
ورؤس محلوقة * وصدور
مكلومة * وخدود بنعال
السبت ملطومة *
ورمى الحدثان نسوة آل نصر

اتخذ الليل جملا وفارق موضعه ومضى منهزما فاتبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرقوا أيدي سبا واستولى عسكر الخليفة واوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيلية من البلاد ما كان استقر له وأخذ الباقي اوزبك فسلمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجه الى خوارزمشاه علاء الدين محمد وبقي عنده ثم عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولاه اوزبك البلاد وعاد كل طائفة من العسكر الى بلادهم واما منكلي فانه مضى منهزما الى مدينة ساوة وبها شحنة هو صديق له فارسل اليه يستأذنه في الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبل الارض بين يديه وادخله البلد وأنزله في داره ثم اخذ سلاحه واراد أن يقيده ويرسله الى اغلمش فسأله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وارسل رأسه الى اوزبك وارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخولها يوما مشهودا الا أنه لم تتم المسرة للخليفة بذلك فانه وصل ومات ولده في تلك الحال فاعيد ودفن

(ذكر وفاة ابن الخليفة)

في هذه السنة في العشرين من ذي القعدة توفي ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقب الملك المعظم واسمه ابو الحسن علي وكان احب ولدي الخليفة اليه وقد رشحه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله كريما كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبا الى الخاص والعام وكان سبب موته انه أصابه اسهال فتوفي وحزن عليه الخليفة حزنا لم يسمع بمثله حتى انه أرسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه وروي عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله ولما توفي أخرج نهارا ومشى جميع الناس بين يدي تابوته الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي فدفن عندها ولما أدخل التابوت اغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل ان ذلك صوت الخليفة وأما العامة ببغداد فانهم وجدوا عليه وجدا شديدا ودامت المناحات عليه في اقطار بغداد ليلا ونهارا ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النوح ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن وما سمع ببغداد مثل ذلك في قديم الزمان وحديثه وكان موته وقت وصول رأس منكلي الى بغداد فان الموكب أمر بالخروج الى لقاء الرأس فخرج الناس كافة فلما دخلوا بالرأس الى رأس درب حبيب وقع الصوت بموت ابن الخليفة فاعيد الرأس وهذا دأب الدنيا لا يصفو ابدا فرحها من ترح وقد تخلص مصائبها من شائبة الترح

(ذكر ملك خوارزمشاه غزنة واعمالها)

في هذه السنة في شعبان ملك خوارزمشاه محمد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب ذلك ان خوارزمشاه لما استولى على عامة خراسان وملك باميان وغيرها ارسل الى تاج الدين صاحب غزنة وقد تقدمت اخباره حتى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب السكة باسمه ويرسل اليه فيلا واحدا ليصالحه ويبقي غزنة بيده ولا يعارضه فيها فاحضر الامراء وأعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من مماليك شهاب الدين الغوري ايضا واليه الحكم في دولة الدز وهو النائب عنه بغزنة فقال الرأي أن تخطب له وتعطيه ما طلب وتستريح من

بعقد دارسهن لهن سودا
فرقشعور هن السود بيضا
وردوجوههن البيض سودا
حتى اذا انشر رداء الردى
عليه * وقربت حولة البلى
اليه * تنازعته اكتاف الرجال
كما تنازعته من قبل ظماء
الآمال * فكأن الشمس
غبراء من حثو التراب *
والارض غرقى من دموع
المصاب * والآذان
موقورة من رفع العقائر
والابصار مخطوفة من
نقض الغدائر * وقد غدت
الوجوه مسفورة للنظار *
والجموع محشورة للاعتبار *
والعيون بين جموم تجري
سواقيه * وجود لا تندى
ماقيه * وودت زهر
النجوم لو صادفن ليلا

الحرب والقتال وليس لنا بهذا السلطان قوة فقال الجماعة مثل قوله فاجاب الى ما طلب منه
وخطب لخوارزمشاه وضرب السكة باسمه وارسل اليه رسولا واعاد رسوله اليه ومضى الى
الصيد فارسل قتلغ تكين من غزنة الى خوارزمشاه يطلبه ليسلم اليه غزنة فسار مجدا وسبق
خبره فسلم اليه قتلغ تكين غزنة وقلعتها فلما دخل اليها قتل من بها من عسكر الغورية لا سيما
الاتراك فوصل الخبر الى الدز بذلك فقال ما فعل قتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجوده فيها
فقيل هو الذى احضره وسلم اليه فمضى هاربا هو ومن معه الى لهاوور واقام خوارزمشاه
بغزنة فلما تمكن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالما به وانما اراد
ان تكون له الحجة عليه فقال كلانا مماليك شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الا اربعة اشهر
الصيف وانا الحاكم فيها والمرجع الىّ فى كل الامور فقال له خوارزمشاه اذا كنت لا ترعى
لرفيقك ومن احسن اليك صحبته واحسانه فكيف يكون حالى انا معك وما الذى تصنع
مع ولدى اذا تركته عندك فقبض عليه واخذ منه اموالا جمة حملها ثلاثون دابة من
اصناف الاموال والامتعة واحضر اربعمائة مملوك فلما اخذ ماله قتله وترك ولده جلال
الدين بغزنة مع جماعة من عسكره وامرائه وقيل ان ملك خوارزمشاه غزنة كان سنة ثلاث
عشرة وستمائة

## ﴿ذكر استيلاء الدز على لهاوور وقتله﴾

لما هرب الدز من غزنة الى لهاوور ولقيه صاحبها ناصر الدين قباجة وهو من مماليك شهاب الدين
الغورى ايضا وله من البلاد لهاوور وملتان واوجه وديبل وغير ذلك الى ساحل البحر ومعه
نحو خمسة عشر الف فارس وكان قد بقى مع الدز نحو الف وخمسمائة فارس فوقع بينهما مصاف
واقتتلوا فانهزمت ميمنة الدز وميسرته واخذت الفيلة التى معه ولم يبق له غير فيلين معه فى القلب
فقال الفيال اذا انا ظافر بسعادتك وامر احد الفيلين ان يحمل على العلم الذى لقباجة يأخذه
وامر الفيل الآخر الذى له ايضا ان يأخذ الجتر الذى له فاخذه ايضا والفيلة المعلمة تفهم
ما يقال لها هذا رأيناه فحمل الفيلان وحمل معهما الدز فيمن بقى عنده من العسكر وكشف
رأسه وقال بالعجمية ما معناه اما ملك واما هلاك واختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان
ما امرهما الفيال من اخذ العلم والجتر فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثم سار
الى بلاد الهند ليملك مدينة دهلى وغيرها مما بيد المسلمين وكان صاحب دهلى اميرا اسمه الترمش
ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ايضا كان قد ملك الهند
بعد سيده فلما سمع به الترمش سار اليه فى عساكره كلها فالتقيا عند مدينة سمانا فاقتتلوا فانهزم
الدز وعسكره واخذ وقتل وكان الدز محمود السيرة فى ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعية
لا سيما التجار والغرباء ومن محاسن اعماله انه كان له اولاد ولهم معلم يعلمهم فضرب المعلم احدهم
فمات فاحضره الدز وقال له يا مسكين ما حملك على هذا فقال والله ما اردت الا تأديبه فاتفق ان
مات فقال صدقت واعطاه نفقة وقال له تغيب فان امه لا تقدر على الصبر فربما اهلكتك
ولا اقدر امنع عنك فلما سمعت ام الصبى بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فسلم وكان هذا من
احسن ما يحكى عن احد من الناس

فدعون ويلا * وتناوحن
على المصاب خميلا خميلا *
واما الليل فقد احسن فيه
من قال * وان ركب الارتحال
لقد بكت الليالى فى دجاها
لموت القرم مصباح الانام
فاشخاص النجوم الزهر مما
تجسم من مدامعها السجام
ويقال هجيرى كل ثاكل سائر
وسائر الى موقف الوداع حائر
من كان مسرورا بموت اميرنا
فليأت نسوته بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه
بالصبح قبل تبلج الاسحار
يخمشن حر وجوههن على فتى
عف الشمائل طيب الاخبار
قد كن يخبأن الوجوه تسترا
فاليوم حين برزن للنظار
فانا لله وانا اليه راجعون من
شعوب تركت القلوب شعوبا

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة توفى الوجيه المبارك بن أبى الازهر سعيد بن الدهان الواسطى النحوى الضرير كان نحريرا فاضلا قرأ على الكمال بن الانبارى وعلى غيره وكان حنبليا فصار حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه أبو البركات بن زيد التكريتى

ألا مبلغا عنى الوجيه رسالة * وان كان لا تجدى لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا * ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لاشك صائر * الى مالك فافطن لما أنا قائل

*(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)*

*(ذكر وفاة الملك الظاهر)*

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالا وكان شديد السيرة ضابطا الامور كلها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من أهل البيوتات من أطراف البلاد والشعراء وأهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لان الصغير كانت أمه ابنة عمه الملك العادل ابى بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليبقى عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن أعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه أرسل رسولا الى عمه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله أى حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض أولادى فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش فى المرعى وخروف عند القصاب وحلف فاتفق فى تلك الايام أن توفى الملك الظاهر والرسول فى الطريق ولما عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل أتابكه ومربيه خادما روميا اسمه طغربل ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفى الظاهر أحسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وأزال كثيرا من السنن الجائرة وأعاد أملاكا كانت قد أخذت من أربابها وقام بتربية الطفل أحسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فمن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لا يقدر أن يتعرض اليه فلما توفى مالكها كيكاوس ملك الروم كما نذكره ان شاء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما أقبح بالملوك وأبناء الملوك أن يكون هذا الرجل الغريب المنفرد أحسن سيرة وأعف عن أموال الرعية وأقرب الى الخير منهم ولا أعلم اليوم فى ولاة امور المسلمين أحسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كل حسن وجميل

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى المحرم وقع بالبصرة برد كثير وهو مع كثرته عظيم القدر قيل كان أصغره مثل

واوسعت الاكباد ثقوبا * وكلمت النفوس كروبا * وسفحت العيون غروبا * ونضحت الوجوه قطوبا * ونثرت فناء الاصلاب أنبوبا فأنبوبا * وسار شخص العلا الى فرضة البلى * فريدا وحيدا * لم يغن عنه جوده * ولم تجد عليه جنوده * ولم تقاتل عنه فيوله * ولم تناضل دونه مرده وكهوله خلا انه فاح ذكا مآثره * كما فاح بكا مجامره * ووهت على عرشه الرقاب * كما وهت حين أثقلها النعم الرغاب *
فليس نسيم المسك ريح حنوطه
ولكنه ذاك الثناء المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه
ولكنه أصلاب قوم تقصف
أيا ويل العفاة من بعده ما حالهم * ويا فوات بيوم آمالهم * لقد انقصم محالهم

الفارقحة الكبيرة وقيل فى أكبره مايستحى الانسان أن يذكره فكسر كثيرا من رؤس النخيل وفى المحرم ايضا سير الخليفة الناصر لدين الله ولدى ابنه المعظم على الى تستر وهما المؤيد والموفق وسار معهما مؤيد الدين النائب عن الوزارة وعز الدين الشرابى فأقاما بها يسيرا ثم عاد الموفق مع الوزير والشرابى الى بغداد أواخر ربيع الآخر وفيها فى صفر هبت ببغداد ريح سوداء شديدة كثيرة الغبار والقتام وألقت رملا كثيرا وقلعت كثيرا من الشجر فخاف الناس وتضرعوا ودامت من العشاء الآخرة الى ثلث الليل وانكشفت وفيها توفى التاج زيد بن الحسن ابن زيد الكندى أبو اليمن البغدادى المولد والمنشا انتقل بالشام فأقام بدمشق وكان اماما فى النحو واللغة وله الاسناد العالى فى الحديث وكان ذا فنون كثيرة من أنواع العلوم رحمه الله

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة)

*(ذكر ملك خوارزم شاه بلاد الجبل)*

فى هذه السنة سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته فى هذا الوقت أشياء أحدها انه كان قد استولى على ماوراء النهر وظفر بالخطا وعظم أمره وعلا شأنه وأطاعه القريب والبعيد ومنها انه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان وكان الامر بالضد لانه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولا وكان سبيله اذا ورد الى بغداد أن يقدم غيره عليه ولعل فى عسكره مائة مثل الذى يقدم سبيله عليه فكان اذا سمع ذلك غضبه ومنها ان أغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها كما ذكرناه فلما قتله الباطنية غضب له وخرج لئلا تخرج البلاد عن طاعته فسار مجدا فى عساكر تطبق الارض فوصل الى الرى فملكها وكان أتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لما بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعا فى تملكها لخلوها عن حام ومانع فوصل الى اصفهان فأطاعه أهلها وسار منها يريد الرى ولم يعلم بقدوم خوارزم شاه فلقيه مقدمة خوارزم شاه فظنها عساكر تلك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه عن البلاد فقاتلهم وجد فى محاربتهم حتى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك واذ هو قد ظهر له جتر خوارزم شاه فسأل عنه فأخبر به فاستسلم وانهزمت عساكره وأخذ أسيرا وحمل الى بين يدى خوارزم شاه فأكرمه ووعده الاحسان والجميل وأمنه على نفسه واستحلفه على طاعته واستقرت القاعدة بينهما على ان يسلم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها وأطلقه وسير معه جيشا الى بلاد فارس ليسلم اليهم ما استقرت القاعدة عليه فلما قدم على ولده الاكبر رآه قد تغلب على بلاد فارس فامتنع من التسليم الى أبيه ثم انه ملك البلاد كما نذكره وخطب فيها لخوارزم شاه وسار خوارزم شاه الى ساوة فملكها وأقطعها لعماد الملك عارض جيشه وهو من أهلها ثم سار الى قزوين وزنجان وابهر فملكها كلها بغير ممانع ولا مدافع ثم سار الى همذان فملكها وأقطع البلاد لاصحابه وملك اصفهان وكذلك قم وقاشان واستوعب ملك جميع البلاد واستقرت القاعدة بينه وبين أوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بأن يخطب له أوزبك فى بلاده ويدخل فى طاعته ثم انه عزم على المسير الى بغداد فقدم بين يديه أميرا كبيرا فى خمسة عشر ألف فارس وأقطعه حلوان فسار حتى وصل اليها ثم أتبعه بأمير آخر فلما سار عن همذان يومين أو ثلاثة سقط عليهم من الثلج مالم يسمع بمثله فهلكت دوابهم ومات كثير منهم

وانقطع دون هاتيك الموات حقهم ومعالمهم كانهم غادين على سدة كانت بالابواع تلتزم وبالافواه تستلم * وبمشير ركانها تمسك * وبخدمة أركانها يتنسك * قد أقفرت فلاباب ولا بواب * ولا حجاب ولا حجاب * يسألون أين الامير * ومافعل السرير * وأين الحاجب والوزير * وأين المنادم والسمير * وما هذه الوحشة المستطاره والغبرة المثاره * والظلمة الساجيه * والغمة الشاجيه * يقولون ركب الامير يزور أباه * ويحيي بالسلام محياه * يقضى نذر الاعتكاف على ثراه * ويعتذر من هجرة طال عليها مداه * أفمن يركب للسلام تغلق أبوابه * ويعدم بوابه * ويبدل جنابه * ويوحش منتابه

وطمع فيمن بقي بنو ترجم الاتراك وبنو هكار الاكراد فتخطفوهم فلم يرجع منهم الى خوارزم شاه الا اليسير فتطير خوارزم شاه من ذلك الطريق وعزم على العود الى خراسان خوفا من التتر لانه ظن انه يقضي حاجته ويفرغ من ارادته في المدة اليسيرة فخاب ظنه ورأى البيكار بين يديه طويلا فعزم على العود فولى همذان أميرا من أقاربه من جهة والدته يقال له طائيسي وجعل في البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه متوليا الامر دولته عماد الملك الساوي وكان عظيم القدر عنده وكان يحرض على قصد العراق وعاد خوارزم شاه الى خراسان فوصل الى مرو في المحرم سنة خمس عشرة وستمائة وسار من وجهه الى ما وراء النهر ولما قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وأمر الخطيب بترك الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقال انه قد مات وكان ذلك في ذي القعدة سنة أربع عشرة وستمائة ولما قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك ببلخ وبخارا وسرخس وبقي خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها الاعن قصد اتركها الان البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان أحبوا خطبوا وان أرادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العباسي لم يقصده أحد بأذى الا قصمه فعله وخبث نيته لا جرم لم يمهل هذا خوارزم شاه حتى جرى له ما نذكره مما لم يسمع بمثله في الدنيا قديما ولا حديثا

## *(ذكر ما جرى لاتابك سعد مع أولاده)*

لما قتل اغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من البلاد جمع أتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار عن بلاده الى اصفهان فملكها وأطاعه أهلها فطمع في تلك البلاد جميعها فسار عن اصفهان الى الري فلما وصل اليها لقي عساكر خوارزم شاه قد وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدمة العسكر فقاتلها حتى كاد يهزمها فظهرت عساكر خوارزم شاه ورأى الجتر فسقط في يديه وأيقن بالهلاك وضعفت قوته وقوة عسكره فولوا الادبار وأخذ أتابك سعد أسيرا وأحضر بين يدي خوارزم شاه فأكرمه وطيب نفسه ووعده الاحسان واستصحبه معه الى ان وصل الى اصفهان فسيره منها الى بلاده وهي تجاورها وسير معه عسكرا مع أمير كبير ليتسلم منه ما كان استقر بينهما فانهما اتفقا على ان يكون لخوارزم شاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون الخطبة لخوارزم شاه في البلاد جميعها وكان أتابك سعد قد استخلف ابنا له على البلاد فلما سمع الابن باسر أبيه خطب لنفسه بالملك وقطع خطبة أبيه فلما وصل أبوه ومعه عسكر خوارزم شاه امتنع الابن من تسليم البلاد الى أبيه وجمع العساكر وخرج يقاتله فلما تراءى الجمعان انحازت عساكر فارس الى صاحبهم أتابك سعد وتركوا ابنه في خاصته فحمل على أبيه فلما رآه أبوه ظن انه لم يعرفه فقال له أنا فلان فقال اياك أردت فحينئذ امتنع منه وولى الابن منهزما ووصل أتابك سعد الى البلاد فدخلها مالكا لها وأخذ ابنه أسيرا فسجنه الى الآن الا انني سمعت الآن وهو سنة عشرين وستمائة انه قد خفف حبسه ووسع عليه ولما عاد خوارزم شاه الى خراسان غدر سعد بالامير الذي عنده فقتله ورفع عن طاعة خوارزم شاه واشتغل خوارزم شاه بالحادثة العظمى التي شغلته عن هذا وغيره ولكن الله انتقم له بابنه غياث الدين كما ذكرناه سنة عشرين وستمائة لان سعدا كفر احسان خوارزم شاه وكفر الاحسان عظيم العقوبة

ها انه الركوب فتى المعاد يقولون ميعاده والله المعاد ألم تروا عروشه بالامس مهدوده * وغروسه مخضوده * وجياده مهلوبه وسروجه مقلوبه * وأيا ماه مقبوعه * وأيدي يتاماه فوق الهام موضوعه * هنالك نادوا ثبورا * وعلموا أنه الحق مقدورا * وعقدوا دون حامة البيت مناحه وندبوا عين الورى أدبا وفصاحه * وكرما وسماحه وأفعالا كما أسفر الصريم وأبرز كفه الكليم * مغداه ومراحه يعتبون على الحجاب * وقد غدوا في بيض الثياب * أينزع السواد قد كذب الحداد * الآن أحوج ما كنتم اليه نزعتموه هلا خالفتم الرسم للوجوب ولبستم لبسة المنكوب وهلا وقفتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب

*(ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها الى المسلمين)*

كان من أول هذه الحادثة الى آخرها أربع سنين غير شهر وانما ذكرناها ههنا الان ظهورهم كان فيها وسقناها سياقة متتابعة ليتلو بعضها بعضا فنقول في هذه السنة وصلت امداد الفرنج في البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج في الغرب والشمال الا أن المتولي لها كان صاحب رومية لانه ينزل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لايرون مخالفة أمره ولا العدول عن حكمه فيما سرهم وساءهم فجهز العساكر من عنده مع جماعة من مقدمي الفرنج وأمر غيره من ملوك الفرنج أن يسير بنفسه أو يرسل جيشا ففعلوا ما أمرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام وكان الملك العادل أبو بكر بن أيوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لد وبرز الفرنج من عكا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى أطراف البلاد مما يلي عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم الفرنج اليه في شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انه في قلة من العسكر لان العساكر كانت متفرقة في البلاد فلما رأى العادل قربهم منه لم ير أن يلقاهم في الطائفة التي معه خوفا من هزيمة تكون عليه وكان حازما كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصفر فنزل فيه وكان اهل بيسان وتلك الاعمال لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا منهم أن الفرنج لا يقدمون عليه فلما أقدموا صار على غفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الا القليل فأخذ الفرنج كل ما في بيسان من ذخائر قد جمعت وكانت كثيرة وغنموا شيأ كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثوا السرايا في القرى فوصلت الى خسفين ونوى وأطراف السواد ونازلوا بانياس وأقاموا عليها ثلاثة أيام ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى ما قتلوا وأحرقوا وأهلكوا فأقاموا أياما استراحوا ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذي سلم من تلك البلاد كان مختفيا حتى قدر على النجاة ولقد بلغني أن العادل لما سار الى مرج الصفر رأى في طريقه رجلا يحمل شيأ وهو يمشي تارة وتارة يقعد ليستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرفه الرجل فقال يا سلطان المسلمين أنت لا تعجل فانا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعداء كيف لا نعجل وبالجملة الذي فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر باللقاء على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق في قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج عن البيت المقدس

*(ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها)*

لما نزل الفرنج بمرج عكا تجهزوا وأخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا في جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتفق

يا قوم ليس بياض الثوب زينتكم
وقد فجعتم بولي كله كرم
ردوا عليكم جميعا فضل لبستكم
ان الحداد على المفقود ملتزم
وطفقوا يتناشدون بينهم
عتبا على الزمان * وندبة للفضل والاحسان
يادهر دونك مافعلت فقد غدا
بك كل ما يخشى الرجال سليما
من ذا الذي يرجو وفاءك بعدما
غادرت نصرا في التراب رميما
من كان أعذب شيمة وسجية
وألذ مكرمة وأطيب خيما
ومن العجائب والعجائب جمة
أن لا تلام وقد غدوت مليما
يادهر مالك طول وقتك ترتعي
روض المعالي بارضا وجميا
يادهر مالك والكرام أولي النهى
ماذا يضرك لو تركت كريما
ابن سر الامير اباه بلقياه

أن بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة فتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا الطور أقاموا قريبا ثم ساروا في البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور فخربها الى ان ألحقها بالارض لانها بالقرب من عكا ويتعذر حفظها

*(ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها)*

لما عاد الفرنج من حصار الطور أقاموا بعكا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستمائة فساروا في البحر الى دمياط فوصلوا في صفر فأرسوا على بر الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل يصب في البحر المالح عند دمياط وقد بني في النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدوها في النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان تصعد في النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر أحد على منعها عن أقاصي ديار مصر وادانيها فلما نزل الفرنج على بر الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم وشرعوا في قتال من بدمياط وعملوا آلات ومرمات وابراجا يزحفون بها في المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويملكوه وكان البرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل ابن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدو من العبور الى أرضها وأدام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشئ وكسرت مرماتهم وآلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك أربعة أشهر ولم يقدروا على أخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح في النيل ويتحكموا في البر فنصب الملك الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما امتنعوا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه أيضا قتالا شديدا كثيرا متتابعا حتى قطعوه فلما قطع أخذ الملك الكامل عدة مراكب كبار وملأها وخرقها وغرقها في النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه فوق المراكب التي جعلت في النيل وأجروا الماء فيه الى البحر المالح وأصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على أرض الجيزة أيضا مقابل المنزلة التي فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هنالك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء وزحفوا اليه غير مرة فلم يظفروا بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شئ لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم أذى وأبوابها مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر فاتفق لما يريده الله عز وجل أن الملك العادل توفي في جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله فضعفت نفوس الناس لانه السلطان حقيقة وأولاده وان كانوا ملوكا الا انهم بحكمه والامر اليه وهو ملكهم البلاد فاتفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدو وكان من جملة الامراء بمصر أمير يقال له عماد الدين أحمد بن علي ويعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكارية وهو أكبر أمير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامراء ينقادون اليه ويطيعونه لاسيما الاكراد فاتفق هذا الامير

وشفى لوعة غلته وصداه لقد ساء أخاه * بأن عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه * ووكل من بعده الى نواهس الارض ولو أحس التراب قراه * لكنه ما يصنع وسيف القضاء أحد * وحكم السماء حتم لا يرد

ومن قبله ما قد أصيب نبينا
أبو القاسم النور المبين بقاسم
وخبر قيس بالجلية في ابنه
فلم يتغير وجه قيس بن عاصم

وقال علي في التعازي لاشعث

وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة
فتؤجر أو تسلو سلو البهائم
خلقنا رجالا للتجلد والاسى
وتلك الغواني للبكا والمآتم

لا درّ درّ الموت من وقاح وقرن كفاح * ما انشب نابه الا افترس * ولا ألجم مخالبه الا انتهس * سواء عليه

مع غيره من الامراء وأرادوا ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملكوا أخاه الملك الفائز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الى الكامل ففارق المنزلة ليلا جريدة وسار الى قرية يقال لها اشمون طناح فنزل عندها وأصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على أخيه ولم يقدروا على اخذ شئ من خيامهم وذخائرهم وأموالهم وأسلحتهم الا اليسير الذى يخف حمله وتركوا الباقى بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل وأما الفرنج فانهم أصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين أحدا على شاطئ النيل كجارى عادتهم فبقوا لايدرون ما الخبر واذ قد أتاهم من أخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر دمياط آمنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فغنموا ما فى عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العادين وكان الملك الكامل قد فارق الديار المصرية لانه لم يثق بأحد من عسكره وكان الفرنج ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الملك المعظم عيسى بن الملك العادل وصل الى أخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين والناس فى أمر مريج فقوى به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه وأقام بمنزلته وأخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف وصار من جنده فلما عبر الفرنج الى أرض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا وبالغوا فى الافساد فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج وكان أضر شئ على أهل دمياط أنها لم يكن بها من العسكر أحد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدو عنها فأتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها أحد من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشطوب لاجرم لم يمهله الله وأخذه أخذة رابية على ما نذكره ان شاء الله وأحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا وعملوا عليهم خندقا يمنعهم عمن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم وأداموا القتال واشتد الامر على أهلها وتعذرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا فصبروا وصبرا لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فعجز من بقى من أهلها عن الحفظ لقلتهم وتعذر القوت عندهم فسلموا البلد الى الفرنج فى هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم وأقام آخرون لعجزهم عن الحركة فتفرقوا أيدى سبا

*(ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج)*

لما ملك الفرنج دمياط أقاموا بها وبثوا سراياهم فى كل ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون فجلى أهلها عنها وشرعوا فى عمارتها وتحصينها وبالغوا فى ذلك حتى انها بقيت لا ترام وأما الملك الكامل فانه أقام بالقرب منهم فى أطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج فى بلادهم بفتح دمياط على أصحابهم أقبلوا اليهم يهرعون من كل فج عميق وأصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب دمشق الى الشام فخرب البيت المقدس فى ذى القعدة من السنة وانما فعل ذلك لان الناس كافة خافوا الفرنج وأشرف الاسلام وكافة أهله وبلاده على خطة خسف فى شرق الارض وغربها

الملك المحجب * والسلطان المغلب * والمقترالمستضعف والسوقة المنصف
ألا نعس هذا الموت كيف ارتقى الى
حمى قصره العالى المنيع الجوانب
فرعلى تلك القنابل والقنا
وجاز على تلك القواضى القواضب
عجبت له والموت ليس بعجب
وفيه اذا فكرت كل العجائب
لعمرى لقد جراه حين غزا الى
نهاب نفوس واغتيال الكتائب
وفهمه فتح الحصون وانها
سوامى المراقى ساميات المراتب
وبصره بالفتك فى غزواته
ودى الرزايا وافتراص المضارب
فكر عليه شدة الليث واتقى
كطوف بقول السوحول القرائب

أقبل التتر من المشرق حتى وصلوا الى نواحى العراق واذربيجان وأران وغيرها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأقبل الفرنج من المغرب فملكوا مثل دمياط فى الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء وأشرف سائر البلاد بمصر والشام على أن تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا ومساء وأراد أهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص والعدو قد أحاط بهم من كل جانب ولو مكنهم الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمينية وغيرهما يستنجدهما ويحثهما على الحضور بأنفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب دمشق الى الاشرف بنفسه فرآه مشغولا عن انجاده بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك سنة خمس عشرة وستمائة ان شاء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب الموصل فليطلب من هناك فعذره وعاد عنه وبقى الامر كذلك مع الفرنج وأما الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستمائة والملك الكامل مقابل الفرنج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة علم بزوال المانع للاشرف عن انجاده فارسل يستنجده وأخاه صاحب دمشق فسار صاحب دمشق يحثه على المسير ففعل وسار الى دمشق فيمن معه من العساكر وأمر الباقين باللحاق به الى دمشق وأقام بها ينتظرهم فأشار عليه بعض أمرائه وخواصه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفا من اختلاف يحدث فلم يقبل قولهم وقال قد خرجت للجهاد ولا بد من اتمام ذلك العزم فسار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمى بحر اشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنوا هم وكل الناس أنهم يملكون الديار المصرية وأما الاشرف فانه سار حتى وصل مصر فلما سمع أخوه الكامل بقربه منهم توجه اليه فلقيه واستبشر هو وكافة المسلمين باجتماعهما لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا وأما الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار أيضا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنا منه ان اخويه وعسكريهما قد نازلوها وقيل بل أخبر فى الطريق ان الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين أيديهم واخواه من خلفهم والله أعلم ولما اجتمع الاشرف بالكامل استقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شوانى المسلمين من النيل وقاتلوا شوانى الفرنج فأخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم هذا يجرى والرسل مترددة بينهم فى تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليسلموا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب القدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم امر وقالوا لا بد من الكرك فبينما الامر فى هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم فى نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدة أيام ظنا منهم ان العساكر

ومن عجيب الامور فى حكم المقدور * أن اخترم الامير الماضى برد الله حفرته * ونور غرته * حتف أنفه * على اخطاره بنفسه * فى لحم الحتوف * واعتراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف * كخالد بن الوليد حين وافى أجله اذ قال ثاورت الحروب منذ عقلت فما فى بدنى مغرز ابرة * الا وفيه حز ضربة او وخز طعنة * وها انا أموت ميتة الحمار * ان الحكم الا لله الواحد القهار * أو كلاما شبيها به أما ان خالدا لم يدر أن سيف الله لا يقتل بالسيف * وكذا القتل يرنو الى موت الشباب من خصاص الحيف * وأن الله تعالى لما جعله أكرم النفوس مناقب * قيض له أحمد الامور عواقب * وقد نزع ابن الرومى من

الاسلامية لاتقوم لهم وان القرى والسواد جميعه يبقى بأيديهم يأخذون منه ما أرادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طائفة من المسلمين الى الارض التى عليها الفرنج ففجروا النيل فركب الماء أكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الكامل حينئذ الجسور على النيل عند أشمون وعبرت العساكر عليها فملك الطريق الذى يسلكه الفرنج ان أرادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق فى تلك الحال انه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من أعظم المراكب يسمى مرمة وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوء من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شوانى المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمة وبما معها من الحراقات وأخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط فى أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا الصواب بمفارقة دمياط فى أرض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على أطرافهم فلما اشتد الامر على الفرنج أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأثقالهم وأرادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرون على العود الى دمياط فرأوا ما أملوه بعيدا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والمياه حولهم والوجه الذى يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلما تيقنوا أنهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم وان ميرتهم قد تعذر عليهم وصولها وأن المنايا قد كشرت لهم عن انيابها ذلت نفوسهم وتنكست صلبانهم وضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل والاشرف يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذ أقبل جيش كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة أتت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتدت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانا ووهنا وتمموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقماصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهائن على تسليم دمياط ملك عكا ونائب بابا صاحب رومية وكندريش وغيرهم وعدتهم عشرون ملكا وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط فى تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب ان المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة فى البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضى الله أمرا كان مفعولا ولم يبق بها من أهلها الا آحاد وتفرقوا أيدى سبا بعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وبعضهم أخذه الفرنج ولما دخلها المسلمون رأوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لاترام ولا يوصل اليها وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى أربابه وأعطى المسلمين ظفرا لم يكن فى حسابهم فانهم كانت غاية أمانيهم ان يسلموا البلاد التى أخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد بأيديهم على حالها فالله المحمود المشكور على ما أنعم به على الاسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم شر التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى المحرم كانت ببغداد فتنة بين أهل المأمونية وبين أهل باب الازج بسبب قتل

هذا المعنى بجود * وبيض وجه البرهان ما سود
ان لم يكن ظفر الهيجا منيته * كرم النبت يذوى غير مختضد
اماترى الفرس لا تذوى كرائمه * الا على سوقها فى آخر الابد
لبثة السيف قوم يشرفون بها * ايسوا من الجد فى غاياته البعد
عز الحياة وعز الموت ما اجتمعا * أسنى وأبقى لبيت العز ذى العمد
موت السلامة للانسان نعمته * وانما القتلة الشنعاء للاسد
لم يعمل السيف ظلما فى ضرائبه * فلم يسلط عليه كف ذى قود
ولعمرى ان الرزية به قدس الله روحه لقاطرة الغموم * مشاطرة بين الرجال على العموم * غير ان القاضى أبا العلاء

سبع وزاد الشر بينهم واقتتلوا الجرح بينهم كثير لحضر نائب الباب وكفهم عن ذلك فلم يقبلوا ذلك وأسمعوه ما يكره فأرسل من الديوان أمير من مماليك الخليفة فرد أهل كل محلة الى محلتهم وسكنت الفتنة وفيها كثر الفار ببلدة دجيل من اعمال بغداد فكان الانسان لا يقدر أن يجلس الا ومعه عصا يرد الفار عنه وكان يرى الكثير منه ظاهرا يتبع بعضه بعضا وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد فى قديم الزمان مثلها وأشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة الامراء والاعيان وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك وأعدوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل وكان مما قال لهم لو كان يفدى ما أرى بمال أو غيره لفعلت ولو دفع بحرب لفعلت ولكن أمر الله لا يرد ونبع الماء من البلاليع والآبار من الجانب الشرقى وغرق كثير منه وغرق مشهد أبى حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدى وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان وأما الجانب الغربى فتهدم اكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهرى وبعض باب البصرة والدوراقى على نهر عيسى وأكثر محلة قطفتا وفيها توفى أحمد بن ابى الفضائل عبد المنعم بن ابى البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد بن أبى الخير الميهنى الصوفى أبو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحا من بيت التصوف والصلاح

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى أن استقرت الامور)

في هذه السنة توفى الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى ابن آق سنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاول وكانت ولايته سبع سنين وتسعة أشهر وكان موته انه أخذته حمى ثم فارقته الغد وبقى يومين موعوكا ثم عاودته الحمى مع قىء كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثم برد بدنه وعرق وبقى كذلك الى وسط الليل ثم توفى وكان كريما حليما قليل الطمع فى أموال الرعية كافا عن اذى يوصله اليهم مقبلا على لذاته كأنما ينهبها ويبادر بها الموت وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت * حكى لى بعض من كان يلازمه قال كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لى قد وجدت ضجرا من القعود فقم بنا نتمشى الى الباب العمادى قال فقمنا فخرج من داره نحو الباب العمادى فوصل التربة التى عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكرا لا يتكلم ثم قال لى والله ما نحن فى شئ أليس مصيرنا الى ههنا وندفن تحت الارض وأطال الحديث فى هذا ونحوه ثم عاد الى الدار فقلت له الا تمشى الى الباب العمادى فقال ما بقى عندى نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفى بعد أيام وأصيب أهل بلاده بموته وعظم عليهم فقده وكان محبوبا اليهم قريبا من قلوبهم ففى كل دار لاجله رنة وعويل ولما حضرته الوفاة أوصى بالملك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصى عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤ وهو الذى كان يتولى دولة القاهر ودولة أبيه نور الدين قبله وقد تقدم من اخباره ما يعرف به محله وسيرد منها أيضا ما يزيد الناظر بصيرة

صاعد بن محمد وسائر شيعته الشاربين من زلال شريعته أوفر من الاحزان اقساطا وأشد على ورود الاشجان ارتباطا * فقد كان عرف الله تربته لهم ظلا ممدودا وشربا موردا * وكهفا مقصودا * ولواء على نصرة الدين معقودا * ولولا ان الله سد ثلمة المصاب * وخلد الا كتاب * بملك الشرق وسيد الغرب وحجة الله فى الارض سلطان الزمان يمين الدولة * وأمين الملة * أطال الله تعالى بقاءه * وحفظ على الدين والدنيا بهاءه وسناه فنى بقائه عوض من كل شاجب * وخلف من كل غارب أو عازب * لاتسع القول فى عظم هذا النعى ونفذ لذلك الشهاب المضى والنقاب الالمعى * غير ان النعمة بحمد الله فيما بقى ضافية اللباس * نامية الغراس * ناضرة الاكناف

فيه فلما قضى نحبه قام بدر الدين بأمر نور الدين وأجلسه فى مملكة أبيه وأرسل الى الخليفة يطلب له التقليد والتشريف وأرسل الى الملوك وأصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التى كانت بينهم وبين أبيه فلم يصبح الا وقد فرغ من كل ما يحتاج اليه وجلس للعزاء وحلف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل والتغير مع صغر السلطان وكثرة الطامعين فى الملك فانه كان معه فى البلد أعمام أبيه وكان عمه عماد الدين زنكى بن ارسلان شاه بولايته وهى قلعة عقر الحميدية يحدث نفسه بالملك لا يشك فى أن الملك يصير اليه بعد أخيه فرفع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وتابع الاحسان والخلع على كافة الناس وغير ثياب الحداد عنهم فلم يخص بذلك شريفا دون مشروف ولا كبيرا دون صغير وأحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من بعض وبعد أيام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر فى أمر دولته والتشريفات لهما أيضا وأتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طلب منهم من العهود واستقرت القواعد لهما

## (ذكر ملك عماد الدين زنكى قلاع الهكارية والزوزان)

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستمائة انه أعطى ولده الاصغر زنكى قلعتى العقر وشوش وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته متجنبا لكثرة تلونه وكان بقلعة العمادية مستحفظ من مماليك جده عز الدين مسعود بن مودود قيل انه جرى له مع زنكى مراسلات فى معنى تسليم العمادية اليه فنمى الخبر بذلك الى بدر الدين فبادره بالعزل مع أمير كبير وجماعة من الجند فلم يمكنه الامتناع وسلم القلعة الى نائب بدر الدين كذلك وجعل بدر الدين فى غير العمادية من القلاع نوابا له وكان نور الدين بن القاهر لا يزال مريضا من جروح كانت به وغيرها من الامراض وكان يبقى المدة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس فأرسل زنكى الى من بالعمادية من الجند يقول ان ابن أخى توفى ويريد بدر الدين يملك البلاد وأنا أحق بملك آبائى وأجدادى فلم يزل حتى استدعاه الجند منها وسلموا اليه ثامن عشر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة وقبضوا على النائب البدرى وعلى من معه فوصل الخبر الى بدر الدين ليلا تجدد فى الامر ونادى فى العسكر لوقته بالرحيل فساروا مجدين الى العمادية وبها زنكى ليحصروه فيها فلم يطلع الصبح الا وقد فرغ من تسيير العساكر فساروا الى العمادية وحصروها وكان الزمان شتاء والبرد شديد والثلج هناك كثير فلم يتمكنوا من قتال من بها لكنهم أقاموا يحصرونها وقام مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين صاحب اربل فى نصر عماد الدين وتجرد لمساعدته فراسله بدر الدين يذكره الايمان والعهود التى من جملتها انه لا يتعرض الى شئ من أعمال الموصل ومنها قلاع الهكارية والزوزان باسمائها ومتى تعرض اليها أحد من الناس من كان منعه بنفسه وعساكره وأعان نور الدين وبدر الدين على منعه ويطالبه بالوفاء بها ثم نزل عن هذا ورضى منه بالسكوت لا لهم ولا عليهم فلم يفعل وأظهر معاضدة عماد الدين زنكى فحينئذ لم تكن مكاثرة زنكى بالرجال والعساكر لقرب هذا الخصم من الموصل وأعمالها الا ان العسكر البدرى محاصر للعمادية وبها زنكى ثم ان بعض الامراء من عسكر الموصل ممن لا علم له بالحرب وكان شجاعا وهو حديد الامارة أراد أن يظهر شجاعته ليزداد بها تقدما وأشار على من هناك من

العسكر

مساويه الاخلاف* فلا زال فضل الله عليه عظيما وصنعه لديه جسيما *ولطفه كريما ولا خاف عنه الزمان يتيما وألهمه فيما عراه واجبة الصبر* وعرفه فيما غزاه فاتحة النصر* واقاه ملء الوهم مواهب تخرط الدنيا فى سلك ملكه وتقررها بحق الوجوب فى قبضة ملكه * ورحم الله ذلك الامير العديم النظير والجليل* الفقيد المثل والبديل ورحمة تبرد ضريحه وتقدس روحه وريحه* وعرف له مساعيه فى الذب عن دين الله * والسعى فى سبيل الله * والقرض من ماله لاولياء الله * وعوض الله المشايخ السادة عما دهاهم فأوهاهم ثوابا يحفظ عليهم دينهم* ويثقل فى موقف العدل موازينهم* وجعلنا من المستعدين ليوم الدين ان شاء الله

العسكر بالتقدم الى العمادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تأخروا عنها شيأ يسيرا لشدة البرد والثلج فلم يوافقوه وفجوا رأيه فتركهم ورحل متقدما اليهم ليلا فاضطروا الى اتباعه خوفا عليه من اذى يصيبه ومن معه فسار واليه على غير تعبية لضيق المسالك ولانه أعجلهم عن ذلك وحكم الثلج عليهم أيضا فسمع زنكي ومن معه فنزلوا ولقوا أوائل الناس وأهل مكة أخبر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطروا الى العود فلما عادوا راسل زنكي باقي قلاع الهكارية والزوزان واستدعاهم الى طاعته فأجابوه وسلموا اليه فجعل فيها الولاة وتسلمها وحكم فيها

(ذكر اتفاق بدر الدين مع الملك الاشرف)

لما رأى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتفاق مظفر الدين وعماد الدين عليه ولم ينفع معهم اللين ولا الشدة وانهما لا يزالان يسعيان في أخذ بلاده ويتعرضان الى اطرافها بالنهب والاذى أرسل الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلها الا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار في طاعته منخرطا في سلك موافقته فأجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما أخذ من القلاع التي كانت له وكان الملك الاشرف حينئذ بحلب نازلا بظاهرها لما ذكرناه من تعرض كيكاوس ملك بلاد الروم التي بيد المسلمين قونية وغيرها الى أعمالها وملكه بعض قلاعها فأرسل الى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له ان هذه القاعدة تقررت بين جميعنا بحضور رسلك وانتم تشكون على الناكث الى أن يرجع الى الحق ولا بد من اعادة ما أخذ من بلاد الموصل لندوم على اليمين التي استقرت بيننا فان امتنعت وأصررت على معاضدة زنكي ونصرته فانا اجيء بنفسي وعساكري وأقصد بلادك وغيرها واسترد ما اخذتموه واعيده الى اصحابه والمصلحة انك توافق وتعود الى الحق لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصرية واجلاء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرهم فلم تحصل الاجابة منه الى شيء من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد امتنع عن موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين واتفقا مع مظفر الدين فلما رأى الاشرف ذلك جهز عسكرا وسيره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم

(ذكر انهزام عماد الدين زنكي من العسكر البدري)

لما عاد العسكر البدري من حصار العمادية وبها زنكي كما ذكرناه قويت نفسه وفارقها وعاد الى قلعة العقر التي له ليتسلط على أعمال الموصل بالصحراء فان بلاد الجبل كان قد فرغ منه وأمده مظفر الدين بطائفة كثيرة من العسكر فلما اتصل الخبر ببدر الدين سير طائفة من عسكره الى اطراف بلاد الموصل يحمونها فاقاموا على أربعة فراسخ من الموصل ثم انهم اتفقوا بينهم على السير الى زنكي وهو عند العقر في عسكره ومحاربته ففعلوا ذلك ولم يأخذوا أمر بدر الدين بل أعلموه بسيرهم جريدة ليس معهم الا سلاحهم ودواب يقاتلون عليها فساروا ليلتهم وصبحوا زنكي بكرة الاحد لاربع بقين من المحرم من سنة ست عشرة وستمائة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فأنزل الله نصره على العسكر البدري فانهزم عماد الدين وعسكره وساروا الى

على العباد بالموت يقرى الجفلى * والخلق فيها شرع * والآخر للاول تبع * والحمد لله على كل حال * والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله خير آل

*(ذكر ما انتهى اليه أمرى بعد بلوغ هذا المكان من شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة * من قصد الوزير شمس الكفاه * واقتضائه حق الخدمة والموالاة)

قد سبق في أول الكتاب ما سلف لي الى الامير ناصر الدين * أبي منصور سبكتكين أنار الله برهانه من خدمه * وتمهد عنده من ال وذممه وغرست أثناء ذلك في التقرب الى الوزير شمس الكفاه * والتكفل بمآربه والتجرد لما أرضاه مما يخوت على الايام ابراق شجره واناق نوره وثمره * بعد أن

اربل منهزما وعاد العسكر البدرى الى منزلته التى كان بها وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك الاشرف فى تجديد الصلح فاصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسل

*(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل وملك أخيه)*

ولما تقرر الصلح توفى نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضا بعدة امراض فرتب بدر الدين فى الملك بعده أخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولد غيره وحلف له الجند وركبه فطابت نفوس الناس لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلما ركبوا هذا علموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكى فاستقروا واطمأنوا وسكن كثير من الشغب بسببه

*(ذكر انهزام بدر الدين من مظفر الدين)*

لما توفى نور الدين وملك أخوه ناصر الدين تجدد لمظفر الدين ولعماد الدين طمع لصغر سن ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض أصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان بدر الدين قد سير ولده الاكبر فى جمع صالح من العسكر الى الملك الاشرف بحلب نجدة له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد أن يدخل بلاد الفرنج التى بساحل الشام ينهبها ويخربها ليعودبعض من بدمياط الى بلادهم فيخف الامر على الملك الكامل صاحب مصر فلما رأى بدر الدين تحرك مظفر الدين وعماد الدين وان بعض عسكره بالشام أرسل الى عسكر الملك الاشرف الذى بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى الموصل رابع رجب سنة ست عشرة فلما رآهم بدر الدين استقلهم لانهم كانوا أقل من العسكر الذى له بالشام أو مثلهم فالح ايبك على عبور دجلة وقصد بلاد اربل فمنعه بدر الدين من ذلك وأمره بالاستراحة فنزل بظاهر الموصل أياما وأصر على عبور دجلة فعبرها بدر الدين موافقة له ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقى دجلة فلما سمع مظفر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكى فعبر الزاب وسبق خبره فسمع به بدر الدين فعبى أصحابه وجعل ايبك فى الخالشة ومعه شجعان أصحابه وأكثر معه منهم بحيث انه لم يبق معه الا اليسير وجعل فى ميسرته أميرا كبيرا وطلب الانتقال منها الى الميمنة فنقله فلما كان وقت العشاء الآخرة أعاد ذلك الامير الطلب بالانتقال من الميمنة الى الميسرة والخصم بالقرب ثم منعه بدر الدين وقال متى انتقلت أنت ومن معك فى هذا الليل ربما ظنه الناس هزيمة فلا يقف أحد فأقام بمكانه وهو فى جمع كبير من العسكر فلما انتصف الليل سار ايبك فأمره بدر الدين بالمقام الى الصبح لقرب العدو منهم فلم يقبل لجهله بالحرب فاضطر الناس لاتباعه فتقطعوا فى الليل والظلمة والتقوا هم والخصم فى العشرين من رجب على ثلاثة فراسخ من الموصل فأما عز الدين فانه تيامن والتحق بالميمنة وجعل فى اطلابه هو والميمنة على ميسرة مظفر الدين فهزمها وبها زنكى وكان الامير الذى انتقل الى الميمنة قد أبعد عنها فلم يقاتل فلما رأى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدم اليه مظفر الدين فيمن معه فى القلب لم يتفرقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة ونزل منها الى البلد فلما رآه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدو بازائه بينهم ما دجلة فنزل مظفر الدين فيمن سلم معه من عسكره ونازل حصن نينوى فأقام ثلاثة أيام فلما رأى اجتماع العسكر البدرى



صادفت من آثار رعايته مالم يكن يليق الا بهمته وما نشأ من كريمة الجد فى ضمان ذمته * فرأى عند وصولى اليه * وعرضى موضوع الكتاب ومجموعه عليه * أن يسمى بالتقليد ويسير فى الى كنج رستاق على البريد * وعليها فرعون بون ابو الحسن البغوى الغوى شيخ ظاهره نور وباطنه ديجور * ومنظره متن السيف * ومخبره رد الزيف * وآخره وأول مشور والعاسل * وآخره قرون السنابل * فافتتح موفدى عليه باستهانة لم تناسب حشمة الامر ولا حرمة الاقلام والمنابر يوهم من جانب انه مبعوث ومن آخران الحقد موروث وقد كذب ان الزعاق من منبع الشرب محال ووراثة محبات الاولاد حلال * ومعلنا ان موالاة الابناء معاداة الآباء وان والدا

بالموصل وانهم لم يفقد منهم الا اليسير وبلغه الخبر ان بدر الدين يريد العبور اليه ليلا بالفارس والراجل على الجسور وفى السفن ويكبسه فرحل ليلا من غير أن يضرب كاسا أو بوقا وعادوا نحو اربل فلما عبروا الزاب نزلوا ثم جاءت الرسل وسعوا فى الصلح فاصطلحوا على أن كل من بيده شئ هو له وتقررت العهود والايمان على ذلك

*(ذكر ملك عماد الدين قلعة كواشى وملك بدر الدين تل يعفر وملك الملك الاشرف سنجار)*

كواشى هذه من أحصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لما رأوا ما فعل اهل العمادية وغيرها من التسليم الى زنكى وانهم قد تحكموا فى القلاع لا يقدر احد على الحكم عليهم احبوا ان يكونوا كذلك فأخرجوا نواب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت رهائنهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فترددت الرسل فى عودهم الى الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكى فى المجىء اليهم وتسلم القلعة واقام عندهم فروسل مظفر الدين يذكر بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشى فلم تقع الاجابة الى ذلك فأرسل حينئذ بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفرات الى حران واختلفت عليه الامور من عدة جهات منعته من سرعة السير وسبب هذا الاختلاف ان مظفر الدين كان يراسل الملوك اصحاب الاطراف ليستميلهم ويحسن لهم الخروج على الاشرف ويخوفهم منه اذا خلى وجهه فأجابه الى ذلك عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب ماردين واتفقوا كلهم على طاعة كيكاوس وخطبوا له فى بلادهم ونحن نذكر ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لما قصد بلاد حلب فهو موغر الصدر عليه فاتفق ان كيكاوس مات فى ذلك الوقت وكفى الاشرف وبدر الدين شره ولا جد الا ما أقعص عنك الرجال وكان مظفر الدين قد راسل جماعة من الامراء الذين مع الاشرف واستمالهم فاجابوه منهم أحمد بن على بن المشطوب الذى ذكرنا انه فعل على دمياط ما فعل وهو اكبر امير معه ووافقه غيره منهم عز الدين محمد بن بدر الحميدى وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة بدر الدين فلما اجتمعوا هنالك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقر الصلح بينهما وسلم اليه الاشرف مدينة حانى وجبل جور وضمن له أخذ دارا وتسليمها اليه فلما فارقهم صاحب آمد انحل امرهم فاضطر بعض أولئك الامراء الى العود الى طاعة الاشرف وبقى ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فاقتتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرق من معه من الجمع ومضى منهزما فاجتاز بطرف بلد سنجار فسير اليه صاحبها فروخ شاه بن زنكى بن مودود بن زنكى عسكرا فهزموه وأخذوه اسيرا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقا للاشرف وبدر الدين فلما صار عنده ابن المشطوب حسن له مخالفة الاشرف فاجابه الى ذلك وأطلقه فاجتمع معه من يريد الفساد فقصدوا البقعاء من أعمال الموصل ونهبوا فيها عدة قرى وعادوا الى سنجار ثم ساروا وهو معهم الى تل يعفر وهى لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا فى تلك الناحية فلما سمع بدر الدين بذلك سير اليه عسكرا فقاتلوهم فمضى منهزما وصعد الى تل يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه فيها فسار

---

يكاشح ولده * وينطوى على الداء الدفين معتقده * حتى باغض من وافقه وعاهده * وضرب على وجوب عقد الموالاة يده * وسامى خيانة الدين بمواطأته على كائن تغلق الرقاب * وتوجب فى عواقبها العقاب * حتى اذا علم ان مثلى لا يقر على الباطل * ولا يرضى باستئكال الايامى والارامل * رام ان يغرقنى فى درد وره * ويتيه بى فى تيهوره * فاستمال واكثال وحرش على الامراء الاشبال * وأبى الله لعلمه بعباده الا أن يحيق به مكيدته * ويكشف عن أقواه الزور وابطاء الغرور قصيدته * ولما أيس مما رامه * وأبلس دون ما جرد له اهتمامه واعتزامه * عرج على استنزال شمس الكفاة بسحر التمويه * وعرض صور رقى عليه فى

بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثاء لتسع بقين من ربيع الاول سنة سبع عشرة وستمائة ووجد فى حصره وزحف اليها مرة بعد أخرى فملكها سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة وأخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فسجنه بها ثم أخذه منه الاشرف فسجن بحران الى أن توفى فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة ولقاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط وأما الملك الاشرف فانه لما أطاعه صاحب الحصن وآمد وتفرق الامراء كما ذكرناه رحل من حران الى دنيسر فنزل عليها واستولى على بلاد ماردين وشحن عليه وأقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحضر معه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين فى الصلح فاصطلحوا على أن يأخذ الاشرف رأس العين وكان هو قد أقطعها لصاحب ماردين ويأخذ منه أيضا ثلاثين ألف دينار ويأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد شبختان فلما تم الصلح سار الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فبينما هو فى الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب العوض عنها مدينة الرقة وكان السبب فى ذلك أخذ تل يعفر منه فانخلع قلبه وانضاف الى ذلك ان ثقاته ونصحاءه خانوه وزادوه رعبا وخوفا لانهم تهددوه فتغير وابه قبل أن يتغشى بهم ولانه قطع رحمه وقتل أخاه الذى ملك سنجار بعد أبيه قتله كما ذكره ان شاء الله وملكها فلقاه الله سوء فعله ولم يمتعه بها فلما تيقن رحيل الاشرف تحير فى أمره فأرسل فى التسليم اليه فأجابه الاشرف الى العوض وسلم اليه الرقة وتسلم سنجار مستهل جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة وفارقها صاحبها واخوته بأهليهم وأموالهم وكان هذا آخر ملوك البيت الاتابكى بسنجار فسبحان الحى الدائم الذى ليس لملكه آخر وكان مدة ملكهم لها أربعا وتسعين سنة وهذا دأب الدنيا بأبنائها فتعسا لها من دار ما أغدرها بأهلها

## (ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفر الدين)

لما ملك الملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليجتاز منها فقدم بين يديه عساكره فكان يصل كل يوم منهم جمع كثير ثم وصل هو فى آخرهم يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان يوم وصوله مشهودا وأتاه رسل الخليفة ومظفر الدين فى الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية فانها تبقى بيد زنكى وان المصلحة قبول هذا لتزول الفتن ويقع الاشتغال بجهاد الفرنج وطال الحديث فى ذلك نحو شهرين ثم رحل الاشرف يريد مظفر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلامية بالقرب من نهر الزاب وكان مظفر الدين نازلا عليه من جانب اربل فأعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والناس قد ضجروا وناصر الدين صاحب آمد يميل بهواه الى مظفر الدين فأشار بالاجابة الى ما بذل واعانه عليه غيره فوقعت الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وجعل لتسليمها أجل وحمل زنكى الى الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلمت قلعة العقر وقلعة شوش أيضا وهما لزنكى الى نواب الاشرف رهنا على تسليم ما استقر من القلاع فاذا سلمت أطلق زنكى وأعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلم الاشرف الى زنكى القلعتين وعاد الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة فأرسلوا الى القلاع لتسلم الى نواب بدر الدين فلم يسلم اليه غير قلعة جل صورا من أعمال الهكارية وأما باقى

معرض التشويه * موهما اياه ان لى صغوا فى بعض من ناظره يوما على رتبة المقابلة * أو وزانه بمعيار الموازنة والمماثلة * علما منه بان حمله لا يستخف الا بهذا التأويل * وان رأيه لا يستنزل الا على مثل هذا التخييل * حتى نفذت فيه رقيته * وعملت فى استنزاله دخنته * فتشرب حقدا ولا الارض من صوب العهاد * والكف من وشم السواد * والثوب من لون الجساد * أو صبغ الفرصاد وعلم الله انى لم اكن لاضمر كدرا على صفاء * أو اسر حسوا فى ارتغاء * أو اشحذ غمصا لصنيعه * أو طماعا على عين شريعه * غيرى من نكب عن نهج الوفاء * وغب دون فرض النعماء وودع حق المنعم المثيب *

القلاع فان جندها أظهروا الامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلم الاجل صورا والزم عماد
الدين زنكى لشهاب الدين غازى بن الملك العادل وخدمه وتقرب اليه فاستعطف الله أخاه
الملك الاشرف فمال اليه وأطلقه وازال نوابه من قلعة العقر وشوش وسلمهما اليه وبلغ بدر
الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تل يعفر وانها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثه
وطال الحديث فى ذلك فسلمها اليه بدر الدين

(ذكر عود قلاع الهكارية والزوزان الى بدر الدين)

لما ملك زنكى قلاع الهكارية والزوزان لم يفعل مع اهلها ما ظنوه من الاحسان والانعام بل
فعل ضده وضيق عليهم وكان يبلغهم أفعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وبذله
الاموال لهم وكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلما كان الآن
اعلنوا بما فى انفسهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة فى التسليم اليه
وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا شيأ من أقطاع تكون لهم فاجابهم الى ذلك وارسل الى
الملك الاشرف يستأذنه فى ذلك ثم يأذن له وعاد زنكى من عند الاشرف فجمع جموعا وحصر قلعة
العمادية فلم يبلغ منهم غرضا وأعادوا مراسلة بدر الدين فى التسليم اليه فكتب الى الملك
الاشرف فى المعنى وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين ليأذن له فى اخذها فاذن له
فارسل اليها النواب وتسلموها وأحسن الى اهلها ورحل زنكى عنها ووفى لهم بدر الدين بما
بذله لهم فلما سمع جند باقى القلاع بما فعلوا وما وصلهم من الاحسان والزيادة رغبوا كلهم فى
التسليم فسير اليهم النواب واتفقت كلمة اهلها على طاعته والانقياد اليه والعجب ان العساكر
اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها فى استعادة هذه القلاع فلم يقدروا
على ذلك فلما تفرقوا حضر أهلها وسألوا أن تؤخذ منهم فعادت صفوا عفوا بغير منة ولقد
أحسن من قال

لا سهل الا ما جعلت سهلا * وان تشا تجعل الحزن سهلا

فتبارك الله الفعال لما يريد لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع وهو على كل شئ قدير

(ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس)

فى هذه السنة سار عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصدا للتغلب
عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان بحلب رجلان فيهما شر كثير
وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر ابن صلاح الدين عن رعيته فاوغروا
صدره فلقى الناس منهما شدة فلما توفى الظاهر وولى الامر شهاب الدين طغرل أبعدهما
وغيرهما ممن يفعل فعلهما وسد هذا الباب على فاعله ولم يطرق اليه أحدا من اهله فلما رأى
الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما ونار بهما الناس وآذوهما وتهددوهما لما كانا أسلفاه
من الشر فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فاطمعاه فيها وقررا فى نفسه انه متى قصدها
لا يثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه ملك ما بعدها فلما عزم على ذلك أشار عليه ذوو
الرأى من اصحابه وقالوا له لا يتم لك هذا الا بان يكون معك أحد من بيت ايوب ليسهل على
اهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الافضل ابن صلاح الدين هو فى طاعتك والمصلحة

ورد الجر على قرارة القليب
ونزع عن عماقلانيه بقدم
من أهل جرجان لا يعرف
الرشد من الغى * ولا الظل
من الفى * ولا النشر من
الطى * ولا النقد من اللى
ولا الاثبات من النفى *
ولا جرجان من الرى * شوهة
بوهة قد صيغ من طول
القناة * وزرقة البزاه *
ولبقة الدواه * وصفاقة
الصفاه * وتجدير الصف
بالعشرات طال ما خر على
العثنون تشمما للتراب *
وتكففا للعصا فى الجراب *
وتصرفا على المكس بالصروف
وتهجيا للالف بنقطتين من
بين الحروف * وطفق من
بعد يرتضخ لكنة عجمية
فى شعر كشعره الموصوف
بوثارة الصوف * مستميحا
كل صراف واسكاف *
وعطار وبيطار * على سعر

انك تستصحبه معك وتقرر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد ففي كان معك أطاعك الناس وسهل عليك ماتريد فاحضر الافضل من سميساط اليه واكرمه وحمل اليه شيأ كثيرا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما أن يكون مايفتحه من حلب وأعمالها للافضل وهو فى طاعة كيكاوس والخطبة له فى ذلك أجمع ثم يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه مما بيد الملك الاشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية تكون لكيكاوس وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة رعبان فتسلمها الافضل فمال الناس حينئذ اليهما ثم سار الى قلعة تل باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين دلدرم الياروقى فحصروه وضيقوا عليه وملكوها منه فاخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر وخاف انه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الا أن يكون قد قلع بيته لغيره ففترت نيته وأعرض عما كان يفعله وكذلك ايضا أهل البلاد فكانوا يظنون ان الافضل يملكها فيسهل عليهم الامر فلما رأوا ضد ذلك وقفوا وأما شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم قلعة حلب لاينزل منها ولا يفارقها البتة وهذه كانت عادته مذ مات الظاهر خوفا من ثائر يثور به فلما حدث هذا الامر خاف ان يحصروه وربما سلم اهل البلد والجند المدينة الى الافضل لميلهم اليه فارسل الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم له ويخطبون له ويجعل السكة باسمه ويأخذ من اعمال حلب ما اختار ولان ولد الظاهر هو ابن أخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم فى عساكره التى عنده وأرسل الى الباقين يطلبهم اليه وسره ذلك للمصلحة العامة لجميعهم وأحضر اليه العرب من طىء وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولما أخذ كيكاوس تل باشر كان الافضل يشير بمعاجلة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل أن يحتاطوا ويتجهزوا فعادعن ذلك وصار يقول الرأى اننا نقصد منبج وغيرها لئلا يبقى لهم وراء ظهورنا شىء قصدا للتمادى ومرور الزمان فى لاشىء فتوجهوا من تل باشر الى جهة منبج وتقدم الاشرف نحوهم وسارت العرب فى مقدمته وكان طائفة من عسكر كيكاوس نحو ألف فارس قد سبقت مقدمته له فالتقوا هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفى فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلما وصل اليه أصحابه منهزمين لم يثبت بل ولى على أعقابه يطوى المراحل الى بلاده خائفا يترقب فلما وصل الى أطرافها اقام وانما فعل هذا لانه صبى وغر لامعرفة له بالحرب والا فالعساكر مابرحت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فملك رعبان وحصر تل باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوه حتى غلبوا فاخذت القلعة منهم وأطلقهم الاشرف فلما وصلوا الى كيكاوس جعلهم فى دار وأحرقها عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافة واستقبحوه واستضعفوه لاجرم لم يمهله الله تعالى وعجل عقوبته للؤم قدرته وشدة عقوبته ولعدم الرحمة فى قلبه ومات عقيب هذه الحادثة وسلم الاشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان عازما على اتباع كيكاوس ويدخل بلاده فاتاه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لان الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان

صفقته الاولى اذا السلعة قائمه * والجملة رائمه * والسجة ممطوره * والنخلة مأبوره * وغبر زمانا على هذه الجملة فى الوقاحة والوقاحة * ثم انتجع خراسان ببضاعته المزجاة فوافقت على النظرة الخرقاء قبولا * وابتسمن عن العطاء غرة وحجولا * فلما تعقبها التأمل * علم ان خرق الانتقاد ضيع المال * وأورث الوبال * فأهمل مخذولا * وغودر فى قدر شعره مرذولا * الى أن غر شمس الكفاة عن نفسه فاختاره على * ونفذه مع مكيدة البغوى الغوى فى * فقصدت من المكروه فى الروح * دون سائر الممنوح * بما لولا مكان الامير السيد أبى سعيد مسعود بن يمين الدولة وامين الملة * وفضل

العظيم اذا توفى ذر بما جرى خلل فى البلاد لا تعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكل فى كل منهما اذى صاحبه

## (ذكر وفاة الملك العادل وملك أولاده بعده)

توفى الملك العادل أبو بكر بن ايوب سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة وقد ذكرنا ابتداء دولتهم عند ملك عمه أسد الدين شيركوه ديار مصر سنة أربع وستين وخمسمائة ولما ملك أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر بعد عمه وسار الى الشام استخلفه بمصر ثقة به واعتمادا عليه وعلما بما هو عليه من توفر العقل وحسن السيرة فلما توفى أخوه صلاح الدين ملك دمشق كما ذكرناه وبقى مالكا للبلاد الى الآن فلما ظهر الفرنج كما ذكرناه سنة اربع عشرة وستمائة قصدهم مرج الصفر فلما سار الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فأقام به ومرض وتوفى وحمل الى دمشق فدفن بالتربة التى له وكان عاقلا ذا رأى سديد ومكر شديد وخديعة صبورا حليما ذا أناة يسمع ما يكره ويغضى عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لا يقف فى شئ واذا لم تكن حاجة فلا وكان عمره خمسا وسبعين سنة وشهورا لان مولده كان فى المحرم من سنة أربعين وخمسمائة وملك دمشق فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة من الافضل ابن أخيه وملك مصر فى ربيع الآخر من سنة ست وتسعين منه ايضا ومن أعجب ما رأيت من منافاة الطوالع انه لم يملك الافضل مملكة قط الا وأخذها منه عمه العادل فاول ذلك ان صلاح الدين أعطى ابنه الافضل حران والرها وميافارقين سنة ست وثمانين بعد وفاة تقى الدين فسار اليها فلما وصل الى حلب أرسل ابوه الملك العادل بعده فرده من حلب وأخذ هذه البلاد منه ثم ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فاخذها منه ثم ملك مصر بعد وفاة أخيه الملك العزيز فاخذها ايضا منه ثم ملك صرخد فاخذها منه وأعجب من هذا انى رأيت بالبيت المقدس سارية من الرخام ملقاة فى بيعة صهيون ليس يوجد مثلها فقال القس الذى بالبيعة هذه كان قد أخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثم ان العادل أخذها بعد ذلك من الافضل طلبها منه فاخذها وهذا غاية وهو من أعجب ما يحكى وكان العادل قد قسم البلاد فى حياته بين أولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمدا وبدمشق والقدس وطبرية والاردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لابنه الملك الاشرف موسى وأعطى الرها لولده شهاب الدين غازى وأعطى قلعة جعبر لولده الحافظ أرسلان شاه فلما توفى ثبت كل منهم فى المملكة التى أعطاه اياها أبوه واتفقوا اتفاقا حسنا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجرى بين أولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق الى الآخر بحيث يحضر عنده منفردا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد ملكهم ورأوا من نفاذ الامر والحكم ما لم يره أبوهم ولعمرى انهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذب عن الاسلام وفى نوبة دمياط كفاية وأما الملك الاشرف فليس للمال عنده محل بل يمطره مطرا كثيرا كعفته عن أموال الرعية دائم الاحسان لا يسمع سعاية ساع

## (ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ذى القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن أرض دمياط لانه بلغه ان جماعة

احسانه * واستنقاذه اياى من فجوات أشداقهما بأحد غلمانه * انتدافق الخطب الى مايه زلا فيه * ولغلاق رهن الحياة بما فيه * ولو كنت عرفت من سيرة البغوى قبل ما عرفته بعد لاستعفيت من جواره * واحترست من مساقط أحجاره * لكن السرائر بيد الله تعالى لا يكشفها الا الاختبار

والظلم فى خلق النفوس * فان تجد
ذا عفة فلعله لا يظلم

وقد كتبت الى جماعة الافاضل فى ذكر المذكور وشكواه * وتقرير سجاياه * ما هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة أرباب الصناعة * وعصابة أعلام الاصابة * من مبادى الاشراق * الى أقاصى العراق * من محمد بن سعد

من الامراء قد اجتمعوا على تمليك أخيه الفائز عوضه فخافهم ففارق منزلته فانتقل الفرنج اليها وحصروا حينئذ دمياط برا وبحرا وتمكنوا من ذلك وقد تقدم مستقصى سنة أربع عشرة وستمائة وفيها فى المحرم توفى شرف الدين محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعى وكان مدرسا فى عدة مدارس بالموصل وكان صالحا كثير الخير والدين سليم القلب رحمه الله وفيها توفى عز الدين نجاح الشرابى خاص الخليفة وأقرب الناس اليه وكان الحاكم فى دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والعصبية للناس وأما عقله وتدبيره فاليه كانت النهاية وبه يضرب المثل وفيها توفى على بن نصر بن هرون أبو الحسن الحلى النحوى الملقب بالحجة قرأ على ابن الخشاب وغيره

*(ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة)*

*(ذكر وفاة كيكاوس وملك كيقباذ أخيه)*

فى هذه السنة توفى الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطية وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكره وحشد وسار الى ملطية على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكة فى بلادهم واتفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطية ليمنع الملك الاشرف عن المسير الى الموصل لنجدة صاحبها بدر الدين لعل مظفر الدين يبلغ من الموصل غرضا وكان قد علق به السل فلما اشتد مرضه عاد عنها فتوفى وملك بعده أخوه كيقباذ وكان محبوسا قد حبسه أخوه كيكاوس لما أخذ البلاد وأشار عليه بعض أصحابه بقتله فلم يفعل فلما توفى لم يخلف ولدا يصلح للملك لصغرهم فأخرج الجند كيقباذ وملكوه ومن بغى عليه لينصرنه الله وقيل بل أرسل كيكاوس لما اشتد مرضه فاحضره عنده من السجن ووصى له بالملك وحلف الناس له فلما ملك خالفه عمه صاحب ارزن الروم وخاف أيضا من الروم المجاورين لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهدا على المصافاة والتعاضد وتصاهرا وكفى الاشرف شر تلك الجهة وتفرغ باله لاصلاح ما بين يديه ولقد صدق القائل وجدك طعان بغير سنان وهذا ثمرة حسن النية فانه حسن النية لرعيته وأصحابه كافا عن أذى يتطرق اليهم غير قاصد الى البلاد المجاورة لبلاده باذى وملك مع ضعف أصحابها وقوته لا جرم تأتيه البلاد صفوا عفوا

*(ذكر موت صاحب سنجار وملك ابنه ثم قتل ابنه وملك أخيه)*

وفى هذه السنة ثامن صفر توفى قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وكان كريما حسن السيرة فى رعيته حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم وأما أصحابه فكانوا معه فى أرغد عيش يعمهم باحسانه ولا يخافون أذاه وكان عاجزا عن حفظ بلده مسلما الامور الى نوابه ولما توفى ملك بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه وركب الناس معه وبقى مالكا لسنجار عدة شهور وسار الى تل أعفر وهى له فدخل عليه أخوه عمر بن محمد بن زنكى ومعه جماعة فقتلوه وملك أخوه عمر بعده فبقى كذلك الى أن سلم سنجار الى الملك الاشرف على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولم يمتع بملكه الذى قطع رحمه وأراق الدم الحرام لاجله ولما سلم سنجار أخذ عوضها الرقة ثم أخذت منه عن قريب وتوفى بعد اخذها منه بقليل وعدم روحه وشبابه

الجبار المعروف بأبى النصر العتبى رسالة تخص كل حاضر وجود * وتعم كل لاحق مولود * ما سمع للحق أذان * وأطلق على الكفر عنان * وشهر فى سبيل الله حسام * وأقيم على كتاب الله نقط واعجام * سلام عليكم ما راق شارق مهضوب * وأراق بارق سكوب * ودر على الابساس حلوب * وكر فى حومة الباس قارح يعبوب * سلاما تمد على نفحات السحر قضبانه * وتنم على فتات المسك والعنبر أردانه * أما بعد فان لله تعالى جده بازاء نعمه التى يتبلج للسارين صباحها * ويتبرج للناظرين وشاحها * معدلة القدود * موردة الخدود * مضفرة القرون * منورة الشؤون * مغانقة العوارض مدبجة

وهذه عاقبة قطيعة الرحم فان صلتها تزيد فى العمر وقطيعتها تهدم العمر

*(ذكر اجلاء بنى معروف عن البطائح وقتلهم)*

فى هذه السنة فى ذى القعدة أمر الخليفة الناصر لدين الله الشريف معدا متولى بلاد واسط أن يسير الى قتال بنى معروف فتجهز وجمع معه من الرجالة من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقا كثيرا وسار اليهم ومقدمهم حينئذ معلى بن معروف وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربى الفرات تحت سوراء وما يتصل بذلك من البطائح وكثر فسادهم وأذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا الطريق وافسدوا فى النواحى المقاربة لبطيحة الغراف فشكا أهل تلك البلاد الى الديوان منهم فأمر معدا أن يسير اليهم فى الجموع فسار اليهم فاستعد بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقبر وهو تل كبير بالبطيحة بقرب الغراف وكثر القتل بينهم ثم انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأخذت أموالهم وحملت رؤس كثيرة من القتلى الى بغداد فى ذى الحجة من السنة

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى المحرم انهزم عماد الدين زنكى من عسكر بدر الدين وفيها فى العشرين من رجب انهزم بدر الدين من مظفر الدين صاحب اربل وعاد مظفر الدين الى بلده وقد تقدم ذلك مستوفى فى سنة خمس عشرة وستمائة وفيها فى السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج مدينة دمياط وقد ذكرته سنة أربع عشرة مشروحا وفيها توفى افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل الهاشمى العباسى الفقيه الحنفى رئيس الحنفية بحلب روى الحديث عن عمر البسطامى نزيل بلخ وعن أبى سعد السمعانى وغيرهما وفيها توفى أبو البقاء عبد الله بن الحسين ابن عبد الله العكبرى الضرير النحوى وفيها توفى أبو الحسن على بن أبى محمد القاسم بن على بن الحسن بن عبد الله الدمشقى الحافظ بن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فأكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حرامية فجرح وبقى ببغداد وتوفى فى جمادى الاولى رحمه الله

*(ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة)*

*(ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام)*

لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها فأنا أقدم اليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك فياليت أمى لم تلدنى وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا الا انى حثنى جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقت الايام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببنى اسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التى كل مدينة منها أضعاف البيت

المعارض * مخضبة الاطراف معطرة الاردان والاعطاف * منا منه على عباده ابتداء يقتضيه حكم كرمه * أو ابتلاء لآثارهم فى جنب نعمه * نقمها قائدها شؤم الخذلان * وسائقها لؤم الكنود والكفران * تخالط أبناءها مشوهة المطالع * منفشة القنازع * مروقة المكاشح * مقلصة المشافر * مفولة المدارى والحاسر * تصرفهم بين أخلاق مذمومة * وأخطار مثلومة * وأعراض مكلومة * وأفعال بعاجل العار * وآجل النار * محتومة * وقد تستحيل النعم بأعيانها نقما منكورة * كما تستحيل المحن على أربابها منحا مشكورة * تطبعا على خلق المكارم ونزوعا على عادة المقصود بالاحسان .

المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا يأجوج ومأجوج وأما الدجال فانه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارا وغيرهما فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا ثم يتجاوزونها الى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارانية ويخربونها ويقتلون أكثر اهلها ولم ينج الا الشريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارانية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللكز ومن في ذلك الصقع من الامم المختلفة فاوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعلوا هذا في أسرع زمان لم يلبثوا الا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة الى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء واشد هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة انما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا انما رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنه وأكثره عمارة وأهلا وأعدل أهل الارض اخلاقا وسيرة في نحو سنة ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير وأما دوابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شئ من خارج وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ فانهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون النكاح بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف اباه ولقد بلي الاسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الامم منها هؤلاء التتر قبحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع بها وستراها مشروحة متصلة ان شاء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة ومنها ان الذي سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق وقد ذكرناه أيضا فانا لله وانا اليه راجعون نسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين



كالجيب بعطر من نوافج الند ودا المعطرة * والجو يذفر من روائح المشوش المقيرة * والمزن يسقط على عرصة الروض * فتوليه طهارة ونضارة * ويهبط على فروة الكلب فتعديه نجاسة وقذارة * والماء القراح * يسقي عروق الشجر * فتقضي عليها باختلاف الثمرة فيقبله كل منها على ما كتب له من مرارة وحلاوة * ومزازة وحرافة * وكثافة واطافة * نسقى بماء واحد ونفضل * بعضها على بعض في الاكل * قدرة من المبدى الاول * والابدى الموجود في الازل * ان شر خلق الله نفسا وشيمة * وأخسهم قدرا وقيمة * من يضيفه صنع الله ريان من ماء الطلاقة * نشوان من صهباء اللباقة * فينان من

والذاب عن الاسلام معدوم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال فان هؤلاء التتر انما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع وسبب عدمه أن خوارزمشاه محمدا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفناهم وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضي الله أمرا كان مفعولا وهذا حين نذكر ابتداء خروجهم الى البلاد

*(ذكر خروج التتر الى تركستان وماوراء النهر وما فعلوه)*

في هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الاسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة أشهر وكان السبب في ظهورهم ان ملكهم ويسمى بجنكزخان المعروف بتوجين كان قد فارق بلاده وسار الى نواحي تركستان وسير جماعة من التجار والاتراك ومعهم شئ كثير من النقرة والقندر وغيرهما الى بلاد ماوراء النهر سمرقند وبخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهي آخر ولاية خوارزمشاه وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر ارسل الى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ويذكر له مامعهم من الاموال فبعث اليه خوارزمشاه يأمره بقتلهم وأخذ مامعهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسير مامعهم وكان شيأ كثيرا فلما وصل الى خوارزمشاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند وأخذ ثمنه منهم وكان بعد ان ملك ماوراء النهر من الخطا قد سد الطرق عن بلاد تركستان ومابعدها من البلاد وان طائفة من التتر أيضا كانوا قد خرجوا قديما والبلاد للخطا فلما ملك خوارزمشاه البلاد بماوراء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هؤلاء التتر على تركستان كاشغر وبلاساغون وغيرها صاروا يحاربون عساكر خوارزمشاه فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل في سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر

فكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فلما قتل نائب خوارزمشاه أصحاب جنكزخان أرسل جواسيس الى جنكزخان لينظر ما هو وكم مقدار مامعه من الترك وما يريد أن يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم حتى وصلوا اليه فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن الاحصاء وانهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بأيديهم فندم خوارزمشاه على قتل اصحابهم واخذ اموالهم وحصل عنده فكر زائد فأحضر الشهاب الخيوفي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث أمر عظيم لابد من الفكر فيه فأخذ رأيك في الذي نفعله وذلك انه قد تحرك الينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تحصى فقال له في عساكرك كثرة ونكاتب الاطراف ونجمع العساكر ويكون النفير عاما فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس ثم نذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الاسلام فنكون هناك فاذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسهم النصب والتعب فجمع خوارزمشاه أمراءه ومن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم

غال السماحة * ميسان في حال الصباحة * حتى اذا حط رحله * وخالط بالبشر الخصيب أهله * قرأه من بؤس الخصال * وعبوس الملال * وضرة الاستبدال ومضرة الابتذال * ما يطير واقعه * ويهيج وادعه * وينشز ودوده * ويعقر عليه ولوده * فرحل في سواد الحداد شاكيا سوء الجوار * وخفرة الذمار * وذلة المقدار * وغلظة الاحماء والاصهار * ثانيا على ثنية الوداع صليفه متمثلا بقول القائل

نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الاسلام وسخ
الثوب والعمامة والبرذون * والوجه والقفا والغلام

فلم يوافقوه على رأيه بل قالوا اتركهم يعبرون سيحون الينا ويسلكون هذه الجبال والمضايق فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجو منهم أحد فبينما الاتراك كذلك اذ ورد رسول من هذا اللعين جنكزخان معه جماعة يتهدد خوارزمشاه ويقول تقتلون أصحابي وتأخذون أموالهم استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قبل لكم به وكان جنكزخان قد سار الى تركستان فملك كاشغار وبلاساغون وجميع البلاد وأزال عنها التتر الاولى فلم يظهر لهم خبر ولا بقي لهم أثر بل بادوا كما أصاب الخطا وأرسل الرسالة المذكورة الى خوارزمشاه فلما سمعها خوارزمشاه أمر بقتل رسوله فقتل وأمر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم الى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له ان خوارزمشاه يقول لك أنا سائر اليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم وافعل بك كما فعلت بأصحابك وتجهز خوارزمشاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبسهم فادمن السير فمضى وقطع مسيرة أربعة أشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار عن بيوتهم أنهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلقيهم في الطريق الخبر بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فجدوا السير فادركوه قبل أن يخرج عن بيوتهم وتصافوا للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها فقتل من الطائفتين ما لا يعد ولم ينهزم أحد منهم اما المسلمون فانهم صبروا حمية للدين وعلموا أنهم ان انهزموا لم يبق للمسلمين باقية وانهم يؤخذون لبعدهم عن بلادهم وأما الكفار فصبروا لاستنقاذ أهليهم وأموالهم واشتد بهم الامر حتى ان أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلا ويتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفد الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان ولم يحضر أبوه الوقعة ولم يشعر بها فأحصي من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين ألفا واما من الكفار فلا يحصى من قتل منهم فلما كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلما أظلم الليل أوقد الكفار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا وكذلك فعل المسلمون أيضا كل منهم سئم القتال فاما الكفار فعادوا الى ملكهم جنكزخان وأما المسلمون فرجعوا الى بخارا فاستعد للحصار لعلمه بعجزه لان طائفة من عسكره لم يقدر خوارزمشاه على أن يظفر بهم فكيف اذا جاؤا جميعهم مع ملكهم فامر أهل بخارا وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع وجعل في بخارا عشرين ألف فارس من العسكر يحمونها وفي سمرقند خمسين ألفا وقال لهم احفظوا البلد حتى أعود الى خوارزم وخراسان واجمع العساكر واستنجد بالمسلمين وأعود اليكم فلما فرغ من ذلك رحل عائدا الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هنالك وأما الكفار فانهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا الى بخارا بعد خمسة أشهر من وصول خوارزمشاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة أيام قتالا شديدا متتابعا فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة ففارقوا البلد عائدين الى خراسان فلما أصبح اهل البلد وليس عندهم من العسكر أحد ضعفت نفوسهم فارسلوا القاضي وهو بدر الدين قاضيخان ليطلب الامان للناس فاعطوهم

ولولا ان العقاب * تتبع للخطاب * وان التآمر على الاعراض مجهول في حكم الاعتبار ونص الكتاب * وان مجازات الشعراء غير حقائق الكتاب * لاذعبت غضب الله على نعمه حين ابتلاها بمجاورة الانذال * وزواها عن مظان الاستحقاق من كرام الرجال * غيران المقصود فيها بالكرامة وقد قابلها بالاستخفاف * وكابر عقله في جوارها بغير الانصاف * أولى بأن يقهره عاجل الغضب * ويبهره آجل اللهب * فكم من وارد ماء أشرقه نميره * وقادح زند أحرقه سعيره * وشاحذ حد قطع به وريده * وراكب جواد قصم عليه جيده * وقد تختلف مواقع النعم من أربابها على شيئين امن

الامان وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما اجابهم جنكزخان الى الامان فتحت أبواب المدينة يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارا ولم يتعرضوا الى أحد بل قالوا لهم كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره أخرجوه الينا وساعدونا على قتال من بالقلعة وأظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلد بان لا يتخلف أحد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم فامرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتى ان الكفار كانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه راجعون وبحق سمى الله نفسه صبورا حليما والا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل هذا ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو أربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يوما يقاتلون جمع الكفار وأهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين ورد أصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدوا في القتال وقد تعب من بالقلعة ونصبوا وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين بها حتى قتلوا عن آخرهم فلما فرغ من القلعة أمر ان يكتب له رؤس البلد ورؤساؤهم ففعلوا ذلك فلما عرضوا عليه أمر باحضارهم فحضروا فقال أريد منكم النقرة التي باعكم خوارزمشاه فانها لي ومن أصحابي أخذت وهي عندكم فاحضر كل من كان عنده شئ منها بين يديه ثم أمرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من اموالهم ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه وأحاط بالمسلمين فامر أصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا أيدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء أيضا وأصبحت بخارا خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن انفسهم شيأ مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل وممن فعل ذلك واختار أن يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانهما لما رأيا ما يفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان ومن استسلم أخذ أسيرا وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب من طلب المال ثم رحلوا نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم وهم بمكانه بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارا اسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكل من أعيا وعجز عن المشي قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاسارى والاثقال وراءهم حتى تقدموا شيأ فشيأ ليكون أرعب لقلوب المسلمين فلما رأى اهل البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثاني وصل الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن أهل البلد ان الجميع عساكر مقاتلة وأحاطوا بالبلد وفيه خمسون ألف مقاتل من الخوارزمية وأما عامة البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان أهله وأهل الجلد والقوة رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء

صارت اليه * ونبا بها عمن مالت بسوء اختياره وقبح آثاره عليه * فالاحداث فيها أحسن حالا * وازين خصالا * من الكهول الطاعنين في الاسنان * والشيوخ الحالبين أشطر الزمان * فليس من قرح وحنك * وسبر وسبك * وأخذ على وجه الاستبصار وترك كالغر لم تلقحه هواجر الامور * والغمر لم تردعه زواجر الدهور * والغفل لم تدربه الحادثات بأحوالها والاهوال * لم ترضه الرجال بأكفالها * وقد بين عذر الناشئ في طول الجهالة بالشباب الذي هو طليعة الحياة * وشبيبة الشهوات واللذات * وان سائس العقل لم يضرب عليه عقاله * وصيقل التجريب لم يحكم على متنيه

الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون وأهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينا فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال أولا فبقوا في الوسط وأخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم أحد قتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم وكانوا سبعين ألفا على ما قيل فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وأيقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا أتراكا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا أبواب البلد ولم يقدر العامة على منعهم وخرجوا الى الكفار باهلهم وأموالهم فقال لهم الكفار ادفعوا الينا سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما أخذوا اسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا اموالهم ودوابهم ونساءهم فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج اهله جميعهم ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارا من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه وأحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي وكان ذلك في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير عشرين ألفا فعادوا أيضا

## ﴿ذكر مسير التتر الى خوارزمشاه وانهزامه وموته﴾

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسير عشرين ألف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه أين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانهم هم الذين أوغلوا في البلاد فلما أمرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى فنج اب ومعناه خمس مياه فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وأمتعتهم وألقوا الخيل في الماء وامسكوا أذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه الا وقد صاروا ومعه على ارض واحدة وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبا وخوفا وقد اختلفوا فيما بينهم انهم كانوا يتماسكون بسبب ان نهر جيحون بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا أيدي سبا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزمشاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل أولئك التتر اليها وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهي له أيضا فرحل التتر المغربون في أثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها فوصل الى مرسى من بحر طبرستان تعرف بباب سكون وله هناك قلعة في البحر فلما نزل

صقالة * وان الرى برعومة
لا يفنيها الا كر الجديدين
يدور ويدور * وشمس تطلع ثم
تغور * وموسم زمان ينفق
فيه النور والنور * وان
الشباب شعبة من الجنون *
وان قلم التكليف مرفوع
عن المجنون * والحدث الغر
كالعجماء جرحها جبار *
وعمدها دون جنايتها
اعتذار * فما بال من خلع
لباس الحداثة * ووضع عنه
جلباب الطراءة * واجتلى
نهار المشيب عيانا * وأفنى
ثلاث عمائم ألوانا *
سوداء داجية وسحق مفرق
وأجد لونا بعد ذاك هجانا

هو وأصحابه فى السفن ووصلت التتر فلما رأوا خوارزمشاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلما أيسوا من لحاق خوارزمشاه رجعوا فهم الذين قصدوا الرى وما بعدها على ما نذكره ان شاء الله هكذا ذكر لى بعض الفقهاء ممن كان ببخارا وأسروه معهم الى سمرقند ثم نجا منهم ووصل الينا وذكر غيره من التجار أن خوارزمشاه سار من مازندران حتى وصل الى الرى ثم منها الى همذان والتتر فى اثره ففارق همذان فى نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب فى البحر الى هذه القلعة وكان هذا هو الصحيح فان الفقيه كان حينئذ مأسورا وهؤلاء التجار أخبروا أنهم كانوا بهمذان ووصل خوارزمشاه ثم وصل بعده من أخبره بوصول التتر ففارق همذان وكذلك أيضا هؤلاء التجار فارقوها ووصل التتر اليها بعدهم ببعض نهار فهم يخبرون عن مشاهدة ولما وصل خوارزمشاه الى هذه القلعة المذكورة توفى فيها

﴿ذكر صفة خوارزمشاه وشئ من سيرته﴾

هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش وكان مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا تقريبا واتسع ملكه وعظم محله وأطاعه العالم بأسره ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه فانه ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وفعل بالخطا الافاعيل العظيمة وملك بلادهم وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه وكان صبورا على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه فى الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لاهل الدين مقبلا عليهم متبركا بهم (حكى) لى بعض خدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وقد عاد من خراسان قال وصلت الى خوارزم فنزلت ودخلت الحمام ثم قصدت باب السلطان علاء الدين فحين حضرت لقينى انسان فقال ما حاجتك فقلت له أنا من خدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فامرنى بالجلوس وانصرف عنى ثم عاد الى وأخذنى وادخلنى الى دار السلطان فتسلمنى منه حاجب من حجاب السلطان وقال لى قد أعلمت السلطان خبرك فامر باحضارك عنده فدخلت اليه وهو جالس فى صدر ايوان كبير فحين توسطت صحن الدار قام قائما ومشى الى بين يدى فاسرعت السير فلقيته فى وسط الايوان فاردت أن اقبل يده فمنعنى واعتنقنى وجلس واجلسنى الى جانبه وقال لى أنت تخدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فقلت نعم فأخذ يدى وأمرها على وجهه وسألنى عن حالنا وعيشنا وصفة المدينة ومقدارها واطال الحديث معى فلما خرجت من عنده قال لولا انا على عزم السفر هذه الساعة لما ودعتك انما نريد أن نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث رأينا من خدم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم ثم ودعنى وأرسل الى جملة كثيرة من النفقة ومضى وكان منه ومن الخطا ما ذكرناه وبالجملة فاجتمع فيه ما تفرق فى غيره من ملوك العالم رحمه الله ولو أردنا ذكر مناقبه لطال

﴿ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران﴾

لما ايس التتر المغربة من ادراك خوارزمشاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها فى

وكان له ان يصحو عن قهوة البطالة * وينزل عن صهوة الاستطالة * ويبكى لضحك المشيب براسه * ونصول الانقاس عن قرطاسه * وتمشى الوهى فى عظامه * وقعود القوى به عند قيامه * واصباحه على خمار ندمه * واقتضاحه بمنار قدمه * ونداء برهان الله عليه باتساع محجته * وانقطاع حجته * واتلاع النار اعناقها لالتقاطه واختطافه هاويا عن صراطه * يستعيذ المعى عن سبيل الله * والصم دون أمر الله * خبطا فى ليل الذبال * وحطبا فى حبل الضلال * ورجوعا فى حافرة الخسار * وولوعا بفاجرة الآثار * وخلاء فى شطن العتو والغلو * واباء الاعلى

أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل ممتنعة قديم
الزمان وحديثه حتى ان المسلمين لما ملكوا بلاد الأكاسرة جميعها من العراق الى أقاصي
خراسان بقيت أعمال مازندران يؤخذ منهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان
ملكت أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهؤلاء الملاعين ملكوها صفوا عفوا والامر بيده
لله تعالى ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من
مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة خوارزمشاه ونساءه وأموالهم وذخائرهم
التي لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك ان والدة خوارزمشاه لما سمعت بما
جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الري لتصل الى اصفهان وهمذان
وبلد الجبل تمتنع فيها فصادفوها في الطريق فأخذوها وما معها قبل وصولها الى الري فكان
فيه ما ملأ عيونهم وقلوبهم وما لم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع ونفيس من
الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكزخان بسمرقند

*(ذكر وصول التتر الى الري وهمذان)*

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الري في طلب خوارزمشاه محمد لانهم
بلغهم انه مضى منهزما منهم نحو الري فجدوا السير في اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر
المسلمين والكفار وكذلك ايضا من المفسدين من يريد النهب والشر فوصلوا الى الري على حين
غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا
الاطفال وفعلوا الافعال التي لم يسمع بمثلها ولم يقيموا ومضوا مسرعين في طلب خوارزمشاه
فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا في الجميع اضعاف ما فعلوا في الري
واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والاطفال فلم يبقوا على شيء وتموا على
حالهم الى همذان وكان خوارزمشاه قد وصل اليها في نفر من اصحابه ففارقها وكان آخر العهد
به فلا يدرى ما كان منه فيما حكاه بعضهم عنه وقيل غير ذلك وقد ذكرناه فلما قاربوا همذان
خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك يطلب الامان لاهل البلد
فامنوهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا أضعاف ذلك ثم وصلوا الى قزوين فاعتصم أهلها
منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا في قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد في
باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوا قزوين فعد
القتلى من أهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل

*(ذكر وصول التتر الى اذربيجان)*

لما هجم الشتاء على التتر في همذان وبلد الجبل رأوا بردا شديدا وثلجا متراكما فساروا الى
اذربيجان ففعلوا في طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم
وخربوا وأحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج
اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلا ونهارا لا يفيق
وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون
ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعي به كثيرة لاجل دوابهم فوصلوا الى

موقان

النفس الامارة بالسوء * فلا
دردر الشيب * مشوبا بدنس
الجيب * ولا نورت أقاحي
القذال * الا على مكارم
الافعال

فاقبح ما ابتلاه الطرف يوما
ضياء الشيب في خلل الخصال

نعوذ بالله من غضب الرحمن *
وخفة العمر بطابع
الخذلان * وتعريضه
المشيب لما يهتك من
أستاره * ويكشف من
أسراره * ويمحق من
نواره * ويحرق من نوره
نهاره * وعصم أقمار
الكرام * واحرار الانام *
عن مصرع الغوي أبي
الحسن البغوي دلة
الاحتيال * وسلة
الاقتعال * وجراب المخاريق
وجراب التخاليط وعقرب
التضريب * ويلمع

موقان ونطرقوا فى طريقهم الى بلاد الكرج فجاء اليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو
عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقتل أكثرهم وأرسل الكرج الى أوزبك
صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح والاتفاق معهم على دفع التتر فاصطلحوا ليجتمعوا اذا
انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة
يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جميعهم ان التتر يصبرون فى الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا
كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركى من مماليك أوزبك اسمه
أقوش وجمع أهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير
وراسل التتر فى الانضمام اليهم فاجابوه الى ذلك ومالوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا فى مقدمة
التتر الى الكرج فملكوا حصنا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وخربوها وقتلوا أهلها
ونهبوا أموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها
اليهم فلقيهم أقوش أولا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كلهم فقتل من أصحاب
أقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم أيضا كثير فلم يثبتوا
للتتر وانهزموا أقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم مالا يحصى كثرة وكانت الوقعة
فى ذى القعدة من هذه السنة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع
بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضى عليهم سنة حتى يصل
بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا أشك
ان من يجىء بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده
فمتى استبعد ذلك فلينظر انا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ فى ازماننا هذه فى وقت كل من فيه
يعلم هذه الحادثة استوى فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من
يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته
بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدة مذ جاء النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل
مادفعوا اليه الآن هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها
وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الرى
وبلاد الجبل واذربيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد
ظهر من بلادهم فى اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط
وأقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقى ديار مصر على خطر
فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن أعظم الامور على المسلمين
ان سلطانهم خوارزمشاه محمدا قد عدم لا يعرف حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان
وأخفى موته وتارة دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك واخفى موته لئلا يقصدها التتر فى اثره
وتارة يقال عاد الى طبرستان وركب البحر فتوفى فى جزيرة هناك وبالجملة فقد عدم ثم صح موته
ببحر طبرستان وهذا عظيم مثل خراسان وعراق العجم أصبح سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه
والعدو يجوس البلاد يأخذ ما أراد ويترك ما أراد على انهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها
وكل ما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا

الاكاذيب * وشبه
التدليس وزئبق التمويه
ومرآة التقريب * ومقراض
المغيب * وآفة الجود *
وخرافة الموعود * وحرباء
الالحاد * وكيمياء العناد *
ويربوع النفاق * ويعسوب
الشقاق * وضبة العقوق *
وفارة الفسوق * وثعلب
الخداع * وخنزير القصاع *
وكلب الهنات * واسود
الترات * وحرضة الانذال *
وفرضة الخبث والخبال *
وسكين الارحام * ويبرين
الدم الحرام * ولعل بعض
من يتصفح هذه الالفاظ
منسوقه * والاسجاع
مجموعة ومفروقه * يظن
بها ركوب البهت فى حلبة
الاقتدار * وعصيان
القصد فى طاعة الاهجار *
اولا ينضناض البلاغة *

ويلقون فيه النار وكذلك غيره من الامتعة

*(ذكر ملك التتر مراغة)*

في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك انناذكرنا
سنة سبع عشرة وستمائة مافعله التتر بالكرج وانقضت تلك السنة وهم في بلاد الكرج
فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم رأوا ان بين أيديهم
شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا
مدينة ورأوا عندها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب
ودواب فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت
امرأة وهي مقيمة بقلعة رويندز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم
امرأة فلما حصروها قاتلهم أهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا
مدينة قدموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوا
فكانوا يقاتلون كرها وهم المساكين كما قيل كالاشقر ان تقدم ينحروان تأخر يعقر وكانوا هم
يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل في المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فاقاموا عليها عدة ايام ثم
ملكوا المدينة عنوة وقهرا رابع صفر ووضعوا السيف في أهلها فقتل منهم مايخرج عن الحد
والاحصاء ونهبوا كل ماصلح لهم ومالا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس منهم فكانوا
يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان التتر قد رحلوا فاذا نادى أولئك خرج من
اختفى فيؤخذ ويقتل (وبلغني) ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها وهم
يظنونها رجلا فوضعت السلاح واذا هي امرأة فقتلها رجل أخذته أسيرا (وسمعت) من بعض
اهلها ان رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل فمازال يقتلهم واحدا واحدا حتى افناهم ولم
يمد أحد يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ
بالله من الخذلان ثم رحلوا عنها نحو مدينة اربل ووصل الخبر الينا بذلك بالموصل فخفنا حتى ان
بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين
صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جمعا صالحا من عسكره واراد ان يمضي الى
طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يجوزها أحد فانها جميعها جبال وعرة ومضايق
لا يقدر أن يجوزها الا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة
ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر
فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفر
الدين من اربل في صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وأرسل
الخليفة أيضا الى الملك الاشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد
التتر وقتالهم فاتفق ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق الى أخيه الاشرف وهو
بحران يستنجده على الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر
ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة باخيه وقوة الفرنج وان لم يتداركها
خرجت هي وغيرها وشرع يتجهز للمسير الى الشام ليدخل مصر وكان ماذكرناه من استنقاذ

واعملا الاقراض السفاهة
بالفصاحة * وحذوا على
غرار الشعراء في استعمال
المجاز * واغفال التحفظ
والاحتراز * انكارا
لاتقاء هذه المساوي
السوء في شخص قد شرى على
تصاريف الزمان وجرب *
وأكل طعمي احواله
وشرب * ولم يعلم ان الله
تعالى اذا أخذل شخصا
ممن شاء من عباده لم يبق منه
الاجماسنونا * وجلدا
على اخلاط الفساد
مبطونا * وعلى شك خاصرة
الشك عن واضحة اليقين
بالافصاح عما أبهم *
والاصباح على ما أظلم *
تحذيرا لغفلة الانام *
وتبصيرا لشاكلة الاستعصام *
وتنبيها على مزلة الاغترار
بظواهر النعم * والانخداع

دمياط فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو أكبر أمير بالعراق ومعه غيره من الامراء فى نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هنالك ليتصل بهم باقى عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر (وحكى مظفر الدين) قال لما ارسل الى الخليفة فى معنى قصد التتر قلت له ان العدو قوى وليس لى من العسكر ما القاه به فان اجتمع معى عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد فأمرنى بالمسير وواعدنى بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندى غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشى فأقمت وما رأيت المخاطرة بنفسى وبالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا أحدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامى عند دقوقا فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

*(ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها)*

لما تفرق العسكر الاسلامى عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة يحكم فيها فارسلوا اليه يأمرونه ليطلب من أهلها مالا وثيابا وكانوا قد استنفدوا أموالهم فى طول المدة وكان رئيس همذان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذى يسعى فى أمور أهل البلد مع التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم يجد أهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام فى اجتماع الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد افنوا أموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من أخذهم اموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمذان شحنة لهم يحكم فى أهلها بما يختاره فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الا مصانعتهم بالاموال فقالوا له أنت أشد علينا من الكفار واغلظوا له فى القول فقال أنا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فأشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا فى البلد فتقدم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذرة فى تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل أهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر احد على الطعام الا قليلا واما التتر فلا يبالون لعدم الاقوات لانهم لا يأكلون الا اللحم ولا تأكل دوابهم الا نبات الارض حتى انها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتأكلها فلما حصروا همذان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه فى أوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا اشد من القتال الاول وقتل أيضا من التتر أكثر من اليوم الاول وجرح الفقيه أيضا عدة جراحات وهو صابر وأرادوا أيضا الخروج فى اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس العلوى فلم يجدوه وكان قد هرب فى سرب صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة هنالك على جبل عال فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون الا انهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فأقاموا فى البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا خرج اليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف أهله فقصدوهم وقاتلوهم فى رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس فى الدروب فبطل السلاح للزحمة

لزواهر الاحاظى والقسم * فكم من صفيح يروق العيون نوره * ويروع النفوس مشهوره * قد قطف عنا قيد رؤس وأراق أباريق عروق * وفرا المنايا عن عسل من الانياب روف * ومن شهاب كما خط بالابريز كاتب * أوحل عن معقود اللواء راكب * يستوقف الابصار ضياء ممدودا * وبهاء بأفق السماء معقودا * قد رمد من طار بطواره * وهمد من رام التحيز فى جواره * وكذلك الذى يغر الناظر بجرده * ويفتر عن عقيق الورد زبرجده * ثم هو الداء المجلوب لمن خبر * والسم المقشوب لمن فكر واعتبر * ولولا ان قصد الشريعة أن تسمح بخيرها على العموم * وتكافئ بين الكافة فى فضلها المعلوم * اباحة للكتابة التى هى قيد العلوم * وصيد الحكم المبثوثة فى الرقوم * اقلت لله درياسة

واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين مالا يحصيه الا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فافنوهم قتلا ولم يسلم الا من كان عمل له نفقا يختفى فيه وبقى القتل فى المسلمين عدة أيام ثم القوا النار فى البلد فاحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل وقيل كان السبب فى ملكها ان أهل البلد لما شكوا الى الرئيس الشريف ما يفعل بهم الكفار أشار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرا مع أمير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهى اليه ماهم عليه من الخوف والذل ومار كبهم به العدو من الصغار والخزى ويطلب نجدة ولو ألف فارس مع أمير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلما سار القصاد بالكتب ارسل بعض من علم بالحال الى التتر يعلمهم ذلك فارسلوا الى الطريق فأخذوهم وأخذوا الكتب منهم وأرسلوا الى الرئيس يشكرون عليه الحال فجحد فأرسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط فى أيديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى فى القتال كما ذكرنا

*(ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردويل وغيرها)*

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها واكثروا وخربوا أكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بأمرها شمس الدين الطغرائى وجمع كلمة أهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرا تخلفه الايزال منهمكا فى الخمر ليلا ونهارا لا يفيق الشهر والشهرين لا يظهر واذا سمع هيعة طار بجفلا لها وله جميع اذربيجان واران وهو أعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريدها او يقصدها فلما سمع بمسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسير أهله ونساءه الى خوى ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائى بأمر البلد وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتوانى وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قاربه التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة واصلحوا اسوارها وخندقها ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فأخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل ما مروا به من البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فأرسلوا اليهم رسولا من أكابرهم ومقدميهم فقتله اهل البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا البلد عنوة فى شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد أحد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها استقصوا ما حولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهى أم بلاد اران فعلموا بكثرة أهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فأرسلوا الى أهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

*(ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج)*

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضه بالملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد

الكرج

العجم * ورفعة أقدار الدواة والقلم * حين عنسوها دون ذوى الاستحقاق * وخذوها الا عن الكرام العتاق *

لله در أنوشروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل
نهاهم أن يمسوا بعده قلما وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

فما كل نحيزة لها كفاءة فى مناكحة الآداب * وملاءة فى متاجرة الكتاب * ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء * ولا كل ذرور يصلح للعين جلاء * وأضيع شئ عقد فى نحر خنزير * وحد بكف ضرير * وخطر بجنب قنبر * ونفس على بنان فاجر شرير * هاأن المذكور معيدى الاحرار بخراسان دناءة همة * وقماءة قيمة * وخساسة مفعول * وخصاصة معقول * نشأ فى بيت الفضل والنعمة * ونما على فرش الامن والنعمة * فرف عليه نعيم النشب * وعاق به نسيم الادب * فأصبح مخيلا لصوب

الكرج من هذه الاعمال ايضا وكان الكرج قد اعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشا كثيرا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فاخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد ولقد بلغني انهم قتل منهم نحو ثلاثين الفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جموعا اخرى وسيرهم الى التتر ايضا ليمنعوهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فاخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما أرادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها وداخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولا انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا واسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصدقوا فان القوم لا يفرون ابدا ولقد اخذنا اسيرا منهم فالقى نفسه من الدابة وضرب راسه بالحجر الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

*(ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه)*

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وقاتلوا أهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم ومن قتل من غيرهم والقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فاشرفوا على المدينة وقاتلوا أهلها فصبروا واشتد القتال ثلاثة أيام فاشرفوا على ان يؤخذوا فقالوا السيف لا بد منه فالصبر أولى بنا نموت كراما فصبروا تلك الليلة فانتنت تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه أرادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فأرسلوا رسولا الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا يسعى بينهم في الصلح فأرسل عشرة رجال من اعيان أصحابه فأخذوا أحدهم فقتلوه ثم قالوا للباقين ان انتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامان وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو أسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوه وراء ظهورهم

*(ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق)*

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الاعمال وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم أمم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فأرسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم انا لا نعترض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال يحملونه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر

الصواب في افعاله * جديرا
بحكم الانتجاب في أمثاله *
يظن به وبعض الظن اثم ان
النزوع الى الاصل نازع *
والغيث الغيم مضارع *
ولا علم يقضي بأن النار
تنمو على رماد ماثل * والخمر
تطفو على عكر سافل *
حتى اذا أيفع وأينع
حلمه نذالة الطباع *
وخباثة السنخ تحت يد
الطباع * على عقوق أبيه *
سعاية به الى السلطان فيما
يحويه * وابتياعه بأملاكه
واملاك ذويه * فامتلك عليه
قبل الاستحقاق ماله * وقصم
محاله وأحال حاله * وفجع به
أمه وكانت عياله * وابعده
دون ما اقتناه على كبر سنه
وضعف أساسه * واشتعال
المشيب براسه * ورسوب
قذى العمر آخر كاسه *
فطفق يجري الشؤن دموعا *
ويقتضي أجل الكتاب
مخمصة وجوعا * ويزجي
مطايا الاسحار بين برد
الباس * وحر الانفاس *
بدعوات لم ترجع مجانيقها

باللان فقتلوا منهم وأكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يشعروا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الاول فالاول واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير قتال وابعدوا بعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد الروس وأقام التتر في بلاد قفجاق وهي ارض كثيرة المراعي في الشتاء والصيف وفيها أماكن باردة في الصيف كثيرة المرعى وأماكن حارة في الشتاء كثيرة المرعى وهي غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهي مدينة قفجاق التي منها مادتهم فانها على بحر خزرية والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجواري والمماليك والبرطاسي والقندر والسنجاب وغير ذلك مما هو في بلادهم وبحر خزرية هذا بحر متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر الى سوداق ملكوها وتفرق أهلها منها فبعضهم صعد الجبال بأهله وماله وبعضهم ركب البحر وسار الى بلاد الروم التي بيد المسلمين من أولاد قلج أرسلان

*(ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس)*

لما استولى التتر على أرض قفجاق وتفرق اهل قفجاق كما ذكرناه سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم وأهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم وأقام التتر بأرض قفجاق مدة ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا الى بلادهم ليمنعوهم عنها فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على أعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا انهم عادوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا في اتباعهم ولم يزل التتر راجعين وأولئك يقفون أثرهم اثني عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم لانهم كانوا قد أمنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع بمثله ودام القتال بينهم عدة أيام ثم ان التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد أن أثخن فيهم التتر وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم الا القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على أقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا أكثرها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد الاسلام في عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذي يريدونه انكسر مركب من مراكبهم فغرق الا ان الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذي ينكسر فاخذ من ذلك شيأ كثيرا وسلم باقي المراكب وأخبر من بها بهذا الحال

*(ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق الى ملكهم)*

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار اواخر سنة عشرين وستمائة فلما سمع أهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجروهم الى أن جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم فبقوا في الوسط

واخذهم

الا بقاء صحة الظهور * وحالقة الدين لا حالقة الشعور * وعطف بعد على من طلعت عليه شمس والده * ووقت عليه اغصان فوائده * فجبهم جب السلم * وقرضهم قرض الحلم * وعركهم عرك الادم * وقشرهم قشر القلم * فعادوا اعرى من الصخر معصورا * والسيف مشهورا * والغصن مخبوطا * والدجاج على السفود مربوطا * كل ذلك بين يديه * ونصب عينيه * حتى أضمرته الارض نديما للزفرات * كظيما بالحسرات * غريقا في العبرات * شرقا بماء الحياة * وعقد على مال خطته بكنج رستاق عقدا اشترى به آهلها وأخذ يطبيهم بما يربيهم من سداد السيرة * ورعاية حق الجيرة * ذريعة الى استنكالهم واستئصالهم * دون حوائبهم وأموالهم * وساعده عدة من شيوخ تنائهم * ببعض ما لزمهم من استمالة لهم على رؤساء معزورين

وأخذهم السيف من كل ناحية فقتل أكثرهم ولم ينج منهم الا القليل قيل كانوا نحو أربعة آلاف رجل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت أرض قفجاق منهم فعاد من سلم منهم الى بلادهم وكان الطريق منقطعا مذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئ من البرطاسي والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل من تلك البلاد فلما فارقوها عادوا الى بلادهم واتصلت الطريق وحملت الامتعة كما كانت هذا أخبار التتر المغربة فذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

*(ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارا وسمرقند)*

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التي سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزمشاه وأما جنكزخان فانه بعد ان سير هذه الطائفة الى خوارزمشاه وبعد انهزام خوارزمشاه من خراسان قسم أصحابه عدة أقسام فسير قسما منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسير قسما آخر منها الى ترمذ وسير قسما منها الى كلانة وهي قلعة حصينة على جانب جيحون من أحصن القلاع وامنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التي أمرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبي والنهب والتخريب وأنواع الفساد مثل ما فعل أصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهز جيشا عظيما مع أحد اولاده وسيره الى خوارزم وسير جيشا آخر فعبروا جيحون الى خراسان

*(ذكر ملك التتر خراسان)*

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب أهلها الامان فأمنوهم فسلم البلد سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوي وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى أهلها بسوء ولا أذى سوى انهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصوركوه لا ترام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها الليل والنهار ولا يظفرون منها بشئ فأرسلوا الى جنكزخان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فأمرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه واقام عليها اربعة اشهر اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك أمر ان يجمع له من الحطب والاخشاب ما أمكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب فلم يزالوا كذلك حتى صار تلا عاليا يوازي القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب وأما الرجالة فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان جمع اهل البلاد التي اعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض اولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتي ألف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة

وضعفاء مضرورين وسامهم بعد الاحتكام عليهم في التراضي بزعامته * والتواصي بطاعته * عقد الوثائق عليهم بتصحيح مال من ضمانه بنكسر وجبران حتى من عقده بغير * حتى اذا استتب له ما أراد * واستوفى عليهم الحق وزاد * وضع عليهم يد الاستقصاء بعلة حاصل وباق وحائر وثاو وأخذ ما وجد من صامت وناطق وصاهل وناهق * حتى اذا أرب كل من ذي يديه * وباد غير اطلال الضياع والرباع عليه * رام استنزالهم عنها كراهية أو طواعيه * فمن اهتبل منهم فرصة الخلاص على التظلم عاداه * فأوهاه وعراه فعراه * سبقه محضر العصبة القائمة بالافك في خفارة التوفير * وكفارة التزوير * فارتد على عقبيه

لهم والاستيلاء عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون وأما التتر فلا يعرفون الهزيمة حتى ان بعضهم أسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون فصدقوا وان قيل انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل التتر منهم وأسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت أموالهم وسلاحهم ودوابهم وأرسل التتر الى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلما اجتمع لهم ما أرادوا تقدموا الى مرو وحصروها وجدوا في حصرها ولازموا القتال وكان أهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم أرسل التتر الى الامير الذى بها متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك وأهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك أمير هذه البلدة ونرحل عنك فارسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فأمنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له أريد أن تعرض على أصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه وأعطيناه أقطاعا ويكون معنا فلما حضروا عنده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى أميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال لهم اكتبوا الى تجار البلد ورؤساء وأرباب الاموال في جريدة واكتبوا الى أرباب الصناعات والحرف في نسخة أخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما أمرهم فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج اهل البلد منه بأهليهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه أحد فجلس على كرسي من ذهب وامر ان يحضر أولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأحضروا وضربت رقابهم صبرا والناس ينظرون اليهم ويبكون واما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الاموال فربما مات احدهم من شدة الضرب ولم يكن بقي له ما يفتدى به نفسه ثم انهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع امر بقتل اهل البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم اجمعين وامر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم ثم ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة ايام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامى فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة واخرجوا اهلها الى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو وأقاموا خمسة عشر يوما يخربون ويفتشون المنازل عن الاموال وكانوا لما قتلوا اهل مرو قيل لهم ان قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا الى بلاد الاسلام فأمروا بأهل نيسابور ان تقطع رؤسهم لئلا يسلم من القتل احد فلما فرغوا من ذلك سير طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضا وخربوها وخربوا المشهد الذى فيه على بن موسى الرضى والرشيد حتى جعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة وهى من احصن البلاد فحصروها عشرة ايام فملكوها وامنوا اهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عند من سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين ابن خوارزمشاه فقاتلهم وهزمهم على ما نذكره ان شاء الله فوثب اهل هراة على الشحنة فقتلوه فلما عاد المنهزمون اليهم دخلوا البلد قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيه ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو

خزيان * قد سال به السيل وأسوان * طاف به الويل وناح عليه النهار والليل فاما ان يزول على كرب وقلق واما أن يؤل على غيظ وحنق * حتى استخلص الضاحية والضامنه واعتصر البادية والكامنه وغادر الضياع حنين وشرد عنها الزراع عزين وأخرس الثغاء والرغاء وأنطق الهام والاصداء وطمس المنابع والمشارع وحمى المراعى والمراتع * فلو ملك عصافير الهواء * ويعافير البيداء * لاستكرهها على طعوم القوانص * وحقوق الملاجئ والمفاحص * قد شحافاه للاطماع ولا مداخل الكهوف * ومفاتح الولائج الجوف كالحوت لا يرويه شئ يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه وما به التخريب لولا اجتياح

بالطالقان يرسل السرايا الى جميع بلاد خراسان ففعلوا بها كذلك ولم يسلم من شرهم وفسادهم شيء من البلاد وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة

*(ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها)*

وأما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت أكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير وأهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم أشد قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة أشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا أكثر لان المسلمين كان يحميهم السور فارسل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع أهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوا فلم يقدروا على اخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليها فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ونهبوا كل ما فيه ثم انهم فتحوا السكر الذي يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقي موضعه ماء ولم يسلم من أهله أحد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله منهم من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو واما اهل خوارزم فمن اختفى من التتر غرقه الماء اوقتله الهدم فأصبحت خرابا يبابا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وهذا لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام وأهله فكم من قتيل من أهل خراسان وغيرها لان القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرا مضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

*(ذكر ملك التتر غزنة وبلاد الغور)*

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزمشاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من سلم من عسكر ابيه قيل كانوا ستين ألفا فلما وصلوا الى أعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع ابن خوارزمشاه الى موضع يقال له بلق فالتقوا هنالك واقتتلوا قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة أيام ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا بالوالي الذي عندهم للتتر فقتلوه فسير اليهم جنكزخان عسكرا فملكوا البلد وخربوه كما ذكرناه فلما انهزم التتر أرسل جلال الدين رسولا الى جنكزخان يقول له في أي موضع تريد يكون الحرب حتى نأتي اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا أكثر من الاول مع بعض أولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامي اليهم وتصافوا هنالك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم الكفار ثانيا فقتل كثير منهم وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من أسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة لاجل الغنيمة وسبب

الممالك بجوعه * واستحلال
حرام الملك بربوعه * كأنما
عقد على الدهر حلفا
لا يخونه * واتخذ عنده عهدا
يصونه * ويتحاماه من
دونه منونه * وهيهات انها
مظالم حديدات الشفائر
ومغارم ثقيلات الغرائر
ومصايد طالما خنقت نخاخها
وضربت عليها الشاه مات
رخاخها * ومطاعم ظاهرها
الأري وباطنها السم
وان من الربيع ما يقتل
حبطا أو يلم * ثم أقام
سوق الفسوق خاصة وعامه
وأباح حمى الفجور بطانة
وحامه * ملتزما سمة الشطاره
ومستمطرا بقية الجباره
ومضاهيا تيوس المجوس
في خبث الالحاد * ووصلة
الاخوات والاولاد * بلاغا
غمته ثقات خدمه * وأذنه
على وجه الاكابر جيران
حرمه * وربما أرادوا له

ذلك ان أميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق أصله من الاترك الخلج كان شجاعا مقداما ذا رأى
فى الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا أنتم فقد
ملئتم منهم رعبا وهو الذى كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين أيضا أمير كبير يقال له ملك
خان بينه وبين خوارزمشاه نسب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران فى الغنيمة فاقتتلوا
فقتل بينهم أخ لبغراق فقال بغراق أنا أهزم الكفار ويقتل أخى لاجل هذا السحت فغضب
وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون ألفا كلهم يريدونه فاستعطفه جلال
الدين بكل طريق وسار بنفسه اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع
وسار مفارقا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر ان جنكزخان قد
وصل فى جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل من فارقهم من العسكر
ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن
ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقص أثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى أدركه
جنكزخان فى التتر فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا فى ذلك
كالاشقر ان تأخر ينحر وان تقدم يعقر فتصافوا واقتتلوا أشد قتال اعترفوا كلهم ان كل
ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال فبقوا كذلك ثلاثة أيام فقتل الامير ملك
خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل فى الكفار أكثر والجراح أعظم فرجع الكفار عنهم
فابعدوا ونزلوا فلما رأى المسلمون أنهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا بمن قتل منهم وجرح
ولم يعلموا بما أصاب الكفار من ذلك فارسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون ليقضى الله
أمرا كان مفعولا فلما كان الغد عاد الكفار الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الماء
الى جهة الهند وبعدهم فلما وصلوا اليها ملكوها لوقتها لخلوها من العساكر والحامى فقتلوا
أهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبق أحد وخربوها وأحرقوها وفعلوا بسوادها كذلك
ونهبوا وقتلوا وأحرقوا فأصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها
كأن لم تغن بالامس

*(ذكر تسليم الاشرف خلاط الى أخيه شهاب الدين غازى)*

أواخر هذه السنة أقطع الملك الاشرف موسى بن العادل مدينة خلاط وجميع الاعمال
ارمينية ومدينة ميافارقين من ديار بكر ومدينة حانى أخاه شهاب الدين غازى بن العادل
وأخذ منه مدينة الرها ومدينة سروج من بلاد الجزيرة وسيره الى خلاط أول سنة ثمان عشرة
وستمائة وسبب ذلك ان الكرج لما قصد التتر بلادهم وهزموهم ونهبوها وقتلوا كثيرا من أهلها
أرسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان واران يطلبون منه المهادنة والموافقة على دفع التتر
وأرسلوا الى الملك الاشرف فى هذا المعنى وقالوا للجميع ان لم توافقونا على قتال هؤلاء القوم
ودفعهم عن بلادنا وتحضروا بنفوسكم وعساكركم لهذا المهم والا صالحناهم عليكم فوصلت
رسلهم الى الاشرف وهو يتجهز الى الديار المصرية لاجل الفرنج وكانوا عندهم أهم الوجوه
لاسباب أولها ان الفرنج كانوا قد ملكوا دمياط وقد أشرفت الديار المصرية على ان تملك
فلو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيره معهم ملك لاحد وثانيها ان الفرنج أشد شكيمة وطالبو ملك

فى السر ملاما * ورامو امن
تعديه حدود الله وتخويفه
عقاب الله حراما * فما يزيدهم
على ظاهر رتبتين عاهرتين
كحدق الجراد ما لها أجفان
توار بها * ولا أهداب تقيها
تصلفا بركوب الآثام
وتكلفا لمحظور الحرام
وانما أثبت لفظ التكلف
قطعا على ما سمعته من بعض
مشايخ الادب يحكى عن
سأل أبا حاتم السجستانى عن
قول رسول الله عليه السلام
أبغض الناس الى الله شيخ
زان وعائل مستكبر وفقير
فخور وزعم ان القياس
يقتضى كون الشاب الشديد
الفحلة القوى المنة أبغض
اليه من الشيخ المضعوف
والمقصر المنزوف * فقال
هو بناء على قوله عليه
السلام أبغض الاشياء الى
الله التكلف فأبغض الشيخ
لان فعله تكلف * وتقدمه

فاذا

فاذا ملكوا قرية لا يفارقونها الا بعد أن يعجزوا عن حفظها يوما واحدا وثالثها ان الفرنج قد طمعوا فى كرسى مملكة البيت العادلى وهى مصر والتتر لم يصلوا اليها ولم يجاوز واشيأ من بلادهم وليسوا أيضا ممن يريد المنازعة فى الملك وما غرضهم الا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من بلد الى آخر فلما أتاه رسل الكرج بما ذكرناه أجابهم يعتذر بالمسير الى مصر لدفع الفرنج ويقول لهم انى قد أقطعت ولاية خلاط لاخى وسيرته اليها ليكون بالقرب منكم وتركت عنده العساكر فتى احتجتم الى نصرته حضر لدفع التتر وسار هو الى مصر كما ذكرناه

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك بدر الدين قلعة تل اعفر وفيها فى جمادى الاولى ملك الاشرف مدينة سنجار وفيها أيضا وصل الموصل وأقام بظاهرها ثم سار يريد اربل لقصد صاحبها فترددت الرسل بينهم فى الصلح فاصطلحوا فى شعبان وقد تقدم هذا جميعه مفصلا سنة خمس عشرة وستمائة وفيها وصل التتر الى الرى فملكوها وقتلوا كل من فيها ونهبوها وساروا عنها فوصلوا الى همذان فلقيهم رئيسها بالطاعة والحمل فابقوا على أهلها وساروا الى اذربيجان فخربوا وحرقوا البلاد وقتلوا وسبوا وعملوا مالم يسمع بمثله وقد تقدم أيضا مفصلا وفيها توفى نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الذى كان وزير الخليفة وصلى عليه بجامع القصر وحضره أرباب الدولة ودفن بالمشهد وفيها توفى صدر الدين أبو الحسن محمد بن عمر بن حمويه الجوينى شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان موته بالموصل وردها رسولا وكان فقيها فاضلا وصوفيا صالحا من بيت كبير من خراسان رحمه الله كان نعم الرجل وفيها عاد جمع بنى معروف الى مواضعهم من البطيحة وكانوا قد ساروا الى الاحساء والقطيف فلم يمكنهم المقام لكثرة أعدائهم فقصدوا شحنة البصرة وطلبوا منه ان يكاتب الديوان ببغداد بالرضا عنهم فكتب معهم بذلك وسيرهم مع أصحابه الى بغداد فلما قاربوا واسط لقيهم قاصد من الديوان بقتلهم فقتلوا

*(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)*

*(ذكر وفاة قتادة أمير مكة وملك ابنه الحسن وقتل أمير الحاج)*

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى قتادة بن ادريس العلوى ثم الحسينى أمير مكة حرسها الله وكان عمره نحو سبعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وله قلعة ينبع بنواحى المدينة وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافه العرب فى تلك البلاد خوفا عظيما وكان فى أول ملكه لما ملك مكة حرسها الله حسن السيرة أزال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد وأحسن الى الحجاج وأكرمهم وبقى كذلك مدة ثم انه بعد ذلك اساء السيرة وجدد المكوس بمكة وفعل أفعالا شنيعة ونهب الحاج فى بعض السنين كما ذكرناه ولما مات ملك بعده ابنه الحسن وكان له ابن آخر اسمه راجح مقيم فى العرب بظاهر مكة يفسد وينازع أخاه فى ملكه فلما سار حاج العراق كان الامير عليهم مملوكا من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه اقباش وكان حسن السيرة مع الحاج فى الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتادة وبذل له وللخليفة مالا ليساعده على ملك مكة فأجابه الى ذلك ووصلوا الى مكة ونزلوا بالزاهر وتقدم الى مكة مقاتلا لصاحبها حسن وكان حسن قد جمع جموعا كثيرة من العرب

استكراه للطبع وهو تخلف كذلك هذا الظرف المتكلف والشره المتورّه قد قضى شيمته على اقتراف المحارم واختراف المآثم * حتى اذا وضح القتير * ورزح المسير واضل المرير * وأفرغ ماءه الصبير * أبت عليه عادة السوء أن ترخيه من عقالها وتعريه عن سربالها * وتحميه عن وبالها * وتريه الاعلى شعب الاران يوم فصالها لا تتعود يا أخى عادة تحوى بها ضربا من الشين فعادة السوء اذا استحكمت شر على المرء من الدين هذا ولم يرض بالعقوق الذى وسمه * ووشمه وسخم وجهه وحممه * ورداه بالخزى وعممه حتى قطع على رؤس الاشهاد رحمه * وقتل فى الشائع المستفيض ولده وكان لحمه

وغيرها فخرج اليه من مكة وقاتله وتقدم أمير الحاج من بين يدى عسكره منفردا وصعد الجبل ادلالا بنفسه وانه لا يقدم أحد عليه فأحاط به أصحاب حسن وقتلوه وعلقوا رأسه فانهزم عسكر أمير المؤمنين وأحاط أصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فارسل اليهم حسن عمامته أمانا للحجاج فعاد أصحابه ولم ينهبوا منهم شيأ وسكن الناس وأذن لهم حسن فى دخول مكة وفعل ما يريدونه من الحج والبيع وغير ذلك وأقاموا بمكة عشرة أيام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين وعظم الامر على الخليفة فوصلت رسل حسن يعتذرون ويطلبون العفو عنه فأجيب الى ذلك وقيل فى موت قتادة ان ابنه حسنا خنقه فمات وسبب ذلك ان قتادة جمع جموعا كثيرة وسار عن مكة يريد المدينة فنزل بوادى الفرع وهو مريض وسير أخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة فلما أبعدوا بلغ الحسن ان عمه قال لبعض الجند ان أخى مريض وهو ميت لا محالة وطلب منهم ان يحلفوا له ليكون هو الامير بعد أخيه قتادة فحضر الحسن عند عمه واجتمع اليه كثير من الاجناد والمماليك الذين لابيه فقال الحسن لعمه قد فعلت كذا وكذا فقال لم أفعل فأمر حسن الحاضرين بقتله فلم يفعلوا وقالوا أنت أمير وهذا أمير ولا نمد أيدينا الى أحد كما فقال له غلامان لقتادة نحن عبيدك فرنا بما شئت فأمرهما ان يجعلا عمامة عمه فى عنقه ففعلا ثم قتله فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كل مبلغ وحلف ليقتلن ابنه وكان على ما ذكرناه من المرض فكتب بعض أصحابه الى الحسن يعرفه الحال ويقول له ابدأ به قبل ان يقتلك فعاد الحسن الى مكة فلما وصلها قصد دار أبيه فى نفر يسير فوجد على باب الدار جمعا كثيرا فأمرهم بالانصراف الى منازلهم ففارقوا الدار وعادوا الى مساكنهم ودخل الحسن الى أبيه فلما رآه أبوه شتمه وبالغ فى ذمه وتهديده فوثب اليه الحسن فخنقه لوقته وخرج الى الحرم الشريف وأحضر الاشراف وقال ان أبى قد اشتد مرضه وقد أمركم أن تحلفوا لى أن أكون أنا أميركم فحلفوا له ثم انه أظهر تابوتا ودفنه ليظن الناس أنه مات وكان قد دفنه سرا فلما استقرت الامارة بمكة له ارسل الى أخيه الذى بقلعة الينبع على لسان أبيه يستدعيه وكتم موت أبيه عنه فلما حضر أخوه قتله أيضا واستقر أمره وثبت قدمه وفعل بأمير الحاج ما تقدم ذكره فارتكب عظيما قتل أباه وعمه وأخاه فى أيام يسيرة لا جرم لم يمهله الله سبحانه وتعالى نزع ملكه وجعله طريدا شريدا خائفا يترقب وقيل ان قتادة كان يقول شعرا فمن ذلك انه طلب ليحضر عند أمير الحاج كما جرت عادة أمراء مكة فامتنع فعوتب من بغداد فأجاب بأبيات شعر منها

ولى كف ضرغام أدل ببطشها * وأشرى بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها * وفى وسطها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحا ثم أبتغى * خلاصا لها انى اذا لرقيع
وما أنا الا المسك فى كل بلدة * يضوع واما عندكم فيضيع

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة استعاد المسلمون مدينة دمياط بالديار المصرية من الفرنج وقد تقدم ذكرها مشروحا مفصلا وفيها فى صفر ملك التتر مراغة وخربوها وأحرقوها وقتلوا أكثر أهلها ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وسار التتر منها الى همذان وحصروها فقاتلهم أهلها وظفر بهم التتر

وقتلوا

ودمه * فلو كان كأحمد أولاد السوقه * فى أخلاق لهم بين الجلة والخلوقه لكنه الحمر بماء العهد والزبد بذوب الشهد * والانام برشف الرضاب * والملك بشرخ الشباب * والأمن بطعم الوصال * والخلق بطيب الحلال * والعفو بنشر النوال والعيش بموت العذال وشمس الجنوب بروح الشمال * عشق الادب فبذل أن عقدت عنه تمائمه وزينته دون الاحتضان روائمه * فجاء كالصرح هدى أوله النصل المطار * وحدا أسفله الريش الظهار وناهز عشرين من سنيه يرى الخليل فى جنب فضله خليلا * وسيبويه كليلا وعبد الحميد رديدا * وابن العميد عميدا * ان خط

وقتلوا منهم مالا يحصى ونهبوا البلد وساروا الى اذربيجان فأعادوا النهب ونهبوا ما بقى من البلاد ولم ينهبوه أولا ووصلوا الى بيلقان من بلاد اران فحصروها وملكوا وقتلوا أهلها حتى كادوا يفنونهم وقتل منهم كثير ونهبت أموالهم واكثر بلادهم وقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخى وملكوها وقتلوا كثيرا من اهلها وساروا الى بلد اللان واللكز ومن عندهم من الامم فأوقعوا ورحلوا عن قفجاق واجلوهم عنها واستولوا عليها وساحوا فى تلك الارض حتى وصلوا الى بلاد الروس وقد تقدم ذكر جميعه مستقصى وانما اوردناه ههنا جملة ليعلم الذى كان فى هذه السنة من حوادثهم وفيها توفى صديقنا أمين الدين ياقوت الكاتب الموصلى ولم يكن فى زمانه من يكتب ما يقاربه ولا من يؤدى طريقة ابن البواب مثله وكان ذا فضائل جمة من علم الادب وغيره وكان كثير الخير نعم الرجل مشهورا فى الدنيا والناس متفقون على الثناء الجميل عليه والمدح له ولهم فيه اقوال كثيرة نظما ونثرا فمن ذلك ما قاله نجيب الدين الحسن بن على الواسطى من قصيدة يمدحه بها

جامع شارد العلوم ولولا ❊ ه لكانت ام الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف سطوته الاسد وتعنو له الكتائب ذلا
واذا افتر ثغره عن سواد ❊ فى بياض فالبيض والسمر خجلى
انت بدر والكاتب بن هلال ❊ كأبيه لافخر فيمن تولى

ومنها

ان يكن أولا فانك بالتفضيل اولى لقد سبقت وصلى

وهى طويلة والكاتب بن هلال هو ابن البواب الذى هو أشهر من ان يعرف وفيها توفى جلال الدين الحسن وهو من أولاد الحسن بن الصباح الذى تقدم ذكره صاحب ألموت وكرد كوه وهو مقدم الاسماعيلية وقد ذكرنا انه كان قد أظهر شريعة الاسلام من الاذان والصلاة وولى بعده ابنه علاء الدين محمد

❊(ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة)❊

❊(ذكر خروج طائفة من قفجاق الى اذربيجان وما فعلوه بالكرج وما كان منهم)❊

لما استولى التتر على أرض قفجاق تفرق قفجاق فطائفة قصدت بلاد الروس وطائفة تفرقت فى جبالهم واجتمع طائفة كثيرة منهم وساروا الى دربند شروان واوصلوا الى صاحبه واسمه رشيد وقالوا له ان التتر قد ملكوا بلادنا ونهبوا أموالنا وقد قصدناك لنقيم فى بلادك ونحن عبيدك ونفتح البلاد لك وأنت سلطاننا فمنعهم من ذلك وخافهم فأعادوا الرسالة اليه اننا نحن نرهن عندك أولادنا ونساءنا على الطاعة والخدمة لك والانقياد لحكمك فلم يجبهم الى ما طلبوا فسألوه ان يمكنهم ليتزودوا من بلده تدخل عشرة عشرة فاذا اشتروا ما يحتاجون اليه فارقوا بلاده فأجابهم الى ذلك فصاروا يدخلون متفرقين ويشترون ما يريدون ويخرجون ثم ان بعض كبرائهم والمقدمين منهم جاء الى رشيد وقال انى كنت فى خدمة السلطان خوارزمشاه وأنا مسلم والدين يحملنى على نصحك اعلم ان قفجاق أعداؤك ويريدون الغدر بك فلا تمكنهم من المقام ببلادك فأعطنى عسكرا حتى أقاتلهم وأخرجهم من البلاد ففعل ذلك وسلم اليه طائفة

فنقش العبد ❊ على ايدى الكواعب الغيد ❊ وان لفظ نعقود الدر منظومه وافاحى البطاح مرهومه ولولا أن اباه اعتبطه دون مداه لخلف من آثار بنانه وخلد من أنوار ابداعه واحسانه ❊ ما يفضح ماء الورد فى تصعيده ❊ وعصير الخمر من عناقيده ❊ لكنه لم يغن الاقدار ما لحته العيون حتى اختطفته المنون ❊ فقامت نواعى المجد يندبنه جميعا ويبكينه نجيعا ❊ فظللت من بينهم صريعا ❊ أنشدهم واله القلب وجيعا قد كان لى فى رأيه وذكائه أشراط صدق أن يموت سريعا ولقد ضمنى واياه مجلس لبعض أركان الدولة اليمينية فاتفقنا ثانى اثنين من بين الحضور فى تنافث الهموم

من عسكره واعطاهم مايحتاجون اليه من سلاح وغيره فسار وامعه فأوقعوا بطائفة من قفجاق فقتل منهم جماعة ونهب منهم فلم يتحرك قفجاق لقتال بل قالوا نحن مماليك الملك شروان شاه رشيد ولولا ذلك لقاتلنا عسكره فلما عاد ذلك المقدم القفجاقي ومعه عسكر رشيد سالمين فرح بهم ثم ان قفجاق فارقوا موضعهم فسار والثلاثة أيام فقال ذلك القفجاقي لرشيد أريد عسكرا اتبعهم فأمر له من العسكر بما أراد فسار يقفو أثر القفجاق فأوقع بأواخرهم وغنم منهم وقصده جمع كثير من قفجاق من الرجال والنساء يبكون وقد جزوا شعورهم ومعهم تابوت وهم محيطون به يبكون حوله وقالوا له ان صديقك فلانا قد مات، وقد أوصى ان نحمله اليك فتدفنه في أي موضع شئت ونكون نحن عندك نخدمه معه والذين يبكون عليه أيضا وعاد الى شروان شاه رشيد وأعلمه ان الميت صديق له وقد حمله معه وقد طلب أهله ان يكونوا عنده في خدمته فأمر ان يدخلوا البلد وانزالهم فيه فكان أولئك الجماعة يسيرون مع ذلك المقدم ويركبون بركوبه ويصعدون معه الى القلعة التي لرشيد ويقعدون عنده ويشربون معه هم ونساؤهم فأحب رشيد امرأة ذلك الرجل الذي قيل له انه ميت ولم يكن مات وانما فعلوا هكذا مكيدة حتى دخلوا البلد والذي أظهروا موته معهم في المجلس ولا يعرفه رشيد وهو من أكبر مقدمي قفجاق فبقوا كذلك عدة أيام فكل يوم يجيء جماعة من قفجاق متفرقين فاجتمع بالقلعة منهم جماعة وأرادوا قبض رشيد وملك بلاده ففطن لذلك فخرج عن القلعة من باب السر وهرب ومضى الى شروان وملك قفجاق القلعة وقالوا لاهل البلد نحن خير لكم من رشيد وأعادوا باقي أصحابهم اليهم وأخذوا السلاح الذي في البلد جميعه واستولوا على الاموال التي كانت لرشيد في القلعة ورحلوا عن القلعة وقصدوا قبلة وهي للكرج فنزلوا عليها وحصروها فلما سمع رشيد بمفارقتهم القلعة رجع اليها وملكها وقتل من بها من قفجاق ولم يشعر القفجاق الذين عند قبلة بذلك فارسلوا طائفة منهم الى القلعة فقتلهم رشيد أيضا فبلغ الخبر الى القفجاق فعادوا الى دربند فلم يكن لهم في القلعة طمع وكان صاحب قبلة لما كانوا يحصرونه قد أرسل اليهم وقال لهم أنا ارسل الى ملك الكرج حتى يرسل اليكم الخلع والاموال ونجتمع نحن وأنتم ونملك البلاد فكفوا عن نهب ولايته أياما ثم انهم مدوا أيديهم بالنهب والفساد ونهبوا بلاد قبلة جميعها وساروا الى قريب كنجة من بلاد اران وهي للمسلمين فنزلوا هناك فأرسل اليهم الامير بكنجة وهو مملوك لاوزبك صاحب اذربيجان اسمه كوشخرة عسكرا فمنعهم من الوصول الى بلاده وسير رسولا اليهم يقول لهم غدرتم بصاحب شروان وأخذتم قلعته وغدرتم بصاحب قبلة ونهبتم بلاده فما يثق بكم أحد فأجابوا انا ما جئنا الا قاصدا لخدمة سلطانكم فمنعنا شروان شاه عنكم فلهذا قصدنا بلاده وأخذنا قلعته ثم تركناها من غير خوف وأما صاحب قبلة فهو عدو لكم ولو أردنا ان نكون عند الكرج لما كان جعلنا طريقنا على دربند شروان فانه اصعب وأشق وابعد وكنا جئنا الى بلادهم على عادتنا ونحن نوجه الرهائن اليكم فلما سمع هذا سار اليهم فسمع به قفجاق فركب اميران منهم هما مقدماهم في نفر يسير وجاؤا اليه ولقوه وخدموه وقالوا له قد أتيناك بجريدة في قلة من العدد لتعلم اننا ما قصدنا الا الوفاء والخدمة لسلطانكم فأمرهم كوشخرة بالرحيل والنزول عند كنجة وتزوج ابنة أحدهم وأرسل الى صاحبه أوزبك يعرفه حالهم فأمر لهم



وتذاكر العلوم * وتناشد أبيات الكرم واللوم * فما كان الا أن حمى المجلس بناره وعقر الشرب بعقاره * حتى انحل عنه عقال اختياره وانفتحت له أقفال أسراره فغرق في بحر الدموع عينيه وأتى الى ما دار بين أبيه وبينه * يقرر ما نشأ عليه من خدمة الادب * والاستغناء بعصام النفس عن عظام النسب * على طاعة من ولد في حجره * والبروز على حكم أمره وزجره * وانه حين ملك أمره * وعرف من خله خمره * وانفرد بتدبير معاشه وتوفير نعمته ورياشه * ناهض بأمله معونة أبيه بعض ما يستحقه بررة الابناء على الآباء فلم يزده على أن زاحمه في ارثه عن أمه

بالخلع والنزول بجبل كيلكون ففعلوا ذلك وخافهم الكرج فجمعوا لهم ليكبسوهم فوصل
الخبر بذلك الى كوشخرة أمير كنجة فأخبر قفجاق وأمرهم بالعود والنزول عند كنجة فعادوا
ونزلوا عندها وسار أمير من أمراء قفجاق في جمع منهم الى الكرج فكبسهم وقتل كثيرا منهم
وهزمهم وغنم ما معهم واكثر القتل فيهم والاسر منهم وتمت الهزيمة عليهم ورجع قفجاق الى
جبل كيلكون فنزلوا فيه كما كانوا فلما نزلوا أراد الامير الآخر من أمراء قفجاق ان يؤثر
في الكرج مثل ما فعل صاحبه فمنع كوشخرة فارسل اليه ينهاه عن الحركة الى ان يكشف له خبر
الكرج فلم يقف فسار الى بلادهم في طائفته ونهب وخرب وأخذ الغنائم فسار الكرج من
طريق يعرفونها وسبقوه فلما وصل اليهم قاتلوه وحملوا عليه وعلى من معه على غرة وغفلة
فوضعوا السيف فيهم واكثروا القتل فيهم واستنقذوا الغنائم منه فعاد هو ومن معه على أقبح
حالة وقصدوا برذعة وارسلوا الى كوشخرة يطلبون ان يحضر عندهم هو بنفسه وعسكره
ليقصدوا الكرج فيأخذوا بثارهم منهم فلم يفعل وأخافهم وقال انتم خالفتموني وعملتم برأيكم فلا
أنجدكم بفارس واحد فارسلوا يطلبون الرهائن الذين لهم فلم يعطهم فاجتمعوا وأخذوا كثيرا
من المسلمين عوضا من الرهائن فثار بهم المسلمون من أهل البلاد وقاتلوهم فقتلوا منهم جماعة
كثيرة فخافوا وساروا نحو شروان وجازوا الى بلاد اللكز فطمع الناس فيهم المسلمون والكرج
واللكز وغيرهم فافنوهم قتلا ونهبا وأسرا وسبيا بحيث ان المملوك منهم كان يباع في دربند
شروان بالثمن البخس

*(ذكر نهب الكرج بيلقان)*

في هذه السنة في شهر رمضان سار الكرج من بلادهم الى بلاد اران وقصدوا مدينة بيلقان
وكان التتر قد خربوها ونهبوها كما ذكرناه قبل فلما سار التتر الى بلاد قفجاق عاد من سلم من اهلها
اليها وعمروا ما امكنهم عمارته من سورها فبينما هم كذلك اذ أتاهم الكرج ودخلوا البلد
وملكوه وكان المسلمون في تلك البلاد ألفوا من الكرج انهم اذا ظفروا بأهل مدينة صانعوهم بشيء من
المال فيعودون عنهم فكانوا أحسن الاعداء مقدرة فلما كان هذه الدفعة ظن المسلمون انهم
يفعلون مثل ما تقدم فلم يبالغوا في الامتناع منهم ولا هربوا من بين أيديهم فلما ملك الكرج
المدينة وضعوا السيف في أهلها وفعلوا من القتل والنهب ما فعل بهم التتر هذا جميعه يجري
وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن البهلوان بمدينة تبريز ولا يتحرك في صلاح ولا يتجه لخير بل
قد قنع بالاكل وادمان الشرب والفساد قبحه الله ويسر للمسلمين من يقوم بنصرهم وحفظ
بلادهم بمحمد وآله

*(ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش)*

في هذه السنة ملك بدر الدين صاحب الموصل قلعة شوش من أعمال الحميدية وبينها وبين
الموصل اثنا عشر فرسخا وسبب ذلك انها كانت هي وقلعة العقر متجاورتين لعماد الدين زنكي
ابن ارسلانشاه وكان بينهما من الخلاف ما تقدم ذكره فلما كان هذه السنة سار زنكي الى
اذربيجان ليخدم صاحبها اوزبك بن البهلوان فاتصل به وصار معه واقطعه اقطاعات وأقام
عنده فسار بدر الدين الى قلعة شوش فحاصرها وضيق عليها وهي على رأس جبل عال فلما

وحال بينه وبين ما كتب الله
له من حقه مطاوعة لرقيق
اعتقده * فذاق عسيلته *
وأذاقه ذبيلته * فخلاه
نهما لترتيب دانيته وقاصيته
وولاه تدبير حاشيته
وغاشيته * وحكمه في
عرض ولده * وسائر ما تحت
يده * فاحجر ذلك الفاضل
دون نعمته * وأقعده دون
الاستمتاع بهمته * وجعل
كل من يعتزي اليه منقوما
ومقدوعا * ومن يعتريه
مطلوما ومدفوعا * حتى
اضطره صراخ البأس
والحاح الافلاس * الى قصد
شمس الكفاة لاستماحته *
والتماع ندى راحته * فحين
علم أبوه المعتوه بخبره على
شاطئ الاقبال * واستقلاله
على مواطئ الآمال * ندب
الفكر لاغتياله * أوسمر
الليل لاقتناصه باحدى
حبائله وحباله * ودس اليه
على ما شاع وذاع * وشحن

مقاساه عليها الحصانتها فعاد الى الموصل وترك عسكره محاصر الهافلما طال الامر على من بها ولم يروا من يرحله عنهم ولا من ينجدهم سلموها على قاعدة استقرت بينهم من اقطاع وخلع وغير ذلك فتسلمها نوابه فى التاريخ وورتبوا امورها وعادوا الى الموصل

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى العشرين من شعبان ظهر كوكب فى السماء فى الشرق كبيرله ذؤابة طويلة غليظة وكان طلوعه وقت السحر فبقى كذلك عشرة أيام ثم انه ظهر أول الليل فى الغرب مما يلى الشمال فكان كل ليلة يتقدم الى جهة الجنوب نحو عشرة أذرع فى رأى العين فلم يزل يقرب من الجنوب حتى صار غربا بمحضا ثم صار غربا مائلا الى الجنوب بعد ان كان غربا مما يلى الشمال فبقى كذلك الى آخر شهر رمضان من السنة ثم غاب وفيها توفى ناصر الدين محمود بن محمد قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وآمد وكان ظالما قبيح السيرة فى رعيته قيل انه كان يتظاهر بمذهب الفلاسفة فى ان الاجساد لا تحشر كذبوا لعنهم الله ولما مات ملك ابنه الملك المسعود

(ثم دخلت سنة عشرين وستمائة)

*(ذكر ملك صاحب اليمن مكة حرسها الله تعالى)*

فى هذه السنة سار الملك المسعود اتسز بن الملك الكامل محمد صاحب مصر الى مكة وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة بن ادريس العلوى الحسينى قد ملكها بعد أبيه كما ذكرناه وكان حسن قد أساء الى الاشراف والمماليك الذين كانوا لابيه وقد تفرقوا عنه ولم يبق عنده غير اخواله من غيره فوصل صاحب اليمن الى مكة ونهبها عسكره الى العصر فحدثنى بعض المجاورين المتأهلين انهم نهبوها حتى أخذوا الثياب عن الناس وأفقروهم وأمر صاحب اليمن أن ينبش قبر قتادة ويحرق فنبشوه فظهر التابوت الذى دفنه ابنه الحسن والناس ينظرون اليه فلم يروا فيه شيأ فعلموا حينئذ ان الحسن دفن أباه سرا وانه لم يجعل فى التابوت شيأ وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله مقابلته وأزال عنه ما قتل أباه وأخاه وعمه لاجله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

*(ذكر حرب بين المسلمين والكرج بارمينية)*

فى هذه السنة فى شعبان سار صاحب قلعة سرمارى وهى من اعمال ارمينية الى خلاط لانه كان فى طاعة صاحب خلاط وهو حينئذ شهاب الدين غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب فحضر عنده واستخلف ببلده أميرا من أمرائه فجمع هذا الامير جمعا وسار الى بلاد الكرج فنهب منها عدة قرى وعاد فسمعت الكرج بذلك فجمع صاحب دوين واسمه شلوة وهو من أكابر أمراء الكرج عسكره وسار الى سرمارى فحصرها أياما ونهب بلدها وسوادها ورجع فسمع صاحب سرمارى الخبر فعاد الى سرمارى فوصل اليها فى اليوم الذى رحل الكرج عنها فأخذ عسكره وتبعهم فأوقع بساقتهم فقتل منهم وغنم واستنقذ ما أخذوا من غنائم بلاده ثم ان صاحب دوين جمع عسكره وسار الى سرمارى ليحصرها فوصل الخبر الى صاحبها بذلك فحصنها وجمع الذخائر وما يحتاج اليه فأتاه من أخبره ان الكرج نزلوا بواد بين دوين وسرمارى وهو واد ضيق فسار بجميع عسكره جريدة وجد السير ليكبس الكرج فوصل الى الوادى الذى هم فيه وقت السحر

المسامع والبقاع * من ذعف له نقيها * غادره على فراش المنون صريعا * وانتقل غير بعيد الى جوار ربه ودار كرامته * مشبكا يديه فوق هامته * ومستصرخا ولى العدل ومالك الخلق على ظلامته * ومختصما حول العرش الى يوم قيامته * وحدث عن قهرمان بيته وقد عاد الى أبيه السفيه بما كان استفضله عن رواتب نفقاته * واقتطعه دون عوارض حاجاته * استظهارا على حوادث النوب * أو استنفافا على معالى الرتب * أنه وآخر من رفقائه أنفقا من جملة المال قدر ما قطعا به المسافة اليه * ووضعاه فى أكياسه يحثونها بين يديه * فكان جزاؤهما منه ان وضع الدهق عليهما * حتى استغرق ملكيهما * وانتزف صليب العظام ثم

فتفرق عسكره فرقتين فرقة من أعلى الوادى وفرقة من أسفله وحملوا عليهم وهم غافلون ووضعوا السيف فيهم فقتلوا وأسروا فكان فى جملة الاسرى شلوة أميردوين فى جماعة كثيرة من مقدميهم ومن سلم من الكرج عاد الى بلدهم على حال سيئة ثم ان ملك الكرج أرسل الى الملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وهو الذى أعطى خلاط واعمالها الامير شهاب الدين يقول له كنا نظن اننا على صلح والآن فقد عمل صاحب سرمارى هذا العمل فان كنا على الصلح فنريد اطلاق أصحابنا من الاسر وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرفنا حتى ندبر أمرنا فارسل الاشرف الى صاحب سرمارى يأمره باطلاق الاسرى وتجديد الصلح مع الكرج ففعل ذلك واستقرت قاعدة الصلح وأطلق الاسرى

*(ذكر الحرب بين غياث الدين و بين خاله)*

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة انهزم ايغان طائسى وهو خال غياث الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش وهذا غياث الدين هو صاحب بلاد الجبل والرى واصبهان وغير ذلك وله أيضا بلاد كرمان وكان سبب ذلك ان خاله ايغان طائسى كان معه وفى خدمته وهو أكبر أمير معه لا يصدر غياث الدين الا عن رأيه والحكم اليه فى جميع المملكة فلما عظم شأنه حدثت نفسه بالاستيلاء على الملك وحسن له ذلك غيره وأطمعه فيه قيل ان الخليفة الناصر لدين الله أقطعه البلاد سرا وأمره بذلك فقويت نفسه على الخلاف فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم فلما تم له أمره أظهر الخلاف على غياث الدين وخرج عن طاعته أوزبك وصار فى البلاد يفسد و يقطع الطريق وينهب ما أمكنه من القرى وغيرها وانضاف اليه جمع كثير من أهل العنف والفساد ومعه مملوك آخر اسمه ايبك الشامى كانا متفقين على العصيان فقوى بهما وساروا جميعهم الى غياث الدين ليقاتلوه و يملكوا بلاده و يخرجوه منها فجمع غياث الدين عسكره والتقوا بنواحى (٣) واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره وأسر كثير وعاد المنهزمون الى اذربيجان على أقبح حال وأقام غياث الدين فى بلاده وثبت قدمه

*(حادثة غريبة لم يوجد مثلها)*

كان أهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امرأة وقد انتهى الملك اليها فوليته وقامت بالامر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلا يتزوجها و يقوم بالملك نيابة عنها و يكون من أهل بيت مملكة فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الامر وكان صاحب ارزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرلشاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان و بيته مشهور من أكابر ملوك الاسلام وهم من الملوك السلجوقية وله ولد كبير فارسل الى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته وقالوا لا نفعل هذا لاننا لا يمكننا أن يملك أمرنا مسلم فقال لهم ان ابنى يتنصر و يتزوجها فأجابوه الى ذلك فأمر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل اليها وأقام عند الكرج حاكما فى بلادهم واستمر على النصرانية نعوذ بالله من الخذلان ونسأله أن يجعل خير أعمالنا آخرها وخير أعمارنا أواخرها وخير أيامنا يوم نلقاه ثم كانت هذه الملكة الكرجية تهوى مملوكا لها فكان زوجها يسمع عنها القبائح ولا يمكنه الكلام لعجزه ثم انه يوما دخل عليها فرآها نائمة مع مملوكها فى فراش فأنكر ذلك وواجهها بالمنع منه فقالت ان رضيت بهذا والا

قصدهما فى روحهما اشفاقا على صورة الحال * ومستورة المآل * من هتكة الاذاعه * وفضحة الكشف والاشاعه * ولولا انه اعتصم بالاستتار دون صاحبه من عدا بما قصاماه * ومبرقا باستبراز ما واراه * ولم يرض بالارث وقد حازه دون مستحقيه * من قرابته وذويه * حتى قطع سياط المطالبة على ورثة ان * ومواليه * وهلم جرا الى شقيقة له معجزة فى الحجاب * معنسة دون الخطاب * خلافا على الله فى حكمه واجتراء عليه فى فرض الاسلام وحقه * واستحقاقا لوالغ الالسن فى دينه المجروح * وعرضه المفضوح * وسره وعقده المحلول * وسره المحجون بالغلول * فمراهم ذكرا ناوانا نا بما ابسوه من بال وجديد * وطارف وتليد * اعتلالا عليهم

(٣) بياض بأصله

فأنت أخبر فقال انى لا أرضى بهذا فنقلته الى بلد آخر ووكلت به من يمنعه من الحركة وتجرت عليه وأرسلت الى بلد اللان وأحضرت رجلين كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوجت أحدهما فبقى معها يسيرا ثم انها فارقته وأحضرت انسانا آخر من كنجة وهو مسلم فطلبت منه ان يتنصر ليتزوجها فلم يفعل فأرادت أن تتزوجه وهو مسلم فقام عليها جماعة الامراء ومعهم ايواني وهو مقدم العساكر الكرجية فقالوا لها قد افتضحنا بين الملوك بما تفعلين ثم تريدين أن يتزوجك مسلم وهذا لا نمكن منه أبدا والامر بينهم متردد والرجل الكنجي عندهم لم يجبهم الى الدخول فى النصرانية وهى تهواه

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة كان الجراد فى أكثر البلاد وأهلك كثيرا من الغلات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها وفيها فى رمضان توفى عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعى الدمشقى بها وكان غزير العلم عالما بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير رحمه الله وفيها تجمع العرب فى خلق كثير على حجاج الشام وأرادوا قطع الطريق عليهم وأخذهم وكان الامير على الحجاج شرف الدين يعقوب بن محمد وهو من أهل الموصل أقام بالشام وتقدم فيه فمنعهم بالرغبة والرهبة ثم صانعهم بمال وثياب وغير ذلك فأعطى الجميع من ماله ولم يأخذ من الحجاج الدرهم الفرد وفعل فعلا جميلا وكان عنده كثير من العلوم ويرجع الى دين متين

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة)

*(ذكر عود طائفة من التتر الى الرى وهمذان وغيرهما)*

أول هذه السنة وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهؤلاء غير الطائفة الغربية التى ذكرنا أخبارها قبل وصول هؤلاء الرى وكان من سلم من أهلها قد عادوا اليها وعمروها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا فى أهلها السيف وقتلوهم كيف شاؤا ونهبوا البلاد وخربوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر أولا فانهم لم يقربوهما ولا أصاب أهلهما أذى فأتاهما هؤلاء وملكوهما وقتلوا أهلهما وخربوهما والحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا فى البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من أهلها فأبادوهم قتلا وأسرا ونهبا وخربوا البلاد وكانوا لما وصلوا الى الرى رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا بأطرافها فلم يشعروا الا والتتر أيضا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وارسلوا الى صاحبها أوزبك بن البهلوان يقولون ان كنت موافقنا فسلم الينا من عندك من الخوارزمية والا فعرفنا انك غير موافق لنا ولا فى طاعتنا فعمد الى من عنده من الخوارزمية فقتل بعضهم وأسر بعضهم وحمل الاسرى والرؤس الى التتر وأنفذ معها من الاموال والثياب والدواب شيأ كثيرا فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا وليسوا فى كثرة كانوا نحو ثلاثة آلاف فارس وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس وعسكر أوزبك أكثر من الجميع ومع هذا فلم يحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم نسأل الله أن ييسر للاسلام والمسلمين

يبقيا بأخرجه للمتوفى على ضياعه وهى تحت استغلاله * وفى ضمان مزارعيه وعماله * ولم يستبق أحدا من جملة الداخلين كانوا عليه رحمه الله لتسليمه * غير موسوم بجريمة * ومكدوم بمضيمة * ومنقوض عن ذخيرة وكريمة * ومغلوب على ما حواه من تبعة وتبيعة * فزارته المقصورة المهجورة * تشكو اليه بلابلها خضوعا * وتعرى عليه مكاحلها دموعا * ضيقا بما دهاها من اضاقه * وأفدحها على مس التسبيب من فاقه * وتسأله سؤال المضطر أن يلك عليها ما ملكته من أخيها ارثا * ويحوى ما حوته عتقا وحدثا مصانعة له دون ما أطلقه عليها من أيدى الجنود * وأخياف الترك والهنود * فهرقى وجهها ضرا بما تشوفته من نظره وقلقا لما خصفته عليها من

والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى أمر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

### *(ذكر ملك غياث الدين بلاد فارس)*

قد ذكرنا ان غياث الدين بن خوارزمشاه محمد كان بالرى وله معها اصفهان وهمذان وما بينهما من البلاد وله أيضا بلاد كرمان فلما هلك أبوه كما ذكرناه وصل التتر الى بلاده وامتنع باصفهان وحصره التتر فيها فلم يقدروا عليها فلما فارق التتر بلاده وساروا الى بلاد قفجاق عاد وملك البلاد وعمر ما أمكنه منها وأقام بها الى أواخر سنة عشرين وستمائة وجرى له ما ذكرناه ففى آخر سنة عشرين سار الى بلاد فارس فلم يشعر صاحبها وهو أتابك سعد بن دكلا الا وقد وصل غياث الدين الى أطراف بلاده فلم يتمكن من الامتناع فقصد قلعة اصطخر فاحتمى بها وسار غياث الدين الى مدينة شيراز وهو كرسى مملكة فارس وأكبرها وأعظمها فملكها بغير تعب أول سنة احدى وعشرين وستمائة وبقى غياث الدين بها واستولى على أكثر البلاد ولم يبق بيد سعد الدين الا الحصون المنيعة فلما طال الامر على سعد الدين صالح غياث الدين على أن يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتفقوا عليه ولغياث الدين الباقى وأقام غياث الدين بشيراز وازداد اقامة وعزما على ذلك لما سمع ان التتر قد عادوا الى الرى والبلاد التى له وخربوها

### *(ذكر عصيان شهاب الدين غازى على أخيه الملك الاشرف وأخذ خلاط منه)*

كان الملك الاشرف موسى بن العادل أبى بكر بن أيوب قد أقطع أخاه شهاب الدين غازى مدينة خلاط وجميع اعمال ارمينية وأضاف اليها ميافارقين وحانى وجبل جور ولم يقنع بذلك حتى جعله ولى عهده فى البلاد التى له جميعها وحلف له جميع النواب والعساكر فى البلاد فلما سلم اليه ارمينية سار اليها كما ذكرناه وأقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة فأظهر مغاضبة أخيه الملك الاشرف والتجنى عليه والعصيان والخروج عن طاعته فراسله الاشرف يستميله ويعاتبه على ما فعل فلم يرعو ولا ترك ما هو عليه بل أصر على ذلك واتفق هو وأخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل على الخلاف للاشرف والاجتماع على محاربته وأظهروا ذلك وعلم الاشرف فارسل الى أخيه الكامل بمصر يعرفه ذلك وكانا متفقين وطلب منه نجدة فجهز العساكر وارسل الى أخيه صاحب دمشق يقول له ان تحركت من بلدك سرت اليه وأخذته وكان قد سار نحو ديار الجزيرة للميعاد الذى بينهم فلما وصلت اليه رسالة أخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق وأما صاحب اربل فانه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره ان شاء الله وأما الاشرف فانه لما اتفق عصيان أخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلما قرب منها خافه أخوه غازى ولم يكن له قوة على أن يلقاه محاربا ففرق عسكره فى البلاد ليحصنها وانتظر أن يسير صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار وأن يسير أخوه صاحب دمشق الى بلاد الاشرف عند الفرات الرقة وحران وغيرهما فيضطر الاشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الاشرف اليه وقصد خلاط وكان أهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازى فلما حصرها سلمها أهلها اليه يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة وبقى غازى فى القلعة ممتنعا فلما جنه الليل نزل

ورق الصيانة عن شجره * وجعل يرميها فى جواب التلطف والتألف بأحد من مؤللة القراع * وأشد من ململة القلاع * فعل من لا تكفه حرمه * ولا تكنفه رحمه * ولا ترف عليه رافه * ولا تخف اليه فى ذات الله مخافه * ولا يثنيه عن وجوه الناس حياء فى درة تذال * وعورة تنالها الايدى الطوال * فلما آيسها الاعراض * أدركها الامتعاض * وآلت حلفة مصبورة لئن لم ينته عما لم يقصد بمثله والذات خدر * وكريمة وراء ستر * لتهتكن الحجاب * ولتطرحن الجلباب * ولتحثين على قرونها التراب * منطلقة الى حضرة السلطان فى ايضاح ما وارته الجدر منه * وطرحته المجاملة عنه وكتمته ضمائر الاشفاق فيه وطمسته ذيول الهوادة دونه فقال المجنون لاخيه

الى أخيه معتذرا ومتنصلا فعاتبه الاشرف وأبقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن أخذ البلاد منه وأبقى عليه ميافارقين

*(ذكر حصار صاحب اربل الموصل)*

قد ذكرنا اتفاق مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل وشهاب الدين غازى صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الاشرف فأما صاحب دمشق فانه سار عنها مراحل يسيرة وعاد اليها لان أخاه صاحب مصر أرسل اليه يتهدده ان سار عن دمشق انه يقصدها ويحصرها فعاد وأما غازى فانه استعصى فى خلاط وأخذت منه كما ذكرناه وأما صاحب اربل فانه جمع عسكره وسار الى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة ظنا منه ان الملك الاشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل عن خلاط ويخرج غازى فى طلبه فتختبط أحواله وتقوى نفس صاحب دمشق على المجىء اليهم فلما نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد أحكم امورها من استخدام الجند على الاسوار واظهار آلة الحصار واخراج الذخائر وانما قوى طمع صاحب اربل على حصر الموصل لان أكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الاشرف الى خلاط وقد قل العسكر فيها وكان الغلاء شديدا فى البلاد جميعها والسعر فى الموصل كل ثلاث مكاكى بدينار فلهذا السبب أقدم على حصرها فلما نزل عليها أقام عشرة أيام ثم رحل عنها يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان سبب رحيله انه رأى امتناع البلد عليه وكثرة من فيه وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير ووصل اليه خبر الملك الاشرف انه ملك خلاط فانفسخ عليه كل ما كان يؤمله من صاحبها ومن دمشق وبقى وحده منابذا بالامر فلما وصلت الاخبار اليه بذلك سقط فى يده ورأى انه قد أخطأ الصواب فرحل عائدا الى بلده وأقام على الزاب ومدة مقامه على الموصل لم يقاتلها انما كان فى بعض الاوقات يجىء بعض الترك الذين له يقاتلون البلد فيخرج اليهم بعض الفرسان وبعض الرجالة فيجرى بينهم قتال ليس بالكثير ثم يتفرقون وترجع كل طائفة الى صاحبها

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة أول آب جاء ببغداد مطر برعد وبرق وجرت المياه بباب البصرة والحربية وكذلك بالحول بحيث ان الناس كانوا يخوضون فى الماء والوحل بالحول وفيها سار صاحب المخزن الى يعقوبا فى ذى القعدة فعسف أهلها فنقل اليه عن انسان منهم انه يسبه فأحضره وأمر بمعاقبته وقال له لم تسبنى فقال له أنتم تسبون أبا بكر وعمر لاجل أخذهما فدك وهى عشر نخلات لفاطمة عليها السلام وأنتم تأخذون منى ألف نخلة ولا أتكلم فعفا عنه وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنية والشيعة على جارى عادتهم وفيها قلت الامطار فى البلاد فلم يجئ منها شئ الى سباط ثم انها كانت تجىء فى الاوقات المتفرقة مجيئا قريبا لا يحصل منه الرى للزرع فجاءت الغلات قليلة ثم خرج عليها الجراد ولم يكن فى الارض من النبات ما يشتغل به عنها فأكلها الا القليل وكان كثيرا خارجا عن الحد فغلت الاسعار فى العراق والموصل وسائر ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلت الاقوات الا ان أكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

وهو معه فى ناديه * اغلق على هذه القصبة الورهاء * فقد أبطرتها الفضول * وأنطقتها دالة الاحتمال فما تدرى ما تقول * هذه والله جمة الابطال فى حماية الذمار * ورعاية حقوق المحارم الابكار * ورحم الله أبا الفتح البستى حيث يقول

لى جارفيه حبره
عرسه تلمن أيره
خلق الله اله الىذ
اق للغيرة غيره

ولما فرغ هذا الفاضل من هلاك ولده * ووراثة ما كان تحت يده * واعتصار المظلومة عن بلالة حالها * وعلالة مالها * ندب أخاها وهو حجرة أولاده * ومن يرجو مثله لمعاشه ومعاده * للتقبل بمعاملات ناحيته احتيالا عليه فى اللاحقه بأخيه * واقتطاعه دون كفاف يتصرف فيه * فتلطف واعتذر واعترف بالعجز

*(ذكر حصر الكرج مدينة كنجة)*

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها الى مدينة كنجة من بلاد اران قصدا لحصرها واعتدوا لها بما أمكنهم من القوة لان أهل كنجة كثير عددهم قوية شوكتهم وعندهم شجاعة كبيرة من طول ممارستهم للحرب مع الكرج فلما وصلوا اليها وقاربوا قاتلوا أهلها عدة أيام من وراء السور ولم يظهر من اهلها أحد ثم في بعض الايام خرج أهل كنجة ومن عندهم من العسكر من البلد وقاتلوا الكرج بظاهر البلد أشد قتال وأعظمه فلما رأى الكرج ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بالبلد فرحلوا بعد ان أثخن أهل كنجة فيهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

*(ذكر وصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى خوزستان والعراق)*

في أول هذه السنة وصل جلال الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش الى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند لانه كان وصل اليها لما قصد التتر غزنة وقد ذكرنا ذلك جميعه فلما تعذر عليه المقام ببلاد الهند سار عنها على كرمان ووصل الى اصفهان وهي بيد أخيه غياث الدين وقد تقدمت أخباره فملكها وسار عنها الى بلاد فارس وكان أخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه فأعاد ما كان أخوه أخذه منها الى أتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده الى خوزستان فحصر مدينة تستر في المحرم وبها الامير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله حافظا لها وأميرا عليها فحصره جلال الدين وضيق عليه فحفظها وجه السبع وبالغ في الحفظ والاحتياط وتفرق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا الى بادرايا وباكسايا وغيرهما وانحدر بعضهم الى ناحية البصرة فنهبوا هنالك فسار اليهم شحنة البصرة وهو الامير ملتكين فأوقع بهم وقتل منهم جماعة فدام الحصار نحو شهرين ثم رحل عنها بغتة وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه فلما رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار الى أن وصل الى بعقوبا وهي قرية مشهورة بطريق خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ فلما وصل الخبر الى بغداد تجهزوا للحصار وأصلحوا السلاح من الجروخ والقسي والنشاب والنفط وغير ذلك وعاد عسكر الخليفة الى بغداد وأما عساكر جلال الدين فنهبوا البلاد وأهلها وكان قد وصل هو وعسكره الى خوزستان في ضر شديد وجهد جهيد وقلة من الدواب والذي معهم فهو من الضعف الى حد لا ينتفع به فغنموا من البلاد جميعها واستغنوا وأكثروا من أخذ الخيل والبغال فانهم كانوا في غاية الحاجة اليها وسار من بعقوبا الى دقوقا فحصرها فصعد أهلها الى السور وقاتلوه وسبوه وأكثروا من التكبير فعظم ذلك عنده وشق عليه وجد في قتالهم ففتحها عنوة وقهرا ونهبها عساكره وقتلوا كثيرا من أهلها فهرب من سلم منهم من القتل وتفرقوا في البلاد ولما كان الخوارزميون على دقوقا سارت سرية منهم الى البت والراذان فهرب أهلها الى تكريت فتبعهم الخوارزمية فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة فعادوا الى العسكر ولقد رأيت بعض أعيان أهل دقوقا وهم بنو يعلى وهم أغنياء فنهبوا وسلم أحدهم ومعه ولدان له وشيء يسير من المال فسير ما سلم معه الى الشام مع الولدين ليتجر بما ينتفعون به وينفقونه على نفوسهم فمات أحد الولدين بدمشق واحتاط الحاكم على

ما قدر * حتى اذا اعياه التلطف * ولم يقنعه الا التصرف * مد رقبته لربقة التقليد * وكبر بها على طارف الملك والتليد فأزال يحيى كل ولود ونزور * ويجري كل بكي ومثرور * حتى أنضب المال الا قليلا * وعصب ريقه الا بليلا * فطفق يعسره بعجزه وتضجيعه * ويبكته على خرقه وتضييعه * فأمر الحاسبين بحسابه فجمع عليه مالم يثبته سمع ولا بصر * ولا ينبته نجم ولا شجر * ولم يطلع عليه شمس ولا قمر * وسبب عليه لاعلاج الهنود * وغلاظ كفارهم السود * مالا أوهى متن طاقته * وأتى من وراء فاقته * وحرشهم على ابنه بتطميع في عاجل موزون * وترغيب في آجل مضمون * حتى أوهنوه شدا وايثاقا وأثخنوه ضربا وارهاقا ووضعوا عليه في بعض

ما معهم فلقد رأيت أباهم على حالة شديدة لا يعلمها الا الله يقول أخذت الاملاك وقتل بعض الاهل وفارقنا من سلم منهم والوطن بهذا القدر الحقير أردنا نكف به وجوهنا من السؤال ونصون أنفسنا فقد ذهب الولد والمال ثم سار الى دمشق ليأخذ ما سلم مع ابنه الآخر فأخذه وعاد الى الموصل فلم يبق غير شهر حتى توفي * ان الشقي بكل حبل يخنق * وأما جلال الدين فانه لما فعل بأهل دقوقا ما فعل خافه أهل البوازيج وهي لصاحب الموصل فارسلوا اليه يطلبون منه ارسال شحنة اليهم يحميهم وبذلوا له شيأ من المال فأجابهم الى ذلك وسير اليهم من يحميهم قيل كان بعض أولاد جنكزخان ملك التتر أسره جلال الدين في بعض حروبه مع التتر فأكرمه فحماهم وأقام بمكانه الى أواخر ربيع الآخر والرسل مترددة بينه وبين مظفر الدين صاحب اربل فاصطلحوا فسار جلال الدين الى اذربيجان وفي مدة مقام جلال الدين بخوزستان والعراق ثارت العرب في البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى ويخيفون السبيل فنال الخلق منهم أذى شديد وأخذوا في طريق العراق قفلين عظيمين كانوا سائرين الى الموصل فلم يسلم منهم شئ البتة

*(ذكر وفاة الملك الافضل وغيره من الملوك)*

في هذه السنة في صفر توفي الملك الافضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب فجأة بقلعة سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة عند وفاة والده رحمه الله ملكه مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا سنة اثنتين وتسعين أخذ الجميع منه ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر وذكرنا سنة ست وتسعين أخذها منه وانتقل الى سميساط وأقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفي بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن في الملوك مثله كان خيرا عادلا فاضلا حليما كريما قل ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبا وكان يكتب خطا حسنا وكتابة جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق في كثير من الملوك لا جرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضي عنه ورأيت من كتابته أشياء حسنة فما بقي على خاطري منها انه كتب الى أصحابه لما أخذت دمشق منه كتابا من فصوله وأما أصحابنا بدمشق فلا علم لي بأحد منهم وسبب ذلك اني أي صديق سألت عنه ففي الذل وتحت الخمول والوطن وأي ضد سألت عن حالته سمعت ما لا أحبه أذى فتركت السؤال عنهم وهذا غاية الجودة في الاعتذار عن ترك السؤال عنهم ولما مات اختلف أولاده وعمهم قطب الدين موسى ولم يقو أحد منهم على الباقين ليستبد بالامر ومات في هذه السنة صاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغرل بن قلج أرسلان وهو الذي سير ولده الى الكرج وتنصر وتزوج ملكة الكرج ولما مات ملك بعده ابنه ومات فيها ملك ارزنكان وتوفي فيها عز الدين الخضر بن ابراهيم بن أبي بكر بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب خرتبرت وملك بعده ابنه نور الدين ارتق شاه وكان المدبر لدولته ودولة والده معين الدين عبد الرحمن

*(ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكرج)*

في هذه السنة ثار على شروان شاه ولده فنزعه من الملك وأخرجه من البلاد وملك بعده وسبب

ذلك

لماله دهقا استقر به الى الصباح النائر * حتى اذا لم يبق منه غير ناقر الطائر * علموا انه مظلوم وان الافضاء اليه في دينهم المدخول وشركهم المخذول * قرم واوم فنفضوا أيديهم عنه لا عنين أباه * ومن أرضعه ورباه * وأطعمه بعد الله وسقاه * وما ظن الافاضل الكرام بمن يوفي رحمة الكافر الفاجر على قساوته * وطبع قلبه وغشاوته * وبمن يزعم انه والد يحنو على ولده * ويعتده فلذة من كبده * وبضعة من روحه وجسده * كل ذلك طمعا في استزادة مال * واستضافة حال * فصار أمرها الى محق وزوال * فلا رحم الله كل جافي العقيدة * خافي المكيدة * قاسي الفؤاد * حامي

ذلك ان شروان شاه كان سيئ السيرة كثير الفساد والظلم يتعرض الى أموال الرعايا وأملاكهم وقيل أيضا انه كان يتعرض الى النساء والولدان فاشتدت وطاته على الناس فاتفق بعض العسكر مع ولده وأخرجوا أباه من البلاد وملك الابن وأحسن السيرة فأحبه العساكر والرعية وأرسل الولد الى أبيه يقول له انى أردت أن أتركك فى بعض القلاع وأجرى لك الجرايات الكثيرة ولكل من تحب ان يكون عندك والذى حملنى على مافعلت معك سوء سيرتك وظلمك لاهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك فلما رأى الاب ذلك سار الى الكرج واستنصر بهم وقرر معهم ان يرسلوا معه عسكرا يعيدونه الى ملكه ويعطيهم نصف البلاد فسيروا معه عسكرا كثيرا فسار حتى قارب مدينة شروان فجمع ولده العسكر وأعلمهم الحال وقال ان الكرج متى حصرونا ربما ظفروا بنا وحينئذ لا يبقى أبى على أحد منا ويأخذ الكرج نصف البلاد وربما أخذوا الجميع وهذا أمر عظيم انا نسير اليهم جريدة ونلقاهم فان ظفرنا بهم فالحمد لله وان ظفروا بنا فالحصر بين أيدينا فأجابوه الى ذلك فخرج فى عسكره وهم قليل نحو ألف فارس ولقوا الكرج وهم فى ثلاثة آلاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا وصبر أهل شروان فانهزم الكرج فقتل كثير منهم وأسر كثير ومن سلم عاد بأسوا حال وشروان شاه المخلوع معهم فقال له مقدمو الكرج اننا لم نلق بسببك خيرا ولا نواخذك بما كان منك فلا تقم ببلادنا ففارقهم وبقى مترددا لا يأوى الى أحد واستقر ولده فى الملك وأحسن الى الجند والرعية وأعاد الى الناس أملاكهم ومصادراتهم فاغتبطوا بولايته

*(ذكر ظفر المسلمين بالكرج أيضا)*

وفى هذه السنة أيضا سار جمع من الكرج من تفليس يقصدون اذربيجان والبلاد التى بيد أوزبك فنزلوا وراء مضيق فى الجبال لا يسلك الا للفارس معه الفرس فنزلوا آمنين من المسلمين استضعافا لهم واغترارا بحصانة موضعهم وانه لا طريق اليهم وركب طائفة من العساكر الاسلامية وقصدوا الكرج فوصلوا الى ذلك المضيق فجازوه مخاطرين فلم يشعر الكرج الا وقد غشيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا وولى الباقون منهزمين لا يلوى والد على ولده ولا أخ على أخيه وأسر منهم جمع كثير صالح فعظم الامر عليهم وعزموا على الاخذ بثارهم والجد فى قصد اذربيجان واستئصال المسلمين منه وأخذوا يتجهزون على قدر عزمهم فبينما هم فى ذلك اذ وصل اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى مراغة على مانذكره ان شاء الله فتركوا ذلك وارسلوا الى أوزبك صاحب اذربيجان يدعونه الى الموافقة على رد جلال الدين وخوفوه منه ان لم نتفق نحن وأنت والا أخذك ثم أخذنا فما جاءهم جلال الدين قبل اتفاقهم واجتماعهم فكان مانذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر ملك جلال الدين اذربيجان)*

فى هذه السنة استولى جلال الدين على اذربيجان وسبب ذلك انه لما سار من دقوقا كما ذكرناه قصد مراغة فملكها وأقام بها وشرع فى عمارة البلد فاستحسنه فلما وصل اليها أتاه الخبر ان الامير ايغان طائيسى وهو خال أخيه غياث الدين قد قصد همذان قبل وصول جلال الدين بيومين وكان ايغان طائيسى هذا قد جمع عسكرا يتجاوز خمسين ألف فارس ونهب كثيرا من

دماء الاولاد * ان للآباء فروضا على الابناء وللابناء حقوقا على الآباء * فان يكن من فرض الوالد أن لا يقتص منه ان قتل ولده وقطع يده * فمن حق الولد أن يطاع الله فى صلة رحمه * وتقوى الاقدام على روحه ودمه * نعم ولما أن خف عن البائس كربه * وانجلى عنه وصبه * أسرى الى جانب الامير أرسلان الجاذب فتى السلطان يمين الدولة * وأمين الملة * فى زحفة السهو المارق * والرجم المقذوف على المارد السارق * متقيا به عارض البأس * ومستقبلا روحا معاتنة بخيط اليأس * فآواه وقبله ونشر عليه جناحه رحمة له وكتب الى أركان الدولة فى بابه بما أطل عليه سعاية أبيه * وغل دونه نكاية قصده وتجنيه * وحاذر الفاسق المارق افتضاحه

من في البلد وعن غيرهما من المقدمين انهم قد اجتمعوا وتحالفوا على الامتناع على جلال الدين واعادة البلد الى اوزبك وقالوا ان جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فلا يقدر على المقام ويجتمع اوزبك والكرج ويقصدونه فينحل نظام امره وتتم عليه الهزيمة فبنوا امرهم على ان جلال الدين يسير الهوينا الى بلاد الكرج ويتربث في الطريق احتياطا منهم فلما اتفقوا على ذلك أتى الخبر الى الوزير فارسل الى جلال الدين يعرفه الحال فأتاه الخبر وقد قارب بلاد الكرج فلم يظهر من ذلك شيأ وسار نحو الكرج مجدا فلقيهم وهزمهم فلما فرغ منهم قال لامراء عسكره انني قد بلغني من الخبر كذا وكذا فتقيمون أنتم في البلاد على ما أنتم عليه من قتال من ظفرتم به وتخريب ما أمكنكم من بلادهم فانني خفت ان اعرفكم قبل هزيمة الكرج لئلا يلحقكم وهن وخوف فاقاموا على حالهم وعاد هو الى تبريز وقبض على الرئيس والطغرائي وغيرهما فاما الرئيس فامر ان يطاف به على أهل البلد وكل من له عليه مظلمة فليأخذها منه وكان ظالما ففرح الناس بذلك ثم قتله وأما الباقون فحبسوا فلما فرغ منهم واستقام له أمر البلد تزوج زوجة أوزبك ابنة السلطان طغرل وانما صح له نكاحها لانه ثبت عن أوزبك انه حلف بطلاقها انه لا يقتل مملوكا له اسمه ثم قتله فلما وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين وأقام بتبريز مدة وسير منها جيشا الى مدينة كنجة فملكوها وفارقها اوزبك الى قلعة كنجة فتحصن فيها فبلغني ان عساكر جلال الدين تعرضوا الى أعمال هذه القلعة بالنهب والاخذ فارسل اوزبك الى جلال الدين يشكو ويقول كنت لا أرضى بهذه الحال لبعض أصحابي فانا أسأل ان تكف الايدي المتطرقة الى هذه الاعمال عنها فارسل جلال الدين اليها من يحميها من التعرض لها من أصحابه وغيرهم

## *(ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله)*

في هذه السنة آخر ليلة من شهر رمضان توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله أبي العباس محمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد محمد بن جعفر المتوكل على الله ولم يكن الموفق خليفة وانما كان ولي عهد أخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد بالله ولي عهد المعتمد على الله وكان المتوكل على الله ابن المعتصم بالله أبي اسحق محمد بن هرون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله أبي جعفر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم

نسب كان عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

فكان في آبائه أربعة عشر خليفة وهم كل من له لقب والباقون غير خلفاء وكان فيهم من ولي العهد محمد بن القائم والموفق بن المتوكل وأما باقي الخلفاء من بني العباس فلم يكونوا من آبائه فكان السفاح أبو العباس عبد الله أخا المنصور ولي قبله وكان موسى أخا الرشيد ولي قبله وكان محمد الامين وعبد الله المأمون ابنا الرشيد اخوي المعتصم وليا قبله وكان محمد المنتصر بن المتوكل

النهار الجاشر * مقرظة بصنائع الاقوال * مشنفة بفضائح الافعال * فلولا كرم غذي بلبانه * وبجن على مسكه وبانه * لرجم رجم العفريت * وضرب بالنفط والكبريت * لكنه رأى أن يضم عليه طرفي بساطه * ويستبقي مختوم سره بين خرزه ورباطه * تقديما لشفاعة المشيب * وتفويضا الى ما وراءه من الاجل القريب * واقتناعا بأن سمع أو نظر * وروى واخبر * بما تتناهبه الآفاق من ذكر شنع معايبه احداث * ولؤمه مكتسب وفضله ميراث * ولما تسامع اهل عمله بما ركد من ريحه * وظهر من رغوة صريحه * تبادروا الى مفصل الظلامات صارخين كالنقنق في الجو بنات الاعداد * وجمهور في الشعب جميع البلاد * واختلفوا في المظالم فمن قائل هتكت

وولى بعده ثم ولى بعد المنتصر بالله المستعين بالله أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم وولى بعد المستعين المعتز بالله محمد وقيل طلحة وهو ابن المتوكل وولى بعد المعتز المهتدى بالله محمد بن الواثق ثم ولى بعده المعتمد على الله أحمد بن المتوكل فالمنتصر والمعتز والمعتمد اخوة الموفق والمهتدى ابن عمه والموفق من اجداد الناصر لدين الله ثم ولى المعتضد بعد المعتمد وولى بعد المعتضد ابنه أبو محمد على المكتفى بالله وهو أخو المقتدر بالله وولى بعد المقتدر أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد وولى بعد القاهر الراضى بالله أبو العباس محمد بن المقتدر ثم ولى بعده المتقى لله أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر ثم ولى بعده المكتفى بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفى بالله على ابن المعتضد ثم ولى بعده المطيع لله أبو بكر عبد الكريم فالقاهر أخو المقتدر والراضى والمتقى والمطيع بنوه والمستكفى ابن أخيه المكتفى ثم ولى الطائع لله بن المقتدر ثم ولى بعد الطائع القادر بالله وهو من اجداد الناصر لدين الله ثم ولى بعده المستظهر بالله ثم ولى بعده ابنه المسترشد بالله أبو منصور وولى بعد المسترشد بالله ابنه الراشد أبو جعفر فالمسترشد أخو المقتفى والراشد ابن أخيه فجميع من ولى الخلافة ممن ليس فى سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة وكانت أم الناصر أم ولد تركية اسمها زمرد وكانت خلافته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما وكان عمره نحو سبعين سنة تقريبا فلم يل الخلافة أطول مدة منه الاما قيل عن المستنصر بالله العلوى صاحب مصر فانه ولى ستين سنة ولا اعتبار به فانه ولى وله سبع سنين فلا تصح ولايته وبقى الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية وقد ذهبت احدى عينيه والاخرى يبصر بها ابصارا ضعيفا وفى آخر الامر أصابه دوسنطاريا عشرين يوما ومات ووزر له عدة وزراء وقد تقدم ذكرهم ولم يطلق فى طول مرضه شيأ كان أحدثه من الرسوم الجائرة وكان قبيح السيرة فى رعيته ظالما فخرب فى ايامه العراق وتفرق أهله فى البلاد وأخذ أملاكهم وأموالهم وكان يفعل الشئ وضده فمن ذلك انه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها فى رمضان فبقيت مدة ثم قطع ذلك ثم عمل دور الضيافة للحجاج فبقيت مدة ثم أبطلها وأطلق بعض المكوس التى جددها ببغداد خاصة ثم أعادها وجعل جل همه فى رمى البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة فى البلاد جميعها الا من يلبس منه سراويل يدعى اليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك أيضا منع الطيور المناسيب لغيره الا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمى بالبندق الا من ينتمى اليه فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت من بغداد فانه هرب من العراق ولحق بالشام فارسل اليه يرغبه فى المال الجزيل ليرمى عنه وينسب فى الرمى اليه فلم يفعل فبلغنى ان بعض أصدقائه أنكر عليه الامتناع من أخذ المال فقال يكفينى فخرا انه ليس فى الدنيا أحد الا يرمى للخليفة الا انا فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من أعجب الامور وكان سبب ما نسبه العجم اليه صحيحا من أنه هو الذى أطمع التتر فى البلاد وراسلهم فى ذلك فهو الطامة الكبرى التى يصغر عندها كل ذنب عظيم

*(ذكر خلافة الظاهر بأمر الله)*

قد ذكرنا سنة خمس وثمانين وخمسمائة الخطبة للامير ابى نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله

حرمته * وآخر انتهكت نعمته * وثالث انتهبت ثلمته * ورابع طاقت عليه ظلمته * وخامس قتيل على التعصب اخوه وابوه * وسادس خدشت على المعروف بشرته وفض فوه * فمنهم من وصل قصده بالانصاف * ومنهم من حذر فشق على يأس الانصراف * فرأى شمس الكفاة ان يسلك به شعب المجاملة فطم يصرفه على نبات مساويه * وصد عن مسامع السلطان خبائث أفعاله وداهيه * وأصم صدى التظلم عن شريف ناديه * فعاد المذكور وراءه مخذولا مفلولا * وأراد الله أن يقضى فيه أمرا كان مفعولا * ولما رأى أن قد ضجت عليه أفعاله * وضحكت منه حيله وادغاله * وان الالسن قد مضغته حين أطاع عبد اهوائه فى معصية خالقه * ووصل شهوة

بولاية العهد فى العراق وغيره من البلاد ثم بعد ذلك خلعه الخليفة من ولاية العهد وارسل الى البلاد فى قطع الخطبة له وانما فعل ذلك لانه كان يميل الى ولده الصغير على فاتفق ان الولد الصغير توفى سنة اثنتى عشرة وستمائة ولم يكن للخليفة ولد غير ولى العهد فاضطر الى اعادته الا انه تحت الاحتياط والحجر لا يتصرف فى شئ فلما توفى أبوه ولى الخلافة واحضر الناس لاخذ البيعة وتلقب بالظاهر بأمر الله وعنى ان اباه وجميع أصحابه ارادوا صرف الامر عنه فظهر وولى الخلافة بأمر الله لا بسعى من احد ولما ولى الخلافة اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين فلو قيل انه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا فانه اعاد من الاموال المغصوبة فى ايام ابيه وقبله شيأ كثيرا واطلق المكوس فى البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم فى جميع العراق وان يسقط جميع ما جدده ابوه وكان كثيرا لا يحصى فمن ذلك ان قرية بعقوبا كان يحصل منها قديما نحو عشرة آلاف دينار فلما تولى الناصر لدين الله كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون الف دينار فحضر اهلها واستغاثوا وذكروا ان املاكهم اخذت حتى صار يحصل منها هذا المبلغ فامر ان يؤخذ الخراج الاول وهو عشرة آلاف دينار فقيل له ان هذا المبلغ يصل الى المخزن فمن اين يكون العوض فاقام لهم العوض من جهات اخرى فاذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين الف دينار فما الظن بباقى البلاد ومن افعاله الجميلة انه امر باخذ الخراج الاول من باقى البلاد جميعها فحضر كثير من اهل العراق وذكروا ان الاملاك التى كان يؤخذ منها الخراج قديما قد يبس اكثر أشجارها وخربت ومتى طولبوا بالخراج الاول لا يفى دخل الباقى بالخراج فامر ان لا يؤخذ الخراج الا من كل شجرة سليمة واما الذاهب فلا يؤخذ منه شئ وهذا عظيم جدا ومن ذلك ايضا ان المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التى للبلد يتعامل بها الناس فسمع بذلك فخرج خطه الى الوزير وأوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم قد بلغنا ان الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التى يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى فكتب بعض النواب اليه يقول ان هذا مبلغ كثير وقد حسبناه فكان فى السنة الماضية خمسة وثلاثين ألف دينار فاعاد الجواب ينكر على القائل ويقول لو انه ثلثمائة ألف وخمسون ألف دينار يطلق وكذلك أيضا فعل فى اطلاق زيادة الصنجة التى للديوان وهى فى كل دينار حبة وتقدم الى القاضى ان كل من عرض عليه كتابا صحيحا بملك يعيده اليه من غير اذن وأقام رجلا صالحا فى ولاية الحشرى وبيت المال وكان الرجل حنبليا فقال انى من مذهبى ان أورث ذوى الارحام فان أذن أمير المؤمنين ان أفعل ذلك وليت والا فلا فقال له اعط كل ذى حق حقه واتق الله ولا تتق سواه ومنها ان العادة كانت ببغداد ان الحارس بكل درب يكرر ويكتب مطالعة الى الخليفة بما يتجدد فى دربه من اجتماع بعض الاصدقاء ببعض على نزهة أو سماع أو غير ذلك ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير فكان الناس من هذا فى حجر عظيم فلما ولى هذا الخليفة جزاه الله خيرا أتته المطالعات على العادة فامر بقطعها وقال اى غرض لنا فى معرفة أحوال الناس فى بيوتهم فلا يكتب أحد الينا الا ما يتعلق بمصالح دولتنا فقيل له ان العامة تفسد بذلك

الفجور فى قطيعة ولده وعمر اطلال ضيعته * بخراب آخرته * وثب به وثوب الثائر الموتور * والمانش المسعور * يرتجع منه ما خلاه على الفسوق * ووفاه من ثمن الاستلذاذ بسلعة تلك السوق ويرى ان صنيعه ذلك يحميه بهة الالامة * ويقيه نبال الالسنة الذامة * فاسترد ما حمله من صداق * ورجع عليه بقيمة ما أشربه من مجاجة اشداق * وعزاه عما أعطاه * بعدان عراه وامتطاه * وبطنه للسياط * بعدان بطنه لوطء اللواط * مبتذلا منه جردة طال ما امتصها بثغريه * وكنسم ابهاوضيه * وفداها بنفسه وأبويه * ودفن عليها أحد ولديه * هذا والله هو الجود لا ماتنى عن حاتم العرب * وروى عن سادات بنى عبد المطلب * فلها الله من رضى بها لنفسه سيرة * وخباها عن تناسخ

ويعظم

ويعظم شرها فقال نحن ندعو الله في أن يصلحهم ومنها انه لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان قد سار اليها أيام الناصر لتحصيل الاموال فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة ألف دينار وكتب مطالعة تتضمن ذكر ما معه ويستخرج الامر في حمله فاعاد الجواب بأن يعاد الى أربابه فلا حاجة لنا اليه فاعيد عليهم ومنها انه أخرج كل من كان في السجون وأمر باعادة ما اخذ منهم وارسل الى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع وليس له مال ومن حسن نيته للناس ان الاسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية فرخصت الاسعار واطلق حمل الاطعمة اليها وان يبيع كل من اراد البيع للغلة فحمل منها الكثير الذي لا يحصى فقيل له ان السعر قد غلا شيأ والمصلحة منع حمله فقال أولئك مسلمون وهؤلاء مسلمون وكما يجب علينا النظر في امر هؤلاء كذلك يجب علينا النظر لاولئك وامر ان يباع من الاهراء التي له طعام ارخص مما يبيع غيره ففعلوا ذلك فرخصت الاسعار عندهم ايضا اكثر مما كانت اولا وكان السعر في الموصل لما ولي كل مكوكين بدينار وثلثي قيراط فصار كل اربعة مكاكيك بدينار في ايام قليلة وكذلك باقي الاشياء من التمر والدبس والارز والسمسم وغيرها فالله تعالى يؤيده وينصره ويبقيه فانه غريب في هذا الزمان الفاسد ولقد سمعت عنه كلمة اعجبتني جدا وهي انه قيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الاموال التي لا تسمح نفس ببعضها فقال انهم انا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني افعل الخير فكم اعيش وتصدق ليلة عيد الفطر من هذه السنة وفرق في العلماء واهل الدين مائة الف دينار

* (ذكر ملك بدر الدين قلعتي العمادية وهرور) *

في هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العمادية من اعمال الموصل وقد تقدم ذكر عصيان اهلها عليه سنة خمس عشرة وستمائة وتسليمها الى عماد الدين زنكي ثم عودهم الى طاعة بدر الدين وخلافهم على عماد الدين فلما عادوا الى بدر الدين أحسن اليهم وأعطاهم الاقطاع الكثير وملكهم القرى ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنية فبقوا كذلك مدة يسيرة ثم شرعوا يراسلون عماد الدين زنكي ومظفر الدين صاحب اربل وشهاب الدين غازي بن العادل لما كان بخلاط ويعدون كلا منهم بالانحياز اليه والطاعة له وأظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه فكانوا لا يمكنون ان يقيم عندهم من أصحاب بدر الدين الا من يريدونه ويمنعون من كرهوه فطال الامر وهو يحتمل فعلهم ويداريهم وهم لا يزدادون الا طمعا وخروجا عن الطاعة وكانوا جماعة فاختلفوا فقوي بعضهم وهم أولاد خواجه ابراهيم وأخوه ومن معهم على الباقين فاخرجوهم عن القلعة وغلبوا عليها وأصروا على ما كانوا عليه من النفاق فلما كان هذه السنة سار بدر الدين اليهم في عساكره فاتاهم بغتة فحصرهم وضيق عليهم وقطع الميرة عنهم وأقام بنفسه عليهم وجعل قطعة من الجيش على قلعة هرور يحصرونها وهي من أمنع الحصون وأحصنها لا يوجد مثلها وكان أهلها أيضا قد سلكوا طريق أهل العمادية من عصيان وطاعة ومخادعة فاتاهم العسكر وحصروهم وهم في قلة من الذخيرة فحصروها أياما ففني ما في القلعة فاضطر أهلها الى التسليم فسلموها ونزلوا منها وعاد العسكر الى العمادية فاقاموا عليها مع بدر الدين فبقي بدر الدين بعد أخذ هرور يسيرا وعاد الى الموصل وترك العسكر بحاله مقيما عليهم مع

الاحقاب كنزا وذخيرة *
وذات الاستتار يبطن مكـ
لا أرذل من والغ في جيفـ
مقلوب * وأنذل من طا
في شريطة مصلوب * ا
كان ما أتاه انتقاما فهـ
ذلك والولد حي * وفي البد
ملك المبادر شيء * آلا
وقد سبق السيف العذل * و
فعل القضاء ما فعل * أورد
وقد نضب الماء * وشمنا
أصحت السماء * وغيرة وقد
سقط الجدار * وسترة وقد
ظهر الشوار * هيهات هيها
لظن حائل * ورأي فائل *
وظل زائل * وورد سائل *
أيها النفس اجملي جزعا
ان الذي تحذرين قد وقعا
واحتمال مفترض لذته *
ومنتصر شهوته * للانقطاع

فاتبعه امين الدين لؤلؤ فبقي الحصار الى اول ذي القعدة فارسلوا يذعنون بالطاعة ويطلبون العوض عنها ليسلموها فاستقرت القواعد على العوض من قلعة يحتمون فيها واقطاع ومال وغير ذلك فاجابهم بدر الدين الى ما طلبوا وحضر نوابهم ليحلفوا بدر الدين فبينما هو يريد ان يحلف لهم وقد احضر من يشهد اليمين اذ قد وصل طائر من العمادية وعلى جناحه رقعة من امين الدين لؤلؤ يخبر انه قد ملك العمادية قهرا وعنوة واسر بني خواجه الذين كانوا انغلبوا عليه فامتنع بدر الدين من اليمين واما سبب غلبة امين الدين عليها فانه كان قد ولاه بدر الدين عليها لما عاد اهلها الى طاعته فبقي فيها مدة فاحسن اليهم واحسن السيرة فيهم واستمال جماعة منهم ليتقوى بهم على الحزب الذين عصوا اولا فنمى الخبر اليهم فاساؤا مجاورته واستقالوا من ولايته عليهم ففارقهم الى الموصل وكان أولئك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه فلما حصرهم كانوا ايضا يكاتبونه في النشاب يخبرونه بكل ما يفعله اولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك وبما عندهم من الذخائر الا انهم لم يكونوا في الكثرة الى انهم يقهرون أولئك فلما كان الآن واستقرت القواعد من التسليم لم يذكر اولاد خواجه احدا من جند القلعة في نسخة اليمين بمال ولا غيره من امان واقطاع فسخطوا هذه الحال وقالوا لهم قد حلفتم لانفسكم بالحصون والقرى والمال ونحن قد خربت بيوتنا لاجلكم فلم تذكرونا فاهانوهم ولم يلتفتوا اليهم فحضر عند امين الدين رجلان منهم ليلا وطلبوا منه ان يرسل اليهم جماعة يصعدونهم الى القلعة ويثبون بأولئك ويأخذونهم فامتنع وقال اخاف ان لا يتم هذا الامر ويفسد علينا كل ما فعلناه فقالوا نحن نقبض عليهم غدا بكرة وتكون انت والعسكر على ظهر فاذا سمعت النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون الينا فاجابهم الى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة واما أولئك فانهم اجتمعوا وقبضوا على اولاد خواجه ومن معهم ونادوا بشعار بدر الدين فبينما العسكر قيام اذا الصوت من القلعة باسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وتسلم أمين الدين اولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطائر بالحال وملكوا القلعة صفوا عفوا بغير عوض وكان يريد ان يغرم مالا جليلا واقطاعا كثيرة وحصنا منيعا فتوفر الجميع عليه وأخذ منهم كل ما احتقبوه وادخروه واذا أراد الله أمرا فلا مرد له

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة ليلة الاحد والعشرين من صفر زلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة وفيها اشتد الغلاء بالموصل وديار الجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والكلاب والسنانير فقل الكلاب والسنانير بعد ان كانوا كثيرا ولقد دخلت يوما الى داري فرأيت الجواري يقطعن اللحم ليطبخوه فرأيت سنانير استكثرتها فعددتها فكانت اثنى عشر سنورا ورأيت اللحم في هذا الغلاء في الدار وليس عنده من يحفظه من السنانير لعدمها وليس بين المرتين كثير وغلا مع الطعام كل شيء فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط قبل الغلاء وأما قبل ذلك فكان كل ستين رطلا بدينار ومن العجب ان السلق والجزر والسلجم بيع كل خمسة ارطال بدرهم وبيع البنفسج كل ستة أرطال بدرهم ويبيع في بعض الاوقات كل سبعة ارطال بدرهم وهذا ما لم يسمع بمثله ولقد بقينا ما لم نر ولا سمعنا بمثله فان الدنيا

الى بعض كبراء الامراء فقبله وآواه * وانتزعه من قبضة مولاه * مراغمة كونه بنار أضغانه * وشونه على حرارة غمومه وأشجانه * فلا حميم ولا قريب * ولا ولي ولا حبيب * ولا والد ولا مولود * ولا عابد ولا معبود * واما الشرع وطريقه * والدين وتحقيقه * فخير لابه * ان في وضوح هذه الخلال على شوه احكامها * وسفه احلامها * لغنية دون شرح الحال وتشريحها * وتبليغ لسان المقال وتفصيحها * غير ان التقرب الى الرسول المصطفى * الابطحي المجتبى * صلى الله عليه وعلى آله بقوله اذكروا الفاسق بما فيه * يقتضي التنبيه على مخازيه * تخليصا لخفايا نكره وخباياه * وتشكيلا لاضلاع خبثه وزواياه *

مازالت قديماً وحديثاً اذا غلت الاسعار متى جاء المطر رخصت الا هذه السنة فان الامطار
مازالت متتابعة من اول الشتاء الى آخر الربيع وكلما جاء المطر غلت الاسعار وهذا ما لم يسمع بمثله
فبلغت الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة واربعين رطلا دقيقا بالبغدادي
وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك بعشرة دراهم وكان الارز مكوك باثني عشر درهما
فصار المكوك بخمسين درهما وكان التمر كل اربعة ارطال وخمسة ارطال بقيراط فصار كل
رطلين بقيراط ومن عجيب ما يحكى ان السكر النادر الاسمر كان كل رطل بدرهم وكان السكر
الابلوج المصري النقي كل رطل بدرهمين فصار السكر الاسمر كل رطل بثلاثة دراهم ونصف
والسكر الابلوج كل رطل بثلاثة دراهم وربع وسببه ان الامراض لما كثرت واشتد الوباء
قال النساء هذه الامراض باردة والسكر الاسمر حار فينفع منها والابلوج بارد يقويها وتبعهن
الاطباء استمالة لقلوبهن وبجهلهن فغلا الاسمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط ومازالت
الاشياء هكذا الى اول الصيف واشتد الوباء وكثر الموت والمرض في الناس فكان يحمل على
النعش الواحد عدة من الموتى فممن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسي
خطيب الموصل وكان من صالحي المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور وفيها انخسف القمر
ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر وفيها هرب امير حاج العراق وهو حسام الدين ابو فراس الحلي
الكردي الورامي وهو ابن اخي الشيخ ورام كان عمه من صالحي المسلمين وخيارهم من اهل الحلة
السيفية فارق الحاج بين مكة والمدينة وسار الى مصر حكى لي بعض اصدقائه انه انما حمله على
الهرب كثرة الخرج في الطريق وقلة المعونة من الخليفة ولما فارق الحاج خافوا خوفا شديدا من
العرب فامن الله خوفهم ولم يرعهم ذاعر في جميع الطريق ووصلوا آمنين الا ان كثيرا من الجمال
هلك أصابها اغدة عظيمة لم يسلم الا القليل وفيها في آب جاء مطر شديد ورعد وبرق ودام حتى جرت
الاودية وامتلأت الطرق بالوحل ثم جاء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر انه كان
عندهم مثله ولم يصل الينا أحد الا واخبر ان المطر كان عندهم في ذلك التاريخ وفيها كان
في الشتاء ثلج كثير ونزلت بالعراق فسمعت أنه نزل في جميع العراق حتى في البصرة اما الى واسط
فلا شك فيه وأما البصرة فان الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها وفيها خربت قلعة الزعفران من
أعمال الموصل وهي حصن مشهور يعرف قديما بدير الزعفران وهو على جبل عال قريب من
فرشابور وفيها أيضا خربت القلعة الجديدة من بلد الهكارية من أعمال الموصل أيضا وأضيف
عملها وقراها الى العمادية وفيها في ذي الحجة سار جلال الدين بن خوارزمشاه من تبريز الى بلد
الكرج قاصدا لاخذ بلادهم واستئصالهم وخرجت السنة ولم يبلغنا انه فعل بهم شيأ ونحن
نذكر ما فعل بهم سنة ثلاث وعشرين وستمائة ان شاء الله وفيها ثالث شباط سقط ببغداد ثلج وبرد
الماء بردا شديدا وقوي البرد حتى مات به جماعة من الفقراء وفيها في ربيع الاول زادت دجلة
زيادة عظيمة واشتغل الناس باصلاح سكر القورج وخافوا فبلغت الزيادة قريبا من الزيادة
الاولى ثم نقص الماء واستبشر الناس

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة)

*(ذكر ملك جلال الدين تفليس)*

ليعلم الافاضل أني جاورته على
البريد قريبا من سنتين فلا
والله ان ثقفته الاحداق
به في المسجد الجامع الا يوما
واحدا كبيضة العقر * أو
كقضة البكر * فما أدري
أخطأت به خطاه * أم اجتلاه
عذر تخوف عقباه *
ويعاد بنا حديث الصلاة
فقال ممازحا وماصدقك
الامازح أو سكران قام
بعضهم وهو يسعى يوم
جمعة للفرض وقد نودي
للصلاة فقال له صاحبه
مكانك ان أربعة من خير

في هذه السنة ثامن ربيع الاول فتح جلال الدين بن خوارزمشاه مدينة تفليس من الكرج
وسبب ذلك انا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة الحرب بينه وبينهم وانهزامهم منه
وعوده الى تبريز بسبب الخلاف الواقع فيها فلما استقر الامر في اذربيجان عاد الى بلاد الكرج في
ذي الحجة من السنة وخرجت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ودخلت هذه السنة فقصد بلادهم
وقد عادوا واحتشدوا وجمعوا من الامم المجاورة لهم اللان والكز وقفجاق وغيرهم فاجتمعوا في
جمع كثير لا يحصى فطمعوا بذلك ومنتهم أنفسهم الاباطيل ووعدهم الشيطان الظفر وما يعدهم
الشيطان الا غرورا فلقيهم وجعل لهم الكمين في عدة مواضع والتقوا واقتتلوا فولى الكرج
منهزمين لا يلوي الاخ على أخيه ولا الوالد على ولده وكل منهم قد اهمته نفسه وأخذتهم سيوف
المسلمين من كل جانب فلم ينج منهم الا اليسير الشاذ الذي لا يعبأ به وأمر جلال الدين عسكره ان
لا يبقوا على أحد وان يقتلوا من وجدوا فتبعوا المنهزمين يقتلونهم واشار عليه اصحابه بقصد
تفليس دار ملكهم فقال لا حاجة لنا الى ان نقتل رجالنا تحت الاسوار انما اذا أفنيت الكرج
أخذت البلاد صفوا عفوا ولم تزل العساكر تتبعهم وتستقصي في طلبهم الى ان كادوا يفنونهم
فحينئذ قصد تفليس ونزل بالقرب منها وسار في بعض الايام في طائفة من العسكر وقصدها لينظر
اليها ويبصر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها فلما قاربها كمن أكثر العسكر الذي معه في
عدة مواضع ثم تقدم اليها في نحو ثلاثة آلاف فارس فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه
لقلة من معه ولم يعلموا اما معهم فظهروا اليه فقاتلوه فتأخر عنهم فقوي طمعهم فظنوه منهزما
فتبعوه فلما توسطوا العساكر خرجوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم وانهزم الباقون
الى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون فلما وصلوا اليها نادى المسلمون من اهلها بشعار الاسلام
وباسم جلال الدين فالقى الكرج بايديهم واستسلموا لانهم كانوا قد قتل رجالهم في الوقعات
المذكورة فقل عددهم وملئت قلوبهم خوفا ورعبا فملك المسلمون البلد عنوة وقهرا بغير امان
وقتل كل من فيه من الكرج ولم يبق على كبير ولا صغير الا من أذعن بالاسلام وأقر بكلمتي
الشهادة فانهم أبقى عليهم وامرهم فختنوا وتركهم ونهب المسلمون الاموال وسبوا النساء
واسترقوا الاولاد ووصل الى المسلمين الذين بها بعض الاذى من قتل ونهب وغيره وهذه تفليس من
احصن البلاد وأمنعها وهي على جانبي نهر الكر وهو نهر كبير ولقد جل هذا الفتح وعظم موقعه
في بلاد الاسلام وعند المسلمين فان الكرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما أرادوا فكانوا
يقصدون أي بلاد اذربيجان أرادوا فلا يمنعهم عنها مانع ولا يدفعهم عنها دافع وهكذا
ارزن الروم حتى ان صاحبها لبس خلعة ملك الكرج ورفع على رأسه علما منه في أعلاه صليب
وتنصر ولده رغبة في نكاح ملكة الكرج وخوفا منهم ليدفع الشر عنه وقد تقدمت القصة
وهكذا دربند شروان وعظم أمرهم الى حد أن ركن الدين بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا
وملطية وسائر بلاد الروم التي للمسلمين جمع عساكره وحشد معها غيرها فاستكثر وقصد
ارزن الروم وهي لاخيه طغرل شاه بن قلج ارسلان فأتاه الكرج وهزموه وفعلوا به وبعسكره
كل عظيم وكان أهل دربند شروان معهم في الضنك والشدة وأما ارمينية فان الكرج دخلوا
مدينة ارجيش وملكوا قرس وغيرها وحصروا خلاط فلولا أن الله سبحانه منّ على المسلمين بامر

البيوت لخير من اثنين من
عمل السوق وقد كان من
طريق التجوز مساغ
للتأويل على وجه التسلم
ولكن من هذا قبيله * وترك
العبادات سبيله * فلا عبد
يعباد * ولا فرض كما يقضيه
العباد * محال به غير اليقين
بالالحاد * وتلك في أوامر
الشرع بالعناد * وأطلق
قول الغلام الواصف
مولاه انه ليعرب في الشتم
و يلحن في الاعراب ويصلي
من قعود ويثب من قيام
يتعى الى صورة حاله *

ابوا الى مقدم عساكر الكرج المملكوها فاضطر أهلها الى ان بنوا لهم بيعة فى القلعة يضرب فيها
الناقوس فرحلوا عنهم وقد تقدم تفصيل هذه الجملة ولم يزل هذا الثغر من أعظم الثغور ضررا على
المجاورين من الفرس قبل الاسلام وعلى المسلمين بعدهم من أول الاسلام الى الآن ولم يقدم أحد
عليهم هذا الاقدام ولا فعل بهم هذه الافاعيل فان الكرج ملكوا تفليس سنة خمس عشرة
وخمسمائة والسلطان حينئذ محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى وهو من أعظم السلاطين منزلة
وأوسعهم مملكة وأكثرهم عساكر فلم يقدر على منعهم عنها هذا مع سعة بلاده فانه كان له الرىّ
وأعمالها وبلاد الجبل واصفهان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان واران وارمينية
وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وغير ذلك وعمه السلطان سنجر له خراسان وماوراء النهر
فكان أكثر بلاد الاسلام بايديهم ومع هذا فانه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمائة وسار
اليهم بعد أن ملكوها فلم يقدر عليهم ثم ملك بعده أخوه السلطان مسعود كذلك وملك الدكز
بلاد الجبل والرىّ واذربيجان واران وأطاعه صاحب خلاط وصاحب فارس وصاحب
خوزستان فجمع وحشد لهم وكان قصاراه أن يتخلص منهم ثم ابنه البهلوان بعده وكانت البلاد
فى أيام أولئك كثيرة الاموال والرجال فلم يحدثوا أنفسهم بالظفر بهم ولا حتى جاء هذا السلطان
والبلاد خراب قد أضعفها الكرج أولا ثم استأصلها التتر لعنهم الله على ما ذكرنا ففعل بهم هذه
الافاعيل فسبحان من اذا أراد أمرا قال له كن فيكون

(ذكر مسير مظفر الدين صاحب اربل الى الموصل وعوده عنها)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة سار مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل الى أعمال
الموصل قاصدا اليها وكان السبب فى ذلك انه استقرت القاعدة بينه وبين جلال الدين بن
خوارزمشاه وبين الملك المعظم صاحب دمشق وبين صاحب آمد وبين ناصر الدين صاحب
ماردين ليقصدوا البلاد التى بيد الاشرف ويتغلبوا عليها ويكون لكل منهم نصيب ذكره
واستقرت القواعد بينهم على ذلك فبادر مظفر الدين الى الموصل وأما جلال الدين فانه سار من
تفليس يريد خلاط فأتاه الخبر ان نائبه ببلاد كرمان واسمه بلاق حاجب قد عصى عليه على
ما نذكره فلما أتاه الخبر بذلك ترك خلاط ولم يقصدها الا ان عسكره نهب بعض بلادها وخربوا كثيرا
منه وسار مجدا الى كرمان فانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه الا أن مظفر الدين سار من اربل
ونزل على جانب الزاب ولم يمكنه العبور الى بلد الموصل وكان بدر الدين قد أرسل من الموصل الى
الاشرف وهو بالرقة يستنجده ويطلب منه ان يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفر الدين
فسار منها الى حران ومن حران الى دنيسر فخرب بلد ماردين وأهلكه تخريبا ونهبا وأما المعظم
صاحب دمشق فانه قصد بلد حمص وحماة وأرسل الى اخيه الاشرف يقول ان رحلت عن ماردين
وحلب وأنا عن حمص وحماة وارسلت الى مظفر الدين ليرجع عن بلد الموصل فرحل الاشرف
عن ماردين وعاد كل منهم الى بلده وخربت أعمال الموصل وأعمال ماردين بهذه الحركة فانها
كانت قد أجحف بها تتابع الغلاء وطول مدته وجلاء أكثر أهلها فأتتها هذه الحادثة
فازدادت خرابا

*(ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها)*

و يأوى الى مقصورة خبثه
وضلاله * بجل أحواله
عيوب * ومعظم أفعاله
ذنوب
يصلى فيخفض أركانه
ويشهى فينصب سيقانه
يخاطب بالكاف اخوانه
ويشتم بالزاى غلمانه
ويكفت للشرا كامه
ويسحب للاثم أردانه
ومن نادرة البلد * اعتقاده
الاعتزال على وعيد الابد *
ثم لا يبقى محظورا ومحجورا
ولا يستبقى عملا موزورا
* ومنكرا من القول وزورا

في هذه السنة في جمادى الآخرة وصل الخبر الى جلال الدين ان نائبه بكرمان وهو امير كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع في البلاد أن يملكها ويستبد بها لبعد جلال الدين عنها واشتغاله بما ذكرناه من الكرج وغيرهم وانه أرسل الى التتر يعرفهم قوة جلال الدين وملكه كثيرا من البلاد وان أخذ الباقي عظمت مملكته وكثرت عساكره وسار اليكم وأخذ ما بايديكم من البلاد فلما سمع جلال الدين ذلك وكان قد سار يريد خلاط فتركها وسار الى كرمان يطوى المراحل أرسل بين يديه رسولا الى صاحب كرمان ومعه الخلع ليطمئن ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعد للامتناع منه فلما وصل الرسول علم ان ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته فأخذ ما يعز عليه وصعد الى قلعة منيعة فتحصن بها وجعل من يثق اليه من أصحابه في الحصون يمتنعون بها وأرسل الى جلال الدين يقول انى أنا العبد والمملوك ولما سمعت بمسيرك الى هذه البلاد أخليتها لك لانها بلادك ولو علمت انك تبقى على لحضرت بابك ولكنى أخاف هذا جميعه والرسول يحلف له ان جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت الى قوله فعاد الرسول فعلم جلال الدين انه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون لانه يحتاج أن يحصرها مدة طويلة فوقف بالقرب من اصفهان وأرسل اليه الخلع وأقره على ولايته فبينما الرسل تتردد اذ وصل رسول من وزير جلال الدين اليه من تفليس يعرفه ان عسكر الملك الاشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحثه على العود الى تفليس فعاد اليها مسرعا

*(ذكر الحرب بين عسكر الاشرف وعسكر جلال الدين)*

لما سار جلال الدين الى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكرا مع وزيره شرف الملك فقلت عليهم الميرة فساروا الى أعمال ارزن الروم فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النساء وأخذوا من الغنائم شيأ كثيرا لا يحصر وعادوا فكان طريقهم على أطراف ولاية خلاط فسمع النائب من الاشرف بخلاط وهو الحاجب حسام الدين على الموصلي فجمع العسكر وسار اليهم فأوقع بهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وغنم كثيرا مما معهم وعاد هو وعساكره سالمين فلما فعل ذلك خاف وزير جلال الدين منهم فارسل الى صاحبه بكرمان يعرفه الحال ويحثه على الوصول اليه ويخوفه عاقبة التوانى والاهمال فرجع فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بامر الله)*

في هذه السنة في الرابع عشر من رجب توفى الامام الظاهر بامر الله أمير المؤمنين أبو نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بامر الله وقد تقدم نسبه عند وفاة أبيه رضى الله عنهما فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربه والعدل والاحسان الى رعيته وقد تقدم عند ذكر ولايته الخلافة من أفعاله ما فيه كفاية ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والاحسان الى الرعية فرضى الله عنه وأرضاه وأحسن منقلبه ومثواه فلقد جدد من العدل ما كان دارسا وأذكر من الاحسان ما كان منسيا وكان قبل وفاته أخرج توقيعا الى الوزير بخطه على أرباب الدولة وقال الرسول أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم أو نفذ مثال ثم لا يبين له أثر بل أنتم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال فقرؤه فاذا في أوله بعد البسملة اعلموا انه ليس امهالنا اهمالا

هاهو طمع يشهدى في مال رجل كان انقطاعه اليه منذ زمان بأمان فاغرى به ربيباله كفه بيمن الآس مياس * اهله فتمكه كان بأمه اذ هو رضيع * وعلى جدالة العز صريع * ولقنه استهداء الامير الاجل أبي سعد مسعود زين الدولة وأمين الدولة عليه * وتحيز الامر في معنى الاتصاف اليه * فتنبه ذلك الامير الالمعى * والسيد اللوذعى * على غامض كيده * وباطن خدله في صدره * فأمر بالكتاب

ولا

ولا آغضاؤنا اغفالا ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا وقد عفونا لكم ما سلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة وتسميه الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدرا كالاغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب أسد مهيب تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه الى هواكم وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا وبفقركم غنى وبباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ولا يؤاخذ الا من اصر ولا ينتقم الا ممن استمر يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في ارضه وامنائه على خلقه والا هلكتم والسلام ولما توفي وجدوا في بيت في دار الرف رقاع كلها مختومة لم يفتحها فقيل له ليفتحها فقال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات ولم ازل علم الله سبحانه مذ ولي الخلافة اخاف عليه قصر المدة لخبث الزمان وفساد اهله واقول لكثير من اصدقائنا وما اخوفني ان تقصر مدة خلافته لان زماننا واهله لا يستحقون خلافته فكان كذلك

*(ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله)*

لما توفي الظاهر بامر الله بويع بالخلافة ابنه الاكبر ابو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله وسلك في الخير والاحسان الى الناس سيرة ابيه رضي الله عنه وامر فنودي ببغداد بافاضة العدل وان من كان له حاجة أو مظلمة يطالع بها تقضى حاجته وتكشف مظلمته فلما كان اول جمعة اتت على خلافته أراد ان يصلي الجمعة في المقصورة التي كان يصلي فيها الخلفاء فقيل له ان المطبق الذي يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه فركب فرسا وسار الى الجامع جامع القصر ظاهرا يراه الناس بقميص ابيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير ولم يترك أحدا يمشي معه من اصحابه بالصلاة الى الموضع الذي كان يصلي فيه وسار هو ومعه خادمان وركابدار لا غير فصلى وعاد وكذلك الجمعة الثانية حتى اصلح له المطبق وكان السعر قد تحرك بعد وفاة الظاهر بامر الله رضي الله عنه فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطا فامر أن تباع الغلات التي له كل كارة بثلاثة عشر قيراطا فرخصت الاسعار واستقامت الامور

*(ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد)*

في هذه السنة في شعبان سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ملك بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود صاحب آمد وملك عدة من حصونه وسبب ذلك ما ذكرناه من اتفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق وغيرهما على خلاف الاشرف فلما رأى الاشرف ذلك ارسل الى كيقباذ ملك الروم وكانا متفقين يطلب منه أن يقصد بلد صاحب آمد ويحاربه وكان الاشرف حينئذ على ماردين فسار ملك الروم الى ملطية وهي له فنزل عندها وسير العساكر الى ولاية صاحب آمد ففتحوا حصن منصور وحصن شمكاراد وغيرها فلما رأى صاحب آمد ذلك راسل الاشرف وعاد الى موافقته فأرسل الاشرف الى كيقباذ يعرفه ذلك ويقول له ليعيد الى صاحب آمد ما اخذ منه فلم يفعل وقال لم اكن نائبا للاشرف

الى في تعرف الحال * وتجنب جانب الاحتيال * والانتداب لاعداء الشاكي على خصمه * وايفائه حكم الله في أمه * فلما أحس أخو دولة المحتالة ان حمقه قد فال * وظنه استحال * وسعيه الى الثبور قد مال منع شهود الزور أن يصدعوا بالحق فيما بدلوا من خطوطهم ترغيبا * وترهيبا * فرضوا القول * وادعوا على مسئلتهم العول * ومال المزور والمزور الى التوسط عن ارش المستباح دمها على مائتى

يأمرنى و ينهانى فاتفق ان الاشرف سار الى دمشق ليصلح اخاه الملك المعظم وأمر العساكر التى له بديار الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان أصر ملك الروم على قصده فسارت عساكر الاشرف الى صاحب آمد وقد جمع عسكره ومن ببلاده ممن يصلح للحرب وسار الى عسكر ملك الروم وهم يحاصرون قلعة الكختا فالتقوا هنالك فى شوال فانهزم صاحب آمد ومن معه من العساكر هزيمة عظيمة وجرح كثير وأسر كثير وملك عسكر كيقباذ قلعة الكختا بعد الهزيمة وهى من أمنع الحصون والمعاقل فلما ملكوه عادوا الى صاحبهم

## (ذكر حصر جلال الدين مدينتى آنى وقرس)

فى هذه السنة فى رمضان عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه الى تفليس وسار منها الى مدينة آنى وهى للكرج وبها ايوانى مقدم عساكر الكرج فيمن بقى معه من اعيان الكرج فحصره وسير طائفة من العسكر الى مدينة قرس وهى للكرج أيضا وكلاهما من احصن البلاد وامنعها فنازلهما وحصرهما وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق وجد فى القتال عليهما وحفظتهما الكرج وبالغوا فى الحفظ والاحتياط لخوفهم منه أن يفعل بهم ما فعل باشياعهم من قبل بمدينة تفليس وأقام عليهما الى أن مضى بعض شوال ثم ترك العسكر عليهما يحصرونهما وعاد الى تفليس وسار من تفليس مجدا الى بلاد ابخاز و بقايا الكرج فأوقع بمن فيها فنهب وقتل وسبى وخرب البلاد وأحرقها وغنم عساكره ما فيها وعاد منها الى تفليس

## *(ذكر حصر جلال الدين خلاط)*

قد ذكرنا ان جلال الدين عاد من مدينة آنى الى تفليس ودخل بلاد ابخاز وكان رحيله مكيدة لانه بلغه ان النائب عن الملك الاشرف وهو الحاجب حسام الدين على بمدينة خلاط قد احتاط واهتم بالامر وحفظ البلاد لقربه منه فعاد الى تفليس ليطمئن أهل خلاط وتركوا الاحتياط والاستظهار ثم يقصدهم بغتة فكانت غيبته ببلاد ابخاز عشرة أيام وعاد وسار مجدا على عادته فلولم يكن عنده من يراسل نواب الاشرف بالاخبار لفجئهم على حين غفلة منهم وانما كان عنده بعض ثقاته يعرفهم أخباره وكتب اليهم يحذرهم فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ووصل جلال الدين فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة ثم رحل عنها فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين خامس عشره فلم ينزل حتى زحف اليها وقاتل اهلها قتالا شديدا فوصل عسكره سور البلد وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم زحف اليها مرة ثانية وقاتل أهل البلد قتالا عظيما فعظمت نكاية العسكر فى أهل خلاط و وصلوا الى سور البلد ودخلوا الربض الذى له ومدوا أيديهم فى النهب وسبى الحريم فلما رأى أهل خلاط ذلك تذامروا وحرض بعضهم بعضا فعادوا الى العسكر فقاتلوهم فأخرجوهم من البلد وقتل بينهم خلق كثير وأسر العسكر الخوارزمى من امراء خلاط جماعة وقتل منهم كثير وترجل الحاجب على ووقف فى نحر العدو وابلى بلاء عظيما ثم ان جلال الدين استراح عدة أيام وعاود الزحف مثل اول يوم فقاتلوه حتى أبعدوا عسكره عن البلد وكان أهل خلاط مجدين فى القتال حريصين على المنع عن أنفسهم لما رأوا من سوء سيرة الخوارزميين ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ثم أقام عليها الى أن اشتد البرد ونزل شئ من الثلج فرحل عنها يوم الثلاثاء

درهم قيمتها خمسة دنانير* فلم أدر أية حيلة وقفت بأن ديات الامهات على هذين العقدين* فما فى الاسلام له ذكر معلوم * ولا فى الفقه باب مرقوم* ولا عند أهل الكتاب أمر محتوم ولا فى ديار أهل الشرك رسم مرسوم * ولا فى فطر النفوس أن تنزل عن أمهاتها مقتولة بهذا الوكس * والثمن البخس ولا الخنانيص أو القرود لو نطقت ترضى عن واضعاتها بمثله وكم قد قلت وأقول

لسبع بقين من ذى الحجة من السنة وكان سبب رحيله مع خوف الثلج ما بلغه عن التركمان الايوائية من الفساد بالبلاد

*(ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوائية)*

كان التركمان الايوائية قد تغلبوا على مدينة اشنو وأرمية من نواحى اذربيجان وأخذوا الخراج من أهل خوى ليكفوا عنهم واغتروا باشتغال جلال الدين بالكرج وبعده عنهم بخلاط وازداد طمعهم وانبسطوا باذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق والاخبار تأتى الى خوارزمشاه جلال الدين وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بما هو أهم عنده وبلغ من طمعهم انهم قطعوا الطريق بالقرب من تبريز وأخذوا من تجارأهلها شيأ كثيرا ومن جملة ذلك انهم اشتروا غنما من ارزن الروم وقصدوا بها تبريز فلقيهم الايوائية قبل وصولهم الى تبريز فأخذوا جميع ما معهم ومن جملته عشرون ألف رأس غنم فلما اشتد ذلك على الناس وعظم الشر أرسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل ونوابه فى البلاد اليه يستغيثون ويعرفونه ان البلاد قد خربها الايوائية وان لم يلحقها والا هلكت بالمرة فاتفق هذا الى خوف الثلج فرحل عن خلاط وجد السير الى الايوائية وهم آمنون مطمئنون لعلمهم ان خوارزمشاه على خلاط وظنوا انه لا يفارقها فلولا هذا الاعتقاد لصعدوا الى جبال لهم منيعة شاهقة لا يرتقى اليها الا بمشقة وعناء فانهم كانوا اذا خافوا صعدوا اليها وامتنعوا بها فلم يرعهم الا والعساكر الجلالية قد أحاطت بهم وأخذهم السيف من كل جانب فأكثروا القتل فيهم والنهب والسبى واسترقوا الحريم والاولاد وأخذوا من عندهم مالا يدخل تحت الحصر فرأوا كثيرا من الامتعة التى أخذوها من التجار بحالها فى الشذوات لم تحل هذا سوى ما كانوا قد حلوه وفصلوه فلما فرغ عاد الى تبريز

*(ذكر الصلح بين المعظم والاشرف)*

نبتدى بذكر سبب الاختلاف فنقول لما توفى الملك العادل أبو بكر بن أيوب اتفق أولاده الملوك بعده اتفاقا حسنا وهم الملك الكامل محمد صاحب مصر والملك المعظم عيسى صاحب دمشق والبيت المقدس وما يجاورها من البلاد والملك الاشرف موسى وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصرية ولما رحل الكامل عن دمياط لما كان الفرنج يحصرونها ساء دفعه أخوه المعظم من الغد وقويت نفسه وثبت قدمه ولولا ذلك لكان الامر عظيما وقد ذكرنا ذلك مفصلا ثم انه عاد من مصر وسار الى أخيه الاشرف ببلاد الجزيرة مرتين يستنجده على الفرنج ويحثه على مساعدة أخيه الكامل ولم يزل به حتى أخذه وسار الى مصر وأزالوا الفرنج عن الديار المصرية كما ذكرناه قبل فكان اتفاقهم سببا لحفظ بلاد الاسلام وسر الناس أجمعون بذلك فلما فارق الفرنج مصر وعاد كل من الملوك أولاد العادل الى بلده بقوا كذلك يسيرا ثم سار الاشرف الى أخيه الكامل بمصر فاجتاز بأخيه المعظم بدمشق فلم يستصحبه معه وأطال المقام بمصر فلا شك ان المعظم سار الى مدينة حماة وحصرها فأرسل اليه أخواه من مصر ورحلاه عنها كارها فازداد نفورا وقيل انه نقل اليه عنهما انهما اتفقا عليه والله أعلم بذلك ثم انضاف الى ذلك ان الخليفة الناصر لدين الله رضى الله عنه كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن من الاستهانة بأمير الحاج العراقى فأعرض

انها ليست دية تؤدية أو ذمه * بل هى دية نسمة مسلمه * قد حقن الله دمها الا باحدى ثلاث نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يستجيز الترخص فى هذه الاحكام الا المستخف بدين الاسلام * اما ان المحكوم عليه لم يلتزمها الا بقره قومت مائة وعشره * فقتال المفجوع * المخدوع * تالله لا رضيت بهذا الغبن ولا شربت الدم الحرام باللبن * وهم بالرحيل * فى أمر القتيل فاغتيل * فلم يدر

عنه وعن أخيه الاشرف لاتفاقهما وقاطعهما وراسل مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل لعلمه بانحرافه عن الاشرف واستماله واتفقا على مراسلة المعظم وتعظيم الامر عليه فمال اليهما وانحرف عن اخويه ثم اتفق ظهور جلال الدين وكثرة ملكه فاشتد الامر على الاشرف بمجاورة جلال الدين خوارزمشاه ولاية خلاط ولان المعظم بدمشق يمنع عنه عساكر مصر أن تصل اليه وكذلك عساكر حلب وغيرهما من الشام فرأى الاشرف أن يسير الى أخيه المعظم بدمشق فسار اليه في شوال واستماله وأصلحه فلما سمع الكامل بذلك عظم عليه وظن ان اتفاقهما عليه ثم انهما راسلاه واعلماه بنزول جلال الدين على خلاط وعظما الامر عليه واعلماه ان هذه الحال تقتضي الاتفاق لعمارة البيت العادلي وانقضت السنة والاشرف بدمشق والناس على مواضعهم ينتظرون خروج الشتاء مايكون من الخوارزميين وسنذكر مايكون سنة أربع وعشرين وستمائة ان شاء الله تعالى

## ذكر الفتنة بين الفرنج والارمن

في هذه السنة جمع البرنس الفرنجي صاحب انطاكية جموعا كثيرة وقصد الارمن الذين في الدروب من بلاد ابن ليون فكان بينهم حروب شديدة وسبب ذلك ان ابن ليون الارمني صاحب الدروب توفي قبل ولم يخلف ولدا ذكرا انما خلف بنتا فملكها الارمن عليهم ثم علموا ان الملك لايقوم بامرأة فزوجوها من ولد البرنس فتزوجها وانتقل الى بلادهم واستقر في الملك نحو سنة ثم ندموا على ذلك وخافوا أن يستولي الفرنج على بلادهم فثاروا بابن البرنس فقبضوا عليه وسجنوه فأرسل ابوه يطلب ان يطلق ويعاد في الملك فلم يفعلوا فأرسل الى بابا ملك الفرنج برومية الكبرى يستأذنه في قصد بلادهم وهذا ملك رومية امره عند الفرنج لايخالف فمنعه عنهم وقال انهم اهل ملتنا ولايجوز قصد بلادهم فخالفه وارسل الى علاء الدين كيقباذ ملك قونية وملطية وما بينهما من بلاد المسلمين وصالحه ووافقه على قصد بلاد ابن ليون والاتفاق على قصدها فاتفقا على ذلك وجمع البرنس عساكره ليسير الى بلاد الارمن فخالف عليه الداوية والاسبتار وهما جمرة الفرنج فقالوا ان ملك رومية نهانا عن ذلك الا انه اطاعه غيرهم فدخل اطراف بلاد الارمن وهي مضايق وجبال وعرة فلم يتمكن من فعل مايريد واما كيقباذ فانه قصد بلاد الارمن من جهته وهي اسهل مدخلا من جهة الشام فدخلها سنة اثنتين وعشرين وستمائة فنهبها واحرقها وحصر عدة حصون ففتح اربعة حصون وادركه الشتاء فعاد عنها فلما سمع بابا ملك الفرنج برومية ارسل الى الفرنج بالشام يعلمهم انه قد حرم البرنس فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرنج لايحضرون معه ولايسمعون قوله وكان اهل بلاده وهي انطاكية وطرابلس اذا جاءهم عيد يخرج من عندهم فاذا فرغوا من عيدهم دخل البلد ثم انه أرسل الى ملك رومية يشكو من الارمن وانهم لم يطلقوا ولده فأرسل الى الارمن يأمرهم باطلاق ابنه واعادته الى الملك فان فعلوا والا فقد أذن له في قصد بلادهم فلما بلغتهم الرسالة لم يطلقوا ولده فجمع البرنس وقصد بلاد الارمن فأرسل الارمن الى الاتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لانها تجاور أعمال حلب فأمدهم بجند وسلاح فلما سمع البرنس ذلك صمم العزم على قصد بلادهم فسار اليهم وجاد بهم فلم يحصل على غرض

أأكلته النار أم شربه الماء * أو التقطته الارض أو اختطفته السماء * فلله هما ذهبا بطرا * من دمين وبخصين * فقد اغتاله الدين وسعرا * هذا والله الدين السليم أو العقد الحكيم * والامر القويم * والسمت المستقيم * والمبالاة بما وراء الجحيم * ومما يزيده أدام الله عز المشايخ نضوحا * ويفيد من هذه المقدمات وضوحا * ما كانت الاخبار تتشاهد به من استهلاكه عند الاشفاق من لواحق

فعاد

فعاد عنهم حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها وسألت
غيره فعرف البعض وانكر البعض

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة انخسف القمر مرتين أولاهما ليلة رابع عشر صفر وفيها كانت أعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة شديدة الحرارة تسميها الناس عين ميمون ويخرج مع الماء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع والخريف لانها تنفع من الامراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء ففي هذه السنة برد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات فقتلت كثيرا لقد بلغني ان ذئبا دخل الموصل فقتل فيها (وحدثني) صديق لنا له بستان بظاهر الموصل انه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستمائة جميع الصيف حيتين وقتل هذه السنة الى أول حزيران سبع حيات لكثرتها وفيها انقطع المطر بالموصل وأكثر البلاد الجزرية من خامس شباط الى ثاني عشر نيسان ولم يجر شئ يعتد به لكنه سقط اليسير منه في بعض القرى فجاءت الغلات قليلة ثم خرج الجراد الكثير فازدادت الناس اذى وكانت الاسعار قد صلحت شيأ فعادت لكثرة الجراد غلت ونزل أيضا في كثير من القرى برد كبير أهلك زروع أهلها وأفسدها واختلفت أقاويل الناس في اكبره كان وزن بردة مائتي درهم وقيل رطل وقيل غير ذلك الا انه أهلك كثيرا من الحيوان وانقضت هذه السنة والغلاء باق واشتد بالموصل وفيها اصطاد صديق لنا أرنب فرأوا له انثيين وذكر وفرج انثى فلما شقوا بطنها رأوا فيها خرنقين سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا ما زلنا نسمع ان الارنب يكون سنة ذكرا وسنة أنثى ولا نصدق بذلك فلما رأينا هذا علمنا انه قد حمل وهو أنثى وانقضت السنة فصار ذكرا فان كان كذلك فيكون في الارانب كالخنثى من بني آدم يكون لاحدهم فرج الرجل وفرج الانثى فاني كنت بالجزيرة ولنا جارة لها بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة واذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيتها فكان لها فرج امرأة وذكر رجل وفيها ذبح انسان عندنا رأس غنم فوجد لحمه مرا شديد المرارة حتى رأسه واكارعه ومعلاقه وجميع اجزائه وهذا ما لم يسمع بمثله وفيها يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة ضحوة النهار زلزلت الارض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية وكان اكثرها بشهرزور فانها خرب أكثرها لاسيما القلعة فانها اجحفت بها وخرب من تلك الناحية ست قلاع وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفا وثلاثين يوما ثم كشفها الله عنهم واما القرى بتلك الناحية فخرب اكثرها وفيها في رجب توفي القاضي حجة الدين ابو منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري قاضي الموصل بها وكان قد اضر قبل وفاته بنحو سنتين وكان عالما بالقضاء عفيفا نزها ذا رياسة كبيرة وله صلات دارة للمقيم والوارد رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا ولم يخلف غير بنت توفيت بعده بثلاثة أشهر

## ﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة﴾

## ﴿ذكر دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها﴾

جناياته على سلطان زمانه * ورعايا عمله وسكانه * حبس ما نسب اليه من ضياع * وعقار ورباع * ودار ليقناهب ذكره الاسماع * وبقي قاصرا دونه الاطماع * حتى اذا ما خلا جوه * واستقام على ايقاع المراد شدوه * ندم على ما فعل * ورجع فيما بذل * وفصل بالفسخ كل ما اجمل * فكان هذا البلاغ يقرب تارة من الامكان * ويبعد أخرى حتى أغنى شخص العيان * عن الخبر * ونابت شمس البيان * عن القمر *

في هذه السنة في ربيع الاول وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن بها من العسكر الاسلامي من يقوم بحمايتها وسبب ذلك ان جلال الدين لما عاد من خلاط كما ذكرناه قبل وأوقع بالايوانية فرق عساكره الى المواضع الحارة الكثيرة المرعى ليشتوا بها وكان عسكره قد أساؤا السيرة في رعية تفليس وهم مسلمون وعسفوهم فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد فاغتنم الكرج ذلك لميل أهل البلد اليهم وخلوه من العسكر فاجتمعوا وكانوا بمدينتي قرس وآني وغيرهما من الحصون وساروا الى تفليس وكانت خالية كما ذكرناه ولان جلال الدين استضعف الكرج لكثرة من قتل منهم ولم يظن فيهم حركة فملكوا البلد ووضعوا السيف فيمن بقي من أهله وعلموا انهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين فأحرقوها جميعها وأما جلال الدين فانه لما بلغه الخبر سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم فلم ير منهم أحدا كانوا قد فارقوا تفليس لما أحرقوها

(ذكر نهب جلال الدين بلد الاسماعيلية)

في هذه السنة قتل الاسماعيلية أميرا كبيرا من امراء جلال الدين وكان قد أقطعه جلال الدين مدينة كنجة وأعمالها وكان نعم الامير كثير الخير حسن السيرة يشكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشر فلما قتل ذلك الامير عظم قتله على جلال الدين واشتد عليه فسار في عساكره الى بلاد الاسماعيلية من حدود ألموت الى كردكوه بخراسان فخرب الجميع وقتل أهلها ونهب الاموال وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم وطمعهم مذ خرج التتر الى بلاد الاسلام الى الآن فكف عاديتهم وقمعهم ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين

(ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

لما فرغ جلال الدين من الاسماعيلية بلغه الخبر أن طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينهم فانهزموا منه فأوسعهم قتلا وتبع المنهزمين عدة أيام يقتل و يأسر فبينما هو كذلك قد أقام بنواحي الري خوفا من جمع آخر للتتر اذ أتاه الخبر بان كثيرا منهم واصلون اليه فأقام ينتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستمائة

(ذكر دخول العساكر الاشرفية الى اذربيجان وملك بعضها)

في هذه السنة في شعبان سار الحاجب علي حسام الدين وهو النائب عن الملك الاشرف بخلاط والمقدم على عساكرها الى بلاد اذربيجان فيمن عنده من العساكر وسبب ذلك ان سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة في الرعايا وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقي وهي التي كانت زوجة أوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان فتزوجها جلال الدين كما ذكرناه قبل وكانت مع أوزبك تحكم في البلاد جميعها ليس له ولا لغيره معها حكم فلما تزوجها جلال الدين أهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما حرمته من الحكم والامر والنهي فأرسلت هي وأهل خوى الى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلموا البلاد له فسار ودخل البلاد بلاد اذربيجان فملك مدينة خوى وما يجاورها من الحصون التي بيد امرأة جلال الدين وملك مرند

وذلك حين بعث السلطان يمين الدولة وأمين الملة قاضي قضاته أبا محمد عبد الله بن محمد الناصحي الى ديار خراسان لتدارك أمور الاوقاف * وانتزاع ما اقتسمته أيدي التسلط والاختطاف * فرفع اليه خليفته وأنا حاضر * والى حقائق ما يرد و يصدر ناظر * ما تقرر عنده من احتجانه ما يقارب مائة ألف دينار عن أوقاف وضع عليها سمت الهلاك وسومة التغلب والتحجن كاعمانيها أفواه أربابها

وكانت أهل مدينة نقجوان قد فضى اليهم فسلموها اليه وقويت شوكتهم بتلك البلاد ولولا موا
الملكوها جميعها ثم عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل
الى خلاط وسنذكر باقي خبرهم سنة خمس وعشرين ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده)

في هذه السنة توفي الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق يوم
الجمعة سلخ ذي القعدة وكان مرضه دوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده
الملك العادل عشر سنين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان عالما بعدة علوم فاضلا فيها منها
الفقه على مذهب أبي حنيفة فانه كان قد اشتغل به كثيرا وصار من المتميزين فيه ومنها علم النحو
فانه اشتغل به أيضا اشتغالا زائدا وصار فيه فاضلا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد أمر أن يجمع
له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهري ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب
للازهري والجمهرة لابن دريد وغيرهما وكذلك أيضا أمر بان يرتب مسند أحمد بن حنبل على
الابواب ويرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه مثاله أن يجمع أحاديث الطهارة
وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات فيكون كتابا جامعا وكان قد
سمع المسند من بعض أصحاب ابن الحصين ونفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق
فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم
وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن
الاعتقاد يقول كثيرا ان اعتقادي في الاصول ما سطره أبو جعفر الطحاوي ووصى عند
موته بان يكفن في البياض ولا يجعل في أكفانه ثوب فيه ذهب وأن يدفن في اللحد ولا يبنى
عليه بناء بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء ويقول في مرضه لي عند الله تعالى في أمر
دمياط ما أرجو أن يرحمني به ولما توفي ولي بعده ابنه داود ويلقب الملك الناصر وكان عمره
قد قارب عشرين سنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة دام الغلاء في ديار الجزيرة ودامت الاسعار تزيد قليلا وتنقص قليلا وانقطع المطر
جميع شباط وعشرة أيام من أذار فازداد الغلاء فبلغت الحنطة كل مكوكين بالموصلي بدينار
وقيراطين بالموصل والشعير كل ثلاثة مكاكيك بالموصلي بدينار وقيراطين أيضا وكل شيء بهذه
النسبة في الغلاء وفيها في الربيع قل لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتى بيع كل رطل لحم
بالبغدادي بحبتين بالصنجة وربما زاد في بعض الايام على هذا الثمن وحكى لي من يتولى بيع
الغنم بالموصل انهم باعوا خروفا واحدا الاغنيرو في بعضها خمسة أرؤس وفي بعضها ستة وأقل
وأكثر وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رأينا في جميع أعمارنا ولا حكي لنا مثله لان الربيع مظنة رخص
اللحم لان التركمان والاكراد والكيلكان ينتقلون من الامكنة التي شتوا بها الى الزوزان
فيبيعون الغنم رخيصا وكان اللحم كل سنة في هذا الفصل يكون سعره كل ستة أرطال وسبعة
بقيراط صار هذه السنة الرطل بحبتين وفيها عاشر أذار وهو العشرون من ربيع الاول سقط
الثلج مرتين وهذا غريب جدا لم يسمع بمثله فأهلك الازهار التي خرجت كزهر اللوز والمشمش

دون التظلم بوعده دونه
وفراق السراب * ووعيد
عنده فراق الرقاب * حتى
درج عليها قرن بعد قرن
آيسين عن الانتصاف *
وخلف من بعدهم خلف
قانعين من دونه بالكفاف *
فأوحى القاضي اليه بانعام
الاستقصاء على حكم أمانة
القضاء * فقام فيه وقعد *
وأبرق وأرعد * وانتزع مالا
عظيما من تحت أضراسه *
وحذره الافتضاح أن
تعرض لمراسه * وكان
قصاراه ان سكن وسكت *

والاجاص والسفرجل وغيرها ووصلت الاخبار من العراق جميعه بمثل ذلك فهلكت به ازهار الثمار ايضا وهذا أعجب من حال ديار الجزيرة والشام فانه أشد حرا من جميعها وفيها اظفر جمع من التركمان كانوا باطراف أعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بانطاكية فقتلوه فعلم الداوية بذلك فساروا وكبسوا التركمان فقتلوا منهم وأسروا وغنموا من أموالهم فبلغ الى اتابك شهاب الدين المتولى لامور حلب فراسل الفرنج وتهددهم بقصد بلادهم واتفق ان عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية أيضا فاذعنوا بالصلح وردوا الى التركمان كثيرا من أموالهم وحريمهم وأسراهم وفيها فى رجب اجتمع طائفة كثيرة من ديار بكر وارادوا الاغارة على جزيرة ابن عمر وكان صاحب الجزيرة قد قتل فلما قصدوا بلد الجزيرة اجتمع أهل قرية كبيرة من بلد الجزيرة اسمها اسلكون ولقوهم من ضحوة النهار الى العصر وطال القتال بينهم ثم حمل أهل القرية على الاكراد فهزموهم وقتلوا فيهم ونهبوا ما معهم وعادوا سالمين

## (ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة)

### (ذكر الخلاف بين جلال الدين وأخيه)

فى هذه السنة خالف غياث الدين بن خوارزمشاه وهو أخو جلال الدين من أبيه أخاه وخافه معه جماعة من الامراء واستشعروا منه وأرادوا الخلاص منه فلم يتمكنوا من ذلك الى أن خرجت التتر واشتغل بهم جلال الدين فهرب غياث الدين ومن معه وقصدوا خوزستان وهى من بلاد الخليفة فلم يمكنهم النائب بها من الدخول الى البلد خوفا أن تكون هذه مكيدة فبقى هناك فلما طال عليه الامر فارق خوزستان وقصد بلاد الاسماعيلية فوصل اليهم واحتمى بهم واستجار بهم وكان جلال الدين قد فرغ من أمر التتر وعاد الى تبريز فاتاه الخبر وهو بالميدان يلعب بالكرة ان أخاه قد قصد اصفهان فالقى الجوكان من يده وسار مجدا فسمع ان أخاه قد قصد الاسماعيلية ملتجئا اليهم ولم يقصد اصفهان فعاد الى بلاد الاسماعيلية لينهب بلادهم ان لم يسلموا اليه أخاه وأرسل يطلبه من مقدم الاسماعيلية فاعاد الجواب يقول ان أخاك قد قصدنا وهو سلطان ابن سلطان ولا يجوز لنا أن نسلمه لكن نحن نتركه عندنا ولا نمكنه أن يقصد شيأ من بلادك ونسألك أن تشفعنا فيه والضمان علينا بما قلنا ومتى كان منه ما تكرهه فى بلادك فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل فيها ما تختار فاجابهم الى ذلك واستحلفهم على الوفاء بذلك وعاد عنهم وقصد خلاط على مانذكره ان شاء الله تعالى

### (ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

فى هذه السنة عاود التتر الخروج الى الرى وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة اختلف الناس علينا فى عددها كان أكثرها عليه وفى الاخير كان الظفر له وكانت فى أول حرب بينهم عجائب غريبة وكان هؤلاء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان على مقدمهم وأبعده عنه واخرجه من بلاده فقصد خراسان فرآها خرابا فقصد الرى ليتغلب على تلك النواحى والبلاد فلقيه بها جلال الدين فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم جلال الدين وعاود ثم انهزم وقصد اصفهان وأقام بينها وبين الرى وجمع عساكره ومن فى طاعته فكان فيمن أتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن اتابك سعد ملك بعد وفاة أبيه كما ذكرناه وعاد جلال الدين الى التتر فلقيهم فبينما هم مصطفون كل

وخشى اسوة أمثاله العنت * وأحضر الرجل طواغيت الشهود * وعفاريت الفسوق والمرود * وعقد بشهدهم على شهاداتهم وثائق بوقفه كل ما لك * واطلاقه على وجه الله جميع ما أمسك * يرى بما فعل ان التسمح بما تحت يده من قليل أو كثير * وزهيد وغفير * براءة عن الطمع فى مال لغيره موقوف * وعرض الى وجه القربات مصروف * فلم يتراخ الامد على هذا العقد الوثيق *

طائفة تقابل الاخرى انفرد غياث الدين أخو جلال الدين فيمن وافقه من الامراء على مفارقة جلال الدين واعتزلوا وقصدوا جهة ساروا اليها فلما رآهم التتر قد فارقوا العسكر ظنوهم يريدون أن يأتوهم من وراء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتين فانهزم التتر لهذا الظن وتبعهم صاحب بلاد فارس وأما جلال الدين فانه لما رأى مفارقة أخيه اياه ومن معه من الامراء ظن ان التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فعاد منهزما ولم يجسر يدخل اصفهان لئلا يحصروه فمضى الى سميرم وأما صاحب فارس فلما أبعد فى أثر التتر ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر فعاد عنهم وأما التتر فلما لم يروا فى آثارهم أحدا يطلبهم وقفوا ثم عادوا الى اصفهان فلم يجدوا فى طريقهم من يمنعهم فوصلوا الى اصفهان فحصروها وأهلها يظنون ان جلال الدين قد عدم فبينما هم كذلك والتتر يحصرونهم اذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرفهم سلامته ويقول انى متعوق أو يجتمع الى من سلم من العسكر واقصدكم ونتفق أنا وأنتم على ازعاج التتر وترحالهم عنكم فارسلوا اليه يستدعونه اليهم ويعدونه النصرة والخروج معه الى عدوه وفيهم شجاعة عظيمة فسار اليهم واجتمع بهم وخرج أهل اصفهان معه فقاتلوا التتر فانهزم التتر أقبح هزيمة وتبعهم جلال الدين الى الرى يقتل ويأسر فلما أبعدوا عن الرى أقام بها وأرسل اليه ابن جنكزخان يقول ان هؤلاء ليسوا من أصحابنا انما نحن ابعدناهم عنا فلما أمن جانب جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان

## (ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا)

وفى هذه السنة خرج كثير من الفرنج من بلادهم التى هى فى الغرب من صقلية وما وراءها من البلاد الى بلادهم التى بالشام عكا وصور وغيرهما من ساحل الشام فكثر جمعهم وكان قد خرج قبل هؤلاء جمع آخر أيضا الا انهم لم تمكنهم الحركة والشروع فى امر الحرب لاجل ان ملكهم الذى هو المقدم عليهم هو ملك الالمان ولقبه انبرور قيل معناه ملك الامراء ولان المعظم كان حيا وكان شهما شجاعا مقداما فلما توفى المعظم كما ذكرناه وولى بعده ابنه وملك دمشق طمع الفرنج وظهروا من عكا وصور وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب فعمروها واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين وانما تم لهم ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها تبنين وهونين وغيرهما وقد تقدم ذكر ذلك قبل مستقصى فعظمت شوكة الفرنج وقوى طمعهم واستولى فى طريقه على جزيرة قبرس وملكها وسار منها الى عكا فارتاع المسلمون لذلك والله تعالى يخذله وينصر المسلمين بمحمد وآله ثم ان ملكهم انبرور وصل الى الشام

## (ذكر ملك كيقباذ ارزنكان)

وفى هذه السنة ملك علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان وهو صاحب قونية واقصرا وملطية وغيرها من بلاد الروم ارزنكان وسبب ملكه اياها ان صاحبها بهرام شاه وكان قد طال ملكه لها وجاوز ستين سنة توفى ولم يزل فى طاعة قلج ارسلان واولاده بعده فلما توفى ملك بعده ولده علاء الدين داود شاه فارسل اليه كيقباذ يطلب منه عسكرا ليسير معه الى مدينة ارزن الروم ليحصرها ويكون هو مع العسكر ففعل ذلك وسار فى عسكره اليه فلما وصل قبض عليه واخذ

والخذلان المشبه بالتوفيق* حتى قال لى وهو يشكو الوزير شمس الكفاه * وسماعه اباطيل السعاه *ماهو الا ان احل عقود املاكى هذه على طفرة الى العراق سالباعن خراسان واهلها وقاليا قرارة البلاد* ومباءة الطارف والتلاد* منها فقلت انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه تقيته* ومالفظ به على وجه

مدينة ارزنكان منه ولهحصن من امنع الحصون اسمه كماخ وفيه مستحفظ لداودشاه فارسل اليه ملك الروم يحصره فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوه وارتفاعه وامتناعه فتهدد داود شاه ان لم يسلم كماخ فارسل الى نائبه فى التسليم فسلم القلعة الى كيقباذ واراد كيقباذ المسير الى ارزن الروم ليأخذها من صاحبها ابن عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان فلما سمع صاحبها بذلك ارسل الى الامير حسام الدين على النائب عن الملك الاشرف بخلاط يستنجده واظهر طاعة الاشرف فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر وكان قد جمعها من الشام وديار الجزيرة خوفا من ملك الروم خافوا انه اذا ملك ارزن الروم يتعدى أو يقصد خلاط فسار الحاجب حسام الدين الى ارزن الروم ومنع عنها ولما سمع كيقباذ بوصول العساكر اليها لم يقدم على قصدها فسار من ارزنكان الى بلاده وكان قد اتاه الخبران الروم الكفار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حصنا يسمى صنوب وهو من احصن القلاع مطل على البحر بحر الخزر فلما وصل الى بلاده سير العسكر اليه وحصره برا وبحرا فاستعاده من الروم وسار الى انطاكية ليشتى بها على عادته

الاستقلال وغيظ العجز * عن املاك الرجال بقيته * هذا ومن فضل سماحته * واساحة نفض راحته * أن كل من ساكنه فى حلته * على عدل يليه * أومال يجبيه * كاله ماشاء جزافا * ووزنه تبذيرا واسرافا * استخفافا بشهاداتهم له بجوده * وتفرقه حدو الكرام بوجوده * حق * اذا قضى الوطر منهم وملك بسطة الاستغناء عنهم * تتبع عليهم صبابات

## (ذكر خروج الملك الكامل)

فى هذه السنة فى شوال سار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل صاحب مصر الى الشام فوصل الى البيت المقدس حرسه الله تعالى وجعله دار الاسلام أبدا ثم سار عنه ونزل بمدينة نابلس وشحن على تلك البلاد جميعها وكانت من أعمال دمشق وهو الى الملك المعظم فخاف أن يقصده ويأخذ دمشق منه فارسل الى عمه الملك الاشرف يستنجده ويطلبه ليحضر عنده بدمشق فسار اليه جريدة فدخل دمشق فلما سمع الكامل بذلك لم يتقدم اليه لان البلد منيع وقد صار به من يمنعه ويحميه وارسل اليه الملك الاشرف يستعطفه ويعرفه انه ماجاء الى دمشق الا طاعة له وموافقة لاغراضه والاتفاق معه على منع الفرنج عن البلاد فاعاد الكامل الجواب يقول انى ماجئت الى هذه البلاد الا بسبب الفرنج فانهم لم يكن فى البلاد من يمنعهم عما يريدونه وقد عمروا صيدا وبعض قيسارية ولم يمنعوا وأنت تعلم ان عمنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضى الاعصار وممر الايام فان أخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر وقبح الاحدوثة ماينا قض ذلك الذكر الجميل الذى ادخره عمنا وأى وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى ثم انهم مايقنعون حينئذ بما أخذوه ويتعدون الى غيره وحيث قد حضرت أنت فانا اعود الى مصر واحفظ أنت البلاد ولست بالذى يقال عنى انى قاتلت أخى أو حصرته حاشى الله تعالى وتأخر عن نابلس نحو الديار المصرية ونزل تل العجول فخاف الاشرف والناس قاطبة بالشام وعلموا انه ان عاد استولى الفرنج على البيت المقدس وغيره مما يجاوره لا مانع دونه فترددت الرسل وسار الاشرف بنفسه الى الكامل أخيه فحضر عنده وكان وصوله ليلة عيد الاضحية ومنعه من العود الى مصر فاقاما بمكانهما

## (ذكر نهب جلال الدين بلاد ارمينية)

فى هذه السنة وصل جلال الدين خوارزم شاه الى بلاد خلاط وتعدى خلاط الى صحراموش وجبل جور ونهب الجميع وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وخرب القرى وعاد الى

بلاده

بلادهم ولما وصل الخبر الى البلاد الجزرية حران وسروج وغيرهما انه قد جاز خلاط الى جورد وانه قد قرب منهم خاف أهل البلاد أن يجيء اليهم لان الزمان كان شتاء وظنوا انه يقصد الجزيرة ليشتي بها لان البرد بها ليس بالشديد وعزموا على الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل بعض أهل سروج الى منبج من أرض الشام فاتاهم الخبر انه قد نهب البلاد وعاد فأقاموا وكان سبب عوده ان الثلج سقط ببلاد خلاط كثيرا لم يعهد مثله فاسرع العود

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة رخصت الاسعار بديار الجزيرة جميعها وجاءت الغلات التي لهم من الحنطة والشعير جيدا الا ان الرخص لم يبلغ الاول الذي كان قبل الغلاء انما صارت الحنطة كل خمس مكاكيك بدينار والشعير كل سبعة عشر مكوكا بالموصلي بدينار

## (ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة)

## (ذكر تسليم البيت المقدس الى الفرنج)

في هذه السنة اول ربيع الآخر تسلم الفرنج لعنهم الله البيت المقدس صلحا أعاده الله الى الاسلام سريعا وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج الانبرور ملك الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر الى ساحل الشام وكانت عساكره قد سبقته ونزلوا بالساحل وأفسدوا من يجاورهم من بلاد المسلمين ومضى اليهم وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور وأطاعوهم وصاروا معهم وقوي طمع الفرنج بموت الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق ولما وصل الانبرور الى الساحل نزل بمدينة عكا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة اخيه المعظم وهو نازل بتل العجول يريد أن يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم وهو صاحبها يومئذ وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له قد أرسل الى عمه الملك الاشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه عنه فسار الى دمشق وترددت الرسل بينه وبين أخيه الملك الكامل في الصلح فاصطلحا واتفقا وسار الملك الاشرف الى الملك الكامل واجتمع به فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الانبرور ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرت القاعدة على أن يسلموا اليه البيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده و يكون باقي البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين ولا يسلم الى الفرنج الا البيت المقدس والمواضع التي استقرت معه وكان سور البيت المقدس خرابا قد خربه الملك المعظم وقد ذكرنا ذلك وتسلم الفرنج البيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه وعوده الى المسلمين بمنه وكرمه آمين *

## (ذكر ملك الملك الاشرف مدينة دمشق)

وفي هذه السنة يوم الاثنين ثاني شعبان ملك الملك الاشرف بن الملك العادل مدينة دمشق من ابن أخيه صلاح الدين داود بن المعظم وسبب ذلك ما ذكرناه ان صاحب دمشق لما خاف من عمه الملك الكامل أرسل الى عمه الاشرف يستنجده ويستعين به على دفع الكامل فسار اليه من

القدور * وخلالات الثغور * وقامات الاطراف * وصواحات الاصواف * وجعل المطعوم في زنة الذهب المصون * والمشروب في قيمة الجوهر المخزون * والدرهم الواحد قنطارا * وحديثا في دواوين الشرق مطارا * سحابة من خست أرومته * ورست على دمنة اللؤم جرثومته * فصدر عنه العامل * والجاور والآمل * مغبونا مدة مقامه موضوعا * وشرابه في طعامه مقرّوعا *

البلاد الجزرية ودخل دمشق وفرح به صاحبها وأهل البلد وكانوا قد احتاطوا وهم يتجهزون للحصار فأمر بازالة ذلك وترك ماعزموا عليه من الاحتياط وحلف لصاحبها على المساعدة والحفظ له ولبلاده عليه وراسل الملك الكامل واصطلحا وظن صاحب دمشق انه معهما في الصلح وسار الاشرف الى أخيه الكامل واجتمعا في ذي الحجة من سنة خمس وعشرين يوم العيد وسار صاحب دمشق الى بيسان وأقام بها وعاد الملك الاشرف من عند أخيه واجتمع هو وصاحب دمشق ولم يكن الاشرف في كثرة من العسكر فبينما هما جالسان في خيمة لهما واذ قد دخل عز الدين ايبك مملوك المعظم الذي كان صاحب دمشق وهو اكبر أمير مع ولده فقال لصاحبه داود قم اخرج والا قبضت الساعة فاخرجه ولم يمكن الاشرف منعه لان ايبك كان قد اركب العسكر الذي له جميعه وكانوا اكثر من الذين مع الاشرف فخرج داود وسار هو وعسكره الى دمشق وكان سبب ذلك ان ايبك قيل له ان الاشرف يريد القبض على صاحبه وأخذ دمشق منه ففعل ذلك فلما عادوا وصلت العساكر من الكامل الى الاشرف وسار فنازل دمشق وحصرها وأقام محاصرا لها الى أن وصل اليه الملك الكامل فحينئذ اشتد الحصار وعظم الخطب على أهل البلد وبلغت القلوب الحناجر وكان من أشد الامور على صاحبها ان المال عنده قليل لان أمواله بالكرك ولو قوبعه الاشرف لم يحضر منها شيأ فاحتاج الى أن باع حلي نسائه وملبوسهم وضاقت الامور عليه فخرج الى عمه الكامل وبذل له تسليم دمشق على أن يبقى عليه الكرك وقلعة الشوبك والغور ونابلس وتلك الاعمال وان يبقى على ايبك قلعة صرخد وأعمالها وتسلم الكامل دمشق وجعل نائبه بالقلعة الى أن سلم اليه أخوه الاشرف حران والرها والرقة وسروج ورأس العين من الجزيرة فلما تسلم ذلك سلم قلعة دمشق الى أخيه الاشرف فدخلها وأقام بها وسار الكامل الى الديار الجزرية فأقام بها الى أن استدعى أخاه الاشرف بسبب حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط فلما حضر عنده بالرقة عاد الكامل الى ديار مصر وأما الاشرف فكان منه مانذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ذكر القبض على الحاجب علي وقتله﴾

وفي هذه السنة أرسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين ايبك وهو أمير كبير في دولته الى مدينة خلاط وأمره بالقبض على الحاجب حسام الدين علي بن حماد وهو المتولي لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الاشرف ولم نعلم شيأ أوجب القبض عليه لانه كان مشفقا عليه ناصحا له حافظا لبلاده حسن السيرة مع الرعية ولقد وقف هذه المدة الطويلة في وجه خوارزمشاه جلال الدين وحفظ خلاط حفظا يعجز غيره عنه وكان مهتما بحفظ بلاده وذابا عنها وقد تقدم من ذكر قصده بلاد جلال الدين والاستيلاء على بعضها مايدل على همة عالية وشجاعة تامة وصار لصاحبه به منزلة عظيمة فان الناس يقولون بعض غلمان الملك الاشرف يقاوم خوارزمشاه وكان رحمه الله كثير الخير والاحسان لايمكن أحدا من ظلم وعمل كثيرا من أعمال البر من الخانات في الطرق والمساجد في البلاد وبنى بخلاط بيمارستانا وجامعا وعمل كثيرا من الطرق وأصلحها كان يشق سلوكها فلما وصل ايبك الى خلاط قبض عليه ثم قتله غيلة لانه كان عدوه ولما قتل ظهر أثر كفايته فان جلال الدين حصر خلاط بعد قبضه وملكها على مانذكره ان شاء

بينا اقتناه غابر أيامه * مخدوعا
عن شهادة خفت صحيفة * آثامه * فلو خف فرجيه
بكت ايديه * يبارى في عدوه
السليك * وينادى لبيك
اللهم لبيك * ولبست هذه
من آثاره * بأعجب من كون
أخباره * وسدول الاستار
دون اسراره * وقصور يد
الانتقام من معقد أزراره *
غيران لكل شيء أمدا *
ويأبى الله أن يفلح الظالم

الله ولم يمهل الله ايبك بل انتقم منه سريعا فان جلال الدين أخذ ايبك أسيرا لما ملك خلاط مع غيره من الأمراء فلما اصطلح الاشرف وجلال الدين اطلق الجميع وذكر ان ايبك قتل وكان سبب قتله ان مملوكا للحاجب علي كان قد هرب الى جلال الدين فلما أسر ايبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب علي فسلمه اليه فقتله وبلغني ان الملك الاشرف رأى في المنام كأن الحاجب عليا قد دخل الى مجلس فيه ايبك فاخذ منديلا وجعله في رقبة ايبك وأخذه وخرج فأصبح الملك الاشرف وقال قد مات ايبك فاني رأيت في المنام كذا وكذا

## ﴿ذكر ملك الكامل مدينة حماة﴾

وفي هذه السنة أواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة وسبب ذلك ان الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر وهو صاحب حماة توفي على ما نذكره ولما حضرته الوفاة حلف الجند وأكابر البلد لولده الاكبر ويلقب بالملك المظفر وكان قد سيره أبوه الى الملك الكامل صاحب مصر لانه كان قد تزوج بابنته وكان لمحمد ولد آخر اسمه قلج ارسلان ولقبه صلاح الدين وهو بدمشق فحضر الى مدينة حماة فسلمت اليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها فارسل الملك الكامل يأمره أن يسلم البلد الى أخيه الاكبر فان أباه اوصى له به فلم يفعل وترددت الرسل في ذلك الى الملك المعظم صاحب دمشق فلم تقع الاجابة فلما توفي المعظم وخرج الكامل الى الشام وملك دمشق سير جيشا الى حماة فحصرها ثالث شهر رمضان وكان المقدم على هذا الجيش أسد الدين شيركوه صاحب حمص وأمير كبير من عسكره يقال له فخر الدين عثمان ومعهما ولد محمد تقي الدين الذي كان عند الكامل فبقي الحصار على البلد عدة أيام وكان الملك الكامل قد سار عن دمشق ونزل على سلمية يريد العبور الى البلاد الجزرية حران وغيرها فلما نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ونزل اليه من قلعته ولم يكن لذلك سبب الأمر الله تعالى فان صلاح الدين قال لاصحابه أريد النزول الى الملك الكامل فقالوا له ليس بالشام أحصن من قلعتك وقد جمعت من الذخائر ما لا حد له فلأي شئ تنزل اليه ليس هذا برأي فأصر على النزول وأصروا على منعه فقال في آخر الامر اتركوني انزل والا ألقيت نفسي من القلعة فحينئذ سكتوا عنه فنزل في نفر يسير ووصل الى الكامل فاعتقله الى أن سلم مدينة حماة وقلعتها الى أخيه الاكبر الملك المظفر وبقي بيده قلعة بارين حسب فانها كانت له وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه

## ﴿ذكر حصر جلال الدين خلاط وملكها﴾

وفي هذه السنة أوائل شوال حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط وهي للملك الاشرف وبها عسكره فامتنعوا بها وأعانهم اهل البلد خوفا من جلال الدين اسوء سيرته واسرفوا في الشتم والسفه فاخذه اللجاج معهم وأقام عليهم جميع الشتاء محاصرا وفرق كثيرا من عساكره في القرى والبلاد القريبة من شدة البرد وكثرة الثلج فان خلاط من اشد البلاد بردا واكثرها ثلجا وأبان جلال الدين عن عزم قوي وصبر تحار العقول منه ونصب عليها عدة منجنيقات ولم يزل يرميها بالحجارة حتى خرب بعض سورها فاعاد أهل البلد عمارته ولم يزل مصابرهم وملازمهم الى أواخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين فزحف اليها زحفا متتابعا وملكها عنوة وقهرا يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الاولى سلمها اليه بعض الامرا

ابدا * الا ان المال يفسد الرجال * ويحقن الدماء * ويجمع الاهواء * ويدفع القضاء * ويستر العوار والعوراء * ولقد بالغ أبو الفتح البستي حيث يقول

انفق على الدرهم والعين
تسلم من العينة والدين
فقوة العين بانسانها
وقوة الانسان بالعين

غير ان المال متى سلب الجمال * وأورث القيل والقال * فهو وبال * ولا الدين مطلوبا * والذنب مكتوبا * والانف مجدوعا * والبنان مقطوعا * فقبح الله الاعراض * متى تدنست الاعراض * والاموال * متى لطخت السربال * والاملاك * متى أعرت الاوراك * والمراتب * متى أبدت المعائب * فأما موائده ومطاعمه فخذ وها في الحكم باسنانك كما انقصت الاصابع * واتسقت الكعوب القوارع * انه يغدو مع صفير العصافير

غدرا فلما ملك البلد صعد من فيه من الامراء الى القلعة التى بها وامتنعوا بها وهو متنازلهم ووضع السيف فى اهل البلد وقتل من وجد به منهم وكانوا قد قلوا فان بعضهم فارقوه خوفا وبعضهم خرج منه من شدة الجوع وبعضهم مات من القلة وعدم القوت فان الناس فى خلاط اكلوا الغنم ثم البقر ثم الجواميس ثم الخيل ثم الحمير ثم البغال والكلاب والسنانير وسمعنا انهم كانوا يصطادون الفأر ويأكلونه وصبروا صبرا لم يلحقهم فيه أحد ولم يملك من بلاد خلاط غيرها وما سواها من البلاد لم يكونوا ملكوه وخربوا خلاط واكثروا القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد وسبوا الحريم واسترقوا الاولاد وباعوا الجميع فتمزقوا كل ممزق وتفرقوا فى البلاد ونهبوا الاموال وجرى على أهلها ما لم يسمع بمثله لاجرم لم يمهله الله تعالى وجرى عليه من الهزيمة بين المسلمين والتتر مانذكره ان شاء الله تعالى

## (ذكر عدة حوادث)

فى أواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ونهبوا بلاده وأعماله واسروا وسبوا ومن جملة من ظفروا به طائفة من التركمان كانوا نازلين فى ولاية بارين فاخذوا الجميع ولم يسلم منهم الا النادر الشاذ والله أعلم

## (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة)

## (ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والاشرف)

فى هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم جلال الدين خوارزمشاه من علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم قونية واقصرا وسيواس وملطية وغيرها ومن الملك الاشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط وسبب ذلك ان جلال الدين كان قد أطاعه صاحب أرزن الروم وهو ابن عم علاء الدين ملك الروم وبينه وبين علاء الدين عداوة مستحكمة وحضر صاحب ارزن الروم عند جلال الدين على خلاط وأعانه على حصرها فخافهما علاء الدين فارسل الى الملك الكامل وهو حينئذ بحران يطلب منه أن يحضر أخاه الاشرف من دمشق فانه كان مقيما بها بعد ان ملكها وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين فاحضر الملك الكامل اخاه الاشرف من دمشق فحضر عنده ورسل علاء الدين اليهما متتابعة بحث الاشرف على المجىء اليه والاجتماع به حتى قيل انه فى يوم واحد وصل الى الكامل والاشرف من علاء الدين خمسة رسل ويطلب مع الجميع وصول الاشرف اليه ولو وحده فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علاء الدين فاجتمعا بسيواس وسارا نحو خلاط فسمع جلال الدين بهما فسار اليهما مجدا فى السير فوصل اليهما بمكان يعرف بياسى چمار (٣) وهو من أعمال ارزنجان فالتقوا هنالك وكان مع علاء الدين خلق كثير قيل كانوا عشرين ألف فارس وكان مع الاشرف نحو خمسة آلاف الا انهم من العساكر الجيدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدواب الفارهة من العربيات وكل منهم قد جرب الحرب وكان المقدم عليهم أمير من أمراء عساكر حلب يقال له عز الدين عمر بن على وهو من الاكراد الهكارية ومن الشجاعة فى الدرجة العليا وله الاوصاف الجميلة والاخلاق الكريمة فلما التقوا بهت جلال الدين لما رأى من كثرة العساكر لاسيما لما رأى عسكر الشام فانه شاهد من تجملهم وسلاحهم ودوابهم ماملأ

على أطعمة يرتوعليها حشاه كما حشى الدقيق جرابا * واثقل الرصاص كعابا * فما هو الا أن يذرورس الشمس على صلايات الجدران * حتى كان اولاد البقر تلحس فؤاده * وكأن الظليم يدعى فيه ميلاده * فيتغدى بالقول سنة وعادة * وبما يجانسه من عمل السوق شهوة وارادة * حتى اذا طفح كالدلو لمن متح كف * وقبض الكف * على قرم لا يطير دانجنه * ولا تثنى دون الجذب محاجنه * فاذا انتصف النهار أوكاد * والتحف الحرباء الالحاد * عاد بطعام اليوم وهو المتكلف * ومايقيم رسمه التعلف * فاحتشى من كل حلو وحامض * وامتلأ من كل بكر وفارض * حتى يخشى عليه فى الصفاق * من الانشقاق * وفى العروق * من البثوق * فيظل باقى النهار

صدره رعبا فانشب عز الدين بن علي القتال ومعه عسكر حلب فلم يقم لهم جلال الدين ولا صبر ومضى منهزما هو وعسكره لا يلوى الاخ على أخيه وتفرقت اصحابه وتمزقوا كل ممزق وعاد الى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من أصحابهم وعادوا الى اذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى ولم يكونوا فدا استولوا على شئ من اعمال خلاط سوى خلاط ووصل الملك الاشرف الى خلاط فرآها خاوية على عروشها خالية من الاهل والسكان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبل

(ذكر ملك علاء الدين ارزن الروم)

قد ذكرنا ان صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ولم يزل معه وشهد معه المصاف المذكور فلما انهزم جلال الدين أخذ صاحب ارزن الروم أسيرا فاحضر عند علاء الدين كيقباذ ابن عمه فاخذه وقصد ارزن الروم فسلمها صاحبها اليه هى وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها فكان كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين وهكذا هذا المسكين جاء الى جلال الدين يطلب الزيادة فوعده بشئ من بلاد علاء الدين فأخذ ماله وما بيده من البلاد وبقى أسيرا فسبحان من لا يزول ملكه

(ذكر الصلح بين الاشرف وعلاء الدين وبين جلال الدين)

لما عاد الاشرف الى خلاط ومضى جلال الدين منهزما الى خوى ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا كل منهم على ما بيده واستقرت القواعد على ذلك وتحالفوا فلما استقر الصلح وجرت الايمان عاد الاشرف الى سنجار وسار منها الى دمشق فاقام جلال الدين ببلاده من اذربيجان الى أن خرج عليه التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك شهاب الدين غازى مدينة ارزن)

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبا للملك الاشرف مناصحا له مشاهدا جميع حروبه وحوادثه وينفق أمواله فى طاعته ويبذل نفسه وعساكره فى مساعدته فهو يعادى أعداءه ويوالى أولياءه ومن جملة موافقته انه كان فى خلاط لما حصرها جلال الدين ولقى من الشدة والخوف ما لقيه بها الى أن ملكها جلال الدين فأسره جلال الدين وأراد ان يأخذ منه مدينة ارزن فقيل له ان هذا من بيت قديم عريق فى الملك وانه ورث هذه ارزن من اسلافه وكان لهم سواها من البلاد فخرج الجميع من أيديهم فعطف عليه ورق له وأبقى عليه مدينته وأخذ عليه العهود والمواثيق انه لا يقاتله فعاد الى بلده وأقام به فلما جاء الملك الاشرف وعلاء الدين محاربين لجلال الدين سار شهاب الدين غازى بن الملك العادل وهو أخو الاشرف وله مدينة ميافارقين ومدينة حانى وهو بمدينة ارزن فحصرها ثم ملكها صلحا وعوضه عنها بمدينة حانى من ديار بكر وحسام الدين هذا نعم الرجل حسن السيرة كريم جواد لا يخلو بابه من جماعة يردون اليه يستمنحونه وسيرته جميلة فى ولايته ورعيته وهو من بيت قديم يقال لهم بيت طغان ارسلان كان لهم مع ارزن بدليس ووسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الاحدب وهذه البلاد معهم من أيام ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقى فأخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس أخذها من عم حسام الدين هذا لانه كان موافقا لصلاح الدين يوسف بن أيوب فقصده بكتمر لذلك وبقيت ارزن بيده الى الآن فاخذت منه ولكل اول آخر فسبحان

يشكو من معاويه * وخلاء خاليه خاويه * حتى اذا جنحت الشمس للاصيل * وهمّ الطفل على الليل بالتطفيل * أعيد عليه الطبائخ والغروف * وحشر اليه القراطف والقروف * ثم يؤتى لمبيته بلفائف كالاضابير مطوية * والطوامير مختومة منحية * وربما تعار بعض ساعات الليل فينادى بالجوع * ويلاقى الطهاة بالقنوع * فيحاش عليه بحالة الوقت من مستودعات البساتيق * ومطبنات الطيور والفرانيق * فيتهجد عليها من غير قيام * ويتسحر منها بغير صيام * طعاما لا يشركه فيه غير الملائكة حاضرة * والكواكب من محاجر الظلماء ناظرة * فما الارض وهى الغاية فى الالتقام * والالتهام * ولا الدعص وهو النهاية فى الاستفاف * والارتشاف * بابلع منه

من لا اول له ولا آخر لبقائه

(ذكر ملك صونج قشيالوا قلعة روين دز)

وفي هذه السنة ظهر أمير من امراء التركمان اسمه صونج ولقبه شمس الدين واسم قبيلته
قشيالوا وقوي أمره وقطع الطريق وكثر جمعه وكان بين اربل وهمذان وهو ومن معه
يقطعون الطريق ويفسدون في الارض ثم انه تعدى الى قلعة منيعة اسمها سارو وهي لمظفر
الدين وقتل عندها أميرا كبيرا من أمراء مظفر الدين يعرف بعز الدين الحميدي فجمع مظفر
الدين واراد استعادتها منه فلم يمكنه لحصانتها ولكثرة الجموع مع هذا الرجل فاصطلحا على ترك
القلعة بيده وكان عسكر جلال الدين خوارزمشاه يحصرون قلعة روين دز وهي من قلاع
اذربيجان من أحصن القلاع وأمنعها لا يوجد مثلها وقد طال الحصار على من بها فأذعنوا
بالتسليم فارسل جلال الدين بعض خواص أصحابه وثقاته ليتسلمها وأرسل معه الخلع والمال
لمن بها فلما صعد ذلك القاصد الى القلعة وتسلمها أعطى بعض من بالقلعة ولم يعط البعض
واستذلهم وطمع فيهم حيث استولى على الحصن فلما رأى من لم يأخذ شيأ من الخلع والمال ما فعل
بهم أرسلوا الى صونج يطلبونه ليسلموا اليه القلعة فسار اليهم في أصحابه فسلموها اليه فسبحان
من اذا أراد أمرا سهله هذه قلعة روين دز لم تزل تتقاصر عنها قدرة اكابر الملوك وعظمائهم من
قديم الزمان وحديثه وتضرب الامثال بحصانتها لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يملكها هذا
الرجل الضعيف سهل له الامور فملكها بغير قتال ولا تعب وازال عنها أصحاب مثل جلال الدين
الذي كل ملوك الارض تهابه وتخافه وكان اصحاب جلال الدين كما قيل رب ساع لقاعد فلما
ملكها صونج طمع في غيرها لاسيما مع اشتغال جلال الدين بما أصابه من الهزيمة ومجيء التتر
فنزل من القلعة الى مراغة وهي قريب منها لحصرها فأتاه سهم غرب فقتله فلما قتل ملك روين دز
اخوه ثم ان هذا الاخ الثاني نزل من القلعة وقصد أعمال تبريز ونهبها وعاد الى القلعة ليجعل
فيها من ذلك النهب والغنيمة ذخيرة خوفا من التتر وكانوا قد خرجوا فصادفه طائفة من التتر
فقتلوه وأخذوا ما معه من النهب ولما قتل ملك [illegible] ابن أخت له وكان هذا جميعه في مدة سنتين
فأف لدنيا لا تزال تتسع فرحة بترحة وكل حسنة بسيئة

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم)

في اول هذه السنة وصل التتر من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وقد ذكرنا قبل كيف ملكوا
ما وراء النهر وما صنعوه بخراسان وغيرها من البلاد من النهب والتخريب والقتل واستقر
ملكهم بما وراء النهر وعادت بلاد ما وراء النهر انعمرت وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم
عظيمة وبقيت مدن خراسان خرابا لا يجسر أحد من المسلمين يسكنها وأما التتر فكانوا تغير كل
قليل طائفة منهم ينهبون ما يرونه بها فالبلاد خاوية على عروشها فلم يزالوا كذلك الى أن ظهر
منهم طائفة سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه وبقوا كذلك فلما كان
الآن وانهزم جلال الدين من علاء الدين كيقباذ ومن الاشرف كما ذكرناه سنة سبع وعشرين
ارسل مقدم الاسماعيلية الملاحدة الى التتر يعرفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه

ولا فناء زاده ولا بأجرع
لولا قضاء نفاده * ومن نادر
أمره في المعاقرة أنه يكتب
ضمنا في التنقل من الصبوح
الى الغبوق * والتردد بين
الفجور والفسوق * فان
نشط للتنزه تبوأ مقاعد
الاكتاف * كما تعود مقاعد
الاسقاف * فيهادى بين
اثنين حرضا في جلدة شيطان *
وجثة في صورة أفعوان *
قد تجهم بينهما التوخ الفعل
للرمالك * بل صنيع الداهيتين
بالهمالك * وربما بقي في
التمارض سنة أو أكثر
شفقا من تكلف الخدمة *
لولي النعمة * وتجشم المسير *
الى باب الوزير * فيرشو على
التعليل مالا * ويحلو وجوه
الاطباء * وأصحاب الانباء *
فرها خفافا وبدرا ثقالا *
وليس هذا الاحتيال بأغرب
من كتابه الزمانة على
امتناع الطباع وشموس
النفوس دون الاصغاء
اليها فضلا عن القرار عليها *

وبعثهم

ويحثهم على قصده عقيبا الضعف ويضمن لهم الظفر به للوهن الذى صاروا اليه وكان جلال الدين سيء السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك أحدا من الملوك المجاورين له الاعاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته فمن ذلك انه اول ماظهر فى اصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان فحصر مدينة ششتر وهى للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها وقتل فيها فاكثر وهى للخليفة ايضا ثم ملك اذربيجان وهى لاوزبك فملكها وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ثم عادى الملك الاشرف صاحب خلاط ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم وعادى الاسماعيلية ونهب بلادهم وقتل فيهم فاكثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة وكذلك غيرهم فكل من الملوك تخلى عنه ولم يأخذ بيده فلما وصلت كتب مقدم الاسماعيلية الى التتر يستدعيهم الى قصد جلال الدين بادر طائفة منهم فدخلوا بلاده واستولوا على الرى وهمذان ومابينهما من البلاد ثم قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به من أهلها وجلال الدين لا يقدم على أن يلقاهم ولا يقدر على منعهم عن البلاد قد ملئ رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته فى طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب أن غريبا أظهره من قلة عقل جلال الدين مالم يسمع بمثله وذلك انه كان له خادم خصى وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتفق ان الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه مالم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وأمر الجند والامراء أن يمشوا فى جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه و بين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس رجالة ومشى بعض الطريق راجلا فالزمه امراؤه و وزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز أرسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج عن البلد لتلقى تابوت الخادم ففعلوا فانكر عليهم حيث لم يبعدوا ولم يظهروا من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن ذلك الخصى وانما كان يستصحبه معه أين سار وهو يلطم ويبكى فامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر أحد يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام و يعودون يقولون انه يقبل الارض ويقول انا الآن أصلح مما كنت فلحق أمراءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز عنه مع وزيره فبقى حيران لايدرى مايصنع لاسيما لما خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصى وراسل الوزير واستماله وخدعه الى أن حضر عنده فلما وصل اليه بقى أياما وقتله جلال الدين وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها

*( ذكر ملك التتر مراغة )*

وفى هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان فامتنع اهلها ثم أذعن اهلها بالتسليم على امان طلبوه فبذلوا لهم الامان وتسلموا البلد وقتلوا فيه الا انهم لم يكثروا القتل وجعلوا فى البلد شحنة وعظم حينئذ شان التتر واشتد خوف الناس منهم باذربيجان فالله تعالى ينصر الاسلام والمسلمين نصرا من عنده فما نرى فى ملوك الاسلام من له رغبة فى الجهاد ولا فى نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا أخوف عندى من العدو وقال الله تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

*(ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه)*

فسبحان من خلق النفوس أطوارا * وجعل من الهمم انجادا وأغوارا * هذه من اعيان مساوى هذا الفاضل * العاطل * ولو سردت أمثالها لطال الكلام * وعال الابرام * وو راءها من دقائق الظلم المذموم * والدغل المكتوم * وثقل الحيزوم * والذل المبذول بلعاب اللوم مايربى على دقائق الابراج * وأجزاء جواهر الامشاج * والصغائر على الاصرار كبائر * كما رغب الشعور على الايام غدائر * ولقد أحسن ابن المعتز حيث يقول

خل الذنوب صغيرها
وكبيرها فهو التقى
لاتحقرن صغيرة
ان الجبال من الحصى

ومما اقتضى التنبيه على معايب المذكور ومساويه * والفلى عن شمط عقائصه وذوائبه * مقابلته صنائع

لما رأى جلال الدين ما يفعله التتر في بلاد اذربيجان وانهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويجبون الاموال وهم عازمون على قصده ورأى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق اذربيجان الى بلاد خلاط وأرسل الى النائب بها عن الملك الاشرف يقول له ما جئنا للعرب ولا للاذى انما خوف هذا العدو حملنا على قصد بلادكم وكان عازما على أن يقصد ديار بكر والجزيرة ويقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ويحذرهم عاقبة اهمالهم فوصل الى خلاط فبلغه ان التتر يطلبونه وهم مجدون في أثره فسار الى آمد وجعل اليزك في عدة مواضع خوفا من البيات فجاءت طائفة من التتر يقصدون أثره فوصلوا اليه على غير الطريق الذي فيه اليزك فاوقعوا به ليلا وهو بظاهر مدينة آمد فمضى منهزما على وجهه وتفرق من معه من العسكر في كل وجه فقصد طائفة من عسكره حران فاوقع بهم الامير صواب مقدم الملك الكامل بحران ومعه العسكر فأخذوا ما معهم من مال وسلاح ودواب وقصد طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغير ذلك من البلاد فتخطفهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كل أحد حتى الفلاح والكردي والبدوي وغيرهم وانتقم منهم وجازاهم على سوء صنيعهم وقبيح فعلهم في خلاط وغيرها وبما سعوا في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين فازداد جلال الدين ضعفا الى ضعفه ووهنا الى وهنه بمن تفرق من عسكره وبما جرى عليهم فلما فعل التتر بهم ذلك ومضى منهزما منهم دخلوا ديار بكر في طلبه لانهم لم يعلموا أين قصد ولا أي طريق سلك فسبحان من بدل أمنهم خوفا وعزهم ذلا وكثرتهم قلة فتبارك الله رب العالمين الفعال لما يشاء

*(ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه في البلاد من الفساد)*

لما انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميافارقين وقصدوا مدينة أسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الامان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى وقليل ما هم (حكى) لي بعض التجار وكان قد وصل آمد انهم [illegible]روا القتلى ما يزيد على خمسة عشر ألف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من أسعرد فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل وكان له أم فمنعته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصغ الى قولها فمضت معه فقتلا جميعا وورثهما ابن أخ للام فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى أمرا عظيما وان مدة الحصار كانت خمسة ايام ثم ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى واد بالقرب من طنزة يقال له وادي القريشية فيه طائفة من الاكراد يقال لهم القريشية وفيه مياه جارية وبساتين كثيرة والطريق اليه ضيق فقاتلهم القريشية فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضا وساروا في البلاد لا مانع يمنعهم ولا أحد يقف بين أيديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين وأهل دنيسر بقلعة ماردين وغيرهم ممن جاور القلعة احتمى بها أيضا ثم وصلوا الى نصيبين الجزيرة فاقاموا عليها بعض نهار ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت أبوابها فعادوا عنها ومضوا الى بلد سنجار ووصلوا الى الجبال من أعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا وعادوا ومضى

طائفة

لى عنده ايام آل سامان
وبعدها في حق قضيته * وعهد رعيته * وعيب
طويته * وسر أخفيته *
وشغل كفيته * وبر أوليته *
بأن كاشفني لمودة جمعتني
وولده المغتبط أبا المظفر
رحمه الله بعد داود لم يرج
لعظيم سيلها صفاء * ولا
لبهيم ليلها انقضاء * وذلك
ان شمس الكفاة تدعى
لمحاورته * وتقمن لى خيرا
بمعاشرته * مكافأة على
خدمتي دولة السلطان
يمين الدولة * وأمين الملة *
بالمعنى في شرح أخباره *
ومدح مقاماته في عديده
وأنصاره * فما زال يسرى
اليه عنى بنميمة * كقطار
دمنة * ووقيعة * كسراب
بقيعة * على غفلة دون
ما نصبه لى من شرك *
ويمجه من معترك * تمويها
لأنى لحقه كافر * وعن
فرض محبته نافر * والى
جرموق بعض الكفاة *

طائفة منهم على طريق الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المؤنسة وهي على مرحلة من نصيبين
بينها وبين الموصل فنهبوها واحتمى اهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كل من فيه (وحكى) لي عن
رجل منهم انه قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بي وكنت أراهم من نافذة في البيت
فكانوا اذا أرادوا قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا
الحريم رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم يقولون لا بالله ومضى طائفة
منهم الى نصيبين الروم وهي على الفرات وهي من أعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم
الى بدليس فتحصن اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرا وأحرقوا المدينة (وحكى) انسان
من أهلها قال لو كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر أحد لان الطريق ضيق بين الجبال
والقليل يقدر على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من أعمال خلاط
يقال لها باكري وهي من أحصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا مدينة
ارجيش من أعمال خلاط وهي مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا في ذي الحجة ولقد
حكى لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي القاه الله سبحانه وتعالى في قلوب
الناس منهم حتى قيل ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من
الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد لا يتجاسر أحد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغني
ان انسانا منهم أخذ رجلا ولم يكن مع التتري ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تبرح
فوضع رأسه على الارض ومضى التتري فأحضر سيفا فقتله به (وحكى) لي رجل قال كنت أنا
ومعي سبعة عشر رجلا في طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضا فشرع
أصحابي يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت هذا يريد
قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك فأخذت سكينا
وقتلته وهربنا فنجونا وأمثال هذا كثير

(ذكر وصول طائفة من التتر الى اربل ودقوقا)

في هذه السنة في ذي الحجة وصل طائفة من اذربيجان الى أعمال اربل فقتلوا من على
طريقهم من التركمان الايوائية والاكراد الجوزقان وغيرهم الى أن دخلوا بلد اربل فنهبوا
القرى وقتلوا من ظفروا به من أهل تلك الاعمال وعملوا الاعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من
غيرهم وبرز مظفر الدين صاحب اربل في عساكره واستمد عساكر الموصل فساروا اليه فلما بلغه
عود التتر الى اذربيجان أقام في بلاده ولم يتبعهم فوصلوا الى بلد الكرخيني وبلد دقوقا وغير
ذلك وعادوا والمسلمين لم يذعرهم أحد ولا وقف في وجوههم فارس وهذه مصائب وحوادث لم ير
الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد
هذا العدو عنهم وخرجت هذه السنة ولم نتحقق لجلال الدين خبرا ولا نعلم هل قتل أو اختفى لم
يظهر نفسه خوفا من التتر أو فارق البلاد الى غيرها والله أعلم

(ذكر طاعة أهل اذربيجان للتتر)

في اول هذه السنة أطاع اهل بلاد اذربيجان جميعها للتتر وحملوا اليهم الاموال والثياب
الخطائي والخوبي والعتابي وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم على آمد من

في استحقاق صدر الوزارة
مائل * وفي شعب الاختصاص
به والانقطاع اليه سائل *
اكذوبة لم يخلق الله
لها رأسا ولا ذنبا * ولم يضرب
لها وتدا ولا طنبا * ودمنة لم
يهتد دمنة لنسورها وأمرها *
وموقوف كلاها وآباءها *
حتى هاجه علي كالليث
موتورا والنمر محرجا
ومضرورا * فكم كدحت
حتى استنزلته عن حران
وشماس * وجهدت حتى
نحوت منه رأس ابراس *
وطفقت انشد وقد فارقته سالما
اذا لحن أبناء المسلمين بأنفس
كرام رجت امرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة انها
تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
واغرى بي بدر الملك بن شمسه
عين الدولة في عظيمة لولا ان
ألهمه الله الاناة * وأشعره
الحصاة * فنقر ونقب *
واستشف اعطاف البلاغ
فعل من جوب ودرب *
لثارت علي منه داهية لا تبقي

التتر وتفرقت عساكره وتمزقوا كل ممزق وتخطفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة واربل وخلاط مافعلوا ولم يمنعهم أحد ولا وقف في وجوههم فارس وملوك الاسلام منجحرون في الانقاب وانضاف الى هذا انقطاع أخبار جلال الدين فانه لم يظهر له خبر ولا علموا له حالا سقط في أيديهم واذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ماطلبوا منهم من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التي هي أصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى من بها فان ملك التتر نزل في عساكره بالقرب منها وأرسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فارسلوا اليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الابريسم وغيرها وكل شئ حتى الخمر وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم ويطلب منهم أن يحضر مقدموهم عنده فقصده قاضي البلد ورئيسه وجماعة من أعيان اهله وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائي وهو الذي يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شيأ من ذلك فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائي فقالوا انه رجل منقطع ماله بالملوك تعلق ونحن الاصل فسكت ثم طلب أن يحضروا عنده من صناع الثياب الخطائي وغيرها ليستعملهم لملكهم الاعظم فان هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصناع فاستعملهم في الذي أراد واوزن أهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاة لملكهم ايضا فعملوا له خركاة لم يعمل مثلها وعملوا غشاءها من الاطلس الجيد الزركش وعملوا من داخلها السمور والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيأ كثيرا ومن الثياب كذلك وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انهم لا ينصرون خوارزمشاه ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من أهل الري كان قد انتقل الى الموصل واقام بها هو ورفقاؤه ثم سافر الى الري في العام الماضي قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الري وأطاعهم أهلها وساروا الى اذربيجان سار هو معهم الى تبريز كتب الى أصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله مانقدر نصفه ولا كثرة جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولا تظنون ان هذه الطائفة [illegible] وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التي وصلت الى اربل ودقوقا كان قصد[illegible] انما أرادوا أن يعلموا اهل في البلاد من يردهم أم لا فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك وعساكر فقوي طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم ومايبقى عندكم مقام الا ان كان في بلد الغرب فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأما جلال الدين فالى آخر سنة ثمان وعشرين لم يظهر له خبر وكذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة قلت الامطار بديار الجزيرة والشام لاسيما حلب وأعمالها فانها كانت قليلة بالمرة وغلت الاسعار بالبلاد وكان أشدها غلاء حلب الا انه لم يكن بالشديد مثل ماتقدم في السنين الماضية فاخرج أتابك شهاب الدين وهو والي الامر بحلب والمرجع الى أمره ونهيه وهو المدبر لدولة سلطانها الملك العزيز ابن الملك الظاهر والمربي له من المال والغلات كثيرا وتصدق صدقات دارة وساس البلاد سياسة حسنة بحيث لم يظهر للغلاء أثر فجزاه الله خيرا وفيها بني أسد



ولا اكدار * ولا استطارت عباقية يقف عليها الشعر والبشر * فمن الله تعالى بأن فضح القاضح فيما زوره * وكسف وجهه وكوره وأهواه فيما حفره * وخنقه بقوى ما أضمره * وسخم وجهه بنور الافتعال * وكشف عورته لفحول الرجال * وجعله عبرة للغابرين بشرح هذه الاحوال * فمن قرأ هذه الفصول * فليحمد الله تعالى على السلامة من مثلها * والبراءة من فوادح الاوزار * وقوادح النار بها * وليعلم ان الاساءة تعقب على مرور الايام عبأ ثقيلا * وغبا وبيلا * وخطبا جليلا * ولسانا كالحسام صقيلا * وقبح الله من نقص عمره على زيادة الآثام * ومساءة الانام * وحيازة الملام * ويرحم الله عبدا قال آمينا

*(هذا آخر الكتاب المرسوم باليميني لابي نصر العتبي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه)*

الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية وسماها اسميس وكان الملك الكامل لما خرج من مصر الى الشام قد خدمه أسد الدين ونصح له وله أثر عظيم فى طاعته والمقاتلة بين يديه فاقطعه مدينة سلمية فبنى هذه القلعة بالقرب من سلمية وهى على تل عال وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهى بين جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها وأخذوا منها غنيمة واسرى فسيرا تابك شهاب الدين اليهم العساكر مع أمير كان أقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى والغنيمة وفيها توفى القاضى ابن غنائم بن العديم الحلبى الشيخ الصالح وكان من المجتهدين فى العبادة والرياضة والعاملين بعلمه فلو قال قائل انه لم يكن فى زمانه أعبد منه لكان صادقا فرضى الله عنه وأرضاه فانه من جملة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه وفيها أيضا فى الثانى عشر من ربيع الاول توفى صديقنا أبو القاسم عبد المجيد ابن العجمى الحلبى وهو وأهل بيته مقدموا السنة بحلب وكان رجلا ذا مروأة غزيرة وخلق حسن وحلم وافر ورياسة كثيرة يحب اطعام الطعام وأحب الناس اليه من يأكل طعامه ويقبل بره وكان يلقى أضيافه بوجه منبسط ولا يقعد عن ايصال راحة وقضاء حاجة فرحمه الله رحمة واسعة

*(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة)*

---

*(خاتمـــــة)*

باسمك اللهم خير الاسماء وشكرك الجالب لمزيد النعماء والصلاة والسلام على خاتم الرسل الكرام وعلى آله أولى الفضل والاحتشام والسير المستقيمه والمناهج القويمه يقول المتوسل الى مولاه بالنبى المختار ابراهيم الدسوقى الملقب بعبد الغفار خادم تصحيح كتب العلوم والفنون بدار الطباعة ذات الطبع السليم المصون

---

تم بعون مبدع الاواخر والاوائل طبع كتاب التاريخ المعروف بالكامل للعلم الشهير الماهر النحرير العلامة أبى الحسن على المعروف بابن الاثير الذى ابتدأه من اول الزمان الى انتهاء سنة ستمائة وعشرين وثمان ثم اخترمته المنيه فأدركت الناس فيه الرزيه محرر الجمل والاساليب مصونا عن التحريف والتصحيف فى الكلمات والتراكيب على يد عصابه تشهد لهم عباراته بالاصابه اذ قابله على أصله المطبوع المحرف أريب كشف الله عن بصيرته فانصف وكان طبعه بالمطبعة الكبرى العامره ذات التحريرات الباهره المشهورة بكمال الضبط ودقة الانظار فى سائر المدن والنواحى والاقطار المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت بطيب ذكره الانديه وتضوعت بعاطر مدائحه الاثنيه رب المآثر التى لا تحصى والمحاسن التى لا تستقصى حسنة الليالى والايام بدر الولاة والملوك والحكام سلالة السراة الصناديد وارث الملوك الاماجيد الراقى بهممه الى كل مقام معتلى عزيز مصر اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لا زالت الايام منيرة بطلعة وجوده والانام متمتعة بكرمه وجوده ولا برح قرير العين منتعش الروح والعين بانجاله الكرام وأشباله الفخام لا سيما الوزير الشهير النبيل الاصيل رب المعارف المشهورة

والعوارف المشكوره والرأى والاصابه والدولة والنجابه من هو بمحاسن الثناء حقيق
سعادة محمد باشا توفيق رئيس المجلس الخصوصى ومن له بولاية العهد أوصى ثم سعادة الوزير
صنو الكمال ومظهر الجلال والجمال أسد العرين أشم العرنين مشير المعالى بدر الليالى
جوهرى الفطنة والرويه سعادة حسين باشا ناظر الجهاديه ثم حضرة ثالث الانجال من له
فى ميدان الفضل أفسح مجال المعدود فى كفة ميزان الرجحان من فحول الرجال العلية
الاذهان حسن الصفات والاسم ومن له من حسن الصيت أوفر قسم من انتعش به البهاء
انتعاشا دولتلو حسن باشا وكان طبعه المونق وتمثيله المرونق مشمولا بادارة من
خاطبته المعالى ببابك أعنى حضرة حسين بك حسنى ونظارة وكيله السالك جادة
سبيله من عليه أحاسن اخلاقه تثنى حضرة محمد أفندى حسنى وملاحظة
ذى الرأى المسدد حضرة أبى العينين افندى احمد وكان تمام تمثيله
وكمال تصويره وتشكيله فى أوائل ذى الحجة الحرام
من سنة ألف ومائتين وتسعين من هجرة خاتم
الانبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليه
وآله وصحبه وكل منتسب اليه
ما ناح حمام وفاح
مسك ختام
آمين